شِرْكُ الجَاهِلِيَّةِ

بَينَ الإِقرَارِ وَالإِيمَان

وَبيَانِ مَوقِفِ أَهلِ السُّنَّة مِن " تَقسِيمِ التَّوحِيد وَاعتِقَادِ المُشرِكِينَ فِيهِ "

وَالرَّدِّ عَلَي المُخَالِفِين

بِقَلَمِ

د/ أَبِي إِليَاسِ

طَهَ ابن إِبرَاهِـــــــيمَ القَلَمُوشِي

المِصرِي

عَفَا اللهُ عَنهُ

إضاءة

على المسلم أن يهتم فى حياته بأمور:

أولها العلم ، ويثنى بالعمل بما علم حتى لا يكون علمه وبالا عليه ثم يزكى عن علمه وعمله بالدعوة إلى الله بقدر مستطاعه ، ولابد له أن يوطن نفسه على الصبر فى كل المراحل السابقة ، فيصبر على مر التعلم ومشقة العمل والأذى فى سبيل الدعوة إلى الله .

وإنى أُهدى كل قارىء كتابى هذه الأبيات[1] حبا لله وفى الله :

أُخَيَّ إليك أنا أُهـدى	سلاسلَ ذهبٍ ملفوظة
كتاباً قد حـوى دُرَرَاً	بعين الحُسـن ملحوظة
علهُ يلقى مـن قومى	عقولَ أناس محظـوظة
لذلك قلتُ تنبيـهاً	حقوقُ الطبعِ محفوظـة
لكل امرىء يطبعـها	لوجهِ اللهِ مقروظـة
ودعوةِ غيبٍ تنفعُـنى	من مثلك أنفع ملفوظـة
ونظرةِ نُصحٍ ترمُقُنِى	بعينك ألطفُ ملحوظـة

طه بن إبراهيم القلموشي

[1] قد كتبتها فى يوم الثلاثاء 9-3-2010 ، 23 - 3- 1431 هـ ، بقصد تصدير بها كتبى التى لا أرجوا من وراءها نفعا ماديا.

مُقَدِّمَةٌ [1]

إِنَّ الحَمدَ لِلَّهِ نَحمَدُهُ وَنَستَعِينُهُ وَنَستَغفِرُهُ وَنَعُوذُ بِاللهِ مِن شُرُورِ أَنفُسِنَا وَمِن سَيِّئَاتِ أَعمَالِنَا مَن يَهدِهِ اللهُ فَلَا مُضِلَّ لَهُ وَمَن يُضلِل فَلَا هَادِيَ لَهُ وَأَشهَدُ أَن لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ وَأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّداً عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ { يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنْتُمْ مُسْلِمُونَ} [2] { يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَاءً وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالْأَرْحَامَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا } [3] { يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَقُولُوا قَوْلًا سَدِيدًا ، يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَالَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَمَنْ يُطِعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا } [4] أَمَّا بَعدُ ، فَإِنَّ خَيرَ الحَدِيثِ كِتَابُ اللهِ وَخَيرَ الهَدْيِ هَدْيُ مُحَمَّد صَلَّي اللهُ عَلَيهِ وَسَلَّمَ وَشَرَّ الأُمُورِ مُحدَثَاتُهَا وَكُلَّ مُحدَثَةٍ بِدْعَةٍ وَكُلَّ بِدْعَةٍ ضَلَالَةٍ وَكُلَّ ضَلَالَةٍ فِي النَّارِ .

أَمَّا بَعدُ ؛ حَمدَاً للهِ الذِي فَضَّلَ هَذِهِ الأُمَّةِ عَلَى سَائِرِ الأُمَمِ ، وَجَعَلَ لِلصَّدْرِ الأَوَّلِ مِن ذِلِكَ أَكثَرَ الأَنصِبَاءِ وَأَوفَرَ القَسَمِ ، وَاختَصَّهُم لِصُحبَةِ نَبِيِّهِ عَلَيهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامِ المَبعُوثِ بِمَحَاسِنِ الشِّيَمِ وَمَجَامِعِ الحِكَمِ ، وَهَدَاهُم بِمَا شَهِدُوا مِن أَحوَالِهِ وَفَهِمُوا مِن أَقْوَالِهِ وَشَاهَدُوا مِن أَفعَالِهِ إِلَى أَرشَدِ لقم ، فَهُم خَيرُ القُرُونِ بِالإِجمَاعِ وَأَولَاهَا بِالاقْتِدَاءِ وَالاتِّبَاعِ وَأَهلِ البَأسِ وَالكَرَمِ [5].

إن من منن الله تَعَالَي المتوافرة علي هَذِهِ الأُمَّةِ المُحَجَّلَةِ أن اصطفاها واجتباها لختم الأمم ، فكان من وافر حظها أن بَعَثَ فيها خير أنبياءه وخاتم رسله عَلَيهِمُ السَّلَام ، وزادَ اللهُ فضله عليهم بأن حمَّلهم ذات الأمانة التي اصطفي من خيرةِ خلقِه الأنبياء والمرسلين لحملها ، فصار الواحد من تلك الأمة

[1] (فيها نبذه عن أفضلية هذه الأمة ، وأن الله أمرنا بالتَّوحِيد الكامل ، ونهانا عن الاشراك معه ، ولا يقبل من العَمَل ما كان فيه ذرة من شرك ، مع الأدلة وأقوال أهل العِلم فى ذلك ، ثم تعريج على الشبهة وأصل منشأها من رمي التبليغيين بها) .

[2] سورة آل عمران 102 .

[3] سورة النساء 1 .

[4] سورة الأحزاب 70 71 .

[5] إجمال الإصابة – العلائي.

يحمل من الأمانة مثلما حُمِّل نبي من الأنبياء ولم تتشرف أمة من الأمم ما تشرفت به تلك الأمة المختارة ولم ينل نبي من الأنبياء لأمته ما ناله النبي الأكرم لتلك الأمة من تشريف وما حظيه من تكريم .

وكان من أعظم مظاهر تلك الملة التي بُعث بها مُحَمَّد صَلَّي اللهُ عَلَيهِ وَسَلَّمَ - وسائر إخوانه الأنبياء عَلَيهِمُ السَّلَام - أن جردت التَّوحِيد لله تَعَالَي ، فهي أعظم شعيرة وأهم عبادة بعث بها خاتم الأنبياء والمرسلين ، بل وكل المرسلين لم يبعثوا إلا لهذه المهمة العظيمة ، فلم تجرد السيوف وتبقر البطون وتثلج الرؤوس فى القديم والحديث إلا من أجل تلك الغاية ، فقد صح عَنِ النَّبِيّ صَلَّي اللهُ عَلَيهِ وَسَلَّمَ ما رواه ابن عمر رَضِيَ اللهُ عَنهُمَا قوله: (بُعِثْتُ بَيْنَ يَدَيْ السَّاعَةِ بِالسَّيْفِ حَتَّى يُعْبَدَ اللَّه وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ، وَجُعِلَ رِزْقِي تَحْتَ ظِلِّ رُمْحِي، وَجُعِلَ الذُّلُّ وَالصَّغَارُ عَلَى مَنْ خَالَفَ أَمْرِي، وَمَنْ تَشَبَّهَ بِقَوْمٍ فَهُوَ مِنْهُمْ) [1] ولم يكن الله تَعَالَي ليقبل من عبده عملا كان له فيه مثقَالَ ذرة من شرك ، فصحَّ عَنِ النَّبِيّ صَلَّي اللهُ عَلَيهِ وَسَلَّمَ أنه أخبر عن رب العزة جل وعلا قوله تَعَالَي : (أَنَا أَغْنَى الشُّرَكَاءِ عَنْ الشِّرْكِ، مَنْ عَمِلَ عَمَلاً أَشْرَكَ فِيهِ مَعِي غَيْرِي تَرَكْتُهُ وَشِرْكَه) [2] وقول الله تَعَالَي : (قُلْ إِنَّمَا أَنَا بَشَرٌ مِثْلُكُمْ يُوحَى إِلَيَّ أَنَّمَا إِلَهُكُمْ إِلَهٌ وَاحِدٌ فَمَنْ كَانَ يَرْجُو لِقَاءَ رَبِّهِ فَلْيَعْمَلْ عَمَلًا صَالِحًا وَلَا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِ أَحَدًا) [3] وغير ذلك مما يدل علي أن إخلاص العَمَل لله تَعَالَي وحده وتجريده لوجهه تَعَالَي أهم من العَمَل ذاته . فهَذَا الدليل على أنه إذا رافقت النية لله نية أخرى لغيره من بداية العمل أو في أثنائه حبط العَمَل إلا إن استدرك الإنسان عمله فأخلصه لربه تبارك وتعالي وجرده إليه .

---

1 (رواه البخاري معلّقًا 2757) , (مسند أحمد 5115) وحسنه الألباني في الإرواء : 1269 , وصَحِيح الْجَامِع : 2831 .

[2] أخرجه مسلمٌ (2965/ 46)، وابنُ ماجة (4202)، وأحمد (2/ 301، 435) .

[3] سورة الكهف 110 .

وحق لمن ءامن بالله تَعَالَي - خالق الكون ومنشئه على غير مثال سابق - أن يجرد كل أعماله إليه سُبْحَانَهُ ، وأن ينقيها من أدران الشرك لغيره جل جلاله .

ولكن الشيطان يقف للانسان بالمرصاد ، يُزَيّنُ له دنياه ، ويُشَهّي له مخالفة الله ، ويُصَعِّبُ عليه العبادة ، قَالَ تَعَالَي : (قَالَ فَبِمَا أَغْوَيْتَنِي لَأَقْعُدَنَّ لَهُمْ صِرَاطَكَ الْمُسْتَقِيمَ ، ثُمَّ لَآتِيَنَّهُمْ مِنْ بَيْنِ أَيْدِيهِمْ وَمِنْ خَلْفِهِمْ وَعَنْ أَيْمَانِهِمْ وَعَنْ شَمَائِلِهِمْ وَلَا تَجِدُ أَكْثَرَهُمْ شَاكِرِينَ) [1] ، فَضَلَّ اللعِينُ وأَضَلَّ فِئَامَاً كَثِيرَةً مِنَ النَّاسِ ، فَكَم مِن عَبْدٍ رَأَي بِعَينِهِ عِظَامَ الآيَاتِ فَكَفَرَهَا ؟ ، وَكَم مِنهُم مَن بُهِتَ عَقلُهُ بِالمُعجزَاتِ ثُمَّ أَنكَرَهَا ؟ ، حَتَّي أَقْسَمَ عَلَيهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَام : (وَالَّذِي نَفْسُ مُحَمَّد بِيَدِهِ، لَا يَسْمَعُ بِي أَحَدٌ مِنْ هَذِهِ الأُمَّةِ يَهُودِيٌّ وَلَا نَصْرَانِيٌّ ثُمَّ يَمُوتُ وَلَمْ يُؤْمِنْ بِالَّذِي أُرْسِلْتُ بِهِ، إِلَّا كَانَ مِنْ أَصْحَابِ النَّارِ) [2] فعُلِم أن من لم يؤمن بكل ما جاء به النبي صَلَّي اللهُ عَلَيهِ وَسَلَّمَ فهو مِن أَهلِ النار ، ومن آمن بشيء مما بعث به وكفر بشيء فهو فى الحكم كمن كفر الرسالة بأكملها وجحد الإسلَام كله . ولا أظهر من قتال أبي بكر الصديق رَضِيَ اللهُ عَنهُ لمانعي الزكاة إثر وفاة سيد المرسلين صَلَّي اللهُ عَلَيهِ وَسَلَّمَ . وهَذَا حكم كل من ينكر معلوما من الدين بالضرورة فى عصرنا ممن يعدونهم مفكرين إسلاميين حملة الشهادات عليهم لَعَائِنُ اللهِ .

وَقَدْ رَأَي القُرَشِيُّونَ مِنَ الآيَاتِ وَالعِبَرِ مَا عَلَي مِثلِهِ يُؤمِنُ البَشَرُ ، قَالَ رَبُّنَا تَبَارَكَ وتَعَالَي : (وَلَقَدْ جَاءَهُمْ مِنَ الْأَنْبَاءِ مَا فِيهِ مُزْدَجَرٌ) [3] وَلَكِنَّهُم استَكبَرُوا وَعَانَدُوا وَحَارَبُوا الدَّعوَةَ الوَلِيدَةَ حِفْظَاً لِمَكَانَتِهِم بَينَ العَرَبِ وَجَاهِهِم فِي الجَزِيرَةِ - زَعَمُوا - وَمَا عَلِمَ الجُهَلَاءُ أَنَّهُ بِإِسلَامِهِم يَزدَادُ عِزُّهُم وَتَقْوَي شَوكَتُهُم وَيَستَجْلِبُونَ مَعِيَّةَ رَبِّهِم ! فَيَالَهُم مِن أَغبِيَاءَ حَمقَي .

[1] سورة الأعراف 16 ، 17 .
[2] صحيح مسلم 153 ، صحيح الجامع 7063 .
[3] سورة القمر 4 .

فَقَدْ كَانَ القُرَشِيُّونَ وَثَنِيُّونَ ، يَعبُدُونَ الحِجَارَةَ وَيَسْجُدُونَ لَهَا ، وَيَجعَلُونَهَا وَسَائِطَ بَينَهُم وَبَينَ اللهِ تَعَالَي ، فَأَنكَرَ النَّبِيُّ صَلَّي اللهُ عَلَيهِ وَسَلَّمَ عَلَيهِم هَذِهِ العِبَادَةَ ، فَلَم يَقْبَلُوا مِنهُ ، بَل وَحَارَبُوهُ وَأَخرَجُوهُ وَقَاتَلُوهُ . حَتَّي أَظْهَرَهُ اللهُ تَعَالَي عَلَيهِم ظَافِرَاً مُنتَصِرَاً عَزِيزَاً .

وقد ثارت بين طلاب العِلم شائعة صارت من المسَلَّمات والقواعد عند كثير مِن أَهلِ السُّنَّة والجماعة - إلا من رحم الله - بأن هؤلاء المشركين عليهم لعنة الله قد ءامنوا بالله تَعَالَي ربا وأشركوا به إلها ![1] حتي أصبحت تلك الجملة علي عمومها مشتهرة بين أوساط حديثي سلوك طريق الهداية - وَفَّقَهُمُ اللهُ - وذلك من غير تفصيل ولا ضبط لمعني الإِيمَان المقصود ، وهَذَا غير صحيح البتة ، ومخالف لصريح القرآن وصحيح السُّنَّة وما كان عليه صدر هَذِهِ الأُمَّةِ .

فكلهم - أعني عُلَمَاء السف - متفقون علي أن القرشيين كفرة بالله تَعَالَي ، ولم يفصلوا تفصيلات اقتحمها من بعدهم فوقعوا فى تناقضات - سنسردها ونبينها إن شاء الله - عجيبة .

وما بعث في نفسي الرغبة فى بيان المخالفة فى هذه المسألة ما رأيته من بعض عوام - ومساكين - الإخوة حديثي التمسك بالدين ، وما يشيعونه بين عوام المسلمين عن بعض المسلمين بأنهم مشركون بالله فى الأُلُوهِيَّة كإشراك كفار قريش فى الأُلُوهِيَّة ، وأن إيمانهم بالرُّبُوبِيَّة لا يدخلهم فى الإِسلَام كما لم يدخل القرشيون إيمانهم بالرُّبُوبِيَّة فى الإِسلَام ! فواحسرتهاه .

فانظر أيها البصير كم جلب التقليد الأعمي لشيوخ ، حينما رأوا أنفسهم متبعين فجروا فى الخصومة وأشاعوا عن فئام من المسلمين كفرا ، ورموهم بالشرك الصريح والخروج من الملة جهرا دون أن يتثبتوا من لوازم كلامهم ! ويأبي الله تعالي إلا أن يظهر عوارهم و كذبهم وإفكهم وزروهم عيانا أمام الناس !

---

[1] وهناك من أهل العلم من يقول بإقرارهم في الربوبية وليس إيمانهم به ، ومحل بحثنا في الرد علي من يزعم أنهم ءامنوا بالرب وكفروا بالإله .

ووجدتني ملزما بقول الحق الذي أعرفه وأدين الله تَعَالَي به ولا أكتمه ، فإن كتمتُه فلا خير فيَّ ، ولا بارك الله لي فيه.

فاستعنت بالله تَعَالَي ربي وخالقي ومعبودي وإلهي ، وسألته المدد والتوفيق والرشاد والسداد ، كي أؤدي حق بعض إخواني المسلمين الذين ما رأيت منهم ذلك الكفر البواح الذي رُموا به - يشهد الله عليَّ - ، ولا رأيت الشرك الصراح الذي اتهموا به من بعض من لا يخاف الله من خصومهم ، وكذا طمعا في ردِّ الله تَعَالَي عن عرضي ووجهي النار يوم القيامة يوم لا ينفع مال ولا بنون ولا صاحبة ولا ولد مصدِّقا قول حبيبي عَلَيهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَام : (مَنْ رَدَّ عَنْ عِرْضِ أَخِيهِ كَانَ لَهُ حِجَابًا مِنَ النَّارِ) [1] . فكَانَت هَذِهِ الوُرَيقَاتِ التِي أَسمَيتُهَا : (شِركُ الجَاهِلِيَّةِ بَينَ الإِقرَارِ وَالإِيمَانِ ، وَبَيَانِ مَوقِفِ أَهلِ السُّنَّةِ مِن تَقسِيمِ التَّوحِيدِ وَاعتِقَادِ المُشرِكِينَ فِيهِ وَالرَّدِّ عَلَي المُخَالِفِين) وبينت فيها بِفَضلِ الله تَعَالَي مَنهَج أهل السُّنَّة - بالدليل - في تقسيم التَّوحِيد إلي أقسام اصطِلَاحِيَّة واعتقاد المشركين في أفراد مَسَائِل التَّوحِيد بالتفصيل ثم رددت علي من يزعم إيمانهم في قسم من التَّوحِيد ، سائلا المولي جل وعلا أن ينشر ما فيه من الخير وأن لا يوفق نشر ما فيه من شر لم أقصده - يعلم الله ذلك- وأن يبصرنا بالحق ويأخذ بنواصينا إليه إنه جواد كريم .

وإني علي يقين بأنني سألاقي شدة وعنتا [2] من أفراخ كثير ممن خالفتهم الرأي في تلك المسألة ، وأعلم أيضا أنهم لن يأتوا بدليل يردوا به ما ذهبت إليه إلا ما تواتر عنهم من قَالَ فلان وقَالَ فلان من مشايخهم ، ظانيين بأن رأي العالم يستدل به مجردا وهو ظن سيء وأسوأ منه من يظن منهم أن اجتماع بضعة شيوخ من شيوخهم علي رأي - في مسألة خلافية محضة اختلف فيها أهل السنة [3] -

[1] الجامع الصحيح للترمذي1931 , مسند الإمَام أحمد 27583 , انظر صَحِيح الْجَامِع : 6262 , صَحِيح التَّرْغِيبِ وَالتَّرْهِيب: 2848.

2 فضلا عن سلسلة التبديع والتضليل والزندقة المنتظرة . ناهيك عن الرمي بالتعالم ومناطحة العلماء الأكابر وحب الظهور والمشيخة ، وإنا منتظرون وإياهم يوم التناد .

[3] أعني أهل السنة حقا وهم المتبعون للكتاب والسنة بفهم صالح سلف الأمة وليس من يزعم أنه من أهل السنة وليس منها .

هو إجماع أهل العلم وبعضهم يجعله في مرتبة إجماع الأمة ولا حول ولا قوة إلا بالله ، ويعلم الله أنني ما خالفت أحدا من مشايخنا ومشايخهم رغبة في مخالفته ولا تكبرا عن حق أظهره وبينه وعرضه بالدليل ولكن لما خلا الكلام من الدليل الشرعي وصار بالرأي وتقليد الشيوخ في اجتهاداتهم من غير حجة صار الأمر إلي ما صار إليه من إحكام عقل المباحثة العلمية بضوابط وأصول اهل السنة والجماعة والحديث والأثر ولا جرم علي النتيجة بعد أياً ما كانت .

فَخُذِ الكِتَابَ [1] بِقُوَّةٍ - أَيُّهَا المُسلِمُ - وَتَفَهَّمهُ بِفَهمِ نَبِيِّكَ صَلَّي اللهُ عَلَيهِ وَسَلَّمَ وَصَحَابَتِهِ [2] وَلَا تَلِج بَابًا مَا وَلَجُوهُ ! ، فَالخَيرُ كُلُّ الخَيرِ فِى اتِّبَاعِ مَنهَجِهِم وَتَلَمُّسِ طَرِيقِهِم ، وَالشَّرُّ كُلُّ الشَّرِّ فِى استِحسَانِ طَرِيقٍ مُخَالِفٍ لِطَرِيقِهِم ! وَلَيسَ كُلُّ مُرِيدٍ لِلخَيرِ حَائِزُهُ . فَالزَم غَرزَهُم تَفلَحُ . وَلَا يَمنَعَنَّكَ مِن قَبُولِ الحَقِّ جَهلُكَ بِقَائِلِهِ [3]، وَلَا يَحمِلَنَّكَ عَلَى أَخذِ الخَطَأِ عِلمُكَ بِصَاحِبِهِ أَو ذُيُوعِ صِيتِهِ وَشُهرَتِهِ [4]، فَلَا يَستَهوِيَنَّكَ الشَّيطَانُ فَيُوقِعُكَ فِي حَبَائِلِهِ [5].

وَكَتَبَهُ

الراجي من الله تَعَالَي بُلوغَ الأماني

أَبُو إِليَاس طَهَ ابن إِبرَاهِيم القَلَمُوشِيّ المِصرِيّ

---

[1] أي خذ ما وافق الكتاب والسنة من كتابي هذا بقوة ولا تتردد في قبوله والصدع به فهو دينك .

[2] ومن سار على منهاجه واقتفي أثره من صالح التابعين ومن تبعهم من المسلمين والعلماء العاملين إلي يوم الدين ، فهذا هو المنهاج الواجب الاتباع ، وما دونه فباطل لمخالفته هذا المنهاج المختار من الله تعالي .

[3] فالحق بغية كل ناصح لله تعالي ، والحكمة ضالة المؤمن أني وجدها فهو أحق بها ، فإن وجدها عند من هو دونه قبلها دون تردد ، والتوقف في قبول الحق من الغير دليل حرمان وعلامة نقصان في الايمان ، جعلنا الله تعالي وإياكم من الوقافين عند حدوده المتبعين لدينه وشرعه السائرين علي منهاج نبيه صلي الله عليه وسلم .

[4] فكل يؤخذ من قوله ويترك ، والمعصوم من عصمه الله تعالي ، ومن زعم أن شيخه لا يخطيء فقد ادعي له ما ليس لبشر حي علي وجه الأرض ، فأنزل شيخك منزلته ولا ترفعه فوقها ولا تقطع عنقه ولا تكثر عليه حجج الله تعالي فسوف يؤاخذ بجريرة كل من تبعه في قوله الخاطيء المخالف للسنة ، فإن أحببته اقبل منه الحق ورد عليه الباطل ولا تقبله .

[5] بتزيين الخطأ لك وإضلالك بأن شيخك أدق نظرة وأوثق قولا من غيره ، وتلك ثغرة ينفذ منها الشيطان للتغرير بالشبيبة المسلمة فيضلون عن سواء السبيل من حيث يريدون أن يحسنون صنعا .

عَامَلَهُ اللهُ تَعَالَي بِعَفوِهِ وَلُطفِهِ

الثلاثاء

17 - 3 - 2015 م

26 جمادي الأول 1436 هـ

فصل في بيان حرمة تقديس آراء الرجال وتقديم أفهامهم علي الدليل الصريح والسُّنَّة الصحيحة .

قَالَ شيخ الإسلَام رَحِمَهُ اللهُ مقررا تجريد الاتباع لرسول الله صَلَّي اللهُ عَلَيهِ وَسَلَّمَ أو ما كان علي هديه ومِنهَاجه : (والمقصود أن من نصب إماماً فأوجب طاعته مطلقاً ، اعتقاداً أو حالاً ، فقد ضل في ذلك ، كأئمة الضلال الرافضة الإمَامية ... وكذلك : من دعا لاتباع شيخ من مشايخ الدين في كل طريق من غير تخصيص ولا استثناء ... وكذلك : من دعا إلى اتباع إمام من أئمة العِلم فيما قَالَه وأمر به ونهى عنه مطلقاً ، كالأئمة الأربعة ، وكذلك : من أمر بطاعة الملوك والأمراء والقضاة في كل ما يأمرون به وينهون عنه من غير تخصيص ولا استثناء) [1].

فمما لاجدال فيه ، ولا يحتاج إلي استدلال أن لأقوال أهل العِلم المتبعيين للسنة السائرين عليها قيمة ومكانة في ديننا ، ولا أدل على ذلك من أنك لا تقرأ لأحد من المعتبرين في مسألة من المَسَائِل إلا وتراه يثني على اختياره قولاً من الأقوال ، في الإشارة إلى من قَالَ بِهَذَا القول مِن أَهلِ العِلمِ . لكن هَذَا شيء ، واعتبار أقوالهم وآرائهم حجة شرعية ومصدراً للتلقي شيء آخر . وفي ميدان التقرير النظري : فلن تجد أحداً مِن أَهلِ السُّنَّة يعتقد العصمة لرجل من الرجال ، أو يرى أن قوله حجة ملزمة للأمة كلها ، لكنك حين تنتقل إلى ميدان العَمَل والتطبيق : فسترى الكثير ممن يتحدث عن قضايا كبرى تتعلق بالمَنهَج ينطلق من رأي فلان وفلان من الناس [2]

قَالَ في رسالة التَّوحِيد أولا ،- ما معناه - : ومن المَسَائِل التي تتعلق بالتَّوحِيد هو ما نراه من تعصب لأقوال الرجال إذا كانت تلك الأقوال مخالفة للسنة عن اجتهاد أو مخالفة للأصح أو كانت المسألة فيها متسع وكذلك نري الغلو في العُلَمَاء وتقديم أقوالهم على الكِتَاب والسُّنَّة.

---

[1] الفتاوى ، ج19 ص69 70 .

[2] أخطاء في فهم المَنهَج للشيخ – مجلة البيان ، مُحَمَّد بن عبد الله الدويش .بتصرف .

وهذه مسألة خطيرة جداً، ما وُجِدَت في قوم إلا أهلكتهم، وهي تنافي كمال التَّوحِيد، وقد تصل ببعض الأفراد إلى الكفر إذا خرجت عن حد الشرع وخالفته - وهَذَا المسلك عرضة لهذه النتيجة - كما أخبر ربنا تبارك وتَعَالَي عن الأمم السابقة "اتَّخَذُوا أَحْبَارَهُمْ وَرُهْبَانَهُمْ أَرْبَاباً مِنْ دُونِ اللَّهِ وَالْمَسِيحَ ابْنَ مَرْيَمَ وَمَا أُمِرُوا إِلَّا لِيَعْبُدُوا إِلَهاً وَاحِداً" [1] .

وقد حذر ابن عباس من عاقبة هَذَا الأمر، فقَالَ:"يوشك أن تنزل عليكم حجارة من السماء، أقول: قَالَ رسول الله صَلَّي اللهُ عَلَيهِ وَسَلَّمَ ،وتقولون: قَالَ أبو بكر وعمر" [2]

وكذلك نبه الإمَام أحمد رحمه الله علي هذه المسألة بقوله: (عجبت لقوم عرفوا الإسناد وصحته، ويذهبون إلى رأي سفيان ، والله -تعالى- يقول:" فَلْيَحْذَرِ الَّذِينَ يُخَالِفُونَ عَنْ أَمْرِهِ أَنْ تُصِيبَهُمْ فِتْنَةٌ أَوْ يُصِيبَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ" [3] ، أتدري ما الفتنة؟ الفتنة الشرك).

قَالَ الشَّيخ عبد الرحمن بن حسن رحمه الله : (والأئمة -رَحِمَهُم اللهُ- لم يقصروا في البيان، بل نهوا عن تقليدهم إذا استبانت السُّنَّة؛ لعلمهم أن من السُّنَّة شيئاً لم يعلموه وقد يبلغ غيرهم، وذلك كثير كما لا يخفى على من نظر في أقوال العُلَمَاء) [4].

والمقصود أن هذه مسألة مهمة يَجِبُ أن يوليها العُلَمَاء وطلاب العِلم عناية خاصة، بأن يربوا طلابهم على اتباع الدليل لا تقليد [5] الأشخاص والتعصب لهم والانتصار لآرائهم، فقد عانت الأمة من الحزبية والتعصب والغلو، وآثار هَذَا الأمر غير خافية. [6] انتهي بتصرف .

ولا يظنن عاقل أن دعوي اتباع السُّنَّة والدليل بفهم سلف الأمة دعوة إلي نبذ آراء العُلَمَاء وإسقاط اجتهاداتهم إنما هو رجوع إلى السُّنَّة للعمل بما دلت عليه من أحكام شرعية ، فما كان واجباً من

---

[1] (سورة التوبة 31)

[2] انظر فتح المجيد ص 393 وص 395.

[3] (سورة النور 63)

[4] فتح المجيد ص 398.

[5] التقليد منه جائز ومذموم .

[6] رسالة التَّوحِيد أولا للشيخ ناصر بن سليمان بن عمر بتقديم الشَّيخ عبد الله بن عبد الرحمن الجبرين رَحِمَهُ اللهُ .

أحكامها التزمنا به ، وما كان مستحباً فالأوْلى الالتزام به ، وما كان محرماً اجتنبناه ، وما كان مكروهاً فالأوْلى اجتنابه ، وما كان مباحاً فلنا الاختيار بين الفعل والترك ، وقد دل القرآن على وجوب الالتزام بالسُّنَّة في آيات كثيرة ، وما ثبت من تقديم آراء العُلَمَاء فهو فيما اجتهدوا فيه لفهم النصوص ومع ذلك فهمهم هَذَا حين الاختلاف غير ملزم بل فيه سعة ولله الحمد .

ولا يجهل متبع للسنة مقدر للعُلَمَاء حرمة لحومهم وعظم إثم الوقوع فيهم وعاقبة هَذَا ، فإذا كان إيذاء المُؤمِنِين الطيبين بغير ما اكتسبوا بهتانا وإثما مبينا كما قَالَ ــ تعالى ــ: "وَالَّذِينَ يُؤْذُونَ المُؤمِنِين وَالْمُؤْمِنَاتِ بِغَيْرِ مَا اكْتَسَبُوا فَقَدِ احْتَمَلُوا بُهْتَاناً وَإِثْماً مُّبِيناً" [1] . فإن إيذاء الخاصة أشد إثماً، ولهَذَا جاء في أحاديث الأولياء "من عادى لي ولياً فقد آذنته بالحرب" [2] ، وإيذاء أهل العِلم والدعاة منهم أشد حرمة لأنهم داخلون ضمن المُؤمِنِين المعنيين بالآية الأولي وداخلون ضمن الحديث القدسي وفوق ذلك هم الموقعون عن رب العالمين جل جلاله ، فهم أعلم الخلق بالله تَعَالَي وأعرفهم به وأكثرهم له خشية قَالَ تَعَالَي : (إِنَّمَا يَخْشَى اللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ العُلَمَاء) [3] حتي تواتر عن السَّلَف جيلا بعد جيل تقديم فهم السَّلَف المتوَافَق مع السُّنَّة ، ولذلك قرر عُلَمَاء السُّنَّة هَذَا الأصل من ديننا فقَالَ الإمَام الطحاوي [4] رَحِمَهُ اللهُ : "وعُلَمَاء السَّلَف من السابقين ومن بعدهم من التابعين أهل الخير والأثر، وأهل الفقه والنظر، لا يُذكَرون إلا بالجميل، ومن ذكرهم بسوء فهو على غير السبيل".

وقَالَ الإمَام أحمد ابن حنبل [5] **رحمه الله** عن العُلَمَاء : "هم خلفاء الرسول في أمته، وورثة النبي في حكمته، والمحيون لما مات من سنته، فبهم قام الكِتَاب وبه قاموا، وبهم نطق الكِتَاب وبه نطقوا".. قيضهم الله لحفظ الدين، ولولا ذلك لبطلت الشريعة، وتعطلت أحكامها، وهم في كل زمان الأصل

---

[1] [سورة الأحزاب :58]

[2] صحيح البخاري (6137 ، 6502). الجمع بين الصحيحين 2508 لمُحَمَّد بن فتوح الحميدي .

[3] سورة فاطر 28

[4] أبو جعفر أحمد بن مُحَمَّد بن سلامة بن عبد الملك بن سلمة الأزدي الحجري المصري المعروف بالطحاوي (المتوفى: 321هـ)

[5] أبو عبد الله أحمد بن مُحَمَّد بن حنبل بن هلالالذهلي الشيباني المروزي ثم البغدادي (241 هـ)

في أهل الحل والعقد، وهم المعنيون مع الأمراء في قوله تعالى: (وَأُولي الأمر)[النساء:] ولذلك كان الوقوع فيهم من أكبر الذنوب وفاعله لا يفلح أبدًا.

وقَالَ ابن المبارك [1] **رَحِمَهُ اللهُ** : من استخف بالعُلَمَاء ذهبت آخرته، ومن استخف بالأمراء ذهبت دنياه، ومن استخف بالإخوان ذهبت مروءته.

قَالَ ابن الأذرعي رَحِمَهُ اللهُ : الوقيعة في أهل العِلم لا سيما أكابرهم من كبائر الذنوب.

وقَالَ أبو سنان الأسدي رَحِمَهُ اللهُ : إذا كان طالب العِلم قبل أن يتعلم مسألة في الدين يتعلم الوقيعة في الناس متى يفلح.

وقَالَ الإمَام أحمد رَحِمَهُ اللهُ : لحوم العُلَمَاء مسمومة من شمها مرض ومن أكلها مات.

وقَالَ الحسن ابن ذكوان رَحِمَهُ اللهُ لرجلٍ تكلم عنده على أحد الناس: مه.. لا تذكر العُلَمَاء بشيء فيميت الله قلبك. [2] وقَالَ الحافظ ابن عساكر -رَحِمَهُ اللهُ- : (اعلم وفقني الله وإياك لمرضاته وجعلنا ممن يخشاه ويتقيه حق تقاته أن لحوم العُلَمَاء مسمومة وعادة الله في هتك منتقصيهم معلومة وأن من أطلق لسانه في العُلَمَاء بالثلب بلاه الله قبل موته بموت القلب.)

وقد أشار ابن القيم ـ رَحِمَهُ اللهُ ـ إلي قاعدة جليلة عجيبة قَلَّ من ينتبه لها في التحذير من آفة اللسان إذ يقول: ((من العجيب أن الإنسان يهون عليه التحفظ والاحتراز من أكل الحرام، والظلم، والربا، والزنا، وشرب الخمر، ومن النظر إلي المحرم وغير ذلك، ويصعب عليه التحفظ من حركة لسانه، حتى يري الرجل يشار إليه بالدين والزهد والعبادة، وَهُوَ يتكلم بالكلمة في سخط الله لا يلقي لها بالاً ينزل بها أبعد مما بين المشرق والمغرب، وكم تري من رجل تورع عن الفواحش والظلم، ولسانه يفري في أعراض الناس الأحياء والأموات لا يبالي ما يقول)) [3]

---

[1] عبد الله بن المبارك بن واضح الحنظلى التميمى مولاهم ، أبو عبد الرحمن المروزى (118 - 181 هـ)

[2] بتصرف من " المفصل في فقه الدعوة إلى الله تعالى " (2 / 90) لعلي بن نايف الشحود.

[3] تقويم الرجال، أحمد الصوبان: (ص9) ، نقلا عن العُلَمَاء والميثاق للشيخ عبد العزيز بن مرزوق الطريفي .

فإن كان المتورع عن المحرم الصريح يقع في محرم آخر بدعوى تحذير الناس من مبتدع أو مخالف للسنة ، دعوي ظاهرها الحسن وباطنها الهلكة ، فوقع في شراك إبليس وَهُوَ يظن أنه يحسن صنعا ، فتحرز من ذلك حبيبي في الله تفلح .

ولتضع نصب عينيك - أخي - قول الحكيم :

وما من كاتب إلا سيلقى.. .. ..كتابته وإن فنيت يداه
فلا تكتب بخطك غير شيء.. .. ..يسرك في القيامة أن تراه

فتجهز ليوم اللقاء وأعد للسؤال جوابا .

وخلاصة القول علي عجل أن كل بشر يؤخذ من قوله ويترك إلا صاحب المقام المحمود والحوض المورود ، ولا يقبل ما يقبل إلا ما كان علي طريقته وهديه ولا يرد ما يرد إلا ما كان مفارقا لِمنهَاجه أو مخالفا لهديه ، وكتاب الله بيّن ينطق بيننا بالحق وسنة نبينا صَلَّي اللهُ عَلَيهِ وَسَلَّمَ ظاهرة ، فاتبع الحق ولا تتعصب لغيره ، فالحق لا يعرف بالرجال وإنما الرجال هم الذين يعرفون بالحق . والله المستعان .

فَصْلٌ فِي ذِكرِ التَّوحِيدِ وَالإِيمَانِ الذِى كَانَ عَلَيهِ خَيرُ القُرُونِ [1] .

إعلَم رَحِمَكَ اللهُ أَنَّ اللهَ تَعَالَي خَلَقَ الخَلقَ لِغَايَةٍ عَظِيمَةٍ ، بينها سُبْحَانَهُ فى كتابه وفصلها رسوله صَلَّي اللهُ عَلَيهِ وَسَلَّمَ فى سنته وقام بها عَلَيهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَام وأصحابه خير قيام ، فلم يخلق الله تَعَالَي الكون عبثا ولا لعبا قَالَ تَعَالَي : (رَبَّنَا مَا خَلَقْتَ هَذَا بَاطِلًا سُبْحَانَكَ) [2] وقَالَ سُبْحَانَهُ : (وَمَا

1 (فيه تبيين بالدليل النصي القراني لجميع أنواع التَّوحِيد الثلاثة المشتهرة بين الناس من غير تطرق الي تسميتها ، وتبيين ذلك كله بتعريفات تلك الاقسام والاستدلال عليها ، حتي يفهم القارىء أن تلك التسميات لا علاقة لها بالاصل إن استغنينا عنها ولا تؤثر فى توحيدك إن اعتقدته) .

[2] سورة آل عمران 191.

خَلَقْنَا السَّمَاءَ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا بَاطِلًا ذَلِكَ ظَنُّ الَّذِينَ كَفَرُوا فَوَيْلٌ لِلَّذِينَ كَفَرُوا مِنَ النَّارِ)[1] وقَالَ سُبْحَانَهُ : (وَمَا خَلَقْنَا السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا لَاعِبِينَ ، مَا خَلَقْنَاهُمَا إِلَّا بِالْحَقِّ وَلَكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ)[2] .بل خلقهم لغاية بيَّنها ، قَالَ تَعَالَي : (وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنْسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ)[3] .

فالتَّوحِيد هو أساس دعوة الرسل جميعاً ، وما بعثوا إلا ليقرروا هَذَا الأمر العظيم الذي ضلَّت عنه أمم كثيرة من لدن نبينا نوحٍ عليه السلام إلى نبينا مُحَمَّد خاتم الأنبياء والمرسلين صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين.

فبين سُبْحَانَهُ أنه يَجِبُ الإِيمَان بأن الله تَعَالَي خالق هَذَا الكون بما فيه وبارئه ومنشئه والمتصرف فيه وحده ليس معه شريك ولا له نديد ، فله جل جلاله الخلق والملك والتدبير والرزق والحكم والإحياء والإماته والإفناء والإبقاء والمنع والإعطاء والضر والنفع وتعاقب الليل والنهار وإنزال الغيث والرفع والخفض والبسط والقبض وسماع الخلق وإبصارهم ، فلا منازع له فى سلطانه ولا شريك له فى أكوانه ، ولا يستطيع الخلق أجمعون استنقاذ شيء سلبه منهم أصغر مخلوقاته فضلا عما هو فوقها فضلا عن مضاهاته تبارك وتَعَالَي فى خلق شيء مِنهَا ، قَالَ ربنا تبارك وتَعَالَي : (إِنَّ الَّذِينَ تَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ لَنْ يَخْلُقُوا ذُبَابًا وَلَوِ اجْتَمَعُوا لَهُ وَإِنْ يَسْلُبْهُمُ الذُّبَابُ شَيْئًا لَا يَسْتَنْقِذُوهُ مِنْهُ ضَعُفَ الطَّالِبُ وَالْمَطْلُوبُ)[4] ، ثم استشهد الله تَعَالَي لعباده بما يخلق لهم من مخلوقات يرونها ليريهم قدرته ويبرهن لهم بما يعقلون ويدركون ، وأكثر سُبْحَانَهُ فى كتابه من الاستشهاد بمظاهر مخلوقاته استدلالا بها على استحقاقه العبادة وحده دون ما سواه ، وإذا سبرت ءايات القرآن وجدتها تكثر

[1] سورة ص 27 .
[2] سورة الدخان 38 ، 39.
[3] سورة الذريات 56 .
[4] سورة الحج 73.

من ذكر ذلك ، قَالَ تَعَالَي : { الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضَ وَجَعَلَ الظُّلُمَاتِ وَالنُّورَ ثُمَّ الَّذِينَ كَفَرُوا بِرَبِّهِمْ يَعْدِلُونَ * هُوَ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ طِينٍ ثُمَّ قَضَى أَجَلاً وَأَجَلٌ مُسَمًّى عِنْدَهُ ثُمَّ أَنْتُمْ تَمْتَرُونَ * وَهُوَ اللَّهُ فِي السَّمَوَاتِ وَفِي الأَرْضِ يَعْلَمُ سِرَّكُمْ وَجَهْرَكُمْ وَيَعْلَمُ مَا تَكْسِبُونَ } [1] . وقَالَ سُبْحَانَهُ : { يَا أَيُّهَا النَّاسُ ضُرِبَ مَثَلٌ فَاسْتَمِعُوا لَهُ إِنَّ الَّذِينَ تَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ لَنْ يَخْلُقُوا ذُبَاباً وَلَوِ اجْتَمَعُوا لَهُ وَإِنْ يَسْلُبْهُمُ الذُّبَابُ شَيْئاً لا يَسْتَنْقِذُوهُ مِنْهُ ضَعُفَ الطَّالِبُ وَالْمَطْلُوبُ } [2] وقَالَ سُبْحَانَهُ : { فَلْيَنْظُرِ الإِنْسَانُ مِمَّ خُلِقَ * خُلِقَ مِنْ مَاءٍ دَافِقٍ * يَخْرُجُ مِنْ بَيْنِ الصُّلْبِ وَالتَّرَائِبِ } [3] . وقَالَ سُبْحَانَهُ : { وَفِي أَنْفُسِكُمْ أَفَلا تُبْصِرُونَ } [4] وقَالَ سُبْحَانَهُ : (أَفَلَا يَنْظُرُونَ إِلَى الْإِبِلِ كَيْفَ خُلِقَتْ ، وَإِلَى السَّمَاءِ كَيْفَ رُفِعَتْ ، وَإِلَى الْجِبَالِ كَيْفَ نُصِبَتْ ، وَإِلَى الْأَرْضِ كَيْفَ سُطِحَتْ) [5] وقَالَ سُبْحَانَهُ : (أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ بِالْحَقِّ إِنْ يَشَأْ يُذْهِبْكُمْ وَيَأْتِ بِخَلْقٍ جَدِيدٍ ، وَمَا ذَلِكَ عَلَى اللَّهِ بِعَزِيزٍ) [6] ، وقَالَ سُبْحَانَهُ : (أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ أَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَتُصْبِحُ الْأَرْضُ مُخْضَرَّةً إِنَّ اللَّهَ لَطِيفٌ خَبِيرٌ ، لَهُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَإِنَّ اللَّهَ لَهُوَ الْغَنِيُّ الْحَمِيدُ ، أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ سَخَّرَ لَكُمْ مَا فِي الْأَرْضِ وَالْفُلْكَ تَجْرِي فِي الْبَحْرِ بِأَمْرِهِ وَيُمْسِكُ السَّمَاءَ أَنْ تَقَعَ عَلَى الْأَرْضِ إِلَّا بِإِذْنِهِ إِنَّ اللَّهَ بِالنَّاسِ لَرَءُوفٌ رَحِيمٌ ، وَهُوَ الَّذِي أَحْيَاكُمْ ثُمَّ يُمِيتُكُمْ ثُمَّ يُحْيِيكُمْ إِنَّ الْإِنْسَانَ لَكَفُورٌ) [7] ، وقَالَ تَعَالَي : (أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ يُزْجِي سَحَابًا ثُمَّ يُؤَلِّفُ بَيْنَهُ ثُمَّ يَجْعَلُهُ رُكَامًا فَتَرَى الْوَدْقَ يَخْرُجُ مِنْ خِلَالِهِ وَيُنَزِّلُ مِنَ السَّمَاءِ مِنْ جِبَالٍ فِيهَا مِنْ بَرَدٍ فَيُصِيبُ بِهِ مَنْ يَشَاءُ وَيَصْرِفُهُ عَنْ مَنْ يَشَاءُ يَكَادُ سَنَا بَرْقِهِ يَذْهَبُ بِالْأَبْصَارِ ، يُقَلِّبُ اللَّهُ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَعِبْرَةً لِأُولِي الْأَبْصَارِ

[1] سورة الأنعام:1-3 .
[2] سورة الحج:73 .
[3] سورة الطارق:5-7 .
[4] سورة الذاريات:21 .
[5] سورة الغاشية 17 – 20.
[6] سورة إبراهيم 19 – 20 .
[7] سورة الحج 63 – 66 .

، وَاللَّهُ خَلَقَ كُلَّ دَابَّةٍ مِنْ مَاءٍ فَمِنْهُمْ مَنْ يَمْشِي عَلَى بَطْنِهِ وَمِنْهُمْ مَنْ يَمْشِي عَلَى رِجْلَيْنِ وَمِنْهُمْ مَنْ يَمْشِي عَلَى أَرْبَعٍ يَخْلُقُ اللَّهُ مَا يَشَاءُ إِنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ)[1] ، وقَالَ سُبْحَانَهُ : (أَمْ تَحْسَبُ أَنَّ أَكْثَرَهُمْ يَسْمَعُونَ أَوْ يَعْقِلُونَ إِنْ هُمْ إِلَّا كَالْأَنْعَامِ بَلْ هُمْ أَضَلُّ سَبِيلًا ، أَلَمْ تَرَ إِلَى رَبِّكَ كَيْفَ مَدَّ الظِّلَّ وَلَوْ شَاءَ لَجَعَلَهُ سَاكِنًا ثُمَّ جَعَلْنَا الشَّمْسَ عَلَيْهِ دَلِيلًا ، ثُمَّ قَبَضْنَاهُ إِلَيْنَا قَبْضًا يَسِيرًا ، وَهُوَ الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ اللَّيْلَ لِبَاسًا وَالنَّوْمَ سُبَاتًا وَجَعَلَ النَّهَارَ نُشُورًا ، وَهُوَ الَّذِي أَرْسَلَ الرِّيَاحَ بُشْرًا بَيْنَ يَدَيْ رَحْمَتِهِ وَأَنْزَلْنَا مِنَ السَّمَاءِ مَاءً طَهُورًا ، لِنُحْيِيَ بِهِ بَلْدَةً مَيْتًا وَنُسْقِيَهُ مِمَّا خَلَقْنَا أَنْعَامًا وَأَنَاسِيَّ كَثِيرًا ، وَلَقَدْ صَرَّفْنَاهُ بَيْنَهُمْ لِيَذَّكَّرُوا فَأَبَى أَكْثَرُ النَّاسِ إِلَّا كُفُورًا ، وَلَوْ شِئْنَا لَبَعَثْنَا فِي كُلِّ قَرْيَةٍ نَذِيرًا ، فَلَا تُطِعِ الْكَافِرِينَ وَجَاهِدْهُمْ بِهِ جِهَادًا كَبِيرًا ، وَهُوَ الَّذِي مَرَجَ الْبَحْرَيْنِ هَذَا عَذْبٌ فُرَاتٌ وَهَذَا مِلْحٌ أُجَاجٌ وَجَعَلَ بَيْنَهُمَا بَرْزَخًا وَحِجْرًا مَحْجُورًا ،وَهُوَ الَّذِي خَلَقَ مِنَ الْمَاءِ بَشَرًا فَجَعَلَهُ نَسَبًا وَصِهْرًا وَكَانَ رَبُّكَ قَدِيرًا ، وَيَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ مَا لَا يَنْفَعُهُمْ وَلَا يَضُرُّهُمْ وَكَانَ الْكَافِرُ عَلَى رَبِّهِ ظَهِيرًا)[2] وقَالَ سُبْحَانَهُ : (أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ يُولِجُ اللَّيْلَ فِي النَّهَارِ وَيُولِجُ النَّهَارَ فِي اللَّيْلِ وَسَخَّرَ الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ كُلٌّ يَجْرِي إِلَى أَجَلٍ مُسَمًّى وَأَنَّ اللَّهَ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ ، ذَلِكَ بِأَنَّ اللَّهَ هُوَ الْحَقُّ وَأَنَّ مَا يَدْعُونَ مِنْ دُونِهِ الْبَاطِلُ وَأَنَّ اللَّهَ هُوَ الْعَلِيُّ الْكَبِيرُ ، أَلَمْ تَرَ أَنَّ الْفُلْكَ تَجْرِي فِي الْبَحْرِ بِنِعْمَتِ اللَّهِ لِيُرِيَكُمْ مِنْ آيَاتِهِ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِكُلِّ صَبَّارٍ شَكُورٍ ، وَإِذَا غَشِيَهُمْ مَوْجٌ كَالظُّلَلِ دَعَوُا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ فَلَمَّا نَجَّاهُمْ إِلَى الْبَرِّ فَمِنْهُمْ مُقْتَصِدٌ وَمَا يَجْحَدُ بِآيَاتِنَا إِلَّا كُلُّ خَتَّارٍ كَفُورٍ ، يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمْ وَاخْشَوْا يَوْمًا لَا يَجْزِي وَالِدٌ عَنْ وَلَدِهِ وَلَا مَوْلُودٌ هُوَ جَازٍ عَنْ وَالِدِهِ شَيْئًا إِنَّ وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ فَلَا تَغُرَّنَّكُمُ الْحَيَاةُ الدُّنْيَا وَلَا يَغُرَّنَّكُمْ بِاللَّهِ الْغَرُورُ ، إِنَّ اللَّهَ عِنْدَهُ عِلْمُ السَّاعَةِ وَيُنَزِّلُ الْغَيْثَ وَيَعْلَمُ مَا فِي الْأَرْحَامِ وَمَا تَدْرِي نَفْسٌ مَاذَا تَكْسِبُ غَدًا وَمَا تَدْرِي نَفْسٌ بِأَيِّ أَرْضٍ تَمُوتُ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ)[3]، وقَالَ

---

[1] سورة النور 43 – 45.

[2] سورة الفرقان 44 – 55.

[3] سورة لقمان 29 – 34.

سُبْحَانَهُ : (أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ أَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَخْرَجْنَا بِهِ ثَمَرَاتٍ مُخْتَلِفًا أَلْوَانُهَا وَمِنَ الْجِبَالِ جُدَدٌ بِيضٌ وَحُمْرٌ مُخْتَلِفٌ أَلْوَانُهَا وَغَرَابِيبُ سُودٌ ، وَمِنَ النَّاسِ وَالدَّوَابِّ وَالْأَنْعَامِ مُخْتَلِفٌ أَلْوَانُهُ كَذَلِكَ إِنَّمَا يَخْشَى اللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاء إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ غَفُورٌ) [1]، والآيات فى بيان عظمة الله تَعَالَي وقدرته وتصرفه فى خلقه ووإحيائه وإماتته أكثر من أن تحصر فى بحث مختصر كهَذَا .

وبين سُبْحَانَهُ أنه يَجِبُ إفراده سُبْحَانَهُ وَتَعَالَي بكل عبادة وتجريد الاخلاص له دون ما سواه ، وإفراده تَعَالَي بالعبادة ، وتنزيهه عن الشركاء والأنداد مع ما يتطلبه القلب ويستيقنه من التوكل على الله ، والإنابة إليه، والخوف منه، والرجاء فيما عنده ، وإخلاص الدين له ثم أعمال الجوارح من أنواع العبادات؛ من الصلاة والزكاة والصيام والحج والجهاد وبر الوالدين ، وصلة الأرحام، وأداء الأمانات، والوفاء بالعهود، وبذل وجوه الإحسان للجار واليتيم والمسكين وابن السبيل، وكل محتاجٍ من بني آدم حتى البهائم ، وأعمال اللسان من تلاوة القرآن العزيز، والذكر من تسبيح وتهليل وتحميد وتكبير ، وقول الحق ، وحسن الحديث، والأمر بالمعروف ، والنهي عن المنكر، والتعلم والتعليم، ومراقبة الله تَعَالَي فى السر والعلن ، ومحبته تَعَالَي ومحبة نبيه صَلَّي اللهُ عَلَيهِ وَسَلَّمَ وأصحابه والمُؤمِنِين وتقديم أمره على كل أمر ونهيه على نهي ومحبته على كل محبة، وموالاة المُؤمِنِين ومعاداة الكفار والمشركين ، وإقامة الدين ، والخوف والرجاء والذبح والنذر فلا قيام ولا ركوع ولا سجود ولا ذبح ولا نذر إلا له وحده تعالى. فلا يُدعى في السراء والضراء واليسر والعسر والفرح والغمّ إلا الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَي. ولا يُستمدّ ولا يُستنصر ولا يُستغاث إلا به. ولا يطاف إلا ببيته العتيق.

ولا حلف إلا به، ولا حكم إلا له. والشرع ما شرع والدين ما أنزل ، واجتناب الفواحش ما ظهر مِنهَا وما بطن، والكف عن المحرمات، والبعد عن الكبر والرياء، والعجب والحسد والنفاق، والغيبة والنميمة، وكل ما نهى الله عنه.

[1] سورة فاطر 27 – 28.

واعلم أنه ما جاء الأنبياء ليقولوا لِلنَّاسِ إن الله موجود خالق رازق لأن غالب الناس يعرفون ذلك ؛ بل جاءوا ليدعوا الناس إلى عبادة الله وحده، كما قَالَ تعالى: { اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرُهُ } [1] ، قَالَها: نوح، وصالح، وَهُوَد، وشعيب، ومُحمَّد صَلَّي اللهُ عَلَيهِ وَسَلَّمَ، وجاهد الناس عليها ثلاث عشرة سنة، والرسول صَلَّي اللهُ عَلَيهِ وَسَلَّمَ يدعو إلى هَذَا التَّوحِيد وإلى شهادة أن لا إله إلا الله.

وبين سُبْحَانَهُ أنه لا يقبل عملا دخله ذرة من شرك بغيره ، قَالَ: رَسُولُ اللَّهِ صَلَّي اللهُ عَلَيهِ وَسَلَّمَ : (قَالَ اللَّهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَى: أَنَا أَغْنَى الشُّرَكَاءِ عَنْ الشِّرْكِ، مَنْ عَمِلَ عَمَلاً أَشْرَكَ فِيهِ مَعِي غَيْرِي تَرَكْتُهُ وَشِرْكَه) [2]

عَنِ النَّبِيِّ صَلَّي اللهُ عَلَيهِ وَسَلَّمَ قَالَ: ((يَقُولُ اللَّهُ تَعَالَى لِأَهْوَنِ أَهْلِ النَّارِ عَذَابًا يَوْمَ الْقِيَامَةِ: لَوْ أَنَّ لَكَ مَا فِي الْأَرْضِ مِنْ شَيْءٍ أَكُنْتَ تَفْتَدِي بِهِ؟ فَيَقُول: نَعَمْ. فَيَقُولُ: أَرَدْتُ مِنْكَ أَهْوَنَ مِنْ هَذَا وَأَنْتَ فِي صُلْبِ آدَمَ: أَنْ لَا تُشْرِكَ بِي شَيْئًا فَأَبَيْتَ إِلَّا أَنْ تُشْرِكَ بِي) [3]

والأيات التي تدل علي أن جميع الأنبياء ما جاءوا إلا لدلالة الخلق على عبادة الله تَعَالَي وحده كثيرة ، نذكر مِنهَا على سبيل المثال ، قول الله تَعَالَي : (لَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَى قَوْمِهِ فَقَالَ يَا قَوْمِ اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرُهُ إِنِّي أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ) [4] وقوله تَعَالَي : (وَإِلَى عَادٍ أَخَاهُمْ هُودًا قَالَ يَا قَوْمِ اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرُهُ أَفَلَا تَتَّقُونَ) [5] وقوله تَعَالَي : (وَإِلَى ثَمُودَ أَخَاهُمْ صَالِحًا قَالَ يَا قَوْمِ اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرُهُ قَدْ جَاءَتْكُمْ بَيِّنَةٌ مِنْ رَبِّكُمْ) [6] وقوله تَعَالَي : (وَإِلَى مَدْيَنَ أَخَاهُمْ شُعَيْبًا قَالَ يَا قَوْمِ اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرُهُ قَدْ جَاءَتْكُمْ بَيِّنَةٌ مِنْ رَبِّكُمْ) [7] ، وحكي الله تَعَالَي

---

1 سورة الأعراف:59 .

2 أخرجه مسلمٌ (2965/ 46)، وابنُ ماجة (4202)، وأحمد (2/ 301، 435) .

3 أخرجه البخاريُّ (11/ 416 - فتح)، ومسلمٌ (2805/ 51)، وأحمد (3/ 127، 129)، وأبو يعلى (ج 7/ رقم 4186)، وابنُ أبي عاصم في "السُّنَّة" (99) .

4 سورة الاعراف 59 .

5 سورة الاعراف 65 .

6 سورة الاعراف 73 .

7 سورة الاعراف 85 .

عن عيس عليه السلام تبليغه للأمانة كما أمر بها ، فقَالَ سُبْحَانَهُ : (مَا قُلْتُ لَهُمْ إِلَّا مَا أَمَرْتَنِي بِهِ أَنِ اعْبُدُوا اللَّهَ رَبِّي وَرَبَّكُمْ وَكُنْتُ عَلَيْهِمْ شَهِيدًا مَا دُمْتُ فِيهِمْ) [1] ، وبين سُبْحَانَهُ أن هذه هي مهمة كل الأنبياء والمرسلين وأتباعهم ، فقَالَ تَعَالَي : (وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَسُولًا أَنِ اعْبُدُوا اللَّهَ وَاجْتَنِبُوا الطَّاغُوتَ فَمِنْهُمْ مَنْ هَدَى اللَّهُ وَمِنْهُمْ مَنْ حَقَّتْ عَلَيْهِ الضَّلَالَةُ) [2] . وقَالَ سُبْحَانَهُ : (قُلْ إِنْ كُنْتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللَّهُ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ ، قُلْ أَطِيعُوا اللَّهَ وَالرَّسُولَ فَإِنْ تَوَلَّوْا فَإِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْكَافِرِينَ) [3] وقَالَ سُبْحَانَهُ : (وَاتَّبِعُوهُ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ) [4] وقَالَ سُبْحَانَهُ : (فَلْيَحْذَرِ الَّذِينَ يُخَالِفُونَ عَنْ أَمْرِهِ أَنْ تُصِيبَهُمْ فِتْنَةٌ أَوْ يُصِيبَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ) [5] وقَالَ سُبْحَانَهُ : (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اسْتَجِيبُوا لِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ إِذَا دَعَاكُمْ لِمَا يُحْيِيكُمْ) [6] وقَالَ سُبْحَانَهُ : (اسْتَجِيبُوا لِرَبِّكُمْ مِنْ قَبْلِ أَنْ يَأْتِيَ يَوْمٌ لَا مَرَدَّ لَهُ مِنَ اللَّهِ مَا لَكُمْ مِنْ مَلْجَإٍ يَوْمَئِذٍ وَمَا لَكُمْ مِنْ نَكِيرٍ) [7] وكذلك فى السُّنَّة أحاديث كثيرة تدل على وجوب أداء العبادة لله تَعَالَي ، بل السُّنَّة كلها ما سيقت إلا لهَذا الغرض ، فعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ ، أَنَّ النَّبِيَّ صَلَّي اللهُ عَلَيهِ وَسَلَّمَ قَالَ: (كُلُّ أُمَّتِي يَدْخُلُ الْجَنَّةَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ إِلاَّ مَنْ أَبَى ، قَالَوا : وَمَنْ يَأْبَى يَا رَسُولَ اللهِ ؟ قَالَ : مَنْ أَطَاعَنِي دَخَلَ الْجَنَّةَ ، وَمَنْ عَصَانِي فَقَدْ أَبَى) [8]. وعَنْ أَبِي سَعِيدٍ الْخُدْرِيِّ: قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّي اللهُ عَلَيهِ وَسَلَّمَ: (وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ لَتَدْخُلُنَّ الْجَنَّةَ كُلُّكُمْ إِلَّا مَنْ أَبَى وَشَرَدَ عَلَى اللَّهِ كَشِرَادِ الْبَعِيرِ) قَالَوا: يَا رَسُولَ اللَّهِ وَمَنْ يَأْبَى أَنْ يَدْخُلَ الْجَنَّةَ؟ قَالَ: (مَنْ أَطَاعَنِي دَخَلَ الجنة ومن عصاني فقد أبى) [9] وعن سُلَيْمُ

[1] سورة المائدة 115 .

[2] سورة النحل 36 .

[3] سورة آل عمران 31 ، 32 .

[4] سورة الأعراف 158 .

5 سورة النور 63 .

[6] سورة الأنفال 24 .

[7] سورة الشورى 47 .

8 البخاري (رقم 7280- فتح)، وأحمد (361/2) .

[9] ابن حبان (2306) ، (الصحيحة) (2044) .

ابن عَامِرٍ قَالَ: سَمِعْتُ أَبَا أُمَامَةَ الْبَاهِلِيَّ يَقُولُ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّي اللهُ عَلَيهِ وَسَلَّمَ - وَخَطَبَنَا فِي حَجَّةِ الْوَدَاعِ وَهُوَ عَلَى نَاقَتِهِ الْجَدْعَاءِ وَتَطَاوَلَ فِي غَرْزِ الرَّحْلِ - فَقَالَ: (أَيُّهَا النَّاسُ) فَقَالَ رَجُلٌ فِي آخِرِ النَّاسِ: مَا تَقُولُ - أَوْ مَا تُرِيدُ - فَقَالَ: (أَلَا تَسْمَعُونَ أَطِيعُوا رَبَّكُمْ وصَلُّوا خمسكم وأدُّوا زكاة أموالكم وأطيعوا أمراءكم تَدْخُلُوا جُنَّةَ رَبِّكُمْ) فَقُلْتُ لِأَبِي أُمَامَةَ: ابْنَ كَمْ كُنْتَ يَوْمَئِذٍ حِينَ سَمِعْتَ هَذَا ؟ قَالَ: سمعت وأنا ابن ثلاثين سنة .[1] وغير ذلك الكثير من أحاديث النبي صَلَّي اللهُ عَلَيهِ وَسَلَّمَ .

وكذلك بين ربنا جل وعلا أن ليس له شريك فى حكمه ، وَهُوَ من توحيد العبادة لله تَعَالَي ، قَالَ ربنا جل وعلا : (إِنِ الْحُكْمُ إِلَّا لِلَّهِ أَمَرَ أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا إِيَّاهُ ذَلِكَ الدِّينُ الْقَيِّمُ) [2] وقَالَ سُبْحَانَهُ : (أَلَا لَهُ الْحُكْمُ وَهُوَ أَسْرَعُ الْحَاسِبِينَ) [3] وقَالَ سُبْحَانَهُ : (وَلَهُ الْحُكْمُ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ) [4] وقَالَ سُبْحَانَهُ : (إِنَّ اللَّهَ يَحْكُمُ مَا يُرِيدُ) [5] وقَالَ سُبْحَانَهُ : (وَمَنْ لَمْ يَحْكُمْ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ فَأُولَئِكَ هُمُ الْكَافِرُونَ) [6] وقَالَ سُبْحَانَهُ : (وَمَنْ لَمْ يَحْكُمْ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ فَأُولَئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ) [7] وقَالَ سُبْحَانَهُ : (وَمَنْ لَمْ يَحْكُمْ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ فَأُولَئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ) [8] وقَالَ سُبْحَانَهُ : (وَاللَّهُ يَحْكُمُ لَا مُعَقِّبَ لِحُكْمِهِ وَهُوَ سَرِيعُ الْحِسَابِ) [9] وقَالَ سُبْحَانَهُ : (ذَلِكُمْ حُكْمُ اللَّهِ يَحْكُمُ بَيْنَكُمْ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ) [10]

وكذلك بين سُبْحَانَهُ وَتَعَالَي أنه ليس له شبيه ولا مثيل فى اسم من أسمائه أو صفة من صفاته أو فعل من أفعاله ، قَالَ تَعَالَي : (لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ) [11] فيَجِبُ توحيد الله تَعَالَي

---

1 (السلسة الصحيحة 867) .

[2] سورة يوسف 40.

[3] سورة الأنعام 62.

[4] سورة القصص 70.

[5] سورة المائدة 1.

[6] سورة المائدة 44.

[7] سورة المائدة 45.

[8] سورة المائدة 46.

[9] سورة الرعد 41.

[10] سورة الممتحنة 10.

[11] سورة الشوري 11.

بأسمائه وصفاته وأفعاله ، ونؤمن بكل الغيب الذي أخبر به النبي صَلَّي اللهُ عَلَيهِ وَسَلَّمَ من صفات الله تَعَالَي وأسمائه وأفعاله لأن هَذَا طريق معرفتها ، ولا مدخل للعقل فى الاجتهاد فيها . فنثبت ما أثبته الله تَعَالَي لنفسه وما أثبته له رسوله صَلَّي اللهُ عَلَيهِ وَسَلَّمَ وننفي عنه تَعَالَي كل نقص وما نفاه عنه رسوله صَلَّي اللهُ عَلَيهِ وَسَلَّمَ من غير تكييف ولا تمثيل ومن غير تحريف ولا تعطيل .

ومن خلال ما سبق يتضح أن الإيمَان كله شيء واحد لا يتجزأ من حيث القبول أى أن الله تعالى لا يقبل الإيمان إلا إذا كان كاملا من كل جوانبه ، وأما تقسيمه فلا يكون علي أرض الواقع أبدا ، أى لا يقال فلان مؤمن بكذا وغير مؤمن بكذا فهو فى النهاية غير مؤمن ، أو فلان مؤمن بجزئية كذا وغير مؤمن بجزئية كذا فهو غير مؤمن أيضا ، إن هذا أمرا نظريا فقط ، يقسم في العقول والأذهان ، ومن فرق بين مسألة ومسألة فقد نقض الإيمَان وفارق الإسلَام .

قَالَ الشَّيخ عبدالرحمن عبدالخَالِق وَفَّقَهُ اللهُ : (الإيمَان قضية واحدة) [1] وقَالَ : (ولا شك أن الكفر بجزئية واحدة من أجزاء هَذَا الإيمَان هو كفر بالله جل وعلا) [2] وقَالَ : (ولا يكون العبد مؤمناً بالله حقاً إلا إذا اعتقد وحدانيته سُبْحَانَهُ وَتَعَالَي في جميع ما كان من صفاته وأفعاله وحده، وإلا إذا عبده سُبْحَانَهُ وَتَعَالَي وحده.) [3] والله المستعان .

[1] رسالة (أقسام التَّوحِيد، الاصطلاح والمضمون) للشيخ عبدالرحمن عبدالخَالق حَفِظَهُ اللهُ .

[2] المصدر السابق .

[3] المصدر السابق .

فَصْلٌ فِي ذِكرِ تعليم النبي الإيمان والتَّوحِيد ، وبيان الطرق المضاهية لطريقته ، وبيان أن أكمل الهدي هدي مُحَمَّد صَلَّي اللهُ عَلَيهِ وَسَلَّمَ . [1]

ومن الحكمة أن يبين أهل العِلمِ للعامة وللخاصة المِنهَاج النبوي فى تعليم الإِيمَان للأمة ، وبخاصة إذا عظمت بسبب الأهواء فى ذلك البلوي ، فكل يستحب طريقة يزعم أنها أنفع لنشر التَّوحِيد والإِيمَان ! وليس ذلك بمستقبح إذا ضبط بضابط الشرع ووزن بميزانه ، وتعظم به البلوي إذا زاد عن حده الشرعي وخرج عن كونه اجتهاد فى فهم نص أو تحت أصل شرعي ، وقد رأينا بعض الإخوة يغلون فى طرقهم الدعوية حتي صارت عندهم شرعا متبعا لا يقبل تغيرا ولا نقدا ، وجعلوا - رَحِمَهُم اللهُ - أن وسائلهم الدعوية جائزة لهم ولغيرهم وغير واجبة عليهم ولا علي غيرهم إلا إذا أوجبها الشرع وإذا أخرجوها عن هَذَا الحد فقد جرجروها من الحل والإباحة إلي الكراهة ثم التحريم عمدا منهم وجهلا بآثار معاملتهم السلبية .

وحتي لا يكون الكلام فتنة علي بعض العقول أو بابا للقدح في مَنهَج وعقيدة الكاتب أوضح المَقَالَ بمثال ، فأقول :

الدعوة إلى الله تَعَالَي بوسيلة حديثة كالانترنت - مثلا - ، هو أمر جائز لنشر الدين وتبصير الأمة به ، بالضوابط الشرعية ، فإن كان في استعماله مخالفة شرعية من مشاهدة محرمات أو التعرض لشبهات غلب علي الظن تأثيرها فى المسلم أو انتقاص دين أو الوقوع فى فتنة إلى غير ذلك من المحاذير الواجب علي المسلم البعد عنها وعدم التعرض لها فلا يَجُوزُ استعماله فى شيء مطلقا حتي ولو كانت للدعوة إلى الله ونشر الدين والعِلم ، فإن الله تَعَالَي لا يطلب فضله بمعصية ! وهَذَا أمر

[1] (فيه تبيين لطريقة النبي صلي الله عليه وسلم فى التعليم وتلقين الصَّحَابَة الإِيمَان والتَّوحِيد وبيان بأن تلك الطريقة أفضل الطرق وأتبعها للمِنهَاج النبوي ، ثم توضيح للمأساة التي وقعنا فيها من عدم سلوك هَذَا السبيل ثم بيان مناسبة الفصل للبحث ثم عتاب للإخوة بالتحاكم للدليل وتنحية الشخصنة جانبا)

متفق عليه بين عُلَمَاء أهل السُّنَّة ولم يشذ في ذلك إلا من اتخذ إلهه هواه وأضله الله فزين لنفسه وللمؤمنين سوء عمله وزعم أن فعله هَذَا محمود موفق مطلوب لدعوة الناس !

والشاهد من المثال السابق ، ما يقوم به البعض - فرضا وجدلا - من اعتقاد - أي بالقلب ويترتب عليه العَمَل - أن سلوك هذه الوسلية واجبة علي كل مسلم ومسلمة ومن لم يتخذها فقد خالف السُّنَّة وَهُوَ مذنب .

أقول : فهنا قد أخرج هَذَا الرجل المسألة عن نطاقها واعتبرها سنة شرعية متبعه ! وبدَّع وأثم من تخلف عنها أو خالفه الرأي فيها ! وهَذَا هو المحذور الذي حذَّرنا منه سابقا ، بأن أخرج المسألة عن نطاقها وأصبحت عنده دينا بدلا من مسألة نازلة اجتهادية ، ويصير حكم استعماله هو لهذه الوسيلة المباحة - فى الأصل - محرم ، لأنه يتخذها عبادة ويعتقد فيها دينا بذاتها وليس لما فيها من النفع فقط ، وهَذَا يدخل فى باب البدعة في الدين التي حذرنا مِنهَا الشرع ، فقد قَالَ الله تَعَالَي مبينا تمام الدين وكماله : (الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الإِسلَام دِينًا...) [1] وقَالَ صَلَّي اللهُ عَلَيهِ وَسَلَّمَ : (وَقَدْ تَرَكْتُكُمْ عَلَى الْبَيْضَاءِ لَيْلُهَا كَنَهَارِهَا , لَا يَزِيغُ عَنْهَا بَعْدِي إِلَّا هَالِكٌ...) [2] وأطبق العُلَمَاء المعتد بأقوالهم علي كمال الدين وتمامه وحرمة الاستحسان فيه من وجه الزيادة علي شرائعة أو إدخال فيه ما ليس منه ، فقَالَوا : (من استحسن فقد شرع) [3] وقَالَوا : (من أحدث في هَذَا الدين حدثاً يرى أنه حسناً فقد زعم أن مُحَمَّداً خان الرسالة) [4] وقَالَوا : (من ابتدع في الإِسلَام بدعة يراها حسنة فقد زعم أن مُحَمَّداً خان الرسالة) [5] وكل هَذَا داخل فى حديث

[1] سورة المائدة 3

[2] سنن بن ماجه 43 , مسند أحمد 17182 ، صحيح الجامع 4369

[3] الشافعي فى الأم

[4] مالك رَحِمَهُ اللهُ

[5] سفيان الثوري رَحِمَهُ اللهُ

المصطفي : (مَنْ أَحْدَثَ فِي أَمْرِنَا هَذَا مَا لَيْسَ فِيهِ فَهُوَ رَدٌّ) [1] ، وهنا قد جرَّ الأخ مسألته بعصبيته أو بجهله من الحل أو الإباحة - حينما كانت فى نصابها - إلى الكراهة والتحريم - حينما غلا فيها واعتقد ما ليس من الدين - حسب اعتقاده في المسألة . وعلي هَذَا فقس وفقك الله .

مبحث في ذكر السُّنَّة الثابتة فى تعليم الإِيمَان ونشر التَّوحِيد :

وقد ثبتت السُّنَّة فى ديننا ، وذلك بما لا يدع مجالا لاجتهاد أو فلسفة فى ابتداع طريقة في الدين مخترعة تضاهي الشرعية يقصد بها زيادة التعبد لله تَعَالَي ،

فقد روي عَنْ جُنْدُبِ ابن عَبْدِ اللَّهِ - رَضِيَ اللهُ عَنهُ - قَالَ: (كُنَّا مَعَ النَّبِيِّ صَلَّي اللهُ عَلَيهِ وَسَلَّمَ ، وَنَحْنُ فِتْيَانٌ حَزَاوِرَةٌ ، فَتَعَلَّمْنَا الإِيمَان قَبْلَ أَنْ نَتَعَلَّمَ الْقُرْآنَ ، ثُمَّ تَعَلَّمْنَا الْقُرْآنَ ، فَازْدَدْنَا بِهِ إِيمَانًا.) [2] ، وتصريح الصحابي بهَذَا اللفظ له معني فى غاية الروعة والدقة والأهمية ، وَهُوَ سلوك الطريقة النبوية فى تلقي العلوم الشرعية أو تعلم الدين ، وكذلك [3] ما رواه عَبْدُ اللَّهِ ابن عُمَرَ رَضِيَ اللهُ عَنهُمَا قَالَ : (لَقَدْ عِشْنَا بُرْهَةً مِنْ دَهْرِنَا وَأَحَدُنَا يُؤْتَى الإِيمَان قَبْلَ الْقُرْآنِ ، وَتَنْزِلُ السُّورَةُ عَلَى مُحّمَّد - صَلَّي اللهُ عَلَيهِ وَسَلَّمَ- فَيَتَعَلَّمُ حلاَلَهَا ، وَحَرَامَهَا ، وَآمِرَهَا ، وَزَاجِرَهَا ، وَمَا يَنْبَغِى أَنْ يَقِفَ عِنْدَهُ مِنهَا. كَمَا تَعَلَّمُونَ أَنْتُمُ الْيَوْمَ الْقُرْآنَ ، ثُمَّ لَقَدْ رَأَيْتُ الْيَوْمَ رِجَالاً يُؤْتَى أَحَدُهُمُ الْقُرْآنَ قَبْلَ الإِيمَان فَيَقْرَأُ مَا بَيْنَ فَاتِحَتِهِ إِلَى خَاتِمَتِهِ مَا يَدْرِى مَا آمِرُهُ وَلاَ زَاجِرُهُ وَلاَ مَا يَنْبَغِى أَنْ يَقِفَ عِنْدَهُ مِنْهُ فَيَنْثُرُهُ نَثْرَ الدَّقَلِ)[4] وفيه تصريح من ابن عمر رَضِيَ اللهُ عَنهُمَا بمِنهَاج النُّبُوَّة في تعلم الدين وتنشئة الجيل ، فيُبدأ بما بدأ به رسول الله صَلَّي اللهُ عَلَيهِ وَسَلَّمَ ويوقف علي ما وقف عليه عَلَيهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَام .

---

[1] اللؤلؤ والمرجان 1120 ، البخاري (2697)، ومسلم (1718)، وأبو داود (4606).

[2] سنن بن ماجة 61 , وصححه الألباني.

[3] هذه الإلماحة من زوائد الأخ الفاضل الشَّيخ المحدث أبي الحسن المنصوري حَفِظَهُ اللهُ .

[4] السنن الكبرى للبيهقي (3 / 170) رقم 5290 ، مستدرك الحاكم (1 / 91) رقم 101 ، بتحقيق مصطفى عبد القادر عطا .

وصريح كهَذَا في بيان التدرج الفعلي بالمدعوّيين بتعليمهم الإيمَان واليقين علي الله تَعَالَي والخوف من ناره ورجاء جنته ، ما أخرجه البخاري رَحِمَهُ اللهُ بسنده عن يُوسُفَ ابن مَاهَكٍ، قَالَ: (إِنِّي عِنْدَ عَائِشَةَ أُمِّ المُؤْمِنِين رَضِيَ اللهُ عَنهُا، إِذْ جَاءَهَا عِرَاقِيٌّ، فَقَالَ: أَيُّ الكَفَنِ خَيْرٌ؟ قَالَتْ: وَيْحَكَ، وَمَا يَضُرُّكَ؟ " قَالَ: يَا أُمَّ المُؤْمِنِين، أَرِينِي مُصْحَفَكِ؟ قَالَتْ: لِمَ؟ قَالَ: لَعَلِّي أُوَلِّفُ القُرْآنَ عَلَيْهِ، فَإِنَّهُ يُقْرَأُ غَيْرَ مُؤَلَّفٍ، قَالَتْ: وَمَا يَضُرُّكَ أَيَّهُ قَرَأْتَ قَبْلُ؟ " إِنَّمَا نَزَلَ أَوَّلَ مَا نَزَلَ مِنْهُ سُورَةٌ مِنَ المُفَصَّلِ، فِيهَا ذِكْرُ الجَنَّةِ وَالنَّارِ، حَتَّى إِذَا ثَابَ النَّاسُ إِلَى الإِسلَام نَزَلَ الحَلاَلُ وَالحَرَامُ، وَلَوْ نَزَلَ أَوَّلَ شَيْءٍ: لاَ تَشْرَبُوا الخَمْرَ، لَقَالُوا: لاَ نَدَعُ الخَمْرَ أَبَدًا، وَلَوْ نَزَلَ: لاَ تَزْنُوا، لَقَالُوا: لاَ نَدَعُ الزِّنَا أَبَدًا، لَقَدْ نَزَلَ بِمَكَّةَ عَلَى مُحَمَّد صَلَّي اللهُ عَلَيهِ وَسَلَّمَ وَإِنِّي لَجَارِيَةٌ أَلْعَبُ: {بَلِ السَّاعَةُ مَوْعِدُهُمْ وَالسَّاعَةُ أَدْهَى وَأَمَرُّ} [1] وَمَا نَزَلَتْ سُورَةُ البَقَرَةِ وَالنِّسَاءِ إِلَّا وَأَنَا عِنْدَهُ "، قَالَ: فَأَخْرَجَتْ لَهُ المُصْحَفَ، فَأَمْلَتْ عَلَيْهِ آيَ السُّوَرِ) [2]

فمن بدأ بما بدأ به النبي صَلَّي اللهُ عَلَيهِ وَسَلَّمَ فقد أفلح وأنجح ، ومن تنكب طريقه الواضح واستحسن غير هديه وأعمل عقله في مناقضة مَنهَجه ضل وأضل ، فهنا قد بانت السُّنَّة الصريحة فى تعليم التَّوحِيد والإيمَان ، وهي بالمحاكاة والأفعال أولا ثم بالكلمات والأقوال ، وليس العكس ، فمن عايش السُّنَّة سهلت عليه عند التطبيق ، أما من تعلم ألفاظ السُّنَّة من غير معايشة فقد - فى غالب الأحيان -يصعب عليه الفعل ويتنكب طريق التطبيق ، وهَذَا هو المشاهد فى وقتنا هَذَا ، ومع أن هَذَا الأمر ليس بجديد غير أنه فى عصرنا قد فاق كل وصف وتصور، فتجد عُلَمَاء كثر يحفظون السُّنَّة أو قاربوها ثم تجدهم أشد من السيوف علي أهلها ! - فقط - لأنهم حفظوا الألفاظ

[1] سورة القمر: 46

[2] صحيح البخاري (4 / 185) رقم 4707 ، 4993 ، مصنف عبد الرزاق (3/ 352) حديث 5943 ، السنن الكبري للبيهقي (10 / 283) رقم 11494 ، الجمع بين الصحيحين البخاري ومسلم للحميدي 3362 .

ولم يتعلموا السُّنَّة بالمعايشة حقا ! فَحُقَّ لهم أن تسعرَ بهم النار وأن لا يكونوا وهم بهذه الصفة مِن أَهلِ العِلم الذين هم أهل الله وخاصته .

وقد وردت بما قلنا السُّنَّة عن السَّلَف رَحِمَهُم اللهُ ، فقد روي عن ابن عباس قَالَ : قدم على عمر رجل ، فجعل عمر يسأله عن الناس فقَالَ : يا أمير المُؤمِنِين ! قد قرأ القرآن منهم كذا وكذا ، فقلت : والله ما أحب أن يسارعوا يومهم هَذَا في القرآن هذه المسارعة ، قَالَ : فزبرني عمر ثم قَالَ : مه ، فانطلقت إلى منزلي مكتئبا حزينا فقلت : قد كنت نزلت من هَذَا بمنزلة ، ولا أراني إلا قد سقطت من نفسه ، فاضطجعت على فراشي حتى عادني نسوة أهلي وما بي وجع ، فبينا أنا على ذلك قيل لي : أجب أمير المُؤمِنِين ، فخرجت فإذا هو قائم على الباب يتنظرني ، فأخذ بيدي ثم خلا بي فقَالَ : ما الذي كرهت مما قَالَ الرجل انفا ؟ قلت : يا أمير المُؤمِنِين إن كنت أسأت فإني أستغفر الله وأتوب إليه وأنزل حيث أحببت ، قَالَ : لتخبرني ؟ قلت : متى ما يسارعوا هذه المسارعة يحتقوا ، ومتى ما يحتقوا يختصموا ، ومتى ما اختصموا يختلفوا ومتى ما يختلفوا يقتتلوا ، قَالَ : لله أبوك لقد كنت أكتمها الناس حتى جئت بها) [1] ، فانظر رَحِمَكَ اللهُ بعين البصيرة فى ذلك الموقف الفريد الذي قلَّما تَفَهَّمَهُ طالبُ علم أو ركز عليه شيخ متصدر ، إذ كيف يعترض ابن عباس رَضِيَ اللهُ عَنهُمَا علي محاسن فى مجلس أمير المُؤمِنِين عمر ابن الخطاب رَضِيَ اللهُ عَنهُ ؟! ولا يكون ذاك إلا لمنكر رآه ابن عباس فأنكره ، ثم أقره علي ذلك عمر فى خلوتهما ، ومن هَذَا يتبين للبصير الحاذق المحقق المتبع بأن مَنهَج السَّلَف ومِنهَاج النُّبُوَّة فى تعلم ونشر العَقِيدَة هو التعليم العَمَلي قبل التفقه النظري ، فهو أجدي للمتعلم وأنفع له ولمعلمه [2] و أولي بالتقديم لأن السُّنَّةَ به قد ثبتت وأسرع في نشر العَمَل .

---

[1] مصنف عبد الرزاق رقم 20368 ، المعرفة والتاريخ للفسوي (1 / 516 – 517) ، سير أعلام النبلاء (3 / 348).

[2] لاتباعه للسنة واقتفائه للأثر ، وتهذيب طالبه والوقاية من شره بعد التعلم .

وقد كان هَذَا هو مَنهَج الصَّحَابَة رَضِيَ اللهُ تَعَالَي عَنهُم فى تعلم العِلم والإيمَان ، فقد روي الإمَام البيهقي رَحِمَهُ اللهُ في شعب الإيمَان وبن عساكر في تاريخ دمشق عن مَالِك ابن أَنَسٍ، عَنْ نَافِعٍ، عَنِ ابْنِ عُمَرَ رَضِيَ اللهُ عَنهُمَا قَالَ: " تَعَلَّمَ عُمَرُ ابن الْخَطَّابِ رَضِيَ اللهُ عَنهُ الْبَقَرَةَ فِي اثْنَتَيْ عَشْرَةَ سَنَةً، فَلَمَّا خَتَمَهَا نَحَرَ جَزُورًا " [1] [2] ، فاللهم أقمنا علي السُّنَّة حتي نلقاك .

مبحث في ذكر مغبة تنكب هذه السُّنَّة :

ومن أعظم الفتن التي حلت بالأمة أن تخلف جمع من عُلَمَاء أهل السُّنَّة - وخاصة المتأخرين - عن هذه السُّنَّة الواضحة ، فاخترعوا لتعلم وتعليم العَقِيدَة طرقا أكاديمية ، يظهر مِنهَا الحسن ويكمن بداخلها الشر والفساد وإن كانت لا تخلوا من خير ولكنها علي أكثر الناس فتنة وشرا عظيما ، فمع كثرة الكِتَابة وانتشار الكتب انتشر معه التعالم من كل من هب ودب ، وتذبب من لم يتحصرم ، وتكلم من لا يعلم ، فلم يحفظ لعالم حقه ولا لقديم سبقه ولا لمتكلم عرضه ولا لعابد دينه . وعلا الأصاغرُ الأكابرَ ووقعوا فيهم بالسلب ، فابتلاهم الله تَعَالَي بموت القلب ، فأطلقوا عليهم ألفاظا شنيعة ورموهم بكل نقيصة وحذروا منهم العَوَام وأوقعوا بينهم وبين إخوانهم مِن أَهلِ العِلم الفُضَلَاء وكثرت الكِتَابة وزاد الأمر سوءا يسر الوسائل الموصلة إلي ذلك من تحصيل العِلم ونشره وبثه ، فإلي الله المشتكي .

فانتشرت فتنة القوم كانتشار النار فى الهشيم ، وصارت الفتنة بين العَوَام أكثر مِنهَا بين الخواص من طلبة العِلم ، وصار كل متحذلق يكتب : (التبيان بضلال - فلان - ...) وآخر يكتب : (السعي الحثيث فى التحذير من فتنة - المارق الخبيث - ......) وثالث : (اللباب فى فساد عقيدة - نبح الكلاب - ....) وغير ذلك من أشباه ما ذكرنا ، وما دري الكاتب عَفَا اللهُ عَنهُ أنه بذلك يزيد

---

[1] شعب الإيمَان للبيهقي (3 / 346) رقم 1805 وكذا 1957 ، بتحقيق الدكتور عبد العلي عبد الحميد حامد بإشراف مختار أحمد الندوي ، تاريخ دمشق لابن عساكر (44 / 286) ومختصر تاريخ دمشق لابن منظور (6 / 26) .

[2] هذه الإلماحة من إضافات الأخ الفاضل الشَّيخ أبي الحسن المنصورى حَفِظَهُ اللهُ .

الخرق علي الراقع ، فلا هو أصلح الفساد ولا نشر المفيد ، بل زادت الردود واشتغل الإخوة بالرد عليها ، ثم تحزب - بجهل - لكل فريق من العَوَام جماعة ، فخلفهم جماعات فلما فني زعيمهم الأول وقعوا في بعضهم ، فتفرقت الأمة أحزابا وشيعا ،كلهم يزعم مِنهَاج النُّبُوَّة والسير علي السُّنَّة ، ولا حول ولا قوة إلا بالله .

فكلٌ يدَّعي وصلاً بليلى *** وليلى لا تُقرُّ لهم بذاكَ

ولكن يتبين الصادق من الكاذب حينما نأتي علي المِنهَاج العَمَلي ، فتجدهم يتفرقون ويختلفون ،

إذا اشتبكت دموعٌ في جفونٍ *** تبيَّن من بكى ممن تباكى

ومنشأ هذه الفتنة ، هي فى أصل تعليمهم وتلقيهم ، فلم يرعهم معلموهم اهتماما بتأصيل ما أصله النبي صَلَّي اللهُ عَلَيهِ وَسَلَّمَ في أصحابه ، بل اغتروا بمن اللتف حولهم من الأصاغر وفتنوا بهم ، فأثَّر ذلك طلبة يحفظون الكثير من الأقوال ولا يحفظون لمسلم حرمة ولا لعالم عرضا . وما أشبههم حينما يقعوا فى أعراض عُلَمَاء المسلمين من غير خوف من مغبة الكلمة بمن ذكرهم الله تَعَالَي فى قوله : (لَا يَرْقُبُونَ فِي مُؤْمِنٍ إِلًّا وَلَا ذِمَّةً وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُعْتَدُونَ) [1] .

مبحث في بيان كيف نتعلم الإيمان ؟!

والمقصود بتعلمنا الإِيمَان بيِّن واضح ، أى تعلمنا التواضع لله تَعَالَي ولرسوله وللدليل وللعُلَمَاء وتعلمنا اليقين الكامل علي الله تَعَالَي فى كل صغيرة وكبيرة و تعلمنا الاخلاص و الإيثار و الصدق و الوفاء و التضحية و الولاء و البراء و العَمَل و التبليغ و الانفاق و الخشوع و السكينة و الصمت و الخشية و البكاء و الخوف و الرجاء و المراقبة لله تعالى و حب النبي صَلَّي اللهُ عَلَيهِ وَسَلَّمَ و توقير السُّنَّة و حب الصَّحَابَة و المسئولة عن هَذَا الدين و بر الوالدين و اللين و الرحمة على

[1] سورة التوبة 10

المخالفين و بذل المهج لهَذَا الدين و الجهاد و مجالسة المساكين وغير ذلك من أعمال القلوب والجوارح .

تعلمنا ذلك بالمحاكاة والمعايشة والمشاهدة وليس من الكتب فقط! فمن يزعم أو يظن أنه قد يتعلم هَذَا الإِيمَان ويحصله بعدما يتعلم المَسَائِل فقد استحسن أمرا مخالفا - لأن الترتيب شرع [1] - صراحة لما أوحي إلى النبى وسار عليه سلف الأمة. ومن ظن أن طلب العِلم قبل التزكية أنفع فقد استحسن أمرا لم يكن عليه النبي صَلَّي اللهُ عَلَيهِ وَسَلَّمَ ولا أصحابه رَضِيَ اللهُ عَنهُم .
كل هَذَا من معاني تعلمنا الإِيمَان وكل هَذَا يُتَعلمُ كما تُتَعَلَّمُ الآية من القرآن الكريم .
وبيت القصيد :

قصدت بهذه المقدمة - والتي يراها البعض غير مناسبة لموضوع البحث - أن أوضح لإخواني بأن التقسيم الذي سار عليه جموع من فضلاء وعُلَمَاء أهل السُّنَّة تقسيم اجتهادي يؤجر من اجتهد فيه ولا يؤزر بإذن الله تَعَالَي ، غير أنه قد يغلوا البعض في ذلك التقسيم ويقيمون حروبا شعواء علي آخرين من إخوانهم لم يتبعوا طريقتهم فى التعليم ولا فى التقسيم ، وهَذَا ما قصدت التنبيه عليه ، من أن هَذَا الاجتهاد قد يخرج المسألة عن نصابها وقدرها فتصبح شرعا متبعا - أقصد ذات التقسيم وليس مضمونه وإلا فالاختلاف فى مضمونه معلوم حكم مخالفه - متبعا يوالي ويعادي عليه ، ويجرح ويعدل بسببه ، ويفسق ويبدع علي أساسه ، وهذه هي الفتنة التي لا تبقي ولا تذر ، من كون الأخوين - السنيين - يختصمان في مسألة هم فى الأصل متفقون فيها ، غير أن هناك اجتهاد فى مسألة فرعية مِنهَا أشعلت القلوب غيرة وأوقدت فيها نارا ففرقتها وجرحتها ، وكل جرح له اللتئام ولا يلتئم ما جرح اللسان .

[1] فلا يَجُوزُ أن ترجىء أداء الصلاة من حديث الدخول فى الإِسلَام حتى يتعلم أركان الصلاة وسننها وواجباتها ! هَذَا مخالف للسنة وتارك للفريضة ، بل يَجِبُ عليه فور إسلامه أن يتعلم هيئة الصلاة وما يقوله فيها كما شرح النبي صَلَّي اللهُ عَلَيهِ وَسَلَّمَ للصحابي صفة الصلاة .

فتدبر أيها البصير فى مرام كلامي ، ولا تحملنك الغيرة أو دافع الرد المجرد أن ترد السُّنَّة التي أتيتك بها واضحة جلية ، ولا يحملنك شخص القائل علي أن ترد ما تبين لك من الدين ، فخذ القول واعرضه علي السُّنَّة ، فإن أقره فهو وإلا فاضرب عنه صفحا وترفق بقائله فوالله ما قَالَه إلا شفقة عليك وحبا لك في الله . والله عليم بما في الصدر رقيب عليها .

فَصْلٌ فِي ذِكرِ استقراء العُلَمَاء لأدلة الإيمَان من الكِتَاب والسُّنَّة وتسميته وتفريعه وتقسيمه[1] .

وقد من الله تَعَالَي علي الأمة بمن يحمل الأمانة اقتداءا بالنبي صَلَّي اللهُ عَلَيهِ وَسَلَّمَ ، فلم تخلوا الأمة من العُلَمَاء العاملين القائمين لله بحجة المبلغين دين الله تَعَالَي . وهذه من اعظم المنن وأجزل العطايا من الله تَعَالَي لِهَذِهِ الأُمَّةِ ، فقام العُلَمَاء باستقراء ءايات القرآن والأحاديث النبوية وسبروها وفصلوها وشرحوها وأصلوها ، فقتلوها بحثا وفكرا ومدارسة وعلما وفهما ، فسهَّلوا - رَحِمَهُم اللهُ - العلوم الشرعية على الناس بتبويبات وتقسيمات وتفريعات مختلفة وذلك حتى يكمل الفهم ويتم الاستيعاب ، وتعبد الأمة ربَّها على علمٍ وبصيرة .

فنشأت بِفَضلِ الله تَعَالَي على أيديهم علوم منظمة كثيرة ، مِنهَا علم أصول الفقة والتجويد والفقه وأصول الحديث (مصطلح الحديث) وعلم العَقِيدَة الذي هو الفقه الأكبر أو أصول الإيمَان وَهُوَ أجل العلوم وأعظمها وأهمها ، وكل تلك العلوم خادمة لهَذَا العِلم لتحقيقه فى الناس ، لأنه العِلم الذي يترتب عليه معرفة الخَالِق سُبْحَانَهُ وَتَعَالَي وما يَجِبُ له تَعَالَي وما يَجُوزُ وما يستحيل وما يمنع ، وما يوصف به وما لا يوصف .

وليس معني نشأة ذلك العِلم أنه لم يكن موجودا قبل ذلك أو أن من كتب فيه أضاف جديدا ولو ذرة ! فوالله الذي لا إله غيره لم يزيدوا في الإيمَان كلمة واحدة ولم يخترعوا فيه حرفا ، مهما صنفوا وألفوا وكتبوا ونقحوا وشرحوا !

قَالَ الشَّيخ عبدالرحمن عبدالخَالِق حَفِظَهُ اللهُ : (جاء عُلَمَاء الإسلَام فقسموا علم الدين إلى علوم كثيرة، وكل علم متفرقة وكل فرع من فروع العلوم إلى أبواب وكل باب إلى فصول ومباحث، ومَسَائِل، فنشأت علوم خاصة بالقرآن الكريم كالقراءات والتفسير وأسباب النزول، والمحكم

[1] (تبيين لأول من استعمل هذه التسميات وكيف صارت مشتهرة ، وبيان حكمها والموقف ممن لم يعترف بها ومن يشنع على من استعملها)

والمتشابه، والناسخ والمنسوخ، والمجمل والمفصل... الخ ، ونشأت علومٌ خاصة بالسُّنَّة كمصطلح الحديث وعلم الجرح والتعديل والكتب الخاصة بالصحيح والكتب الخاصة بالضعيف والموضوع. ونشأ كذلك علم التَّوحِيد الذي بدأ بالردود على المنحرفين في العقائد، ومَسَائِل الإيمَان كالخروج علي الحكام ، وكذلك تحريف أسماء الله وصفاته، والشرك به، ثم أفردت الكتب لجمع مَسَائِل الإيمَان الإعتقادية وتبويبها وتصنيفها. وكذلك سائر العلوم من السيرة والتاريخ والأخلاق والتهذيب.. الخ ، وأصبح كل علم من هذه العلوم تقسيماته ومصطلحاته ورجاله وكتبه.) [1]

وقام العُلَمَاء باستقراء أدلة الكِتَاب والسُّنَّة المتعلقة بمَسَائِل الإيمَان ثم رتبوها ليسهل فهمها من العامة وتدريسها للطلبة وبذلها لِلنَّاسِ ، وهَذَا من واجبهم الذي أخذه الله تَعَالَي عليهم ، واجتهاد مقبول فجزاهم الله خيرا قَالَ ربنا تبارك وتَعَالَي مخبرا عن حال الأمم السابقة ومحذرا أمتنا من السير علي دربهم : (وَإِذْ أَخَذَ اللَّهُ مِيثَاقَ الَّذِينَ أُوتُوا الكِتَاب لَتُبَيِّنُنَّهُ لِلنَّاسِ وَلَا تَكْتُمُونَهُ فَنَبَذُوهُ وَرَاءَ ظُهُورِهِمْ وَاشْتَرَوْا بِهِ ثَمَنًا قَلِيلًا فَبِئْسَ مَا يَشْتَرُونَ) [2] ، ولم يثبت دليل شرعي عَنِ النَّبِيّ صَلَّي اللهُ عَلَيهِ وَسَلَّمَ ولا عن أحد من أصحابه بإثبات أو إطلاق تلك التسميات التى تعارف عليها المتأخرون واصطلح عليها من بعدهم ! فغاية الأمر أن اجتهاد العُلَمَاء فى تقديم تلك المَسَائِل مقبول ما وَافَقَ الكِتَاب والسُّنَّة ولم تخالف فهم سلف الأمة من الصدر الأول وما تلاه من قرون أهل الصلاح والإتباع والسُّنَّة .

ولابد أن نعلم أن القاعدة الأصولية تقول " لا مشاحة في الاصطلاح " أي لا تنازع

قَالَ الإمَام ابن القيم - رَحِمَهُ اللهُ - " والاصطلاحات لامشاحة فيها إذا لم تتضمن مفسدة . " [3]

---

[1] رسالة (أقسام التَّوحِيد، الاصطلاح والمضمون) للشيخ عبدالرحمن عبدالخالق حَفِظَهُ اللهُ .

[2] سورة آل عمران 187

[3] مدارج السالكين " (3 / 306) .

فقد ثبت في ديننا أصل الأصول وقاعدة القواعد وعليها مدار الدين كله وبدونه فلا إسلام ولا دين وهي كمال الشريعة وتمامها بل وحفظها من الزيادة والنقصان منذ عصر النُّبُوَّة وإلي يومنا هَذَا بحمد الله تَعَالَي وإلي قيام الساعة بمشيئة الله تَعَالَي ، قَالَ ربنا تبارك وتَعَالَي : (الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الإِسلَام دِينًا) [1] فلا يزعم عاقل منتم للاسلام استخراج كلمة جديدة لم يقلها النبي صَلَّي اللهُ عَلَيهِ وَسَلَّمَ ولا شعيرة لم يسبق إليها ، وكل اجتهادات المجتهدين وأقوال العُلَمَاء العارفين فى فهم ما ثبت من أبواب ومَسَائِل الدين وتقريبه لِلنَّاسِ وليس لابتداءه أو زعم السبق إليه ، وفي ذلك كل من بعد النبي صَلَّي اللهُ عَلَيهِ وَسَلَّمَ سواء ، لا فضل لصحابي علي آخر ولا لصحابي علي من بعده إلا في الفهم والقرب من فهم النُّبُوَّة ومِنهَاجها ، وفي ضوء هَذَا الفهم نفهم قول نبينا صَلَّي اللهُ عَلَيهِ وَسَلَّمَ : (عَلَيْكُمْ بِسُنَّتِي وَسُنَّةِ الْخُلَفَاءِ الرَّاشِدِينَ مِنْ بَعْدِي) [2] وقَالَ سُبْحَانَهُ : (إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ) [3] فدل ذلك علي حفظ الشريعة إلي قيام الساعة إخبارا وتحقيقا لا ادعاءا أو تعليقا .

---

[1] سورة المائدة 3

2 أخرجه أبو داود [2/ 611]، حديث [4607]، والترمذي [5/ 44]، حديث [2676]، وابن ماجة [1/ 15- 16]، حديث [4] 126- 127، وابن أبي عاصم في السُّنَّة [28: 33]، والآجري في "الشريعة" ص [46]

[3] سورة الحجر 9

فصل في ذكر شيء من تقسيمات العُلَمَاء للتوحيد واختلافهم في استقرائهم النصوص :

بعض العُلَمَاء يقسم التَّوحِيد إلي قسمين وبعضهم إلي ثلاثة وبعضهم إلي أربعة أقسام . وبعضهم لا يقسمونه ويأخذونه جملة واحدة .

فمن قَالَ بأن التَّوحِيد ينقسم إلي قسمين جعلوا القسم الأول : توحيد المعرفة والإثبات وَهُوَ يشمل الإِيمَان بوجود الله والإِيمَان بربوبيته والإِيمَان بأسمائه وصفاته . والثاني : توحيد القصد والطلب وَهُوَ يشمل الإِيمَان بألوهية الله تعالى [1] ،

وبعضهم قَالَ القسم الأول : التَّوحِيد العِلمي الخبري ويتضمن توحيد الرُّبُوبِيَّة والأَسمَاء وَالصِّفَات والثاني : التَّوحِيد الإرادي الطلبي ويتضمن الأُلُوهِيَّة . وَهُوَ الأشهر بين المتقدمين .

وبعضهم يقسم التَّوحِيد إلى قسمين فيقول [2] : القسم الأول: التَّوحِيد القولي ، وَالمُرَاد به توحيد الرُّبُوبِيَّة وتوحيد الأَسمَاء وَالصِّفَات، وسمي بالقولي لأنه في مقابل توحيد الأُلُوهِيَّة الذي يشكل الجانب العِلمي من التَّوحِيد، وأما هَذَا الجانب فهو مختص بالجانب القولي العِلمي.

القسم الثاني: التَّوحِيد العَمَلي ، وَالمُرَاد به توحيد الأُلُوهِيَّة، وسمي بالعَمَلي؛ لأنه يشمل كلاً من عمل القلب, وعمل اللسان, وعمل الجوارح التي تشكل بمجموعها جانب العَمَل من التَّوحِيد، فالتَّوحِيد له جانبان: جانب تصديقي علمي، وجانب انقيادي عملي.

ومنهم من يقسمه إلى قسمين فيقول:

القسم الأول: توحيد السيادة ، ويُعنَى بذلك توحيد الرُّبُوبِيَّة, وتوحيد الأَسمَاء وَالصِّفَات، وسمي بذلك لأن تفرد الله بأفعاله وأسمائه وصفاته يوجب له السيادة المطلقة, والتصرف التام في هَذَا

---

[1] انظر مجموع الفتاوى (164/15) والفتاوى الكبرى (250/5) لشيخ الإسلَام بن تيمية رَحِمَهُ اللهُ . وقال بذلك الشَّيخ حافظ بن أحمد آل حكمي في معارج القبول .

[2] ممن ذكر ذلك شيخ الإسلَام ابن تيمية: انظر: ((مجموع الفتاوى)) (1/ 367) .

الكون خلقاً, ورزقاً, وإحياء, وإماتة, وتصرفاً وتدبيراً، سُبْحَانَهُ وَتَعَالَي. فمن واجب الموحد أن يفرد الله بذلك.

والقسم الثاني: توحيد العبادة ، وَالمُرَاد به توحيد الأُلُوهِيَّة . [1]

ومن قَالَ بتقسيمه إلي ثلاثة أقسام فصَّل التقسيم السابق زيادة في تسهيل الفهم والمعرفة ، فجعل التَّوحِيد ينقسم إلي توحيد ألوهية ويدخل فيه توحيد الحاكمية والولاء والبراء وتوحيد ربوبية ويدخل فيه الإِيمَان بوجود الله وتوحيد الأَسمَاء وَالصِّفَات ، وَهُوَ أشهر تلك التقسيمات بين المتأخرين ،

ومن قسمه إلي أربعة أقسام جعلوها : توحيد الرُّبُوبِيَّة ويدخل فيه الإِيمَان بوجود الله وتوحيد الأُلُوهِيَّة ويدخل فيه توحيد الحاكمية والولاء والبراء وتوحيد الأَسمَاء وَالصِّفَات وتوحيد المتابعة [2] ،

وبعضهم قسم التَّوحِيد إلي أربعة أقسام جعلها : توحيد ربوبية وتوحيد ألوهية وتوحيد أسماء وصفات وتوحيد حاكمية [3] ،

وبعضهم قسم التَّوحِيد إلي أربعة أقسام جعلها : الأول : الإِيمَان بوجوده سُبْحَانَهُ وَتَعَالَي. الثاني : الإِيمَان بربوبيته، أي: الانفراد بالرُّبُوبِيَّة. الثالث : الإِيمَان بانفراده بالأُلُوهِيَّة. الرابع : الإِيمَان بأسمائه وصفاته . [4] وهكذا .

---

[1] لمزيد من الاطلاع (معتقد أهل السُّنَّة والجماعة في توحيد الأسماء والصفات لمُحَمَّد بن خليفة التميمي -بتصرف- ص: 37) نقلا عن الدرر السنية للشيخ لعلوي السقاف .

2 توحيد المتابعة ؛ يعني متابعة النبي صَلَّي اللهُ عَلَيهِ وَسَلَّمَ، وهم يقصدون بهَذَا التقسيم ما دلَّتْ عليه الشهادتان فإذا قالوا (توحيد الله) قالوا ينقسم إلى ثلاثة أقسام ، وإذا قالوا (التَّوحِيد) بدون الإضافة إلى الله - عز وجل -، جعلوه أربعة أقسام؛ ثلاثة مختصة بالله - عز وجل -، والرابع هو توحيد المتابعة للنبي صَلَّي اللهُ عَلَيهِ وَسَلَّمَ، لأنْ لا يُتَّبَعَ في التشريع غير المصطفى صلى الله عليه وسلم ويقول الشَّيخ صالح الفوزان حَفِظَهُ اللهُ : ليس هناك ما يُسمى بتوحيد المتابعة .

[3] قال الشَّيخ صالح آل الشَّيخ حَفِظَهُ اللهُ في شرح العَقِيدَة الطحاوية : (توحيد الحاكمية داخِلٌ إما في توحيد الرُّبُوبِيَّة أو في توحيد الإلهية أو فيهما معاً) وقال الشَّيخ ياسر برهامي وَفَّقَهُ اللهُ مجيبا علي سؤال : (توحيد الحكم هو من توحيد الأسماء والصفات وتوحيد الرُّبُوبِيَّة وتوحيد الأُلُوهِيَّة، ولو أفرد بعنوان لتوضيحه مع بيان دخوله ضمن الأنواع المذكورة لم يكن بذلك بأس.) وقال الشَّيخ الحويني حَفِظَهُ اللهُ : (إن توحيد الحاكمية هو أخص خصائص أو من أخص خصائص توحيد الأُلُوهِيَّة) .

4 قال بذلك الشَّيخ مُحمَّد بن صالح العثيمين رَحِمَهُ اللهُ في شرح الواسطية وقال : الإِيمَان بالله يتضمن أربعة أمور ... - وذكرها ، ثم قال - (لا يمكن أن يتحقق الإِيمَان إلا بذلك) و لكن الشَّيخ الألباني رَحِمَهُ اللهُ يجعل الإِيمَان بوجود الله والرُّبُوبِيَّة قسم واحد .

فكما تري - أيها البصير اختلافات العُلَمَاء في اتخاذ اصطلاحات لاستقراءاتهم حسب ما يرونه أكثر اهمية أو أولوية فى عصره ، ولكل عصر أقواله واجتهاداته وآرائه التي - ربما - لا تصلح لأهل عصر آخر ، فلذلك تلقي العُلَمَاء اجتهادات إخوانهم بالقبول وحملوها علي أحسن المحامل إن كان فيها اللتباس . وتوالت أقوال العُلَمَاء في تقرير قبول هذه المسألة وسعة الصدر فيها كما وسعت صدور سلفنا رَحِمَهُم اللهُ .

قَالَ الشَّيخ عبدالفتاح أبو غدة رَحِمَهُ اللهُ وعفا عنه : (وأما تقسيم التَّوحِيد إلى ما ذكره هؤلاء الائمة شيخ الإسلَام ابن تيمية و تلميذه ابن القيم و الشَّيخ مُحّمَّد ابن عبد الوهاب رَحِمَهُم اللهُ تعالى إلى توحيد الأُلُوهِيَّة وتوحيد الرُّبُوبِيَّة فهَذَا تقسيم اصطِلَاحِيٌ استقاه العُلَمَاء مما جاء في كتاب الله تعالى في الكِتَاب و السُّنَّة في مواضع لا تحصى ومما رد الله تعالى به على المشركين) [1]

وقَالَ الشَّيخ الحويني وَفَّقَهُ اللهُ : (التَّوحِيد كله يرجع إلى الأقسام الثلاثة المعروفة التى اصطلح عليها أهل العِلم و لا مشاحة فى الإصطلاح توحيد الأُلُوهِيَّة توحيد الرُّبُوبِيَّة توحيد الأسماء و الصفات كل أنواع التَّوحِيد ترجع إلى هذه الثلاثة الكبيرة)

وقَالَ الشَّيخ مُحّمَّد المنجد وَفَّقَهُ اللهُ : (إن للعُلَمَاء من قديم الزمان تقسيمات للأحكام الشرعية ، وهَذَا التقسيم إنما هو للتيسير وتسهيل الفهم للنصوص والأحكام الشرعية وخصوصا مع تأخر الزمان وضعف المعرفة باللغة العربية واختلاط اللسان العربي بالأعجمي . فرأى العُلَمَاء أن وضع قواعد ومَسَائِل وتقسيمات لتسهيل وتيسير الفهم لا مشاحة فيه بل ذلك من الأمور المستحسنة لما يترتب عليه من تقريب العِلم للمسلمين ، فهَذَا الشافعي [2] رَحِمَهُ اللهُ واضع علم الأصول في الفقه الإسلَامي

---

[1] كلمات من كشف الاباطيل 37 المطبوعة مستقلة و المطبوعة في آخر جواب المنذري عن أسئلة الجرح و التعديل باعتناء أبي غدة .

[2] محمد بن إدريس الشافعي .

وقد لاقت تقسيماته قبولا حسنا وعليه درج الأصوليون مع إضافات وتعقب على ما ذكره ، وهكذا جميع العلوم الشرعية كعلم التجويد وتقسيماته وترتيباته وعلوم القرآن وغيرها ومِنهَا علم التَّوحِيد .)

وغير ذلك من أقوال العُلَمَاء - المتكاثرة - في بيان أن المسألة استقرائية اصطِلَاحِيَّة لا يترتب علي مجرد تلك التسميات عمل أو اعتقاد لخلوها من الدليل والسَّلَف ، وقد وردت أقاويل لعُلَمَاء أُخَرَ تعصبوا لتلك المسميات وجعلوها دينا منزلا وشرعا متبعا فوالوا وعادوا عليها ورموا من لم يصطلح عليها بالبدعة مخالفين بذلك صدر هَذِهِ الأُمَّةِ من خيرة السَّلَف فالله المستعان ، ولا يحملن أحد - لشيء في قلبه - أن يغبر علينا ويكذب بأننا ننكر التَّوحِيد ! فأني لمسلم أن ينكر مسألة شرعية ثبتت بالدليل وسار عليها السَّلَف فضلا عن أصول الدين والإيمَان ؟! فافهم ذلك رُعِيت .

فَصْلٌ فِي ذِكرِ التفرقة بين التقسيم الاصطِلَاحِيّ والمضمون الشرعي، ورفع الإلتباس عمن يخلط بينهما :

اعلم رَحِمَكَ اللهُ أن جل كلامنا فى - هَذَا الفصل - تلك المسألة حول تَبَنِّي بعض العُلَمَاء تقسيماتٍ اجتهادية فى مَسَائِل شرعية ، وليس مدار الحديث عن مضمون المسألة التي يجتهدون فيها ، ففرق بين هَذَا وذاك يرَحِمَكَ اللهُ .

فمن أقر بالتَّوحِيد جملة وتفصيلا ولم يرد مسألة من هذه المَسَائِل فهو علي السُّنَّة سائر وبالشريعة قائم ولمَنهَج السَّلَف متبع ولا يضره قبل كلام عالم في عرض مسألة أو رده ، ومن زعم وجوب قبول تقسيمه هَذَا فليئتنا بدليل يوجب اللتزام هَذَا التقسيم ، فإن أتي بالدليل من كلام الله تَعَالَي ومن كلام النبي صلي الله علي وسلم أو من كلام صحبه الكرام فقد أدي ما عليه ووجب علينا التسليم والقبول ، وإلا فلا يَجُوزُ له أن يثير المسألة ويوالي ويعادي عليها ، فافهم بارك الله فيك الحق بدليله فقد زلت في مَسَائِل كثيرة أقدام وضلت علي إثرها فئام من الناس .

قَالَ الشَّيخ مُحَمَّد صالح المنجد وَفَّقَهُ اللهُ [1] : (لا إشكال في هَذَا التقسيم ما دام أنه لا يدل على شيء باطل ، ولا مشاحة في الاصطلاح ، وهَذَا التفصيل إنما هو لتسهيل الفهم فكلما بعُد العهد : قلَّ الفهم واحتاج العُلَمَاء إلى التبسيط والتسهيل والتفصيل .

والخلاصة أنه لا إشكال فيما ذكره السائل لأن من قسم التَّوحِيد إلى قسمين قد جمع في هذين القسمين ما فصَّله الآخرون ، ومن قسمه إلى ثلاثة أقسام أو أربعة فصّل فيما أجمله الآخرون .

والجميع متفقون على أن التَّوحِيد يشمل كل ما ذكروه . وهذه التقسيمات اصطِلَاحِيَّة لا مانع مِنهَا بشرط أن لا يحصل من ذلك مفسدة ، كما لو أخرج من معاني التَّوحِيد بعض ما يدخل فيه ، أو يُدخل فيها ما ليس منه . وقد يأتي زمان نحتاج فيه إلى تفصيل أكثر فيفصل العُلَمَاء ويقسموا ليسهلوا الفهم .) [2]

وحتي لا يكون للشيطان مدخل لقلوب إخواني أوضح المقَالَ بمثال : إذا أَقَرَّ مسلمٌ بالله تَعَالَي ربّاً ووصفه بكل ما وصف به نفسه وتعبَّدَهُ كما تكون العبادة ولم يقع في مخالفة في الإِيمَان اعتقادا وقولا وعملا ، ولكنه لا يقبل الإلزام بالتقسيم القائل بأن التَّوحِيد ثلاثة أقسام ربوبية وألوهية وأسماء وصفات ويزعم أنه يسعه ترك هَذَا التقسيم لأنه نظري بحت وليس مطلبا شرعيا من الله أو من رسوله ، فما حكمه ؟

الجواب : لا شيء عليه طالما استكمل الإِيمَان ولم يخالف الدليل في مسألة ، وأما مسألة التقسيمات فهي اجتهادية وغير ملزمة لِلنَّاسِ . والله اعلم .

[1] من موقع الإسلَام سؤال وجواب بإشراف الشَّيخ مُحَمَّد صالح المنجد .

[2] (1 / 159) بترقيم الشاملة .

ولا يفوتني هنا أن انوه أن الحق أحق أن يتبع وبالدليل نقول لا بأقوال الرجال المجردة من الدليل ، وعليه فمن قَالَ حقا قبلناه منه وإن كان ضالا مضلا أو شيطانا رجيما ، ومن قَالَ باطلا رددناه عليه وإن كان عالما كبيرا أو صحابيا جليلا - مع حفظ مقام كل وحبه في الله تَعَالَي وموالاته وحفظ كرامته ودينه ومعرفة قدره - فلا محاباة لإنسان علي حساب شرع الله تَعَالَي . وعليه فإذا قَالَ بالحق الذي نراه فى تلك المسألة عالم فاستشهدنا بكلامه هنا ، لا يدل ذلك علي تزكية خطأ وقع فيه إلا إذا تكلمنا صراحة عن خطئة وزكيناه ، فضع كل شيء في نصابه ياطالب العِلم وخذ الحق متي لاح ولا عليك بالقائل فإنما أنت مسئول عن الحق لا عن حامله ، فرب حامل فقه إلي من هو أفقه ورب حامل فقه ليس بفقيه [1] .

وقد أجاد الأخ الفاضل أبو إبراهيم الجنوبي [2] وَفَّقَهُ اللهُ في توصيف القضية وجمع الأقوال فيها بأبسط كلمة وألين عبارة حيث قَالَ : (أكثر كلمات الإخوة فيها خلط بين دليل التقسيم ودليل الأقسام، فدليل التقسيم هو الاستقراء التام كما تفضل به الأخ الكريم، وأما دليل الأقسام فهو النص من الكِتَاب والسُّنَّة،، وأما الإشارات الواردة بشأن التقسيم في كلمات السَّلَف فقد سبقتها إشارات في القرآن الكريم) [3] والتقسيم هو الأنواع من اثنين أو ثلاثة أو أربعة أو خمسة إلخ والأقسام أي المضمون ذاته ، وهذه خلاصة المسألة ولله الحمد .

ومن خلال ما قدمناه يتبين خطأ من كَفَّرَ من لم يؤمن بالتقسيم الاصطِلَاحِيّ [4] ، وقَالَ : (وما يؤمن بالتَّوحِيد من لم يؤمن بهذه الأقسام الثلاثة المستمدة من نصوص الشرع ، إذ التَّوحِيد المطلوب شرعاً هو الإِيمَان بوحدانية الله في ربوبيته وألوهيته وأسمائه وصفاته، ومن لم يأت بهَذَا جميعه فليس

---

[1] قال الألباني (صحيح) انظر حديث رقم : 6763 في صحيح الجامع
[2] أحد إخواننا أعضاء ملتقي أهل الحديث .
[3] مشاركة له في موضوع (ما الفائدة من تقسيم التَّوحِيد إلي ثلاثة أقسام ؟) بملتقي اهل الحديث .
[4] تكلم بذلك الشَّيخ الدكتور عبدالرازق بن عبدالمحسن البدر وَفَّقَهُ اللهُ في بحثه (القول السديد) فعَفَا اللهُ عَنهُ .

موحداً.)[1] فإن كان يقصد التقسيم ذاته فقد كفَّر الناس بما - هو اجتهاد بشري - ليس محلا للتكفير ، وإن كان يقصد المضمون فهو على الجادة ولا إشكال في كلامه وهَذَا قول أهل السُّنَّة قاطبة لا مخالف في ذلك [2] فلا مناسبة - إذَن - لأن يذكره عند إنكار اصطِلَاحِيَّة التقسيم، ثم نقول له : ما قولك فيما لو استكمل مسلم التَّوحِيد الذي جاء به نبينا صَلَّي اللهُ عَلَيهِ وَسَلَّمَ ولم يخرم منه مسألة ولكنه لم يقبل التقسيم الذي لم يظهر إلا بعد قرون من عهد النُّبُوَّة ، هل هو مؤمن بالتَّوحِيد أم غير مؤمن ؟! فإن قَالَ مؤمن فقد قَالَ بما رضيه لنا نبينا صَلَّي اللهُ عَلَيهِ وَسَلَّمَ دينا ومات عليه ، وإن قَالَ لا يؤمن فقد كفر المسلم بغير مكفر ونعتذر إلي الله من فعله ، فتنبة لذلك يرَحِمَكَ اللهُ .

ومن أجمل وأوفي الردود علي مثل هذه النقطة قول الدُّكتُور **عبد الله ابن حسين الموجان وَفَّقَهُ اللهُ:** (فما كان جواباً لك عن اصطلاحك كان جواباً لِمُنَازِعِكَ، فالاصطلاح على تقسيم التَّوحِيد إلى ربوبية وألوهية وأسماء وصفات هو للبيان والفهم لا للحكم على أهل القبلة بالشرك، و إلا فلو لم نقل بِهَذَا التقسيم، فهل عدم قولنا يمنع الحكم على المشرك أو مَنْ فَعَلَ الشركَ بما هو أهله، ليس الحكم فرعاً عن الاصطلاح، ولاسيما وقضيةُ التكفيرِ تستلزمُ استيفاءَ الشروطِ وَنَفْيَ الموانع .) [3]

---

1 القول السديد في الرد على من أنكر تقسيم التَّوحِيد (1 / 29) لعبدالرازق البدر وَفَّقَهُ اللهُ.

[2] قال الشَّيخ عبدالرحمن عبدالخَالِق حَفِظَهُ اللهُ : (وكان من مقاصد هَذَا التقسيم الثلاثي لمعاني التَّوحِيد، وقضية الإيمَان بالله، تعليم الناس أنه لا يكون مؤمنا إلا من جمع هذه الأقسام الثلاثة، وأن من آمن ببعض صفات الله وكفر ببعضها فهو كافر، فمن آمن بالله خالقاً ورازقاً ومالكاً، ولم يؤمن به إلهاً ولكنه جحد بعض ما وصف به نفسه كالاستواء، والنزول إلى سماء الدنيا، ورؤية المُؤمِنِين له في الآخرة، أو نفي كلامه، أو رحمته أو غضبه، فهو كافر لأنه جحد بعض ما وصف به نفسه سُبحَانَهُ وَتَعَالَي.) رسالة (أقسام التَّوحِيد، الاصطلاح والمضمون)

[3] الرد الشامل على عمر كامل (16 / 17) بترقيم الشاملة للشيخ عبدالله الموجان حَفِظَهُ اللهُ . (نقد علمي موثق لكتاب الدكتور عمر عبد الله كامل الموسوم بـ "كفى تفريقاً للأمة باسم السَّلَف" وَهُوَ الكِتَاب الذي زعم أنه مناقشة علمية لكتاب الدكتور/سفر الحوالي: "نقد مذهب الأشاعرة في العَقِيدَة")

فصل في ذكر الموقف الشرعي من ذلك التقسيم الاستقرائي الاصطِلَاحِيّ .

يَجِبُ علي المنصف - شرعا وعقلا - أن يضع كل شيء فى نصابه ، وأن لا يغلوا فى أحد ولا يجفوه ، فليس بواجبِ الالتزام هَذَا التقسيم الذي تعارف عليه جملة من عُلَمَاء العصر - أو بعض العصور - أو أن يحكم ببدعيته ! لأن هَذَا إلزامٌ بما لا يلزم ، وهَذَا الإلزام حق للمشرع فقط ، وأما ما اجتهد فيه العُلَمَاء فهو سعة ورحمة من الله تَعَالَي لعباده ، وما نَاسَبَ فِئةً من الناس ربما لا يناسب فئة أخري وما لم يناسب فئة ربما ناسب فئة أخري ، وهذه طبائع البشر وسنة الله الكونية ، وبغيرها لما استقامت الحياة علي هذه الأرض ، فيَجِبُ علي من يأخذ بالقول بتقسيم التَّوحِيد اصطِلَاحِيًا إلي أقسام أن لا ينكر علي من لم يأخذ بذلك التقسيم - مع اعترافه بالمضمون طبعا - فإن أنكر علي صاحبه وشنع عليه فقد خالف السُّنَّة القاضية بالإبقاء علي ما كان عليه النبي صَلَّي اللهُ عَلَيهِ وَسَلَّمَ ، ومن لم يأخذ بذلك التقسيم يَجِبُ عليه أن لا يبدع أو يشنع علي من قسم هَذَا التقسيم وأخذ به ، فإن أنكر عليه فقد خالف السُّنَّة القاضية بالاجتهاد فى فهم النصوص وفق فهم سلف الأمة وكذلك خالف السُّنَّة القاضية بفتح أبواب المصالح الدعوية ما لم تخالف السُّنَّة ، وهَذَا هو فهم سلف الأمة فى تلك المسألة . والخير كل الخير فيما مات عليه النبي صَلَّي اللهُ عَلَيهِ وَسَلَّمَ ، والسلامة لا يعدلها شيء .

ومن أحسن ما قيل في ذلك قول الدُّكتُور صلاح الصاوي حَفِظَهُ اللهُ : ("فإنَّ هَذَا التقسيم اصطِلَاحِيٌ، الهدف منه تقريب القضية وتنظيم دراستها، كما اصطلح أهل العِلم على أسماء اصطِلَاحِيَّة للعلوم ... وعلى هَذَا فلا مشاحة في الاصطلاح، وليست هناك حدود فاصلة بين ما يدخل في توحيد الرُّبُوبِيَّة، وبين ما يدخل في توحيد الأُلُوهِيَّة، وبين ما يدخل في توحيد الأَسمَاء وَالصِّفَات، بل إنَّ هَذَا التقسيم ابتداءً على هَذَا النحو لم يرد به فيما نعلم آية محكمة أو سنَّة متبعة، والعبرة كما يقولون بالمقاصد والمعاني، وليس بالألفاظ والمباني، هَذَا وإن كان تتابع أهل العِلم على

استخدام هَذَا التقسيم واستقراره عبر قرون طويلة يجعله جزءاً من التراث السَّلَفي، فينبغي قبوله على أن لا يكون في ذاته معقد ولاء وبراء".) [1] فقد أجاد في توصيف التقسيم وأفاد وتوسط في الحكم عليه واعتدل فجزاه الله خيرا . ولا تستمع إلي من خطأه في كلامه ، فقد خطأه بدافع الهوي ولا دليل علي تخطئته البتة .

فَصْلٌ فِي ذِكْرِ ورود مضمون أقسام التَّوحِيد - الاصطلاحية - في القرآن والسُّنَّة ، وعدم وجود التسميات المصطلح عليها .

اعلم رَحِمَكَ اللهُ أن التَّوحِيد الذي أمرنا الله تَعَالَي به ورد موفورا في القرآن والسُّنَّة ، بل كل آيات القرآن وأحاديث سيد الأنام تتكلم صراحة عن التَّوحِيد أو حوله ، إذ التَّوحِيد هو غاية الخلق والخليقة .

وعليه فلا يزعم مسلم أن مسألة - صريحة أو مضمونها - واحدة موجودة بيننا من مَسَائِل التَّوحِيد الذي أراده الله تَعَالَي لم تكن موجودة علي عهد النبي صَلَّي اللهُ عَلَيهِ وَسَلَّمَ وصحبه الكرام أو خفيت عليهم ، فإن كان زعمه صحيحا فلا تكون المسألة من التَّوحِيد ، لأن مَسَائِل التَّوحِيد كلها توقيفية لا مجال للعقل فيها .

وعليه : فما ثبت في الشرع بألفاظه ومعانيه يَجِبُ علي كل مسلم إثباته واعتقاده ، وإن كان يحل له أن يجتهد في فهم النصوص وتقريبها إلي الناس فلا يحل له أن يجعل فهمه للنصوص شرعا متبعا ودينا منتشرا .

1 الثوابت والمتغيرات في مسيرة العَمَل الإسلَامي المعاصر د. صلاح الصاوي ، نقلا عن (القول السديد في الرد على من أنكر تقسيم التَّوحيد)

والخلاف في مسألة تقسيم التَّوحِيد خلاف علي الألفاظ المحدثة التي تكلم بها العُلَمَاء بعد عهد النُّبُوَّة والصَّحَابَة ، هل هَذَا مقبول أم مردود ؟! وما الموقف ممن قبله أو رده ؟! هل هو مبتدع أم لا ؟! وقد فصلنا القول في ذلك سابقا .

ولاحظ أننا نقول (ألفاظ التقسيم المحدثة بعد عهد النُّبُوَّة) ، وليس (مضمونها) ، ففرق بين الاثنين يرَحِمَكَ اللهُ .

قَالَ الأخ الفاضل عمرو بسيوني وَفَّقَهُ اللهُ : (معنى هذه الأقسام لا ريب أنه منصوص عليه وموجود في كلام الشارع ثم كلام الصَّحَابَة والتابعين ، و المجادل في هَذَا ضال زائغ بلا ريب ، وإلا فلا معنى لأحقيته في نفسه إن لم يكن موجودا في كلام السَّلَف ، بل اخترع اختراعا .)

وقد قَالَ الدَّكتُور عبدالرازق البدر وفقه الله رادًّا علي من يزعم أن (التقسيم ليس توقيفي وأنه لم يرد في كتاب الله) : (وتأمل - يا رعاك الله - قول ابن بطة رَحِمَهُ اللهُ : " ولأنا نجد الله تعالى قد خاطب عباده بدعائهم إلى اعتقاد كل واحدة من هذه الثلاث والإِيمَان بها " . ففيه أبلغ ردٍّ على من يزعم أن هَذَا التقسيم لم يرد في كتاب الله ولا في سنة رسوله صَلَّي اللهُ عَلَيهِ وَسَلَّمَ. وتأمل قوله في بداية كلامه: (وذلك أن أصل الإِيمَان بالله الذي يَجِبُ على الخلق اعتقاده في إثبات الإِيمَان به ثلاثة أشياء) . فقد نص رَحِمَهُ اللهُ على أن أقسام التَّوحِيد الثلاثة هي أصل الإِيمَان الذي يَجِبُ على الخلق اعتقاده في إثبات الإِيمَان بالله، ومعنى ذلك أنه لا إيمان لمن لم يأت بهذه الأمور الثلاثة ولا توحيد؛ إذ الإِيمَان والتَّوحِيد هو إفراد الله وحده بهذه الأمور الثلاثة، فمن لم يأت بتوحيد الرُّبُوبِيَّة فهو معطل للخالق مشرك في ربوبية الله، ومن لم يأت بتوحيد الأُلُوهِيَّة فهو مشرك في ألوهية الله وعبادته كالمشركين عبدة الأصنام، ومن لم يأتي بتوحيد الأَسمَاء وَالصِّفَات فهو كافر ملحد في أسماء

اللَّه وصفاته) [1] فظن الرجل أن دعاء اللَّه تَعَالَي عباده بتوحيده في كل واحدة من الثلاث دليل علي وجود التسميات المحدثة ! ولا أدري كيف أسمي هَذَا ؟!

نقول : يا شيخ ، هل قَالَ اللَّه تَعَالَي أو قَالَ رسوله صَلَّي اللَّهُ عَلَيهِ وَسَلَّمَ أو قَالَ أحد الصَّحَابَة رَضِيَ اللَّهُ عَنهُم (التَّوحِيد قسمين ؟! أو التَّوحِيد ثلاثة أقسام ؟! أو التَّوحِيد أربعة أقسام ؟!)

نريد جوابا صريحا ، هل ورد ذلك بهذه التقسيمات أم لا ؟! بالطبع لم يرد ولن تستطيع إثباته ولو تمالىء معك الثقلان ، فقد كمل الدين وارتضاه رب العالمين قبل أن يذكر العُلَمَاء تلك التقسيمات .

واعلم أننا لا نسأل عن المضمون ، فالمضمون كلنا متفقون عليه ولا ينكره مسلم . ومن أنكر مضمون مسألة منه فقد نقض إيمانه وتوحيده بقدر مسألته ، فهَذَا كلام متفق عليه ولا جديد فيه .

بل نحن نتكلم عن التقسيم بهَذَا الشكل ، إن كان ورد فعليك بالآية أو الحديث أو قول الصحابي التي ورد فيه أن التَّوحِيد قسمين أو ثلاثة أو أربعة ! ولا تحدثني عن دليل يذكر المضمون ، فكل ءاية - علي سبيل العموم - من القرآن تدور حول التَّوحِيد ولا يختلف في ذلك أحد كما ثبت : (عَنْ بَعْضِ أَصْحَابِ النَّبِيِّ -صَلَّي اللَّهُ عَلَيهِ وَسَلَّمَ- قَالَ قَالَ النَّبِىُّ -صَلَّي اللَّهُ عَلَيهِ وَسَلَّمَ- لِرَجُلٍ « كَيْفَ تَقُولُ فِى الصَّلاَةِ ». قَالَ أَتَشَهَّدُ وَأَقُولُ اللَّهُمَّ إِنِّى أَسْأَلُكَ الْجَنَّةَ وَأَعُوذُ بِكَ مِنَ النَّارِ أَمَا إِنِّى لاَ أُحْسِنُ دَنْدَنَتَكَ وَلاَ دَنْدَنَةَ مُعَاذٍ. فَقَالَ النَّبِىُّ -صَلَّي اللَّهُ عَلَيهِ وَسَلَّمَ- « حَوْلَهَا نُدَنْدِنُ ».) [2] .

بل لم يصرح ابن بطة رَحِمَهُ اللَّهُ بأن هَذَا التقسيم توقيفي ، وغاية ما قَالَه أن مضمون هَذَا التَّوحِيد بأقسامه الثلاثة موجود في القرآن ، وهَذَا ما نقول به ولم يخالف في ذلك أحد ، ولكن النزاع في كون التسميات الثلاثة أو الأربعة للتوحيد موجودة بهَذَا الشكل فى القرآن أم لا ؟! .

[1] القول السديد (1 / 33) بترقيم الشاملة .

[2] صحيح بن حبان (3 / 149) رقم 868 بتحقيق شعيب الأرنؤوط ، سنن أبي داود (1 / 292) رقم 792 ، سنن بن ماجه (1 / 295) رقم 910 وكذا 3847 بتحقيق مُحَمَّد فؤاد عبد الباقي وصحيح بن خزيمة 725 ، والسسن الصغري للبيهقي (1 / 282) رقم 467 بتحقيق د. مُحَمَّد ضياء الرحمن الأعظمي .

فإن قدرت علي الجواب فأسمعنا إياه لنرفع الجهل بما ستقول عن ألوف من عُلَمَاء المسلمين - فضلا عن الملايين التي تتبعهم - الذين يقولون بأن هذه التسميات غير موجودة في القرآن ، وجزاك الله خيرا .

فَصْلٌ فِي ذِكرِ بعض أقوال من استعمل تلك التقسيمات الاصطِلَاحِيَّة من العُلَمَاء المتقدمين [1] .

قال الشيخ محمد بن الحسن وفقه الله :- أما أول من استعمل هذه المصطلحات: فهذه المصطلحات ذكرها عدد من عُلَمَاء القرن الرابع، ومنهم: الأشعري ، و الصابوني ، وآخرون بعدهما؛ لكن أول من ذكرها - حسب ما أعلم - الصابوني في رسالته لأهل نيسابور، وقد تبعهم عليها شيخ الإسلَام ابن تيمية و ابن أبي العز وغيرهما. [2]

قَالَ الدُّكتُور عبدالرازق البدر وَفَّقَهُ اللهُ رادا علي من رمي القائلين بهَذَا التقسيم بالبدعة - يقصد به حسن السقاف - : (من هم المبتدعة الخراصون الذين يهذون بهَذَا التقسيم؟ أهم الإمَام أبو حنيفة [3]، والقاضي أبو يوسف[4]، والطحاوي[5]، وابن جرير الطبري[6]، وابن بطة[7]، وابن مندة[8]، وأبو إسماعيل التيمي[9]، وابن حبان[10]، وابن أبي زيد القيرواني[11]، وابن تيمية[12]، وابن القيم[13]، وابن كثير[1]،

---

1 تلك النقولات بتصرف من بحث للأخ الفاضل أبو عبد الله المليباري بعنوان : (دفع الإيهام عن تقسيم التَّوحِيد إلى ثلاثة أقسام) .

2 دروس صوتية للشيخ مُحَمَّد بن الحسن ولد الددو قام بتفريغها موقع الشبكة الإسلَامية " 11 / 41 " . بترقيم الشاملة .

3 الإمَام أبو حنيفة النعمان بن ثابت بن زوطي التيمي مولى بنى تيم الله بن ثعلبة (المتوفى : 150هـ)

4 الإمَام القاضي أبي يوسف يعقوب بن إبراهيم بن حبيب بن حُبَيْش بن سعد بن بُجَيْر بن معاوية الأنصاريُّ الكوفي صاحب أبي حنيفة المتوفى سنة 182هـ .

5 الإمَام أبو جعفر أحمد بن مُحَمَّد بن سلامة بن عبد الملك بن سلمة الأزدي الحجري المصري المعروف بالطحاوي (المتوفى: 321هـ) وصاحب العَقِيدَة الطحاوية .

6 الإمَام مُحَمَّد بن جرير بن يزيد بن كثير بن غالب الآملي، أبو جعفر الطبري (المتوفى: 310هـ)

7 أبو عبد الله عبيد الله بن مُحَمَّد بن مُحَمَّد بن حمدان العُكْبَري المعروف بابن بَطَّة العكبري (المتوفى: 387هـ)

8 أبو عبد الله مُحَمَّد بن إسحاق بن مُحَمَّد بن يحيى بن مَنْدَه(المتوفى: 395 هـ).

9 أبو القاسم اسماعيل ابن مُحَمَّد بن الفضل التيمي الأصبهاني (المتوفى: 535هـ) .

10 مُحَمَّد بن حبّان بن أحمد بن حبّان بن مُعَاذ بن مَعْبَد بن سهيد بن هَدِيَّة بن مُرَّة بن سعد بن يزيد بن مُرَّة بن زيد بن عبد الله بن دارم بن حَنْظَلة بن مالك بن زيد مَنَاة بن تميم، أبو حاتم التميمي البُسْتي [المتوفى: 354 هـ] .

11 ابن أبي زيد القيرواني المالكي المتوفى سنة 386 هـ

12 أحمد بن عبد الحليم بن عبد السلام بن عبد الله بن أبي القاسم واسمه الخضر بن مُحَمَّد بن علي بن عبد الله الحراني ثم الدمشقي الشَّيخ تقي الدين أبو العباس ابن الشَّيخ شهاب الدين ابن الشَّيخ مجد الدين المعروف بابن تيمية الملقب بشيخ الإسلَام (المتوفى: 728 هـ) .

13 مُحَمَّد بن أبي بكر بن أيوب بن سعد شمس الدين ابن قيم الجوزية (المتوفى : 751هـ)

والذهبي[2]، والصنعاني[3]، والشوكاني[4]، والمقريزي[5]، وابن أبي العز[6]، ومُحّمَّد ابن عبد الوهاب[7]، وجميع تلاميذهم، وملا علي القاري[8] ؟!) [9] وغيرهم ممن قَالَوا بأقوالهم ولم نقف عليها أو من هم في مرتبتهم في العِلم والقدر وأقروهم علي ذلك وقبلوا منهم .

قَالَ الشَّيخ بكر أبو زيد [10] رَحِمَهُ اللهُ: (هَذَا التقسيم الاستقرائي لدى متقدمي عُلَمَاء السَّلَف أشار إليه ابن مندة وابن جرير الطبري وغيرهما، وقرره شيخا الإسلَام ابن تيمية وابن القيم، وقرره الزبيدي [11] في (تاج العروس) وشيخنا الشنقيطي [12] في(أضواء البيان) وآخرين رحم الله الجميع، وَهُوَ استقراء تامٌّ لنصوص الشرع، وَهُوَ مطرد لدى أهل كلِّ فنٍّ، كما في استقراء النحاة كلام العرب إلى اسم وفعل وحرف، والعرب لم تَفُهْ بِهَذَا، ولم يعتب على النحاة في ذلك عاتب، وهكذا من أنواع الاستقراء) [13] .

ومن المناسب أن أقتبس - بتصرف يسير - بعض النقولات المتتالية من كتاب القول السديد للشيخ الدُّكتُور عبدالرازق البدر وَفَّقَهُ اللهُ .

---

[1] أبو الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي البصري ثم الدمشقي (المتوفى: 774هـ)

[2] شمس الدين مُحّمَّد بن أحمد بن عثمان الذهبي (المتوفى: 748 هـ).

[3] مُحّمَّد بن إسماعيل بن صلاح بن مُحّمَّد الحسني، الكحلاني ثم الصنعاني، أبو إبراهيم، عز الدين، المعروف كأسلافه بالامير(المتوفى: 1182 هـ) .

[4] مُحّمَّد بن علي بن مُحّمَّد بن عبد الله الشوكاني اليمني (المتوفى: 1250هـ) .

[5] أحمد بن علي بن عبد القادر أبو العباس تقي الدين الحسيني العبيدي، البعلي الأصل، القاهري المقريزي (845 المتوفى: هـ) .

[6] الإمَام العلامة صدر الدين، أبو الحسن علي بن علاء الدين علي بن مُحّمَّد، المعروف بابن أبي العز، الأذرعي الأصل، الدمشقي الصالحي الحنفي (792 المتوفى: هـ).

[7] الإمَام مُحّمَّد بن عبد الوهاب بن سليمان بن علي التميمي الحنبلي النجدي (المتوفى: 1206هـ) .

[8] نور الدين علي بن سلطان بن مُحّمَّد الهروي المكي الحنفي، وقد عرف بالقاري لأنه كان إماما في القراءات (المتوفى: 1014 هـ) .

[9] القول السديد في الرد علي من أنكر تقسيم التَّوحِيد (83) بترقيم الشاملة .

[10] بكر بن عبد الله أبو زيد .

[11] مُحّمَّد بن مُحّمَّد بن عبد الرزّاق الحسيني، أبو الفيض، الملقّب بمرتضى، الزَّبيدي ، علامة باللغة والحديث والرجال والأنساب (1205 المتوفى: هـ) .

[12] مُحّمَّد الأمين بن مُحّمَّد بن المختار الجكني الشنقيطي(المتوفى: 1393 هـ) .

[13] التحذير من مختصرات الصابوني في التفسير (ص: 30) ، وص 21 بترقيم الشاملة.

قَالَ الإمَام أبو حنيفة النعمان ابن ثابت [1] **رَحِمَهُ اللهُ** (يدُعى من أعلى لا من أسفل؛ لأنَّ الأسفل ليس الأوسط وصف الرُّبُوبِيَّة والأُلُوهِيَّة في شيء) . فقوله: "يُدعى من أعلى لا من أسفل" إثبات العلو لله، وَهُوَ من توحيد الأَسمَاء وَالصِّفَات، وفيه رد على الجهمية والمعتزلة والأشاعرة والماتريدية وغيرهم من نفاة العلو. وقوله: "من وصف الرُّبُوبِيَّة" فيه إثبات توحيد الرُّبُوبِيَّة. وقوله: "والأُلُوهِيَّة": فيه إثبات توحيد الأُلُوهِيَّة . [2]

قَالَ ابن منده في كتابه "التَّوحِيد": أخبرنا مُحّمَّد ابن أبي جعفر السرخسي ثنا مُحّمَّد ابن سلمة البلخي ثنا بشر ابن الوليد القاضي عن أبي يوسف القاضي[3] أنه قَالَ: ليس التَّوحِيد بالقياس ألم تسمع إلى قول الله عز وجل في الآيات التي يصف بها نفسه أنَّه عالم قادر قوي مالك ولم يقل: إني عالم قادر لعلةِ كذا أقدر، بسبب كذا أعلم، وبهَذَا المعنى أملك، فلذلك لا يَجُوزُ القياس في التَّوحِيد، ولا يعرف إلا بأسمائه، ولا يوصف إلا بصفاته، وقد قَالَ الله تعالى في كتابه: {يَاأَيُّهَا النَّاسُ اعْبُدُوا رَبَّكُمُ الذِي خَلَقَكُمْ وَالذِينَ مِن قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ} [4] الآية، وقَالَ: {أَوَلَمْ يَنظُرُوا فِي مَلَكُوتِ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ وَمَا خَلَقَ اللهُ مِن شَيْءٍ} [5]، وقَالَ: {إِنَّ فِي خَلْقِ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ وَاخْتِلاَفِ الَّيْلِ وَالنَّهَارِ وَالْفُلْكِ التِّي تَجْرِي فِي البَحْرِ} [6] الآية.

قَالَ أبو يوسف: لم يقل الله: انظر كيف أنا العالم وكيف أنا القادر وكيف أنا الخَالِق، ولكن قَالَ: انظر كيف خلقت ثم قَالَ: {وَاللهُ خَلَقَكُمْ ثُمَّ يَتَوَفَّاكُمْ} [7]، وقَالَ: {وَفِي أَنفُسِكُمْ أَفَلاَ تُبْصِرُونَ} [8] أي: تعلم أن هذه الأشياء لها ربٌّ يقلبها ويبديها ويعيدها وأنك مكون ولك من كونك. وإنما دل الله عز وجل

---

1 أبو حنيفة النعمان بن ثابت بن زوطي التيمي مولى بنى تيم الله بن ثعلبة (المتوفى : 150هـ) .

2 كتابه الفقه الأبسط (ص51) نقلا عن (القول السديد) ص 42 بترقيم الشاملة .

3 الإمَام القاضي أبي يوسف يعقوب بن إبراهيم بن حبيب الكوفي صاحب أبي حنيفة المتوفى سنة 182هـ.

4 سورة البقرة، الآية 21.

5 سورة الأعراف، الآية 185.

6 سورة البقرة، الآية 164.

7 سورة النحل، الآية 70.

8 سورة الذاريات، الآية 21.

خلقه بخلقه ليعرفوا أنَّ لهم رباً يعبدوه ويطيعوه ويوحدوه، ليعلموا أنه مكونهم، لا هم كانوا، ثم تسمى فقَالَ: أنا الرحمن وأنا الرحيم وأنا الخَالِق وأنا القادر وأنا المالك، أي: هَذَا الذي كونكم يسمى المالك القادر الله الرحمن الرحيم بها يوصف.

ثم قَالَ أبو يوسف: يُعرف الله بآياته وبخلقه ويوصف بصفاته ويسمَّى بأسمائه كما وصف في كتابه، وبما أدَّى إلى الخلق رسوله.

ثم قَالَ أبو يوسف: إن الله عز وجل خلقك وجعل فيك آلات وجوارح عجز بعض جوارحك عن بعض وَهُوَ ينقلك من حال إلى حال لتعرف أنَّ لك رباً وجعل فيك نفسك عليك حجة بمعرفته تتعرف بخلقه، ثم وصف نفسه فقَالَ: أنا الرب وأنا الرحمن وأنا الله وأنا القادر وأنا المالك فهو يوصف بصفاته ويسمى بأسمائه، قَالَ الله تعالى: {قُلِ ادْعُوا اللهَ أَوِ ادْعُوا الرَّحْمَنَ أَيّاً مَّا تَدْعُوا فَلَهُ الأَسْمَآءُ الحُسْنَى} [1]، وقَالَ: {وَلِلَّهِ الأَسْمَآءُ الحُسْنَى فَادْعُوهُ بِهَا وَذَرُوا الذِينَ يُلْحِدُونَ فِي أَسْمَائِهِ} [2]، وقَالَ: {لَهُ الأَسْمَآءُ الحُسْنَى يُسَبِّحُ لَهُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ وَهُوَ العَزِيزُ الْحَكِيمُ} [3]، فقد أمرنا الله أن نوحده، وليس التَّوحِيد بالقياس؛ لأنَّ القياس يكون في شيء له شبه ومثل، فالله تعالى وتقدس لا شبه له ولا مثل له تبارك الله أحسن الخَالِقين.

ثم قَالَ: وكيف يدرك التَّوحِيد بالقياس وَهُوَ خالق الخلق بخلاف الخلق ليس كمثله شيء تبارك وتعالى. وقد أمرك الله عز وجل أن تؤمن بكلِّ ما أتى به نبيه صَلَّي اللهُ عَلَيهِ وَسَلَّمَ فقَالَ: {قُلْ يَاأَيُّهَا النَّاسُ إِنِّي رَسُولُ اللهِ إِلَيْكُمْ جَمِيعاً الذِي لَهُ مُلْكُ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ لاَ إِلَهَ إِلاَّ هُوَ يُحْيِي وَيُمِيتُ فَآمِنُوا بِاللهِ وَرَسُولِهِ النَّبِيِّ الأُمِّيِّ الذِي يُؤْمِنُ بِاللهِ وَكَلِمَاتِهِ وَاتَّبِعُوهُ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ} [4]، فقد أمرك الله عز وجل بأن تكون تابعاً سامعاً مطيعاً ولو يوسّع على الأمة التماس التَّوحِيد وابتغاء الإيمَان برأيه وقياسه

---

[1] سورة الإسراء، الآية 110.

[2] سورة الأعراف، الآية 180.

[3] سورة الحشر، الآية 24 .

[4] سورة الأعراف، الآية 158.

وَهُوَاه إذاً لضلوا، ألم تسمع إلى قول الله عز وجلَّ: {وَلَوِ اتَّبَعَ الْحَقُّ أَهْوَآءَهُمْ لَفَسَدَتِ السَّمَوَاتُ وَالأَرْضُ وَمَنْ فِيهِنَّ} [1]، فافهم ما فسر به ذلك" [2].

ورواه أيضاً الإمَام الحافظ قوام السُّنَّة أبو القاسم إسماعيل التيمي الأصبهاني رَحِمَهُ اللهُ المتوفى سنة 535 هـ في كتابه "الحجة في بيان المحجة وشرح التَّوحِيد ومذهب أهل السُّنَّة" ولأهميته عنده خصه بفصل مستقل فقَالَ: "فصل في النهي عن طلب كيفية صفات الله عز وجل" وذكره بإسناده من طريق السرخسي به [3] .

وأثر أبي يوسف هَذَا الذي رواه هَذَان الإمَامان عظيم القدر مشتمل على أقسام التَّوحِيد الثلاثة: توحيد الرُّبُوبِيَّة وتوحيد الأُلُوهِيَّة وتوحيد الأَسمَاء وَالصِّفَات. [4]

وقَالَ الإمَام أبو جعفر الطحاوي [5] رَحِمَهُ اللهُ في مقدمة متنه في العَقِيدَة المشهور بالطحاوية: (نقول في توحيد الله معتقدين بتوفيق الله: إن الله واحد لا شريك له، ولا شيء مثله، ولا شيء يعجزه، ولا إله غيره) .

فقوله: "إن الله واحد لا شريك له" شامل لأقسام التَّوحِيد الثلاثة، فهو سُبْحَانَهُ واحد لا شريك له في ربوبيته، وواحد لا شريك له في ألوهيته، وواحد لا شريك له في أسمائه وصفاته. وقوله: "ولا شيء مثله"، هَذَا من توحيد الأَسمَاء وَالصِّفَات. وقوله: "ولا شيء يعجزه" هَذَا من توحيد الرُّبُوبِيَّة. [6]

---

[1] سورة المؤمنون، الآية 71.

[2] التَّوحِيد لابن مندة (304/3 306).

[3] انظر: الحجة للتيمي (111/1 ، 113).

[4] القول السديد (1 / 40) بترقيم الشاملة .

[5] أبو جعفر أحمد بن مُحَمَّد بن سلامة بن سلمة بن عبد الملك، الأزدي الحجري المصري الطحاوي الحنفي المتوفى سنة 321هـ

[6] القول السديد (1 / 42) بترقيم الشامله .

و قَالَ أبو حاتم البستي[1] رَحِمَهُ اللهُ مشيرا إلي الأقسام الثلاثة للتوحيد ، الأُلُوهِيَّة والرُّبُوبِيَّة والأَسمَاء وَالصِّفَات.

: (الحمد لله المتفرد بوحدانية الأُلُوهِيَّة، المتعزز بعظمة الرُّبُوبِيَّة، القائم على نفوس العالم بأجالها، والعالم بتقلبها وأحوالها، المانّ عليهم بتواتر آلائه، المتفضل عليهم بسوابع نعمائه، الذي أنشأ الخلق حين أراد بلا معين ولا مشير، وخلق البشر كما أراد بلا شبيه ولا نظير، فمضت فيهم بقدرته مشيئته، ونفذت فيهم بعزته إرادته)[2].

وقَالَ ابن أبي زيد القيرواني[3] رَحِمَهُ اللهُ في مقدمة عقيدته : (من ذلك: الإِيمَان بالقلب والنطق باللسان بأن الله إله واحد لا إله غيره، ولا شبيه له، ولا نظير، ولا ولد له ولا والد، ولا صاحبة له ولا شريك له، ليس لأوليته ابتداء، ولا لآخريته انقضاء، لا يبلغ كنه صفته الواصفون، ولا يحيط بأمره المتفكرون...إلى أن قَالَ: تعالى أن يكون في ملكه ما لا يريد أو يكون لأحد عنه غنىً، خالق لكل شيء، ألا هو رب العباد ورب أعمالهم والمقدر لحركاتهم وآجالهم).

وقَالَ أبو بكر الطرطوشي[4] **رَحِمَهُ اللهُ** : (وأشهد له بالرُّبُوبِيَّة والوحدانية، وبما شهد به لنفسه من الأسماء الحسنى والصفات العلى والنعوت الأوفى)[5].

وقَالَ ابن بطة العكبري[6] **رَحِمَهُ اللهُ** : ((وذلك أن أصل الإِيمَان بالله الذي يَجِبُ على الخلق اعتقاده في إثبات الإِيمَان به ثلاثة أشياء:

أحدها: أن يعتقد العبد ربانيته؛ ليكون بذلك مبايناً لمذهب أهل التعطيل الذين لا يثبتون صانعاً.

---

[1] مُحَمَّد بن حبّان بن أحمد بن حبّان بن مُعَاذ بن مَعْبَد بن سهيد بن هَدِيَّة بن مُرَّة بن سعد بن يزيد بن مُرَّة بن زيد بن عبد الله بن دارم بن حَنْظَلة بن مالك بن زيد مَنَاة بن تميم، أبو حاتم التميمي البُسْتي [المتوفى: 354 هـ] .

[2] مقدمة كتاب (روضة العقلاء ونزهة الفُضَلَاء) لأبي حاتم البستي

[3] ابن أبي زيد القيرواني المالكي المتوفى سنة 386 هـ

[4] أبو بكر مُحَمَّد بن الوليد بن مُحَمَّد بن خلف القرشى الفهرى الأندلسي الطرطوشي المتوفي 520 هـ .

[5] كتاب "سراج الملوك" (7/1) لأبي بكر الطرطوشي .

[6] أبو عبد الله عبيد الله بن مُحَمَّد بن بطة العكبري المتوفى سنة 387هـ

والثاني: أن يعتقد وحدانيته؛ ليكون بذلك مبايناً لأهل الشرك الذين أقروا بالصانع وأشركوا معه في العبادة غيره.

والثالث: أن يعتقده موصوفاً بالصفات التي لا يَجُوزُ إلا أن يكون موصوفاً بها من العِلم والقدرة والحكمة وسائر ما وصف به نفسه في كتابه. إذ قد علمنا أن كثيراً ممن يقر به ويوحده بالقول المطلق قد يلحد في صفاته فيكون إلحاده في صفاته قادحاً في توحيده. ولأنا نجد الله تعالى قد خاطب عباده بدعائهم إلى اعتقاد كل واحدة من هذه الثلاث والإيمَان بها. فأما دعاؤه إياهم إلى الإقرار بربانيته ووحدانيته فلسنا نذكر هَذَا هاهنا لطوله وسعة الكلام فيه، ولأن الجهمي يدعي لنفسه الإقرار بهما وإن كان بجحده للصفات قد أبطل دعواه لهما)) [1] .

ثم أخذ يورد ما يدل على بطلان قول الجهمية في نفي الصفات، وهَذَا نص غاية الوضوح فِي ذِكرِ أقسام التَّوحِيد الثلاثة.

قَالَ الإمَام ابن أبي العزِّ الحنفي [2] **رَحِمَهُ اللهُ** في شرحه على العَقِيدَة الطحاوية : (التَّوحِيد يتضمن ثلاث أنواع :أحدهما : الكلام في الصفات والثاني : توحيد الرُّبُوبِيَّة وبيان أن الله وحده خالق كل شيء والثالث : توحيد الأُلُوهِيَّة ، وَهُوَ استحقاقه سُبْحَانَهُ وَتَعَالَي أن يُعبد وحده لا شريك له) [3]

وقَالَ الإمَام الطبري [4] **رَحِمَهُ اللهُ** عند تفسير قوله تعالى : (وَلَهُ أَسْلَمَ مَنْ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ طَوْعًا وَكَرْهًا ..) [5] يقول: (وله خَشَع من في السموات والأرض ، فخضع له بالعبودية وأقرَّ له بإفراد الرُّبُوبِيَّة ، وانقاد له بإخلاص التَّوحِيد والأُلُوهِيَّة طوعاً وكرهاً) [6] وفيه تفريق واضح بين توحيد

---

[1] كتاب (الإبانة عن شريعة الفرقة الناجية ومجانبة الفرق المذمومة) لابن بطة رَحِمَهُ اللهُ (693 ، 694) من النسخة الخطية، وفي مختصره (ق 150). نقلا عن القول السديد (1 / 32) بترقيم الشاملة .

[2] صدر الدين، أبو الحسن علي بن علاء الدين علي بن مُحَمَّد، المعروف بابن أبي العز، الأذرعي الأصل، الدمشقي الصالحي الحنفي (المتوفي 792 هـ)

[3] شرح ابن أبي العز (78)

[4] مُحَمَّد بن جرير بن يزيد بن كثير بن غالب الآملي، أبو جعفر الطبري (المتوفى: 310هـ)

[5] سورة آل عمران 83

[6] 336/3 الطبري

الرُّبُوبِيَّة التي هي الإقرار بوحدانية الله وإفراده وتوحيد الأُلُوهِيَّة التي هي الخضوع لله بالعبادة ، وليس هَذَا عن كفار قريش بل هو حكاية علي سبيل العموم .

وقَالَ الإمَام الطبري رَحِمَهُ اللهُ كذلك عند تفسير قوله تعالى : (وَاعْبُدُوا اللَّهَ وَلَا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا ..) [1] : (يعني بذلك جلَّ ثناؤه : وذلُّوا لله بالطاعة و خضعُوا له بها وأفرِدُوه بالرُّبُوبِيَّة وأخلصوا له الخضوع والذِّلة بالانتهاء إلى أمره والانزجار عن نهيه ولا تجعلوا له في الرُّبُوبِيَّة والعبادة شريكاً تعظِّمونه تعظيمَكم إياه) . وفي هذه العبارة أيضاً تفريق بين الرُّبُوبِيَّة والعبادة أي الأُلُوهِيَّة وتصريح بتلك المصطلحات .

وقَالَ - أيضا - رَحِمَهُ اللهُ أيضا في تفسير قوله تعالى : (فَلْيَعْمَلْ عَمَلًا صَالِحًا وَلَا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِ أَحَدًا) [2] يقول : فليخلصْ له العبادةَ وليفردْ له الرُّبُوبِيَّة) والعبارة واضحة في تقسيم التَّوحِيد بهذه المصطلحات .

وقَالَ - أيضا - رَحِمَهُ اللهُ أيضا عند تفسير قوله تعالى : (وَمَا مِنْ إِلَهٍ إِلَّا اللَّهُ الْوَاحِدُ الْقَهَّارُ) [3] : (يقول : وما من معبودٍ تصلحُ له العبادة وتنبغي له الرُّبُوبِيَّة إلا الله الذي يدين له كلُّ شيء ويعبده كلُّ خلقٍ)

وقَالَ الإمَام الحافظ ابن كثير [4] **رَحِمَهُ اللهُ** في تفسير قوله تعالى : (أَمْ خُلِقُوا مِنْ غَيْرِ شَيْءٍ أَمْ هُمُ الخَالِقونَ) [5] : (هَذَا المقام في إثبات الرُّبُوبِيَّة وتوحيد الأُلُوهِيَّة) أم خلقوا من غير شيءٍ أم هم الخَالِقون) أي أوجدوا من غير موجدٍ أم هم أوجدوا أنفسهم ؟

[1] سورة النساء 36
[2] سورة الكهف 110
[3] سورة ص 65
[4] أبو الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي البصري ثم الدمشقي (المتوفى: 774هـ)
[5] سورة الطور 35

قَالَ ابن جرير الطبري رَحِمَهُ اللهُ في تفسير قوله تعالى : فاعلم أنه لا إله إلا الله واستغفر لذنبك: "فاعلم يا مُحَمَّد أنه لا معبود تنبغي أو تصلح له الأُلُوهِيَّة، ويَجُوزُ لك وللخلق عبادته إلا الله الذي هو خالق الخلق، ومالك كلّ شيء يدين له بالرُّبُوبِيَّة كلّ ما دونه" [1].

ومن هذه النقولات يتبين للبصير بأن هذه التقسيمات اجتهد في استخراجها جهابذة العُلَمَاء مِن أَهلِ السُّنَّة رَحِمَهُم اللهُ ، وسار عليها من تبعهم .

فصل في الرد علي من زعم أن شيخ الإسلَام ابن تيمية رَحِمَهُ اللهُ - أو الشَّيخ مُحَمَّد ابن عبد الوهاب رَحِمَهُ اللهُ - أول من قسم هذه التقسيمات.

وبإيراد النقولات السابقة - علي سبيل المثال لا الحصر - تسقط فرية أخري شُنِّعت علي الشَّيخ مُحَمَّد ابن عبدالوهاب رَحِمَهُ اللهُ ومن قبله علي شيخ الإسلام بن تيمية رحمه الله بأنه أول من اخترع هذه التقسيمات ولم يسبقه أحد إليها ! ، ذكروا ذلك ذما له - رَحِمَهُ اللهُ - وقدحا في سنيته واتباعه للسنة واقتفائه للأثر ! يشتمون مُذَّماً وَهُوَ مُحَمَّدا !

مدحوه من حيث أرادوا ذمه من غير قصد ، وشهدوا له بالاتباع من حيث أرادوا رميه بالابتداع . فالشَّيخ سائر علي الدليل بفهم خير القرون وليس فعله من البدعة في شيء .

ومن أولئك الذين رموه بذلك الشيخ حسن المالكي[2] حيث قال (والتفريق نفسه تفريق مبتَدَع، ليس في كتاب الله ولا سنَّة رسوله، ولم يَقُل بهذا التفريق أحدٌ من الصحابة ولا التابعين؛ فالتوحيد شأنه واحد) [3] ! وليس قوله بالصحيح ، لأن اجتهاد العالم في جمع الآيات والأحاديث في الباب وتيسيرها للمسلمين ليست مذمومة بل هي ممدوحة ، والتقسيم ما دام لم يخالف شيئا من الكتاب والسنة

---

[1] جامع البيان في تأويل القرآن (22 / 173) للطبري رَحِمَهُ اللهُ .
[2] هو الشيخ حسن بن فرحان المالكي نسبة إلى بني مالك في جنوب المملكة العربية السعودية .
[3] " قراءة في كتب العقائد ، المذهب الحنبلي نموذجا " لحسن المالكي .

فليس بمبتدع ، ونقول فيه بأنه اصطلاح مفيد لا شرع جديد ، ويسوغ الخلاف في ذلك التقسيم ويمنع التبديع علي أساسه !فليس بمبتدع من قسم التوحيد إلي قسمين عند من يقول بتقسيمه إلي ثلاثة أقسام أو أربعة ! وليس من يقول بالتقسيم بمبتدع عند من لا يقول به ما دام لا يخالف في مضمونه ! وليس من لا يقول بالتقسيم مبتدع عند من يقول به ما دام متفق معهم علي مضمون التوحيد الذي أوجبه الله تعالي علي العبيد ، تلك هي سعة الدين التي رحم الله تعالي بها الناس .

وهب - مثلا - أن دعواهم صحيحة بأنه أول من قسم هذه التقسيمات - وإن كان هو من أكثر من استعملها وروجها - ، فهل من عاقل يذم الورود بلونها الأحمر ؟! وهل من عاقل يذم عابدا لكثرة عبادته - أي علي السُّنَّة - ؟! أم هو سقم العقول الذي أنتجته قلوب سقيمة ؟!

أليست منقبة له ومُحّمَّدة أن اجتهد في فهم النصوص الشرعية علي مِنهَاج سلف الأمة ووفق قواعدهم فيسَّر للمسلمين أمر دينهم وقربه إلى أفهامهم ؟! بلي والله . فلله دره من عالم جهبذ نحرير .

وقد كان الكلام عن ابن تيمية هل هو أول من قسم هَذَا التقسيم أو أنه مسبوق ، فبذلك تسقط دعوي من زعم ان ابن عبد الوهاب أول من قسمها ، قَالَ الشَّيخ الألباني رَحِمَهُ اللهُ : (مع أن شيخ الإسلَام مسبوق بهَذَا بابن مندة، ابن منده في كتاب التَّوحِيد له مثل هَذَا التقسيم) [1]

وكذلك يسقط بما ذكرناه قول من قَالَ - وَهُوَ حسن السقاف - : (وخصوصاً أنَّ هَذَا التقسيم لايعرف عند السَّلَف البتة وإنما اخترع هَذَا التقسيم وانتشر بعد القرن السابع الهجري) [2] . وقول من قَالَ : (بل إنَّ هَذَا التقسيم بدعة خلفية مذمومة حدثت في القرن الثامن الهجري، أي بعد زمن

---

[1] موسوعة العلامة الإمَام مجدد العصر مُحَمَّد ناصر الدين الألباني (2 / 70) بترقيم الشامله . صنعه / شادي بن مُحَمَّد بن سالم آل نعمان .
[2] التنديد بمن عدَّد التَّوحِيد (3) ، والرد عليه في القول السديد (31) .

النبي صَلَّي اللهُ عَلَيهِ وَسَلَّمَ بنحو ثمانمائة سنة ولم يقل بهَذَا التقسيم أحد من قبل ...)[1] وقول من قَالَ : (ابن تيمية الذي اخترع تقسيم التَّوحِيد إلى ألوهية وربوبية ..)[2] .

فلذلك أحسن الرد الشَّيخ أبا خالد السلمي وَفَّقَهُ اللهُ حين قَالَ : (وحتى لو سلمنا جدلا أنه أول من قَالَ به لم يضر ذلك إذا كان المضمون صحيحا موَافقًا للكتاب و السُّنَّة ثم إن هؤلاء المنكرين على شيخ الإسلَام يقسمون التَّوحِيد باعتبارات أخرى إلى توحيد الذات و توحيد الصفات و توحيد الأفعال ، وما دافعوا به عن تقسيمهم القاصر دافعنا به عن تقسيمنا الصحيح .)

ومن خلال ما سبق يتبين أن التَّوحِيد راسخ في الأمة منذ عهد النُّبُوَّة ، لم يُزد فيه مسألة ولم ينقص منه ، بل هو علي ما تركنا عليه نبينا صَلَّي اللهُ عَلَيهِ وَسَلَّمَ ، تحقيقا لكلام ربنا جل وعلا لا تعليقا : (إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ)[3] .

وعليه فأقسام التَّوحِيد موجودة مضامينها في النصوص الشرعية قديما وقد قَالَ ببعض ألفاظها عُلَمَاء قبل شيخ الإسلَام ابن تيمية رَحِمَهُ اللهُ ، ولكن لما كثرت البدع والأهواء وضعفت السُّنَّة وقل المتمسكون بها علي مِنهَاج النُّبُوَّة ورفع السيف وأنشيء الحكم ليحمي المبتدعة انتصب شيخ الإسلَام رَحِمَهُ اللهُ لهذه المسألة يجلّيها ويبينها ، فأكثر من ذكر تلك التقسيمات وتفريعاتها وتبيينها فظن الناس أنه مبتدئها ومنشئها ولعلهم لم يتفطنوا إلي من سبقه مِن أَهلِ العِلم رَحِمَهُم اللهُ جميعا .

قَالَ الشَّيخ عبدالرحمن عبدالخالق حَفِظَهُ اللهُ : (ولعل أول من ذكر هَذَا التقسيم بالتفصيل والتعريف هو شيخ الإسلَام ابن تيمية رَحِمَهُ اللهُ، وذلك لانتصابه رَحِمَهُ اللهُ للرد على جميع المخالفين في التَّوحِيد مِن أَهلِ الكلام والفلسفة، ومِن أَهلِ التصوف ووحدة الوجود، ومن القدرية -نفاة

---

[1] التنديد بمن عدَّد التَّوحِيد (6) ، والرد عليه في القول السديد (31) .

[2] التنديد بمن عدَّد التَّوحِيد (10) ، والرد عليه في القول السديد (31) .

[3] سورة الحجر 9 .

القدر- والجبرية، ومن الذين وقعوا في شرك الأُلُوهِيَّة فإن كل فريق من هؤلاء أقر بنوع من التَّوحِيد وكذب بالآخر، وكثير منهم تصور التَّوحِيد الذي ينادي به على وجه مغلوط، فانتصب شيخ الإسلَام رَحِمَهُ اللهُ لتفصيل هَذَا الأمر وإعطائه حدوده وضوابطه) [1]

وقَالَ (انتصاب شيخ الإسلَام للرد على هذه الفرق ومخالفتها للدين الحق هو الذي حتم تقسيم التَّوحِيد على هَذَا النحو الذي قسمه ليبين للمخالفين أن ما أقروا به من التَّوحِيد والإِيمَان لا يكفي للعبد ليكون موحداً.) [2]

[1] رسالة (أقسام التَّوحِيد، الاصطلاح والمضمون) للشيخ عبدالرحمن عبدالخَالِق حَفِظَهُ اللهُ .

[2] رسالة (أقسام التَّوحِيد، الاصطلاح والمضمون) للشيخ عبدالرحمن عبدالخَالِق حَفِظَهُ اللهُ .

فصل في الرد علي من زعم أن هذا التقسيم الاصطلاحي غير محدث .

قال الشيخ أحمد الحازمي في معرض الانتصار لفكرة أن التقسيم قديم : (قال ابن البطة العكبري رحمه الله تعالى متوفى سنة سبعٍ وتسعين وثلاث مائة يعني : من الأئمة المشهورين قبل ابن تيمية هذا المراد ، هو قبل ابن تيمية رحمه الله تعالى ، ولئلا ينسب إلى أن هذا التقسيم محدث)[1] ولا أدري ما هو الزمن الذي يعتبره الشيخ حدا فاصلا بين الاتباع وإحداث في دين الله شيئا ؟! أيعد الأمر الذي قال به بن بطة المتوفي سنة ثلاثمائة وسبعة وتسعين ليس محدثا ؟! فعلي ماذا كان توحيد تلك العقود البالغة تسعة وثلاثين عقدا من الزمان ؟! هل كانوا علي سنة أم أن كانت السنة عنهم خافية حتي يسمي الشيخ ما قاله بن بطة ليس محدثا ؟!

ونحن - وإن كنا- لا نخطيء بن بطة رحمه الله في قوله غير أننا نخطيء قول الشيخ بأن قوله ليس بمحدث ، ونقول بل قول بن بطة محدث لم يسبق إليه في استقراءه هذا فهو من أول من استقرأ وجمع تلك النصوص التي تتناول التوحيد وقسمها بتلك الطريقة، وقوله موافق لمضمون القرآن والسنة.

ثم قال الشيخ : (ابن تيمية ليس ممن أتى بهذا التقسيم هو مسبوق ، مسبوق بابن بطة ، وابن بطة مسبوقٌ بابن عباس وقتادة ، وهم مسبوقون بظاهر القرآن والسنة ، تلطمه على وجهه ،) فقوله "بن تيمية مسبوق بابن بطة " صحيح لأن بينهما أكثر من مئتا سنة ! ، وقوله " وابن بطة مسبوق بابن عباس وقتادة " ولا أدري هل كلما قال أحد من السلف كلاما قريبا من تقسيمنا هذا صار قائلا بتقسيمنا ؟! والجواب لا ننكر قولهم بأنه قريب المضمون من تقسيمنا الحالي ، ولكنه ليس هو ! لأننا زدنا في التقسيمات والحواشي وليس هذا بمأخذ علي أهل العلم ، بل المأخذ هو إلزام الناس

[1] شرح كشف الشبهات للحازمي ، الشريط الثاني صفحة 6 بترقيم الشاملة .، دروس صوتية قام بتفريغها موقع الشيخ الحازمي .

بذلك التقسيم ، وتصنيف الناس علي أساس القول به من عدمه وإنكار من اختار تقسيما يري أنه أشمل أو أصح !

واما قوله عفا الله عنه " تلطمه علي وجهه " فمردود عليه ، وهو ليس إلا زلة لسان من الشيخ ونحسن الظن بأنه لا يقصد مخالفة السنة بلطم وجه مسلم وإن كان علي سبيل المجاز .

ثم قال الشيخ أيضا: (فإنكار التقسيم مكابرةٌ ومعاندةٌ وليس مع من أنكر أي مستندٌ شرعي ولا نقلٌ سلفي) نقول ليست مكابرة ولامعاندة ! بل هي مما يسوغ الخلاف فيها، ما دام المسلم يعتقد مضمونها ، فإن خالف شيء من مضمونها نخطئه ونحكم عليه حينئذ ، لكن لمجرد هذا التقسيم الاصطلاحي الاستقرائي يتم تصنيف الناس وذمهم ! هذا مسلك غير سوي .

فصل في ذكر بعض [1] من قَالَ مِن أَهلِ العِلم باصطِلَاحِيَّة تقسيم التوحيد ، وبيان جواز قبوله وعدمه إذا كان راده متفقا علي مضمونه الشرعي [2]

ولعلنا نستعرض بعض أقوال أهل العِلم في بيان أن تقسيم التَّوحِيد أمر اجتهادي استقرائي جائز ما دام أنه دائر في دائرة الأدلة الشرعية ، وأنه أصبح اصطلاحا مشهورا بين أهل العِلم ، ولا مشاحَّة في ذلك الاصطلاح ما لم يخالف كتابا ولا سنة ولا إجماع الأمة . وعليه فإن استقراء العلماء ونظرهم في أدلة الكتاب والسنة أخرج لنا تقسيما نظريا لمفهوم التوحيد ، هذا التقسيم النظري المحض قد اختلف فيه العلماء قبولا وردا ، فمنهم من قَالَ به ومنهم ومن رد التقسين وترك الأمر علي المشاع كما كان علي عهد النبوة . وعلي كل فالمسألة ظاهرية ولا مدخل منها لصميم الاعتقاد ، فمن آمن بالتوحيد كما أنزله الله تعالي وطبقه النبي صلي الله عليه وسلم كاملا من غير نقصان فهو مؤمن سني متبع ، ولا يضره رده لاجتهاد بعض العلماء في تقسيم التوحيد .

قال الشيخ الشنقيطي [3] رحمه الله ما ملخصه : (وَقَدْ دَلَّ اسْتِقْرَاءُ الْقُرْآنِ الْعَظِيمِ عَلَى أَنَّ تَوْحِيدَ اللَّهِ يَنْقَسِمُ إِلَى ثَلَاثَةِ أَقْسَامٍ: الْأَوَّلُ: تَوْحِيدُهُ فِي رُبُوبِيَّتِهِ، الثَّانِي: تَوْحِيدُهُ جَلَّ وَعَلَا فِي عِبَادَتِهِ، وَضَابِطُ هَذَا النَّوْعِ مِنَ التَّوْحِيدِ هُوَ تَحْقِيقُ مَعْنَى «لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ» وَهِيَ مُتَرَكِّبَةٌ مِنْ نَفْيٍ وَإِثْبَاتٍ، النَّوْعُ الثَّالِثُ: تَوْحِيدُهُ جَلَّ وَعَلَا فِي أَسْمَائِهِ وَصِفَاتِهِ.) [4] فعلم من صريح كلام الشيخ رحمه الله أن مجرد التقسيم أصله استقرائي ، والشيء الاستقرائي له زمان محدد ولم يكن في صدر الأمة الإسلامية إذ لو كان في صدر الأمة لنقل إلينا مع توفر إمكانية نقله ، فإن أوجبه البعض وألزم به المسلمين لزمه القول بأن

---

[1] إعلم أن القائلين بذلك كثر ، ولكننا سنذكر علي سبيل المثال بعضا منهم حتي لا يطول بنا المقام ، وفي شهرة المسألة غنية عن استقصائها ، فتنبه .

[2] أما من يخالف في أصل التوحيد ول في مسألة واحدة من مسائله فليس داخلا ضمن كلامنا ، فكلامنا هذا علي من أقر واعترف وآمن بالتوحيد الكامل والايمان الذي عناه نبي المرحمة صلي الله عليه وسلم وليس عمن يخالف في مسائل التوحيد كالقبورية أو غيرهم .

[3] محمد الأمين بن محمد المختار بن عبد القادر الجكني الشنقيطي (المتوفى : 1393هـ)

4 وذلك عند تفسير الآية التاسعة من سورة الإسراء (إِنَّ هَذَا الْقُرْآنَ يَهْدِي لِلَّتِي هِيَ أَقْوَمُ وَيُبَشِّرُ الْمُؤْمِنِينَ الَّذِينَ يَعْمَلُونَ الصَّالِحَاتِ أَنَّ لَهُمْ أَجْرًا كَبِيرًا) أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن (17/3) للشنقيطي .

من مات قبل استخراج ذلك التقسيم الاستقرائي مات علي نقصان التوحيد ، وهذا باطل ومحال لا يقول به عاقل فضلا عن عالم من علماء السنة ، أو أن من مات مات علي التوحيد الكامل ، فإن كان يقول بالأول فقد نقض إيمان الصحابة واتهمهم بنقصان التوحيد بل ونقض قول الله تعالي : - (الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الْإِسْلَامَ دِينًا) [1] وهذا كفر لأنه رمي للصحابة بالكفر ونقصان الدين ، وإن كان يقول بالثاني - أي أن الصحابة ماتوا علي كمال التوحيد وهو الواقع فعلا لا يراجع فيه عاقل - بطل إيجابه الأخذ بذلك التقسيم وتبديع من يرده – إلا إن كان راده راد لمضمونه فهذا أمر آخر غير ما نناقشه - إذ الدين كامل وقد مات عليه الصحابة ولم يقولوا فيه بهذا التقسيم ، وخلاصته أن هذا التقسيم اجتهادي لا يجوز إلزام المسلمين به ، بل الإلزام يكون بمضمونه ، وكذلك لا يجوز تبديع وتفسيق من رأي تقسيما غيره يؤدي نفس المقصود ويحتوي مضمون التوحيد كله لا ينتقص منه شيء .

قَالَ الشَّيخ بكر ابن عبدالله أبو زيد [2] رَحِمَهُ اللهُ : (هَذَا التقسيم الإستقرائي لدي متقدمي عُلَمَاء السَّلَف ، أشار إليه ابن منده وابن جرير الطبري وغيرهما ، وقرره شيخا الإسلَام ابن تيمية وابن القيم ، وقرره الزبيدي في تارج العروس وشيخنا الشنقيطي في أضواء البيان في آخرين رحم الله الجميع، وَهُوَ استقراء تام لنصوص الشرع ، وَهُوَ مطرد لدى أهل كل فن، كما في إستقراء النحاة كلام العرب إلى اسم وفعل وحرف، والعرب لم تفه بهَذَا ، ولم يعتب على النحاة في ذلك عاتب، وهكذا من أنواع الاستقراء) فوضح أن التقسيم لم يكن موجودا ثم وجد وَهُوَ اصطلاح حادث كاصطلاحات أهل كل فن ، وعليه فما لم يكن واجبا علي خير القرون فليس بواجب علي من بعدهم – حتي – ولو كان استقراءا تاما .

1 شورة المائدة (3) .
2 بَكْرُ بنُ عَبْدِ الله أَبُو زَيْدِ بنِ مُحَمَّد بنِ عَبْدِ الله بنِ بَكْرِ بنِ عُثْمَانَ بنِ يَحْيَى بنِ غَيْهَبِ بنِ مُحَمَّد القُضَاعِيُّ المتوفي 1429 هـ

قَالَ الشَّيخ الدُّكتُور أبو عبدالله الأفغاني رَحِمَهُ اللهُ [1] : (وأما تقسيم التَّوحِيد إلى ما ذكره هؤلاء الأئمة: شيخ الإسلَام ابن تيمية وتلميذه ابن القيم والشَّيخ مُحّمَّد ابن عبد الوهاب رَحِمَهُم اللهُ تعالى إلى توحيد الأُلُوهِيَّة وتوحيد الرُّبُوبِيَّة - فهَذَا تقسيم اصطِلَاحِيٌّ استقاه العُلَمَاء مما جاء في الكِتَاب والسُّنَّة في مواضع لا تحصى) [2]

قَالَ الشَّيخ عبدالمحسن العباد حَفِظَهُ اللهُ : (وهَذَا التقسيم لأنواع التَّوحِيد عُرف بالاستقراء من نصوص الكِتَاب والسُّنَّة، ويتَّضح ذلك بأوَّل سورة في القرآن وآخر سورة ؛ فإنَّ كلاًّ منهما مشتملةٌ على أنواع التَّوحِيد الثلاثة.) [3]

قَالَ الشَّيخ ناصر العقل حَفِظَهُ اللهُ : " تقسيم التَّوحِيد، أو غيره من التقسيمات العِلمية التي احتاجها المسلمون على مدى التاريخ، هذه أمور راجعة إلى تطور العِلم الشرعي عبر التاريخ، تطور وسائل العِلم الشرعي، يعني: تقسيمات العِلم يعني: أنماطه، و موضوعاته، فمثلا في عهد التابعين، جاء تسمية النصوص إلى حديث، وآثار، وقرآن، وسنة، وعلوم قرآن، ثم في القرون الثلاثة الماضية، قسم العِلم الشرعي إلى فقه، وكذا، ثم بعد ذلك إلى فقه، وأصول فقه، هذه التقسيمات العِلمية، تقسيمات فنية، علمية، موضوعية، ترجع إلى تقريب العِلم لِلنَّاسِ، من ذلك تقسيم التَّوحِيد، تقسيم التَّوحِيد ليس توقيفا، ولا ضروريا، ولا أيضا مشاحة فيه؛ لأنه يَجُوزُ تقسيم التَّوحِيد إلى ثلاثة، أو إلى خمسة، ممكن نقول: توحيد الذات، توحيد الأسماء، توحيد الصفات، توحيد الأفعال، توحيد الأخلاق، ما فيه مانع، هَذَا شيء، الشيء الأخر: أنه هناك من لمح إلى تقسيم التَّوحِيد قبل شيخ الإسلَام ابن تيمية، تلميحات واضحة، لكنهم ما جعلوا له التقسيم الموضوعي، الفني، كما فعل هو؛

1 أبو عبد الله شمس الدين السلطاني بن مُحَمَّد بن أشرف بن قيصر الأفغاني السَّلَفي المدني (المتوفى: 1420هـ)

2 جهود عُلَمَاء الحنفية في إبطال عقائد القبورية (1 / 118) بترقيم الشاملة .

3 الانتصار لأهل السُّنَّة والحديث في رد أباطيل حسن المالكي 181 .

لأنه هو احتاج إلى تقسيم التَّوحِيد نظرا لكثرة الخلل في هَذَا الجانب عند المخالفين، فوضح ما كان عليه السَّلَف. فإذًا القضية لا تحتاج إلى مثل هذه الحساسية من بعض الذين أنكروا على شيخ الإِسلَام ابن تيمية، ولا أيضا إلى التعصب عليها عند الذين جعلوها وكأنها توقيفية، فالأمر لا هَذَا، ولا ذاك، التقسيم: تقسيم علمي بالصبر، والاستقراء، علمي واضح دقيق، لا مشاحة عليه، ولا مشاحة في الاصطلاح " .

وقَالَ الشَّيخ ناصر العقل حَفِظَهُ اللهُ أيضا : (فمسألة التقسيم هذه أمور اصطِلَاحِيَّة ترجع إلى استقراء المعاني واستقراء الألفاظ، والتَّوحِيد أصلاً هو توحيد الله عز وجل لا ينقسم، لكن من الناحية العِلمية التنظيرية لا شك أننا نجده أقساماً عديدة، فالخبر عن أسماء الله عز وجل هو توحيد الأسماء، والخبر عن صفات الله هو توحيد الصفات، والخبر عن أفعال الله هو توحيد الأفعال، وما يتعلق بالرُّبُوبِيَّة هو توحيد الرُّبُوبِيَّة، وما يتعلق بالعبادة لله عز وجل يسمى توحيد العبادة أو الأُلُوهِيَّة، ويمكن أن تقسم التَّوحِيد إلى أكثر من ذلك أيضاً، وقد يصل إلى عشرة أقسام أو أكثر؛ لأنك إذا أخذت مفردات العبادة فستجد كلها توحيداً، فتوحيد التوكل معناه: وحّدت التوكل على الله عز وجل، وتوحيد الإنابة واليقين هو توحيد توجه الإنسان إلى الله عز وجل، وتوحيد الرُّبُوبِيَّة يمكن أن نقول: هو توحيد الخلق، توحيد التدبير لله عز وجل، فهو خالق الخلق، توحيد الرزق؛ لأنه لا رازق إلا الله وهكذا ليس هناك مانع في التقسيم، فتقسيم التَّوحِيد تقسيم اصطِلَاحِيّ علمي فني، وَهُوَ نتيجة لاستقراء نصوص التَّوحِيد، فتجد أن هناك أشياء تتعلق بإثبات الرُّبُوبِيَّة، ويمكن أن هَذَا يسمى بتوحيد الرُّبُوبِيَّة، وأشياء تتعلق بالصفات الإلهية يمكن أن تسمى بتوحيد الإلهية، ونصوص تتعلق بإثبات صفات الله عز وجل يمكن أن نسميها بتوحيد الصفات، وأسماء الله يمكن أن نسميها بتوحيد الأسماء، وأفعال الله عز وجل يمكن أن نسميها بتوحيد الأفعال، لكن الأقسام الرئيسية للتوحيد ثلاثة: الرُّبُوبِيَّة، وهَذَا واضح جداً، الإلهية، وهَذَا واضح جداً، الأَسمَاء

وَالصِّفَات وهَذَا واضح جداً، يمكن أيضاً اختصار أنواع التَّوحِيد إلى اثنين: الرُّبُوبِيَّة، والإلهية، وتوحيد الأَسمَاء وَالصِّفَات في الرُّبُوبِيَّة من وجه، وفي توحيد الإلهية من وجه آخر، وأغلب الأَسمَاء وَالصِّفَات تدخل في توحيد الرُّبُوبِيَّة.)[1] .

وقَالَ الشَّيخ عبد الكريم الخضير[2] **حَفِظَهُ اللهُ** في مسألة تقسيم ما يتعلق بالعلوم الشرعية : (أما تقسيم الأخبار إلى متواتر وآحاد فهو كغيره من الاصطلاحات، الصحيح والضعيف والحسن، بالنسبة لعلوم الحديث، والعام والخاص والمطلق والمقيد والمنطوق والمفهوم بالنسبة لأصول الفقه، وكذلكم ما يتعلق بقواعد التفسير وعلوم القرآن، المصطلحات بهذه التسميات كلها حادثة، لا توجد في عصر السَّلَف من الصَّحَابَة والتابعين أما كونه منسوب إلى المعتزلة فشيخ الإِسلَام يقول به، ويقسم الأخبار إلى متواتر وآحاد، ويقسم المتواتر إلى لفظي ومعنوي، ويمثل للمتواتر اللفظي بحديث: (من كذب ..) كما يمثل به غيره مِن أَهلِ العِلمِ، ويمثل للتواتر المعنوي في كل كتابٍ من كتبه بما يناسب المقام، مثّل للتواتر المعنوي في مِنهَاج السُّنَّة بفضائل أبي بكرٍ وعمر، وفي كل كتابٍ من كتبه يمثل بما يليق بالمقام - رحمة الله عليه- لا شك أن هَذَا اصطلاح لا يوجد عند الصَّحَابَة والتابعين وسلف هَذِهِ الأُمَّةِ، لكنه مجرد اصطلاح يوضح ويقرب للطالب المشهور والعزيز و .. ، كلها ليست موجودة عند سلف الأمة.

المقصود أن هذه الاصطلاحات وإن وجدت أسماؤها فحقائقها موجودة؛ إذ لا يختلف اثنان أن الأخبار متفاوتة في دلالاتها، والرواة متفاوتون في الثقة والضبط والإتقان والحفظ والعدالة، وتبعاً لتفاوتهم في ذلك تتفاوت أخبارهم، فلا نقول: إن خبر زيد يساوي مائة بالمائة لخبر عمرو؛ الأخبار

---

[1] دروس صوتية قام بتفريغها موقع الشبكة الإِسلَامية للشيخ ناصر العقل (3 / 19) .

[2] عبد الكريم بن عبد الله بن عبد الرحمن بن حمد الخضير.

متفاوتة، وهَذَا التفاوت يتطلب أسماء لهذه الأخبار المتفاوتة، واصطلح أهل العِلم على هذه التسمية ولا مشاحة في الاصطلاح.

اللوازم التي يلتزمها المبتدعة لهَذَا التقسيم لا نلتزم بها، ولذا الشَّيخ أحمد شاكر لما قسم هَذَا التقسيم وأقره قَالَ بعد ذلك: لا يغرنك ما يقوله المبتدعة من لوازم لهَذَا التقسيم، هم يقصدون بخبر الواحد وأنه لا يفيد إلا الظن أنه لا يحتج به في العقائد، ونحن نقول: لا فرق بين العقائد والأحكام، ما تثبت به الأحكام تثبت به العقائد والكل شرع، وهَذَا مبسوط في شرح النخبة كما ذكرنا آنفاً.) [1]

ومن أقواله حَفِظَهُ اللهُ في الإصطلاحات الحادثة التي لا يعقد عليها ولاء وبراء : (هذه التعاريف حادثة ، نعم قد يحتاج إليها مع تأخر الزمان، ومع طول العهد؛ لأن الحكم على الشيء فرع عن تصوره فلا بد أن يتصور، لكن ما يتصور بهذه الحدود المعقدة، ما يمكن أن يتصور بهذه الحدود المعقدة، ولذا سلف هَذَا الأمة ما يوجد عندهم تعاريف، ما تجد تعريفاً لا لغويا ولا اصطِلَاحِيًا، يعني حينما يؤلفون في العلوم ما تجد واحدا منهم يقول: تعريف هَذَا لغة واصطلاحاً على ما جرى عليه المتأخرون، لكن الحاجة دعت إلى ذلك بسبب اختلاط العرب بغيرهم، وصعب عليهم فهم الحقائق اللغوية، والشريعة، والتمييز بينها فاعتنى العُلَمَاء ثنوا بهَذَا، لكن مع ذلك يجتنب التعقيد بقدر الإمكان، نعم يَجِبُ أن تكون الحدود جامعة مانعة، سهلة واضحة لا تعقيد فيها.) [2]

وقَالَ حَفِظَهُ اللهُ : (فأهل العِلم قسموا المتعلمين إلى طبقات: المبتدئين، المتوسطين، المنتهين المحصلين، ولكل طبقةٍ كتب في كل فن، والشوكاني له كتاب في آداب الطلب وطبقات المتعلمين أشار إلى شيءٍ من ذلك. وهذه المتون وهَذَا التدرج أمر عرفي اصطِلَاحِيٌ يختلف في كل بلدٍ عن

[1] شرح الورقات في أصول الفقه (4 / 4) دروس مفرغة .

2 شرح صحيح البخاري ، دروس صوتية مفرغة للشيخ عبد الكريم الخضير (6 / 15) بترقيم الشاملة ، بتصرف يسير .

البلد الآخر، فكل أهل بلد لهم عناية بكتب خاصة، كما أن لأهل كل مذهب عناية بكتب خاصة دون غيرها.) [1]

وقَالَ الشَّيخ عبدالرحمن عبدالخَالِق حَفِظَهُ اللهُ : (ومما صنعه بعض عُلَمَاء السُّنَّة المتأخرون مما يدخل في باب التعليم والتقريب، وتقسيم التَّوحِيد إلى قسمين: العِلم والعَمَل، فالتَّوحِيد العِلمي معناه تعلم أسماء الله وصفاته ومعاني الإِيمَان به، وتصديق ذلك بالقلب، وأما توحيد العَمَل فهو أن يعمل المسلم بمقتضى هَذَا التصديق فلا يعبد إلا الله ولا يرجو إلا هو، ولا يَحِبُ حب عبادة إلا له، ولا يسجد إلا له، لا يحاكم إلا إليه.. الخ

وهَذَا التقسيم ليس خاصاً بالتَّوحِيد لأن كل أعمال الدين لا بد فيها من العِلم والعَمَل فالصوم لا يكون إلا باعتقاد فرضيته، وتصور تشريعه تصوراً صحيحاً ثم القيام به على النحو الذي أمر العبد به وأن يكون ذلك لله وحده لأنه عبادة خاصة به سُبْحَانَهُ وَتَعَالَي وهكذا سائر العبادات.

وتقسيم التَّوحِيد إلى قسمين إنما هو نوع من التعليم حتى يعلم العبد أنه لا يكفي في التَّوحِيد العِلم دون العَمَل ولا العَمَل دون العِلم.

وجاء مِن أَهلِ العِلم من قسم التَّوحِيد إلى ثلاثة أقسام باعتبار موضوعاته الكبرى فجعل الرُّبُوبِيَّة قسماً، وعنى بالرُّبُوبِيَّة بعض معاني الرب من الخلق والتدبير والتصرف والملك، والقهر والغلبة، وجعل الأُلُوهِيَّة قسماً وعنى بها المعبود، وجعل جميع أسمائه وصفاته قسماً وسماه توحيد الأَسمَاء وَالصِّفَات، وسمى كل قسم من هذه الأقسام الثلاثة توحيداً، وأنه لا يكون موحداً على الحقيقة إلا من أقر بها جميعها.. وأقر بأن الله وحده دون ما سواه هو خالقه وخالق الكون كله، وأنه مالك

---

1 شرح الورقات في أصول الفقه دروس صوتية مفرغة للشيخ عبد الكريم الخضير (1 / 6) بترقيم الشاملة . ومتن الورقات لأبي المعالي الجويني الملقب بإمام الحرمين (المتوفى: 478هـ)

الملك، والمتصرف فيه وحده، وأقر بأن الله وحده هو إله الناس وإله العالمين والخلق أجمعين، وأنه لا معبود بحق غيره، وأن كل إله غيره باطل، وأن جميع أصناف العبادة لا تصرف إلا له، ومن صرف شيئاً لغيره فهو مشرك، وكذلك جعل توحيد الأَسمَاء وَالصِّفَات قسماً وَهُوَ الإِيمَان بكل ما وصف الله به نفسه ووصفه به رسوله، وأن صفاته على النحو الذي يليق به.) [1] **وقَالَ أيضا حَفِظَهُ اللهُ** : (وهَذَا التقسيم الثلاثي لم ينص عليه أحد في القرون الثلاثة الأولى فإن التَّوحِيد ومَسَائِل الإِيمَان بالله كانت معلومة من كتاب الله وسنة رسوله بل كان من ضرورات الدين العِلم بأن العبد لا يكون موحداً حقاً إلا إذا آمن بالله رباً وإلهاً وخالقاً ورازقاً وملكاً، وآمن بكل ما أخبر به عن نفسه أو أخبر به رسوله صَلَّي اللهُ عَلَيهِ وَسَلَّمَ، وإنما دعت الحاجة إلى هَذَا لتيسير فهم التَّوحِيد، والتعريف بجميع جوانبه فإن تقسيم الأمر المجمل إلى أقسام يسهل فهمه وحفظه.) [2] **وقَالَ أيضا حَفِظَهُ اللهُ** : (وتقسيم معاني توحيده إلى اثنين علمي خبري، وقصدي طلبي أو ثلاثة ربوبية، وألوهية، وأسماء وصفات، إنما عمل تعليمي إرشادي اصطِلَاحِيٌ لم يأت هَذَا التقسيم بهذه القسمة الثنائية أو الثلاثية في الكِتَاب والسُّنَّة ولا في أقوال الصَّحَابَة والتابعين، وإنما هَذَا التقسيم مستفاد من معاني أسمائه وصفاته وتوحيده سُبْحَانَهُ وَتَعَالَي، ولا شك أن توحيده في الأمر هو من معاني توحيده في ربوبيته وألوهيته وأسمائه وصفاته بل غاية الدين كله امتثال أمره، واجتناب نهيه، والتسليم له وحده سُبْحَانَهُ وَتَعَالَي.) [3].

قَالَ الدُّكتُور صلاح الصاوي حَفِظَهُ اللهُ : (فإنَّ هَذَا التقسيم اصطِلَاحِيٌ، الهدف منه تقريب القضية وتنظيم دراستها، كما اصطلح أهل العِلم على أسماء اصطِلَاحِيَّة للعلوم ... وعلى هَذَا فلا

---

[1] رسالة (أقسام التَّوحِيد، الاصطلاح والمضمون) للشيخ عبدالرحمن عبدالخَالِق حَفِظَهُ اللهُ .

[2] رسالة (أقسام التَّوحِيد، الاصطلاح والمضمون) للشيخ عبدالرحمن عبدالخَالِق حَفِظَهُ اللهُ .

[3] رسالة (أقسام التَّوحِيد، الاصطلاح والمضمون) للشيخ عبدالرحمن عبدالخَالِق حَفِظَهُ اللهُ .

مشاحة في الاصطلاح ... - ثم قَالَ - بل إنَّ هَذَا التقسيم ابتداءً على هَذَا النحو لم يرد به فيما نعلم آية محكمة أو سنَّة متبعة، والعبرة كما يقولون بالمقاصد والمعاني، وليس بالألفاظ والمباني) [1].

قَالَ الشَّيخ مُحَمَّد صالح المنجد وَفَّقَهُ اللهُ : (لا إشكال في هَذَا التقسيم ما دام أنه لا يدل على شيء باطل ، ولا مشاحة في الاصطلاح ، وهَذَا التفصيل إنما هو لتسهيل الفهم فكلما بعُد العهد : قلَّ الفهم واحتاج العُلَمَاء إلى التبسيط والتسهيل والتفصيل ...- ثم قَالَ - وهذه التقسيمات اصطِلَاحِيَّة لا مانع مِنهَا بشرط أن لا يحصل من ذلك مفسدة ، كما لو أخرج من معاني التَّوحِيد بعض ما يدخل فيه ، أو يُدخل فيها ما ليس منه . وقد يأتي زمان نحتاج فيه إلى تفصيل أكثر فيفصل العُلَمَاء ويقسموا ليسهلوا الفهم .) [2].

قَالَ الشَّيخ أحمد بن عمر الحازمي وَفَّقَهُ اللهُ - في ما يشابه مسألتنا هذه - حال كلامه عن صفات الله تَعَالَى الذاتية والفعلية : (وإنما التقسيم هَذَا تقسيمٌ اصطِلَاحِيٌّ فحسب)[3] وقوله هنا صحيح إذ إن التقسيم وإن كان استقرائيا تاما غير أنه لا يجوز الإلزام بما لم يُلزم به النبي صلي الله عليه وسلم ومن ألزم المسلمين بما لم يُلزم به النبي صلي الله عليه وسلم فقد وضع نفسه موضع المشرع للناس وهو من أقبح الذنوب فنسأل الله العافية من ذلك والهداية للجميع .

وقال أيضا : (إذًا لابد من معرفة أن هذا التقسيم حقيقةٌ شرعية بمعنى أن التوحيد بمفهومه العام قد جاء في الكتاب والسنة مقسمًا إلى هذه الأقسام الثلاثة ، والمراد بكونه جاء مقسمًا باعتبار المضمون لا باعتبار الأسماء ، لئلا يُلَبِّس عليكم مُلَبِّس ، ...- إلي أن قال -... ، أما الأسماء فهذا

---

1 الثوابت والمتغيرات في مسيرة العَمَل الإسلَامي المعاصر د. صلاح الصاوي ، نقلا عن (القول السديد في الرد على من أنكر تقسيم التَّوحِيد).

2 الإسلَام سؤال وجواب (1 / 159) بترقيم الشاملة .

3 دروس صوتية قام بتفريغها موقع الشَّيخ الحازمي (5 / 22) .

أمرها أخف كثيرًا مما ذكر .)[1] . فقوله "حقيقة شرعية " أي مضمونه ثابت شرعا بنفس هذه الأقسام التي سماها العلماء لا يخالف فيه أحد من المسلمين ،وأما قوله " جاء مقسما باعتبار المضمون لا باعتبار الأسماء " أي أن مضمونه ورد في الكتاب والسنة ولكنه لم يقسم بنفس تلك المسميات ولذلك فهي اصطلاحات يسوغ الخلاف فيها بشرط أن لا يخل ذلك الخلاف في شيء من مضمونها ولا يكون له لازم غير مقصود .

ثم قال الشيخ : (دليل هذا التقسيم التتبع والاستقراء لنصوص الوحيين ، والتتبع والاستقراء قد يكون ناقصًا وقد يكون تامًا ، والتامُ حجةٌ قطعية ، وهل التتبع هنا تامٌ أم ناقص ؟ نقول : تتبعٌ تام واضح بَيّن نظروا في القرآن من أوله إلى آخره ، - ثم قال - التتبع والاستقراء لنصوص الوحيين ، فالتوحيد الذي نزلت به الكتب وأرسلت به الرسل ينحصر في هذه الأنواع الثلاثة عند التفصيل ، ولا يكمل توحيد العبد إلا باستكمالها ، لا بد ما يقول : أنا آتي بتوحيد الربوبية ، وتوحيد الإلوهية ما أريده ، أو بالعكس ، أو أؤمن بتوحيد الأسماء والصفات ويترك .. ، لا ، كلها متلازمة وجودًا ونفيًا ، إذا انتفى واحدٌ منها انتفى الآخران ، وإن وجد واحدٌ منها على وجه الكمال لزم أن يكون الثاني والثالث موجودًا ، وإلا كان ثَمّ خللٌ في التوحيد ، فهي متلازمة لا يصح توحيد عبدٍ إلا باستكمالها كلها .) [2]

فيفهم من كلام الشيخ أن هذا التقسيم اجتهادي من العلماء ، مع أن مضمونه وحقيقته ثابتة في القرأن والسنة غير أن الله تعالي لم يلزمنا به ولا رسوله صلي الله عليه وسلم .

وقوله " والاستقراء التامُ حجةٌ قطعية " صحيح من حيث مضمون هذا الاستقراء لا من حيث ما هو زائد عن مضمونه مما لم يكن معهودا قبل استحداثه ، أي مضمون هذا الاستقراء حجة علي

[1] شرح كشف الشبهات للحازمي ، الشريط الثاني صفحة 7 بترقيم الشاملة ،. دروس صوتية قام بتفريغها موقع الشيخ الحازمي.
[2] شرح كشف الشبهات للحازمي ، الشريط الثاني صفحة 7 بترقيم الشاملة ،. دروس صوتية قام بتفريغها موقع الشيخ الحازمي.

العباد أما ما يتفرع عنه من لوازم فهي غير لازمة إن كان الله تعالي لم يلزمنا بها ، فلا يقال يجب علي كل مسلم وجوبا أن يعتقد أن التوحيد ثلاثة أقسام ! لأنه بذلك ألزم الناس بما لم يلزمهم به ربهم تبارك وتعالي ، ولاحظ أخي أننا نتكلم عن التقسيم لا الأقسام ونتكم عن الاصطلاح لا عن المضمون - فافهم ذلك ترشد - ، فالتقسيم ما هو إلا أسماءا مستقرأة اجتهد فيها العلماء أما الأقسام فهي ذات التوحيد الذي لا ينقسم ولا يتجزأ .

وقال الشيخ أيضا : (إنما المراد المضامين ، مضمون الكلام هو مضمون من قسّم التوحيد إلى ثلاثة أقسام .)

قَالَ الشَّيخ يوسف مُحَمَّد الغفيص وَفَّقَهُ اللهُ : (تنقسم الصفات المذكورة في القرآن إلى قسمين - وهَذَا تقسيم اصطِلَاحِيٌّ-) [1] وَهُوَ من باب مسألتنا لجاز الاستشهاد به .

وقَالَ الشَّيخ الدُّكتُور عبد الله ابن حسين الموجان وَفَّقَهُ اللهُ : (فما كان جواباً لك عن اصطلاحك كان جواباً لِمُنَازِعِكَ، فالاصطلاح على تقسيم التَّوحِيد إلى ربوبية وألوهية وأسماء وصفات هو للبيان والفهم لا للحكم على أهل القبلة بالشرك) [2] .

قَالَ الشَّيخ الدكتور أبوخالد السلمي وَفَّقَهُ اللهُ في معرض بيان أن توحيد المتابعة ليس قسما مستقلا بل هو يدخل ضمن قسم آخر من الأقسام المشهورة : (وتوحيد المتابعة لرسوله بمعنى ألا يكون له قدوة من البشر يتبعه في كل ما أمر به وينتهي عن كل ما نهى عنه ، ولا يرد من أقواله شيئا إلا الرسول صَلَّي اللهُ عَلَيهِ وَسَلَّمَ ، وهَذَا معنى صحيح ، لكنه ليس تقسيما مصطلحا عليه ، وربما كان هَذَا هو سبب اللبس .) وقَالَ أيضا : (فلا يضر حينئذ أن تكون المصطلحات و تسميات الأقسام

---

[1] دروس صوتية قام بتفريغها موقع الشبكة الإسلَامية للشيخ يوسف مُحَمَّد الغفيص (5 / 3) .

[2] الرد الشامل على عمر كامل (16 / 17) بترقيم الشاملة للشيخ عبدالله الموجان حَفِظَهُ اللهُ . (نقد علمي موثق لكتاب الدكتور عمر عبد الله كامل الموسوم بـ "كفى تفريقاً للأمة باسم السَّلَف" وَهُوَ الكِتَاب الذي زعم أنه مناقشة علمية لكتاب الدكتور/سفر الحوالي: "نقد مذهب الأشاعرة في العَقِيدَة").

حادثة إذا كان المعنى و المضمون صحيحا مستمدا من الكِتَاب و السُّنَّة شأن التَّوحِيد في ذلك شأن جميع العلوم ، ثم إن هَذَا التقسيم الاصطِلَاحِيّ للتوحيد ورد في كلام ابن جرير الطبري و في كلام ابن بطة العكبري و غيرهما من السابقين على شيخ الإسلَام ابن تيمية)

فبين حَفِظَهُ اللهُ أن التقسيم ذلك اصطِلَاحِيّ عند بعض العُلَمَاء وغير مشتهر عن كثير من العُلَمَاء .

وقَالَ الشَّيخ أبوخالد السلمي [1] **حَفِظَهُ اللهُ** : (لكن خطأ هؤلاء الذين زادوا هَذَا القسم لا يقتضي تبديعهم والإفراط في النكير عليهم لأنهم قصدوا معاني حقة ، وخطؤهم خطأ اجتهادي في مصطلحات وتقسيمات لا في مضمون هذه المصطلحات والتقسيمات والله أعلم .) .

وقَالَ الشَّيخ عبدالرحمن الفقيه [2] **وَفَّقَهُ اللهُ** : (وبالنسبة لتقسيم التَّوحِيد إلى أربعة أقسام ، فقد قَالَ به بعض مشايخنا ، ولكنه خلاف الصواب ، والصحيح أن التَّوحِيد ينقسم إلى قسمين أو ثلاثة) فبين الشَّيخ أن مبدأ التقسيم اصطِلَاحِيّ اجتهادي ، يسوغ الاجتهاد فيه بضابط أن لا يخرج عن المضمون الشرعي .

وقَالَ الشَّيخ رضا أحمد صمدي [3] **وَفَّقَهُ اللهُ** : (والفرق بين توحيد الأُلُوهِيَّة والرُّبُوبِيَّة فرق اصطِلَاحِيّ محض ، مبني على ما قرره شيخ الإسلَام ابن تيمية بالأخص في كتبه حول معنى الأُلُوهِيَّة ومعنى الرُّبُوبِيَّة .. فلو اعتبرنا هَذَا المعنى فاعتبار الفروق وارد ، أما لو تسامحنا وأطلقنا هَذَا على ذاك وذاك على هَذَا فالفروق ستتلاشى..) [4] **وقَالَ أيضا وَفَّقَهُ اللهُ** : (وعند الكلام عن الاصطلاح فدلالات

---

[1] هو الدكتور الشيخ وليد بن إدريس بن عبد العزيز المنيسي ، أبو خالد السُلميُّ ، السكندري نزيل أمريكا رئيس الجامعة الإسلامية المفتوحة بمنيسوتا وعضو لجنة الإفتاء بمجمع فقهاء الشريعة بأمريكا .

[2] هو من أعضاء ومؤسسي ملتقي أهل الحديث .

[3] أبو محمد رضا بن أحمد صمدي " المعتز بالله " تايلاندي- بانكوك ، نزل مصر وتعلم في الأزهر وسكنها مدة إلي أن أخرج منها .

[4] في رد علي موضوع (الفروق بين توحيد الرُّبُوبِيَّة والأُلُوهِيَّة) للشيخ عبدالله زقيل ، منشورا علي ملتقي أهل الحديث .

الألفاظ والجمل تتسع وتنعدم المشاحة بين أهل العِلم.. والمنتظر ألا تكون الفروق الاصطِلَاحِيَّة مقدسة بحيث تكون في حين من الأحيان شعارا من شعارات أهل السُّنَّة نوالي ونعادي عليها ، فمن نقص فيها أو زاد صار مِن أَهلِ البدع ؟؟؟ هَذَا ليس بسديد..) [1] **وقَالَ أيضا وَفَّقَهُ اللهُ** : (إن العجب العجاب أننا نريد أن نتمسك باصطلاحات لأهل العِلم ليست من الوحي المنزل ونريد أن نطبق هذه الاصطلاحات في كل زمان ومكان كأنها وحي منزل ، فالبعض يريد أن يدعو الوثنيين في زماننا أو الملاحدة في عصرنا بهذه الطريقة في تقسيم التَّوحِيد ، وهَذَا ليس شرطا .. والبعض يظن أنه لا يَجُوزُ تعلم التَّوحِيد إلا بهذه الطريقة وهَذَا من تقليد الآباء والعُلَمَاء بدون معرفة الدليل ... أنا لا أعارض التقسيم أو أعتبره خطأ ، بل هو نافع وصحيح في نفسه ، ولكن ليس معنى ذلك أن غيره ليس بنافع أو أن غيره ليس بصحيح أو أن الزيادة عليه أو النقص منه باطل ...) [2]

قَالَ الشَّيخ ابن حميد ـ حَفِظَهُ اللهُ ـ : " لا يوجد عند المتقدمين ، فيما اطلعت عليه، تعريف اصطِلَاحِيّ."[3] . فبين أن هناك أمورا متعارف عليها بين طلبة العِلم وفي الأوساط العِلمية ولكنها لم تكن علي عهد السَّلَف الأولين .

قَالَ الأخ ابن أبي حاتم [4] **وَفَّقَهُ اللهُ** : (فمن المعلوم أن مثل هذه القضايا هي قضايا اصطِلَاحِيَّة من حيث التقسيم ، والمعتبر فيها موقفهم من المضمون ، لا التقسيم .!!) وكلامه صحيح غير مخالف للأدلة .

قَالَ الأخ أبوالمِنهَال الآبيضي السكندري [1] **وَفَّقَهُ اللهُ** : (الاصطلاحات لامشاحة فيها إذا لم تتضمن مفسدة . وهَذَا التقسيم مما احتاج إليه الناس؛ لهَذَا قام شيخ الإسلَام ابن تيمية بإيضاحه . وَهُوَ

---

[1] في رد علي موضوع (الفروق بين توحيد الرُّبُوبِيَّة والأُلُوهِيَّة) للشيخ عبدالله زقيل وفقه الله ، منشورا علي ملتقي أهل الحديث .

[2] من الموضوع السابق ذكره في العزو قبل هَذَا .

[3] (معالم في مَنهَج الدعوة 9) المفصل في فقه الدعوة إلى الله تعالى (2 / 93) لعلي بن نايف الشحود وفقه الله .

[4] أحد إخواننا من أعضاء ملتقي أهل الحديث .

تقسيم نظري علمي، ولهَذَا يقسمه بعض إلى أهل العِلم إلى : توحيد المعرفة والإثبات وتوحيد القصد والطلب، والبعض الآخر إلى : توحيد ربوبية وتوحيد ألوهية وتوحيد أسماء وصفات . لكن ينتبه إلى أن كثيرا من المبتدعة أنكروا ذلك؛ لترويج بدعهم وشركهم) وكلامه صحيح موَافَقَ لكلام كبار العُلَمَاء غير مخالف لعموم الأدلة .

[1] أحد إخواننا من أعضاء ملتقى أهل الحديث .

فصل في الرد علي من اشتد نكيره علي قول القائل باصطِلَاحِيَّة التقسيم ورماه بالبدعة .

قَالَ الدُّكتُور عبد الرزاق ابن عبد المحسن البدر : (وقد نبَّه فيه رَحِمَهُ اللَّهُ إلى أنَّ أقسام التَّوحِيد الثلاثة مأخوذة بالاستقراء لنصوص القرآن الكريم، وبهَذَا يعلم أن هَذَا التقسيم من الحقائق الشرعية المستمدة من كتاب الله تعالى، وليس أمراً اصطِلَاحِيًّاً أنشأه بعض العُلَمَاء)

وقوله أن أقسام التَّوحِيد مأخوذة بالاستقراء من القرآن والسُّنَّة فصحيح لا خلاف فيه . ولكن يؤخذ عليه قوله : (هَذَا التقسيم من الحقائق الشرعية المستمدة من كتاب الله تعالى، وليس أمراً اصطِلَاحِيًّاً أنشأه بعض العُلَمَاء) أي هَذَا التقسيم مستمد من الحقائق الشرعية المستمدة من الكِتَاب والسُّنَّة ، وليس معناه أن التقسيم ذاته شرعي واجب الاتباع ، فمع أن هَذَا التقسيم منشأه استقراء أدلة الكِتَاب والسُّنَّة - أى أدلة الشرع - فمضمونه حقائق شرعية لا يخالف فيها مسلم ومن زعم مخالفة في مضمونها الشرعي فارق السُّنَّة إن سلم من مفارقة الإسلَام ، ومع كون التقسيم اجتهادي استقرائي بمضمون شرعي فهو اصطلاح أنشأه من اجتهد في تقسيمه وترتيبه ، وعليه فليس هَذَا التقسيم سنة شرعية واجبة الاتباع - في ذات التقسيم وليس في مضمونه - فتنبه .

وزَعْمُ الدُّكتُور عبدالرازق - بأن التقسيم شرعي أي ثابت بهذه اللفاظ في الشرع - يفتقر إلي دليل يسنده أو قول يعضده ، فليس كل من يزعم نسبة شيء إلي الشرع يصدق ، وليس كل من يدعي شرعية مسألة تقبل منه ، وعليه فقول الدُّكتُور متناقض إذ قَالَ (هَذَا التقسيم من الحقائق الشرعية المستمدة من كتاب الله تعالى) ثم قَالَ (وليس أمراً اصطِلَاحِيًّاً أنشأه بعض العُلَمَاء) فَظَنَّ أن بين كونه تقسيم مضمونه شرعي يخالف كونه اصطلاح مبتدع - من حيث اللغة لا الشرع - لم يكن علي عهد النبي صَلَّي اللَّهُ عَلَيهِ وَسَلَّمَ ، وخَلَطَ عَفَا اللَّهُ عَنهُ بين الاثنين ، فأراد دفع ما توهمه فوقع في شَرَكَ .

وليس معني اعتراضنا علي زعمه - وغيره ممن زعم زعمه - أننا ننكر التقسيم أو شيئا من مضمونه ! كلا . بل نحن ننكر عليه إنكاره علي من قَالَ بأن التقسيم اصطِلَاحِيٌ غير مسبوق في القرون الثلاثة المفضلة الأولي ، ولم يكن لنا دليل سوي هذه فكفي بها منقبة لاتباع ما تركنا النبي صَلَّي اللهُ عَلَيهِ وَسَلَّمَ عليه ، وهَدَي الله من زعم أنه هُدِيَ إلي كلمة لم يهتدي إليها من هم أعلم منه بالله وأقوم سبيلا ، بل وأشد من ذلك أن يقع في الناس مُخَطِّئَاً أقاويلهم المَوَافَقَة لِمنهَاج النُّبُوَّة بلا بينة ولا برهان .

ولم يكتف الدُّكتُور علي ما سبق بل وقع في غيره مِن أَهلِ العِلم مبطل لهم وظالم ، فقَالَ : (وبهَذَا يعلم فساد ما قرره مؤلف كتاب "الثوابت والمتغيرات في مسيرة العَمَل الإسلَامي المعاصر" د. صلاح الصاوي حيث يقول (ص : 154) : " فإنَّ هَذَا التقسيم اصطِلَاحِيٌ، الهدف منه تقريب القضية وتنظيم دراستها، كما اصطلح أهل العِلم على أسماء اصطِلَاحِيَّة للعلوم ... وعلى هَذَا فلا مشاحة في الاصطلاح، وليست هناك حدود فاصلة بين ما يدخل في توحيد الرُّبُوبِيَّة، وبين ما يدخل في توحيد الأُلُوهِيَّة، وبين ما يدخل في توحيد الأَسمَاء وَالصِّفَات، بل إنَّ هَذَا التقسيم ابتداءً على هَذَا النحو لم يرد به فيما نعلم آية محكمة أو سنَّة متبعة، والعبرة كما يقولون بالمقاصد والمعاني، وليس بالألفاظ والمباني، هَذَا وإن كان تتابع أهل العِلم على استخدام هَذَا التقسيم واستقراره عبر قرون طويلة يجعله جزءاً من التراث السَّلَفي، فينبغي قبوله على أن لا يكون في ذاته معقد ولاء وبراء".

فجعل أصلحه الله هَذَا التقسيم تقسيماً اصطِلَاحِيَّاً، وليس حقيقة شرعية مأخوذة بالتتبع والاستقراء لنصوص الكِتَاب والسُّنَّة، بل تمادى في الباطل عندما قَالَ: "وليست هناك حدود فاصلة بين ما

يدخل في توحيد الرُّبُوبِيَّة، وبين ما يدخل في توحيد الأُلُوهِيَّة، وبين ما يدخل في توحيد الأَسمَاء وَالصِّفَات".

وإني لأعجب غاية العجب كيف يقول هَذَا من يتصدى لتوجيه مسيرة العَمَل الإسلَامي المعاصر، مع أنَّه في نفسه كما يصرح هنا لا يعرف حدوداً فاصلة بين أنواع التَّوحِيد الثلاثة. وأيّ جناية على مسيرة العَمَل الإسلَامي أشدّ من أن ينشر بين أهل الإسلَام أنَّ أقسام التَّوحِيد ليست من الثوابت، وليست من الأمور التي يعقد عليها الولاء والبراء، وأنَّها لم يرد بها آية محكمة أو سنَّة متبعة، وأنَّه ليس هناك حدود فاصلة بين هذه الأقسام، وأنَّها أمور اصطلح عليها بعض أهل العِلم ولا مشاحة في الاصطلاح.

أليس في هَذَا خلخلة للصف وتوهين للاعتقاد وتقليل من شأن التَّوحِيد فالله المستعان وَهُوَ حسبنا ونعم الوكيل، وفي الكِتَاب المذكور أخطاء عديدة من هَذَا الجنس ليس هَذَا موطن بيانها.)

أقول : والحق كما قَالَ الدُّكتُور صلاح الصاوي فيما قَالَه عاليا ، وقد خالف الصواب في ذلك الدُّكتُور عبدالرزاق وزاد عليه تطاوله علي الشَّيخ الصاوي وظنه به ظنا سيئا نسأل الله أن يصلح حاله .

مبحث في الرد علي الشيخ العباد وبيان مخالفته في رده علي الشيخ الصاوي .

ومما سبق يعلم أن الشيخ عبد الرازق العباد قد وقع في أخطاء لا يقع فيها من هو مثله ، فهو سليل بيت العلم ! كيف ينتقد ما لا وجه فيه لنقد ؟! وها نحن نفند كلماته ونزنها بميزان أهل العلم علي منهج أهل السنة والجماعة ، ورائدنا في ذلك هو الدليل الصحيح بفهم سلف الأمة التي يزعم كل قائل أن فهمه فهمهم .

فقوله - الدُّكتُور عبدالرازق البدر - : (وبِهَذَا يعلم فساد ما قرره) ولا أدري بأي شيء يستشهد ؟!

أيستشهد باجتهاد عالم علي عالم آخر ؟!

أى ، أيستشهد باجتهاد عالم في استقراء الأدلة وجمعها وترتيبها علي نسق غير مسبوق في القرون الفاضلة علي عالم آخر وقف علي حد ما كان في القرون المفضلة ؟!

وعليه فلا يصح استشهاده باجتهاد عالم في مسألة - التقسيم وليس المضمون - شهد العالم بأنها مخترعة بعد القرون المفضلة بتخطئة عالم آخر خالفه فى الرأي فيها ، وليس هَذَا مَنهَج الباحثين المحققين وَهُوَ إلي التهور أقرب .

ومن يسمع رد الشَّيخ عبدالرزاق يظن أن الشَّيخ الصاوي مختلف معه في المضمون ، ولا يتخيل أن شِدَّةَ الأول علي الثاني في مجرد التقسيم فحسب ولا دخل له بالمضمون ، فالشَّيخ الصاوي لا ينكر شيئا من المضمون مطلقا ، بل يؤمن به علي مَنهَج أهل الحديث والسُّنَّة كما هو مشتهر عنه حَفِظَهُ اللهُ ، فإنا لله وإنا إليه راجعون .

ثم إن كلام الشَّيخ الصاوي الذي نقله الدُّكتُور عبدالرازق لا غبار عليه من قبيل ولا دبير ولا مخالفة في كلمة واحدة منه لدليل من الكِتَاب والسُّنَّة ولا لإجماع الأمة في مسألة من المَسَائِل ، ولو كان لسردها الدُّكتُور عبدالرازق مستنصرا بها علي خصمه ولكنه حينما لم يجد دليلا يسنده تطاول عليه ورد كلامه بلا دليل .

وقوله - الدُّكتُور عبدالرازق البدر - : (فجعل أصلحه الله هَذَا التقسيم تقسيماً اصطِلَاحِيّاً، وليس حقيقة شرعية مأخوذة بالتتبع والاستقراء لنصوص الكِتَاب والسُّنَّة) وهَذَا كذب علي الرجل ،

فالرجل قَالَ (بل إنَّ هَذَا التقسيم ابتداءً على هَذَا النحو لم يرد به فيما نعلم آية محكمة أو سنَّة متبعة) وكلامه حق وواضح لا باطل فيه ، فهَذَا التقسيم علي هَذَا الترتيب لم يرد به آية ولا حديث ولا قول صحابي ولا تابعي ، وعليه فهو اجتهاد متأخرين غير مسبوق في صدر الأمة ، وليس معني كلامه أن المضمون الذي يحتويه هَذَا التقسيم مضمون اصطِلَاحِيٌ وغير شرعي !!!! كلا لا يفهم هَذَا من كلامه مطلقا ، ومن فهم هَذَا من كلامه فالعيب في فهمه ، فليتثبت قبل الوقوع في غيره .

وقوله - الدُّكتُور عبدالرازق البدر - : (بل تمادى في الباطل عندما قَالَ: "وليست هناك حدود فاصلة بين ما يدخل في توحيد الرُّبُوبِيَّة، وبين ما يدخل في توحيد الأُلُوهِيَّة، وبين ما يدخل في توحيد الأَسمَاء وَالصِّفَات".) وهذه كلمة عظيمة لا يحسن أن تخرج منك يادكتور ، أن تصف أخا لك - ربما - تعلم جهده في نشر المنهج الذي تتبناه وتعلم مَنهَجه بالتمادي فى الباطل حينما قَالَ حقا صريحا وقولا صحيحا .

فقوله (وليست هناك حدود فاصلة بين ما يدخل في توحيد الرُّبُوبِيَّة، وبين ما يدخل في توحيد الأُلُوهِيَّة، وبين ما يدخل في توحيد الأَسمَاء وَالصِّفَات) معناه أن المسألة الواحدة التي قد يصنفها العالم أنها تابعة لتوحيد الرُّبُوبِيَّة قد يصنفها عالم آخر تابعة لتوحيد الأَسمَاء وَالصِّفَات ، وما قد يصنفها عالم تابعة لتوحيد الأُلُوهِيَّة قد يصنفها عالم آخر تابعة لتوحيد الرُّبُوبِيَّة ، وما قد يصنفها عالم تابعة لتوحيد الأَسمَاء وَالصِّفَات قد يصنفها عالم آخر تابعة لتوحيد الحاكمية وغير ذلك . فمراده أن التَّوحِيد شيء واحد لا يتجزأ عند العَمَل وليس في الأذهان والعقول .

وقوله عفا الله عنه : - (وإني لأعجب غاية العجب كيف يقول هَذَا من يتصدى لتوجيه مسيرة العَمَل الإسلَامي المعاصر) ولا ندري ماذا جني الرجل ؟! هل قال بالكفر أو نطق بالبدعة ؟! أم أنه لمجرد أن خالف ما رسمه الآباء والأجداد صار جاهلا لا يصلح لتوجيه مسيرة العمل الاسلامي ؟!

إن هذا لهو العجب حقا ، حينما يصير الحكم علي مناهج الناس بالهوي ومتابعة اجتهاد الآباء ، بل ورمي الخصم بما ليس فيه مدلسا علي الناس حاله .

وقوله عفا الله عنه : - (مع أنَّه في نفسه كما يصرح هنا لا يعرف حدوداً فاصلة بين أنواع التَّوحِيد الثلاثة.) من التدليس علي الشيخ وإظهاره بثوب الجاهل بأصول الدين والتوحيد ! ولعلي أزعم أن مقصود الشيخ الصاوي ظاهر لا يحتاج إلي بيان ! فالرجل يقصد أن أنواع التوحيد كلها متداخلة مع بعضها لا ينفرد نوع عن نوع ، فمن يؤمن بنوع لا يعد مؤمنا بذلك النوع إلا إذا آمن بالأنواع الأخري ! فإن آمن بكل الأنواع وتنكب نوعا واحدا فأنه لم يعمل شيئا ! وهذا هو التداخل الذي يقصده الشيخ ، وعليه فلا يصح أن يقال أن مشركي العرب آمنوا بنوع دون نوع ! لأن الله الذي قال أنهم آمنوا بنوع كفرهم في ذات الآية في ذلك النوع أيضا والمقصود أنهم آمنوا بألسنتهم وظنوا أنفسهم مؤمنين وليسوا إلا كافرين .

وقوله عفا الله عنه : - (وأيّ جناية على مسيرة العَمَل الإسلَامي أشدّ من أن ينشر بين أهل الإسلَام أنَّ أقسام التَّوحِيد ليست من الثوابت، وليست من الأمور التي يعقد عليها الولاء والبراء، وأنَّها لم يرد بها آية محكمة أو سنَّة متبعة، وأنَّه ليس هناك حدود فاصلة بين هذه الأقسام، وأنَّها أمور اصطلح عليها بعض أهل العِلم ولا مشاحة في الاصطلاح) قول لا يثبت ولا يخلوا من تدليس علي الرجل ، وإلا فالرجل – الدكتور الصاوي - لم يقل أن أقسام التوحيد ليست من ثوابت الدين ! بل قال " التقسيم " ! ومعلوم عند كل ذي لب الفرق بين التقسيم والأقسام ! وإن كان الشيخ الدكتور عبد الرازق البدر يجهل الفرق بين ذات الأقسام الثابتة المكونة للتوحيد والتقسيم الحادث بعد القرن الأول فأيّ جناية على مسيرة العَمَل الإسلَامي أشدّ من أن يتصدر لنقد الأفكار وتقويم

الصحوات من لا يفرق بين هذا وذاك ؟! فإن كان يفرق بينهما ويعرف الفرق فكيف تسول له نفسه التدليس علي الدكتور الصاوي وإظهاره في ثوب المختلف معه في الأقسام لا في التقسيم ؟!

الجناية هي ما تقول به من نشر اجتهاد علماء تلزم به الأمة فيما لم يلزمه الله تعالي ولا رسوله ولا أحدا من الصحابة !

الجناية أن تصور مسألة خلافية اجتهادية علي أنها مسألة إيمان وكفر وولاء وبراء .

الجناية أن يشب شباب الصحوة علي " هكذا وجدنا آباءنا يقولون " !

الجناية أن تدلس علي الرجل وتصور خلافه في التقسم خلاف في الأقسام !

الجناية أن تظهر الرجل مختلف مع أهل السنة في أصول الدين والتوحيد ! وهو ليس كذلك ، بل هو من هو – من الشهرة بمكان – في نشر التوحيد .

الجناية أن تزعم أن الرجل يشيع في الأمة أن ليس هناك آية محكمة ولا سنة متبعة تقول بالتقسيم الذي نقول به ، ثم لا تذكر أنت تلك الآيات والأحاديث وتكتفي بالغمز واللمز .

ولعل الشيخ – عبدالرزاق – لم يدر أن مقالة أخيه – الصاوي – قال بها جمع من أهل العلم !.

قَالَ الشَّيخ عبدالله الفقيه وَفَّقَهُ اللهُ : (ومن ينتقده في جعله ذلك من توحيد الأُلُوهِيَّة، أو في غيره من أنواع التَّوحِيد، أو أنه أضاف نوعا جديداً في التَّوحِيد لم يعرفه السَّلَف، فما أصاب في انتقاده، لأن تقسيم التَّوحِيد إلى الأنواع المعروفة تقسيم علمي غير توقيفي، والخلاف فيه خلاف في طرق البيان لافي المضمون والمقتضى، فمن آمن بالله رباً، وجب أن يؤمن به سيدا وحكماً، لأن هَذَا من معاني اسم الرب سُبْحَانَهُ ، ومن آمن بالله إلهاً لا إله غيره، وجب عليه أن يعتقد أنه سُبْحَانَهُ له الأمر وحده، كما له الخلق وحده، ومن آمن بأسماء الله وصفاته، وجب عليه أن يؤمن بأن الله هو

الحكم، وأنه له الحكم، وأنه كما لا شريك له في ملكه، فلا شريك له في حكمه. فإدخال توحيد الحكم في الرُّبُوبِيَّة حق، وإدخاله في الأُلُوهِيَّة حق، وجعله من معاني الإِيمَان بأسماء الله وصفاته حق، وإفراده بتعريف وبيان وجعله باباً من أبواب التَّوحِيد حق، فالتَّوحِيد كله مندرج تحت الإِيمَان بالله، والإِيمَان بالله تندرج تحته مَسَائِل وفصول كثيرة.)

قَالَ الشَّيخ أبوخالد السلمي وَفَّقَهُ الله : (لكن خطأ هؤلاء الذين زادوا هَذَا القسم لا يقتضي تبديعهم والإفراط في النكير عليهم لأنهم قصدوا معاني حَقَّة ، وخطؤهم خطأ اجتهادي في مصطلحات وتقسيمات لا في مضمون هذه المصطلحات والتقسيمات والله أعلم .) .

وقَالَ الشَّيخ عبدالرحمن الفقيه وَفَّقَهُ الله : (وبالنسبة لتقسيم التَّوحِيد إلى أربعة أقسام ، فقد قَالَ به بعض مشايخنا ، ولكنه خلاف الصواب ، والصحيح أن التَّوحِيد ينقسم إلى قسمين أو ثلاثة) فبين الشَّيخ أن مبدأ التقسيم اصطِلَاحِيٌّ اجتهادي ، يسوغ الاجتهاد فيه بضابط أن لا يخرج عن المضمون الشرعي .

وقَالَ الشَّيخ رضا أحمد صمدي وَفَّقَهُ الله : (وعند الكلام عن الاصطلاح فدلالات الألفاظ والجمل تتسع وتنعدم المشاحة بين أهل العِلمِ.. والمنتظر ألا تكون الفروق الاصطِلَاحِيَّة مقدسة بحيث تكون في حين من الأحيان شعارا من شعارات أهل السُّنَّة نوالي ونعادي عليها ، فمن نقص فيها أو زاد صار مِن أَهلِ البدع ؟؟؟ هَذَا ليس بسديد..) [1]

وأضرب مثالا : أنك حينما تتحاكم إلي محاكم بشرية بقوانين وضعية قد وقعت في شرك ، فهل ياترى هَذَا الشرك شرك فى الأُلُوهِيَّة أم في الرُّبُوبِيَّة أم في الأَسمَاء وَالصِّفَات ؟! وهَذَا ما يقصده الشَّيخ

[1] في رد علي موضوع (الفروق بين توحيد الرُّبُوبِيَّة والأُلُوهِيَّة) للشيخ عبدالله زقيل ، منشورا علي ملتقي أهل الحديث .

جزاه الله خيرا . فمسألة كهذه لا تستطيع تصنيفها إلي قسم من أقسام التَّوحِيد الثلاثة قولا واحدا ، بل فيها اقوال وردود ولكل قول حجته .

فبعض العُلَمَاء يقول أنك وقعت في شرك الرُّبُوبِيَّة لأن حق التشريع لله تَعَالَي وحده وهي من الرُّبُوبِيَّة لأنها من فعل الرب تبارك وتَعَالَي وإن اعتقدت صحة تشريع القاضى المخالف لتشريع لله فقد أشركت بالرُّبُوبِيّة وصرفت حق التشريع لغير الله ، وبعضهم يقول أنك وقعت في شرك الأُلُوهِيَّة لأن التحاكم لا يكون إلا إلي الله تَعَالَي ورسوله ومن يحكم بحكمها فكونك تتحاكم لغير هَذَا فقد صرفت فعلك الواجب الصرف لله تَعَالَي إلي غيره وَهُوَ شرك في الأُلُوهِيَّة ، وبعضهم يقول إنك وقعت في شرك الأَسَمَاء وَالصِّفَات لأنك بتحاكمك إلي من يضاهىء الله تَعَالَي في التشريع قد قدحت في صفات الله تَعَالَي القاضية بأنه الحكم والعدل والرب والإله والخبير والعليم وغير ذلك من صفاته وبعضهم يقول إنك وقعت في أنواع الشرك الثلاثة معا ، ولكل وجهة هو موليها ، فلا مشاحة في ذلك كله ، ولكن الحكم الشرعي أنك وقعت في الشرك ويَجِبُ عليك تجريد التَّوحِيد لرب العبيد سُبْحَانَهُ وَتَعَالَي .

قَالَ الشَّيخ أبوخالد السلمي وَفَّقَهُ اللهُ في معرض بيان اندراج شرك الحاكمية في أنواع الشرك المشهورة : (شرك الحاكمية مندرج في شرك الرُّبُوبِيَّة لأنه اعتقاد مدبر غير الله ، و هو شرك في الأسماء و الصفات لأنه اعتقاد شريك لله في اسمه الحكم وفي صفة الحكم ، و شرك في الأُلُوهِيَّة لأنه صرف لعبادة الطاعة و التحاكم إلى شرع الله عن الله تعالى إلى غيره)

وهناك ما قررته انت وخطته يداك - يادكتور عبدالرازق - قبل صفحات في رسالتك هذه قولك : (تقسيم التَّوحِيد إلى ثلاثة أقسام: توحيد الرُّبُوبِيَّة وتوحيد الأُلُوهِيَّة وتوحيد الأَسَمَاء وَالصِّفَات، أو إلى قسمين: توحيد معرفة وإثبات وَهُوَ توحيد الرُّبُوبِيَّة وتوحيد الأَسَمَاء وَالصِّفَات، وتوحيد إرادة وطلب وَهُوَ توحيد الأُلُوهِيَّة) أليس اختلاف العُلَمَاء في استقرائهم هَذَا يدل دلالة واضحة علي

أن الأمر اصطِلَاحِيٌ ، وإلا لو كان أمرا محكما لما كان هناك هذا الاختلاف ! وما يصطلح عليه جملة من العُلَمَاء ربما لا يصطلح عليه غيرهم - طبعا - مع اتفاق الكل في المضمون ؟! بلي ، ثم إنك بقولك السابق أثبت ما قَالَه الدُّكتُور الصاوي (وليست هناك حدود فاصلة بين ما يدخل في توحيد الرُّبُوبِيَّة، وبين ما يدخل في توحيد الأُلُوهِيَّة، وبين ما يدخل في توحيد الأَسمَاء وَالصِّفَات) فنقلت حدودا فاصلة بين أنواع التَّوحِيد لجملة من العُلَمَاء ثم نقلت بعدها حدودا فاصلة بين أنواع اخري وتقسيمات اخري . فافهم ذلك - أيها القارىء - بارك الله فيك .

وأما قوله - أي الدُّكتُور عبدالرازق البدر - : (وإني لأعجب غاية العجب كيف يقول هَذَا من يتصدى لتوجيه مسيرة العَمَل الإسلَامي المعاصر، مع أنَّه في نفسه كما يصرح هنا لا يعرف حدوداً فاصلة بين أنواع التَّوحِيد الثلاثة. وأيّ جناية على مسيرة العَمَل الإسلَامي أشدّ من أن ينشر بين أهل الإسلَام أنَّ أقسام التَّوحِيد ليست من الثوابت، وليست من الأمور التي يعقد عليها الولاء والبراء، وأنَّها لم يرد بها آية محكمة أو سنَّة متبعة، وأنَّه ليس هناك حدود فاصلة بين هذه الأقسام، وأنَّها أمور اصطلح عليها بعض أهل العِلم ولا مشاحة في الاصطلاح.) فغلط محض وعارٍ عنِ الدليل فضلا عما فيه من الكذب علي الرجل والتدليس علي الناس ، ويطفح منه التعصب لاجتهاد بعض العُلَمَاء ، فحَرِيٌّ بك - يادكتور - أن تكون منصفا وقَّافَا عند حدود ما ثبت به الشرع وما كان بعد ذلك من أقوال العُلَمَاء تنزله منزلته ولا تجعله دينا توالي وتعادي عليه ، إذ لا يحل لك أن توالي أوتعادي علي كلام أحد إلا كلام الله تَعَالَي ورسوله صَلَّي اللهُ عَلَيهِ وَسَلَّمَ ولا يحل لك أن توالي أوتعادي علي شخص إلا سول الله صَلَّي اللهُ عَلَيهِ وَسَلَّمَ .

فالرجل يتكلم عن التقسيم ومنشأه ، ثم جئت أنت تتكلم عن الأقسام ذاتها ، والمتبادر للذهن مضمونها ! ولا شك أن من يقصد ما تقوله ويتعمده يخرج من الإسلَام نهائيا ، لأن الأقسام من

أصول الإسلَام ومن زعم أنها ليست من الثوابت أو يَجُوزُ تركها فإنه يقصد أنه يَجُوزُ ترك التَّوحِيد بالكلية ، وهَذَا كفر بالله العظيم .

ثم تطاولك مرات ومرات علي الرجل يسقطك من مرتبتك العالية - حفظك الله - ! التي أنزلكها الله في قلوب محبيك وإخوانك ، فأين أنت من اللتماس أحسن المحامل لكلام أخيك ولا يخلوا من محمل حسن ، بل ما بالغتُ إن قلت إن كلامه لا يحتمل محملا سيئا .

فمن أين فهمت أنه لا يعرف حدودا فاصلة حين قولك (مع أنَّه في نفسه كما يصرح هنا لا يعرف حدوداً فاصلة بين أنواع التَّوحِيد الثلاثة) ؟!

ثم إن الرجل قَالَ لا توجد حدود فاصلة بين ما يدخل في توحيد الرُّبُوبِيَّة أو الأُلُوهِيَّة أو الأَسمَاء وَالصِّفَات ، وقد بينا لك هَذَا في مثال ، وغيره أمثلة كثيرة .

وإنني سأكرر كلمتك التي اشمأز مِنهَا قلبك وردتها نفسك ولم يألفها هواك بأنه لا جناية على مسيرة العَمَل الإسلَامي من أن ينشر بين أهل الإسلَام أنَّ أقسام التَّوحِيد ليست من الثوابت، بل هو الحق الذي يَجِبُ أن يعلمه المسلمون وأن يفهموا أن هَذَا التقسيم اجتهادي من العُلَمَاء وليس من الكِتَاب والسُّنَّة مع التأكيد علي صحة المضمون وموَافَقَته للشرع ، فإن كنت تري في كلامي هَذَا مخالفة فبيّنها بالدليل من الكِتَاب والسُّنَّة علي وجوب الأخذ بتقسيمك وإلا فلا قيمة لكلام خالف السُّنَّة ولا كرامة - ما دمت فتحت باب الصراحة في الحق - لمن لم يقم للكتاب والسُّنَّة وزنا وأعمل هواه وتعصب لبشر غير معصوم ، وأقول : ليست من الأمور التي يعقد عليها الولاء والبراء بمعني أنك لا يحل لك أن توالي من يقبل هَذَا التقسيم وتعادي من يرده من المسلمين المُؤمِنِين المستكملين التَّوحِيد ، وأنَّها لم يرد بها آية محكمة أو سنَّة متبعة وإن كابرت في ذلك فاثبت بآية واحدة أو بحديث واحد يقول بأن التَّوحِيد ثلاثة أقسام أو قسمين أو أربعة أقسام هم كذا وكذا

وكذا وإن لم تستطع وجب عليك الاعتذار لأخيك قبل أن ترجوا الاعتذار يوم لا ينفعك عذر ، وأقول : أنَّه ليس هناك حدود فاصلة بين هذه الأقسام علي أرض الواقع فالتَّوحِيد كل لا يتجزأ عمليا -كما قيل " توحيد الله بكل معانيه وأقسامه هو قضية واحدة " [1] - أما في العقل فلا يترتب عليه عمل ، وأقول بأنَّها أمور اصطلح عليها بعض أهل العِلمِ في بعض القرون حسب أفهامهم أو أحوال أهل زمانهم ولا مشاحة في الاصطلاح ما لم يخالف كتاب الله تَعَالَي وسنة نبيه صَلَّي اللهُ عَلَيهِ وَسَلَّمَ . وليس في هَذَا خلخلة للصف أبدا ولا توهين للاعتقاد أو تقليل من شأن التَّوحِيد وإن ظننت ذلك فبعض ظنك إثم . وخذ صريح كلامي ولا تلزمني بما لم أقل به .

مبحث في بيان ما في كلام الشيخ الفوزان من مخالفة .

ومما سبق يُعلم ما في كلام الشَّيخ صالح الفوزان حَفِظَهُ اللهُ من مخالفة لمَنهَج أهل السُّنَّة حين رمي إخوانه مِن أَهلِ العِلمِ بمخالفة مَنهَج أهل السُّنَّة ، حيث قَالَ تحت عنوان " الخطأ في تقسيم التَّوحِيد " : (ومن المعاصرين من يقسم التَّوحِيد إلى أربعة أقسام، فيقول : التَّوحِيد أربعة أنواع : توحيد الرُّبُوبِيَّة، وتوحيد الأُلُوهِيَّة، وتوحيد الأَسمَاء وَالصِّفَات، وتوحيد الحاكمية . ويستند في هَذَا إلى أن التقسيم اصطِلَاحِيٌ، وليس توقيفيًا، فلا مانع من الزيادة على الثلاثة .

ويقَالَ لهَذَا : ليس التقسيم اصطِلَاحِيًا، وإنما يرجع في التقسيم إلى الكِتَاب والسُّنَّة . والسَّلَف حينما قسموا التَّوحِيد إلى ثلاثة أقسام استقرءوها من الكِتَاب والسُّنَّة .

... - ثم قَالَ - ... ومنهم من يزيد على الأقسام الأربعة قسمًا خامسًا ويسميه : اتباع الرسول -صَلَّي اللهُ عَلَيهِ وَسَلَّمَ- . وهَذَا غلط .

... - وقَالَ - ... <u>هذه أقوال المخالفين لأهل السُّنَّة</u> في تقسيم التَّوحِيد وهم بين مفرط ومفرط .

---

[1] رسالة (أقسام التَّوحِيد، الاصطلاح والمضمون) للشيخ عبدالرحمن عبدالخَالِق حَفِظَهُ اللهُ .

المُفرِط هو : الذي زاد على تقسيم التَّوحِيد إلى ثلاثة أقسام .

والمفرّط هو : الذي اقتصر على نوع واحد وأهمل البقية؛ بل أهمل الأهم، الذي هو المطلوب، وَهُوَ توحيد الأُلُوهِيَّة .) [1]

فقوله - وَفَّقَهُ اللهُ - (والسَّلَف حينما قسموا التَّوحِيد إلى ثلاثة أقسام استقرءوها من الكِتَاب والسُّنَّة .) يرد علي قوله قبله (ليس التقسيم اصطِلَاحِيًا، وإنما يرجع في التقسيم إلى الكِتَاب والسُّنَّة .) لأنه اصطلاح استقرائي كما صرح هو بذلك . وعليه فما استقرأه من رغبت من العُلَمَاء واستسغته استقرأ عُلَمَاء أخر غيرهم واستساغه من أحب ولهم تبع ، فالانصاف مطلوب ووضع الشيء في محله ونصابه دين يدان به .

وكان كافيه أن يرد ما لم يعجبه من تلك الاصطلاحات ويرجح غيرها بغير رمي لإخوانه بالمخالفة لمَنهَج أهل السُّنَّة - قلت ولازم كلامه كما هو بين وظاهر : أي المبتدعة في هذه المسألة أو الموَافقَين لأهل البدع - وقد عُلِم من العُلَمَاء أن مخالفتهم في الإصطلاح دون المضمون ، كما هو مشتهر .

---

1 (أهمية التَّوحِيد في القرآن الكريم) للشيخ الدكتور صالح الفوزان ، وتمام كلامه : (ومن المعاصرين من يقسم التَّوحِيد إلى أربعة أقسام، فيقول : التَّوحِيد أربعة أنواع : توحيد الرُّبُوبِيَّة، وتوحيد الأُلُوهِيَّة، وتوحيد الأسماء والصفات، وتوحيد الحاكمية . ويستند في هَذَا إلى أن التقسيم اصطلاحي، وليس توقيفيًا، فلا مانع من الزيادة على الثلاثة .

ويقال لهَذَا : ليس التقسيم اصطلاحيًا، وإنما يرجع في التقسيم إلى الكِتَاب والسُّنَّة . والسَّلَف حينما قسموا التَّوحِيد إلى ثلاثة أقسام استقرءوها من الكِتَاب والسُّنَّة .

أما الحاكمية فهي حق . يَجِبُ أن يكون التحاكم إلى شرع الله عز وجل، لكن هَذَا داخل في توحيد العبادة لأنه " طاعة الله عز وجل " ، السَّلَف ما أهملوا توحيد الحاكمية حتى يأتي واحد متأخر فيضيفه، بل هو عندهم داخل في توحيد العبادة " توحيد الأُلُوهِيَّة " ! لأن من عبادة الله جل وعلا طاعته بتحكيم شرعه، فلا يجعل قسمًا مستقلاً . وإلا لزم من ذلك أن تجعل الصلاة قسمًا من أقسام التَّوحِيد، وتجعل الزكاة قسمًا، والصيام قسمًا، والحج قسمًا، وكل أنواع العبادة أقسامًا للتوحيد، ويجعل التَّوحِيد أقسامًا لا نهاية لها ! وهَذَا غلط . بل أنواع العبادة كلها تندرج تحت قسم واحد وَهُوَ توحيد الأُلُوهِيَّة، فإنه جامع لها مانع من دخول غيرها معها .

ومنهم من يزيد على الأقسام الأربعة قسمًا خامسًا ويسميه : اتباع الرسول -صَلَّي اللهُ عَلَيهِ وَسَلَّمَ- . وهَذَا غلط . فاتباع الرسول -صَلَّي اللهُ عَلَيهِ وَسَلَّمَ- حق ولا بد منه، لكن اتباع الرسول -صَلَّي اللهُ عَلَيهِ وَسَلَّمَ- من لوازم التَّوحِيد، ولذلك لا تصح شهادة : أن لا إله إلا الله، إلا بشهادة أن مُحَمَّدا رسول الله .

فمن لازم الشهادة لله بالتَّوحِيد الشهادة للرسول -صَلَّي اللهُ عَلَيهِ وَسَلَّمَ- بالرسالة، وهَذَا من لوازم التَّوحِيد وليس قسمًا مستقلاً من أقسام التَّوحِيد . ومخالف التَّوحِيد يقال له مشرك أو كافر . ومخالف المتابعة يكون مبتدعًا .

هذه أقوال المخالفين لأهل السُّنَّة في تقسيم التَّوحِيد وهم بين مفرط ومفرط .

المُفرِط هو : الذي زاد على تقسيم التَّوحِيد إلى ثلاثة أقسام .

والمفرِّط هو : الذي اقتصر على نوع واحد وأهمل البقية؛ بل أهمل الأهم، الذي هو المطلوب، وَهُوَ توحيد الأُلُوهِيَّة .

أما توحيد الرُّبُوبِيَّة، فجميع الأمم مقرة به، لم ينكره إلا شذاذ من الخلق، أنكروه تكبرًا وعنادًا مع اعترافهم به في قرارة أنفسهم . فجميع الخلق مقرون بأن الله هو الخَالِق الرازق المحي المميت المدبر، لكن ليس هَذَا هو التَّوحِيد المطلوب .)

قَالَ الشَّيخ عبدالكريم الخضير حَفِظَهُ اللهُ رادا علي من يرمي مخالفه في التقسيم الاصطِلَاحِيّ للتوحيد بالبدعة : (والصحيح أنه لابأس بأن نضيف توحيد الحاكمية ، ولا يقَالَ عنه مبتدع ، والتبديع فيه خطأ ،لأن الذين قسموا التَّوحِيد تقسيماً ثنائيا فجاء من قسمة ثلاثياً فإذاً هو مبتدع على هَذَا القول !. وهناك مِن أَهلِ العِلمِ من قسم التَّوحِيد تقسيماً خماسياً وأضاف توحيد الإتباع فهل هَذَا مبتدع أيضاً !، والقاعدة أنه لا مشاحة في الاصطلاح إذا كان صحيحاً ، ولو اقتضى الواقع إبراز توحيد معين والاهتمام به وجعله قسماً مستقلاً وإن كان داخلاً في الأقسام قبله فلا مانع وهَذَا له نظائر كثيرة) وقَالَ (لكن من الخطأ تخطئة من قَالَ قولا صحيحا هو ضمن كلام من سبقه بناء على مقررات سابقة ومقاصد فاسدة ، والله أعلم .)

وقَالَ الدُّكتُور أحمد ابن عبد الكريم نجيب حَفِظَهُ اللهُ : (و إذا تقرر وجوب إفراد الله بالتحكيم و أن من الكفر الأكبر أن يُشرَكَ في حكمه أحدٌ من خلقه سواءً كان ملكاً أو رئيساً أو سلطاناً أو زعيماً أو مجلساً تشريعياً أو سلطةً مدنية أو عسكرية أو فرداً من العامة أو الخاصة أو غير ذلك ، و أن ذلك مما أجمعت عليه الأمة ، و لا يسوغ لأحد أن يخالف أو يجادل فيه ، فلن يكون للخلاف حول إطلاق مصطلح (توحيد الحاكمية) أو عدمه أثر في الواقع ، و لا داعي للانشغال بتقرير هَذَا التَّوحِيد كقسمٍ رابع من أقسام التَّوحِيد المعروفة ، أو رده إلى الأقسام الأخرى ، و خاصة توحيد الرُّبُوبِيَّة و توحيد الأُلُوهِيَّة .

بل يَجِبُ أن يبقى الأمر في دائرة المصطلحات السائغة التي لا مشاحة فيها لأحد ، مع التسليم بجدوى التقسيم إذا كان فيه مصلحة معتبرة لطالب العِلمِ كتسهيل دراسته و تحصيله ، أو لضرورة تنبيه الناس إلى ما غاب عنهم أو انشغلوا عنه بغيره من أبواب العِلمِ و العَمَل .

فإن أبى من جمد على تقسيم التَّوحِيد إلى ثلاثة أقسام إلا أن يبدّع من خالفه في هَذَا التقسيم و يغمز قناته بإطلاق لسانه بثلبه أو نبذه بالتحزب و الخروج و نحو ذلك ؛ قلنا له : من أين لك أن تقسيم التَّوحِيد إلى قسمين أو ثلاثة مرده إلى الكِتَاب أو السُّنَّة أو هدي سلف الأمة ؟

أما إن اعتُرِض على توحيد الحاكمية كاصطلاح و ليس على مجرد التقسيم إلى قسمين أو ثلاثة أو أربعة أو أكثر أو أقل ، فيقَالَ للمعترض : إن الدعوة إلى إفراد الله تَعَالَى و رسوله صَلَّي اللهُ عَلَيهِ وَسَلَّمَ بالحكم ليس مما ابتدعه المعاصرون بل هو من القدم بمكان .

قَالَ ابن أبي العزّ الحنفي رَحِمَهُ اللهُ في معرِض ذِكرِ ما يَجِبُ على الأمّة تجاه نبيّها صَلَّي اللهُ عَلَيهِ وَسَلَّمَ : " فنوحّده بالتحكيم و التسليم و الانقياد و الإذعان ، كما نوحّد المرسِلَ بالعبادة و الخضوع و الذلّ و الإنابة و التوكّل ، فهما توحيدان ، لا نجاة للعبد من عذاب الله إلا بهما : توحيد المرسِل ، و توحيد متابعة الرسول ، فلا نحاكم إلى غيره ، و لا نرضى بحُكم غيره "[1] .

فإن شغب علينا من يقول : إن الإمَام الطحاوي رَحِمَهُ اللهُ ذكر توحيد الرسول بالتحكيم و لم يكن حديثه عن توحيد الله .

قلنا : و هل ثمة فرق بين تحكيم الله و تحكيم رسوله الذي لا ينطق عن الهوى ؟

و إن قيل : إن الكلام عن الطاعة و التسليم و الانقياد و ليس عن التحكيم بمعناه المستخدم عند المعاصرين و هو التحكيم في التشريع !

قلنا : أوليس ردّ التشريع إلى الله تعالى من صميم التسليم و الانقياد و الإذعان للشارع الحكيم سُبْحَانَهُ ؟!

بل هو من أدق مَسَائِل التَّوحِيد في الرُّبُوبِيَّة التي تثبت لله دون سواه الحق في التشريع ، و في الرُّبُوبِيَّة التي توجب صرف هَذَا الحق لله تعالى على الإفراد و التَّوحِيد ؛ كما هو مقرر في كتب

[1] [في شرح الطحاوية ، ص : 200]

أصول الدين ، و الموفق من وَفَّقَهُ اللّهُ لفهم كلام السَّلَف ، و نهج نهجهم ، و سلوك سبيلهم ، على ما كانوا عليه ، لا على ما قد يتوهمه بعض الخلف ، و ينسبونه إلى السَّلَف ظناً منهم أو زعماً أنه مَنهَج السَّلَف الصالح رضوان الله عليهم .) [1]

ولا يخفي خطأ كلمة ألقاها بعض الإخوة من غير تحسب لمضمونها ولتبعاتها ، حيث قَالَ منكرا علي من يخالف في التقسيم الاصطِلَاحِيّ للتوحيد : (ولا بد أن يعلم أن من يرد ويعترض على التقسيم فإنما يرد على الله جل في علاه .. لأن الله هو الذي قسم هَذَا التقسيم في كتابه) [2] فأني للقائل بهَذَا الدليل الذي ادعاه ؟! فلما نوقش في المسألة سرد دليله وَهُوَ (أما قولك [3] أنه لم ينص عليه النبي صَلَّي اللّهُ عَلَيهِ وَسَلَّمَ ولا الصَّحَابَة ولا التابعين بـلا نـــزاع .. فهَذَا مما لا يسلم لك به .. فقد روى ابن جرير الطبري رَحِمَهُ اللّهُ اثر ابن عباس المشهور رَضِيَ اللّهُ عَنهُ في معنى " الله " : قَالَ ذو الأُلُوهِيَّة والمعبودية على خلقه أجمعين ..) ظنا منه أن الدليل له وَهُوَ عليه ! فليس في الأثر ذكر لأنواع من التَّوحِيد ، بل الأُلُوهِيَّة والعبودية شيئا واحدا ، فأين التقسيم في الدليل يارجل ؟ ولن يستطيع إن شاء الله .

فأني له بآية واحدة أو حديث واحد يقَالَ فيه (إن التَّوحِيد ثلاثة أقسام ، أو قسمين) ؟! فإن قدر علي ذلك فأنوفنا مرغمة بقبوله ، وإن عجز فقد أورد نفسه المهالك ورمي إخوانه بطامة هم مِنهَا براء . فليتنبه طالب العِلم إلي مزلات اللسان .

وعقب علي ذلك الأخ أبوالعلياء الواحدي[4] وَفَّقَهُ اللّهُ بقوله : (يا أخي . هَذَا أثر ضعيف باتفاق . ثم هو ـ لو صح ـ لا يدل الا على جزء من المطلوب الذي هو توحيد الأُلُوهِيَّة).

---

[1] من موضوع " التَّوحِيد في الحاكمية " من صفحة الشَّيخ علي موقع صيد الفوائد .

[2] قال ذلك الأخ أنس مُحَمَّد دركل عَفَا اللّهُ عَنهُ ، احد أعضاء ملتقي أهل الحديث .

[3] المتكلم يقصد الأخ عمرو بسيوني وَفَّقَهُ اللّهُ .

[4] أحد إخواننا أعضاء ملتقى أهل الحديث .

قَالَ الأخ عمرو بسيوني وَفَّقَهُ اللهُ ردا علي ما سبق ذكره : (المبحث ليس في دليل الأقسام كما تفضلت ، بل في أدلة التقسيم نفسه أهي النص أم النظر ؟ لأنه لو قيل الدليل هو النص لم يسع أحدا مخالفة التقسيم ولو في العبارة ، كما لا يسع أحدا أن يسمي الصلاة بغير اسمها ، أما لو كان النظر ومنه الاستقراء فإن الأمر يتسع عن ذلك ، رغم كون الدليل في الحالين (النص أو النظر) حجة كما ذكرنا لتطابق الدليل على المستدل عليه .)

وخلاصة القول أن نزاعنا لإرجاع المسألة إلي الإباحة ، فلا إلي هؤلاء ولا إلي هؤلاء ، فمن يقول بالتقسيم فجائز ولا مشاحة في الاصطلاح ما لم يقصد معني لم يرد في الكِتَاب والسُّنَّة ، ومن لم يقل به فعلي الأصل وقف ولا بأس به ما دام اتبع مِنهَاج السَّلَف ولم يخالف كتابا ولا سنة ، وناهيك عن أهل الضلال والبدع الذين يأخذون من هَذَا الكلام ستارا لنشر بدعهم وترويجها ! فهؤلاء لا علاقة لهم بموضوعنا وإن قَالَوا ببعض قولنا فإنا نبرأ إلي الله من كل مخالفة تعمدوها أو أخطئوا حقا طلبوه فأخطئوه ولم يرجعوا إلي الحق بعدما تبين لهم . والله الموفق والمستعان .

فصل في الرد علي من ضلل أو وبدع من زاد قسما رابعا أو خامسا للتوحيد .

ومن الخطأ البين ما يقع فيه بعض أهل العِلم من تضليل وتبديع من خالف في أمر اصطِلَاحِيٌ متفق علي مضمونه ومعناه ، فليس من الحق أبدا أن يُبدع رجل لأنه اجتهد في تقسيم التَّوحِيد فزاد عليه قسما أو أفرد مسألة منه في قسم ،لأن أصل الباب اجتهادي محض ، وإن كانت أصوله مستمدة من الكِتَاب والسُّنَّة فإن التقسيم غير ثابت في الكِتَاب والسُّنَّة ، وإن اختلف المختلفون فالأولي أن يقف الجميع علي الأصل الذي تركنا عليه النبي صَلَّي اللهُ عَلَيهِ وَسَلَّمَ فلا يزيدوا حرفا ولا ينقصوا حرفا ، ولا يقسموا ما لم يقسمه ربنا في كتابه ولا رسوله في سنته وإن قسموا فليلتزموا بالألفاظ الواردة ، خروجا من الخلاف العقيم الذي لا طائل من وراءه .

ومن أوجه ما قيل فى الانصاف ووضع الشىء فى محله ما ذكره شيخ الإسلَام ابن القيم رَحِمَهُ اللهُ : (ومن ذا الذي يكون قوله كله سديدا وعمله كله صوابا وهل ذلك إلا المعصوم الذي لا ينطق عن الهوى ونطقه وحي يوحى فما صح عنه فهو نقل مصدق عن قائل معصوم وما جاء عن غيره فثبوت الأمرين فيه معدوم فإن صح النقل لم يكن القائل معصوما وإن لم يصح لم يكن وصوله إليه معلوما) [1] وكذلك ما قَالَه شيخ الإسلَام ابن تيمية رَحِمَهُ اللهُ : (وهكذا يصيب أصحاب المقَالَات المختلفة إذا كان كل منهم يعتقد أن الحق معه وأنه على السُّنَّة فإن أكثرهم قد صار لهم في ذلك هوى أن ينتصر جاههم أو رياستهم وما نسب إليهم لا يقصدون أن تكون كلمة الله هي العليا وأن يكون الدين كله لله بل يغضبون على من خالفهم وإن كان مجتهدا معذورا لا يغضب الله عليه ويرضون عمن يوَافِقَهم وإن كان جاهلا سيىء القصد ليس له علم ولا حسن قصد فيفضي هَذَا إلى أن يحمدوا من لم يحمده الله ورسوله ويذموا من لم يذمه الله ورسوله وتصير موالاتهم ومعاداتهم على أهواء أنفسهم لا على دين الله ورسوله وهَذَا حال الكفار الذين لا يطلبون إلا أهواءهم ويقولون هَذَا صديقنا وهَذَا عدونا

[1] روضة المحبين ونزهة المشتاقين لابن القيم رَحِمَهُ اللهُ (15) .

وبلغة المغل هَذَا بال هَذَا باغي لا ينظرون إلى موالاة الله ورسوله ومعاداة الله ورسوله ومن هنا تنشأ الفتن بين الناس) [1] وقَالَ ابن القيم رَحِمَهُ اللهُ : (معرفة فضل أئمة الإسلَام ومقاديرهم وحقوقهم ومراتبهم وأن فضلهم وعلمهم ونصحهم لله ورسوله لا يوجب قبول كل ما قَالَوه وما وقع في فتاويهم من المَسَائِل التي خفى عليهم فيها ما جاء به الرسول فقَالَوا بمبلغ علمهم والحق في خلافها لا يوجب اطراح أقوالهم جملة وتنقصهم والوقيعة فيهم فهَذَان طرفان جائران عن القصد وقصد السبيل بينهما فلا نؤثم ولا نعصم ولانسلك بهم مسلك الرافضة في علي ولا مسلكهم في الشَّيخين بل نسلك مسلكهم أنفسهم فيمن قبلهم من الصَّحَابَة فإنهم لا يؤثمونهم ولا يعصمونهم ولا يقبلون كل أقوالهم ولا يهدرونها فكيف ينكرون علينا في الأئمة الأربعة مسلكا يسلكونه هم في الخلفاء الأربعة وسائر الصَّحَابَة ولا منافاة بين هذين الأمرين لمن شرح الله صدره للأسلام وإنما يتنافيان عند أحد رجلين جاهل بمقدار الأئمة وفضلهم أو جاهل بحقيقة الشريعة التي بعث الله بها رسوله ومن له علم بالشرع والواقع يعلم قطعا أن الرجل الجليل الذي له في الإسلَام قدم صالح وآثار حسنة وَهُوَ من الإسلَام وأهله بمكان قد تكون منه الهفوة والزلة هو فيها معذور بل ومأجور لاجتهاده فلا يَجُوزُ أن يتبع فيها ولايَجُوزُ أن تهدر مكانته وإمامته ومنزلته من قلوب المسلمين) [2] فعلمنا من مَنهَج السَّلَف رَحِمَهُم اللهُ أن توضع كل مسألة فى نصابها وأن لا يرفع العالم فوق منزلته التي أنزله الله تَعَالَي إياها وَهُوَ مِنهَاج النُّبُوَّة والصراط المستقيم الذي كان عليه خير القرون ، وليس هو من باب الوقوع فى العُلَمَاء وإسقاطهم وهضم حقوقهم وأكل لحومهم كما يظن بعض من لا بصيرة عنده . فافهم ذلك يرَحِمَكَ اللهُ .

[1] مِنهَاج السُّنَّة النبوية (5 | 175) لابن تيمية رَحِمَهُ اللهُ .

[2] إعلام الموقعين عن رب العالمين لابن القيم رَحِمَهُ اللهُ بتحقيق طه عبد الرءوف سعد (3 | 283) .

فَصْلٌ فِي ذِكْرِ مكانة الحاكمية في الإسلَام وبيان أنها من أصول التَّوحِيد .

ومما سبق [1] يتبين أن الحاكمية أصل من أصول الإسلَام لا تنفصل عن عقيدة التَّوحِيد قيد أنملة فمن أنكرها أو جحدها أو خالفها متعمدا أو متجاهلا أو مستهينا أو مستحسنا حكم غير الله تَعَالَي فقد كفر، فمن أدخلها في قسم من أقسام التَّوحِيد الثلاثة المشتهرة فلا بأس بذلك كما أوضحنا ، ومن أفردها بقسم رابع أو خامس لعموم البلوي بها في زماننا فلا بأس بذلك أيضا ، وهَذَا من الاصطلاحات الحادثة التي تقرب لِلنَّاسِ المفاهيم وتبين لهم مَسَائِل الشرع والدين ، وليست توقيفية بهَذَا الاسم والرسم ، وعليه فلا يَجُوزُ تبديع المجتهد المخالف في مثل هذه التقسيمات ما لم يتضمن تقسيمه معني شاذا أو إنكارا لمعني ثبت في الشريعة .

وقد تكلم شيخ الإسلَام ابن تيمية رَحِمَهُ اللهُ ، بكلام نفيس في الألفاظ التي اصطلح عليها المتكلمون ولم ترد في الكِتَاب والسُّنَّة، ولا جرت على السُّنَّة سلف الأمة وبيَّن أن العبرة بالمعاني لا بالمباني، وأن الأمور بمقاصدها ومضامينها : فقَالَ : (وهَذَا التقسيم ينبّه أيضًا على مراد السَّلَف والأئمة بذم الكلام وأهله، إذ ذاك متناول لمن استدل بالأدلة الفاسدة، أو استدلّ على المقَالَات الباطلة. فأما من قَالَ الحق الذي أذن الله فيه حكمًا ودليلاً فهو مِن أَهلِ العِلمِ والإِيمَان: {والله يقول الحق وَهُوَ يهدي السبيل} [2]. وأما مخاطبة أهل الاصطلاح باصطلاحاتهم ولغتهم فليس بمكروه إذا احتيج إلى ذلك وكانت المعاني صحيحة... فالسَّلَف والأئمة لم يذموا الكلام لمجرّد ما فيه من الاصطلاحات المولَّدة كلفظ الجوهر والعرض والجسم وغير ذلك، بل لأن المعاني التي يعبرون عنها بهذه العبارات فيها من الباطل المذموم في الأدلة والأحكام ما يَجِبُ النهي عنه، لاشتمال هذه الألفاظ على معان مجملة في النفي والإثبات... فإذا عُرفت المعاني التي يقصدونها بأمثال هذه العبارات، ووزنت بالكِتَاب والسُّنَّة بحيث يثبت بحق الذي أثبته الكِتَاب والسُّنَّة، وينفى الباطل الذي نفاه الكِتَاب والسُّنَّة كان

[1] راجع (فصل فِي ذِكْرِ شرك الجاهلية في الحكم وبيان أنه شرك في الرُّبُوبِيَّة والأُلُوهِيَّة والصفات) في أول البحث .
[2] [الأحزاب: 4] .

ذلك هو الحق، بخلاف ما سلكه أهل الأهواء من التكلم بهذه الألفاظ نفيًا وإثباتًا في الوسائل والمَسَائِل من غير بيان التفصيل والتقسيم الذي هو من الصراط المستقيم، وهَذَا من مثارات الشبه).

قَالَ الشَّيخ عبدالله الفقيه وَفَّقَهُ اللهُ : (ومن ينتقده في جعله ذلك من توحيد الأُلُوهِيَّة، أو في غيره من أنواع التَّوحِيد، أو أنه أضاف نوعا جديداً في التَّوحِيد لم يعرفه السَّلَف، فما أصاب في انتقاده، لأن تقسيم التَّوحِيد إلى الأنواع المعروفة تقسيم علمي غير توقيفي، والخلاف فيه خلاف في طرق البيان لافي المضمون والمقتضى، فمن آمن بالله رباً، وجب أن يؤمن به سيدا وحكماً، لأن هَذَا من معاني اسم الرب سُبْحَانَهُ ، ومن آمن بالله إلهاً لا إله غيره، وجب عليه أن يعتقد أنه سُبْحَانَهُ له الأمر وحده، كما له الخلق وحده، ومن آمن بأسماء الله وصفاته، وجب عليه أن يؤمن بأن الله هو الحكم، وأنه له الحكم، وأنه كما لا شريك له في ملكه، فلا شريك له في حكمه. فإدخال توحيد الحكم في الرُّبُوبِيَّة حق، وإدخاله في الأُلُوهِيَّة حق، وجعله من معاني الإِيمَان بأسماء الله وصفاته حق، وإفراده بتعريف وبيان وجعله باباً من أبواب التَّوحِيد حق، فالتَّوحِيد كله مندرج تحت الإِيمَان بالله، والإِيمَان بالله تندرج تحته مَسَائِل وفصول كثيرة.)

والكلام علي توحيد الحاكمية صنو الكلام علي توحيد المتابعة ، فكليهما وقع حوله خلاف واحتدم النقاش وبدع فريق مِن أَهلِ العِلمِ فريقا ، ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم .

فصل في بيان حمل قول من قال " بإفراد توحيد الحاكمية في قسم منفصل " على وجه مقبول وأن ذلك أولي من رده وتبديع قائله وتضليله ما لم يخالف في مضمون التوحيد .

ونقول لمن ضلل أو بدَّع أو فسق أو تحامل على من زاد قسما رابعا أو خامسا أو سادسا للتوحيد بوجه يراه مقبولا لما دعت له الحاجة في وجهة نظره مستدلا على كلامه بما هو سائغ بين أهل العلم من استدلالات اتق الله ، كان كافيك أيها الشَّيخ أن ترد اجتهاده بوجه تراه أنت فما زال أهل العلم يختلفون فى كل عصر ومصر لا أن تضلله وتبدعه وتقع في نيته ، فطبقا لقواعد أهل العِلمِ أنه لا تظهر مخالفة لهَذَا الذي زاد أقساما ، إلا إذا حرف المعني الذي أراده عما يريده الشرع ، وهنا يقَالَ كلمة حق أريد بها باطل . وكم اختلف العُلَمَاء في مَسَائِل لم يقل فيها أحدهم بتبديع اخيه ؟ بل كان ديدنهم ألا يستقيم أن نكون إخوانا وإن اختلفنا فى مسألة ؟! وهذا هو الجدير بكل من تزي بزي أهل العلم ولبس لبوسهم .

وقد اتفق عقلاء أهل العِلمِ علي أن حمل كلام إخوانهم مِن أَهلِ العِلمِ علي أحسن المحامل أولى وقَالَوا : (حمل قول العالم علي وجه مقبول أولي من رده) وعليه يحملون ما قد يتطرق إليه فهم قبيح من وجه علي أحسن المحامل إعمالا لحسن الظن بالعالم وتحريه الحق واتباعه له .

وإن كان أهل العِلمِ يقبلون من بعض من تلبس بالبدع كثيرا من صحيح أقوالهم ويعتذرون إلي الله من هنات وقع فيها ذاك الجبل الأشم ! أفلا تقبل أنت من عالم سني - أفني شطرا من حياته في الذب عن الدين والسُّنَّة ونشره بين الناس - ما قَالَه قاصدا به الحق متحريا الشرع متحرزا مواطن الزلل وَهُوَ مع كل هَذَا لم يقع في مخالفة إلا أنه خالف اجتهادك أنت أو أحد شيوخك ؟! كلا ما هَذَا بإنصاف .

ومن أوجه ما قيل في رد توحيد الحاكمية : (توحيد الحاكمية ، لا يَجُوزُ إنكاره ، فهو نوع من أنواع التَّوحِيد ، ولكنه داخل في توحيد العبادة بالنسبة للحاكم نفسه كشخص ، أما بالنسبة له فهو يعني : التَّوحِيد، فهو داخل في توحيد الرُّبُوبِيَّة، لأن الحاكم هو الله تعالى .

فيَجِبُ أن يكون الرب المتصرف هو الذي له الحكم فهو يكون داخلاً في توحيد الرُّبُوبِيَّة من حيث الحكم والأمر والنهي والتصرف ، أما من حيث التطبيق والعَمَل فالعبد مكلف باتباع حكم الله فهو من توحيد العبادة من هذه الجهة .

وجعله قسماً رابعاً ليس له وجه ، لأنه داخل في الأقسام الثلاثة ، والتقسيم بلا مقتضى يكون زيادة كلام لا داعي له ، والأمر سهل فيه على كل حال ، إذا جعل قسماً مستقلاً فهو مرادف ، ولا محذور فيه.) فأصل المنصف جزاه الله خيرا المسألة تأصيلا شرعيا وبين وجوب اعتقادها ، ثم ردها بوجه يراه حسنا ، والعِلم عند الله تَعَالَي .

مبحث في مسألة : فإن زعموا أن هَذَا النوع من التَّوحِيد الرابع أو الخامس لم يقل به السَّلَف .

قلنا إن هَذَا التقسيم دليله الاستقراء وَهُوَ أمر اجتهادي لا نصي حتى يقَالَ إن الزيادة عليه بدعة ، وأن العُلَمَاء قد اختلفوا في التقسيم المتفق عليه الذي تزعمه ، فمنهم من جعله تقسيما ثنائيا: وهما توحيد الإثبات والمعرفة وتوحيد القصد والطلب، ومنهم من جعله تقسيما ثلاثيا وَهُوَ توحيد الأُلُوهِيَّة (أو الإلهية) وتوحيد الرُّبُوبِيَّة، وتوحيد الأَسمَاء وَالصِّفَات . ثم يقَالَ لهم: ما الحاجة إلى ذكر توحيد الأَسمَاء وَالصِّفَات وَهُوَ من توحيد الرُّبُوبِيَّة؟ قلنا له : لما ضلت في مسألة الأَسمَاء وَالصِّفَات فئام من الناس وافترقت الأمة فيه ، أفرده العُلَمَاء في قسم منفصل ليتأصل في نفوس الناس وليتميز أهل السُّنَّة بمَنهَجهم عن أهل البدع ، والأمر كذلك في توحيد الحاكمية ، فقد عمت به البلوي في زماننا وصار حكم غير الله شرعا متبعا ، يقهر عليه الناس في بلاد المسلمين قهرا ، وأصبح العامة لا

يفرقون بين حكم الله وحكم المحاكم الوضعية ، فظهر للعُلَمَاء إفراده في قسم ليتجلي لِلنَّاسِ كنهه ولتتأصل في نفوسهم معرفته لتنصلح بعد ذلك عقيدتهم ويصفوا توحيدهم .

مبحث في ذكر مسألة : فإن قَالَوا " قسمنا التَّوحِيد لضرورة التفصيل للحاجة والرد على المخالف في هَذَا الباب " .

فإن قالوا قسمنا التَّوحِيد لهذه الأقسام لضرورة التفصيل وللحاجة الملجئة لذلك من الرد على المخالف في هَذَا الباب يقَالَ لهم: وكذلك يذكر توحيد الحاكمية وغيره ممن يري الزيادة في التقسيم ، فإنه ما ذكر هذا التقسيم إلا لهَذَا السبب ولم يفصله العُلَمَاء في قسم مستقل إلا للضرورة الملجئة لذلك والرد علي من ابتدع ما ليس في دين الله في باب الحاكمية . فالمناط بين التقسيمين واحد ، فلم أجزت التقسيم لك ومنعته عن غيرك ؟!

مبحث في ذكر مسألة : فإن قَالَوا " إن هذه الصيغة ؛ وهي الفاعلية لم ترد في باب الأَسمَاء وَالصِّفَات فليس من أسمائه الحاكم " .

يقَالَ لهم: لا مشاحة في الاصطلاح ما دام يدل على معنى صحيح، ثم إن باب الإخبار أوسع من باب الإثبات. فالله تَعَالَي هو المنعم علي العباد وهَذَا إخبار عن الله تَعَالَي وهي صفة حق لله تَعَالَي ، ولكن لم يثبت اسم " المنعم " لله تعالي ، فنؤمن بالصفة وهي " الإنعام " ولا نثبت الإسم لله لأنه لم يثبت . وكذلك نقول ، كما لم تثبت الفاعلية فى الحاكمية ، فقد ثبت اسم " الحكم " ومن كمال صفات الله الحكم ، وأن لا يحكم إلا هو ! وكما لم تثبت الفعولية في الرُّبُوبِيَّة والأُلُوهِيَّة ! فقد ثبت اسم "رب" و " إله " و "الله " ،فلم جوزت الثاني ورددت الأول ؟! مع أن المعاني كلها مستمدة من الكِتَاب والسُّنَّة وأصولها ظاهرة جلية ؟!

وقد ثبت الحكم لله في غير ما آية وحديث ، وليس المقام مقام بسط في تلك المسألة : -

قال تعالي : - (فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّى يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لَا يَجِدُوا فِي أَنْفُسِهِمْ حَرَجًا مِمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُوا تَسْلِيمًا) [1] وقال تعالي : - (إِنِ الْحُكْمُ إِلَّا لِلَّهِ يَقُصُّ الْحَقَّ وَهُوَ خَيْرُ الْفَاصِلِينَ) [2] ، قال تعالي : - (ثُمَّ رُدُّوا إِلَى اللَّهِ مَوْلَاهُمُ الْحَقِّ أَلَا لَهُ الْحُكْمُ وَهُوَ أَسْرَعُ الْحَاسِبِينَ) [3] ، وقال تعالي : - (مَا تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِهِ إِلَّا أَسْمَاءً سَمَّيْتُمُوهَا أَنْتُمْ وَآبَاؤُكُمْ مَا أَنْزَلَ اللَّهُ بِهَا مِنْ سُلْطَانٍ إِنِ الْحُكْمُ إِلَّا لِلَّهِ أَمَرَ أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا إِيَّاهُ ذَلِكَ الدِّينُ الْقَيِّمُ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ) [4] ، وقال تعالي : - (وَقَالَ يَا بَنِيَّ لَا تَدْخُلُوا مِنْ بَابٍ وَاحِدٍ وَادْخُلُوا مِنْ أَبْوَابٍ مُتَفَرِّقَةٍ وَمَا أُغْنِي عَنْكُمْ مِنَ اللَّهِ مِنْ شَيْءٍ إِنِ الْحُكْمُ إِلَّا لِلَّهِ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَعَلَيْهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُتَوَكِّلُونَ) [5] ، وقال تعالي : - (وَهُوَ اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ لَهُ الْحَمْدُ فِي الْأُولَى وَالْآخِرَةِ وَلَهُ الْحُكْمُ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ) [6] ، وقال تعالي : - (وَلَا تَدْعُ مَعَ اللَّهِ إِلَهًا آخَرَ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ كُلُّ شَيْءٍ هَالِكٌ إِلَّا وَجْهَهُ لَهُ الْحُكْمُ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ) [7]

---

[1] سورة النساء 65 .

[2] سورة الأنعام 57 .

[3] سورة الأنعام 62 .

[4] سورة يوسف 40 .

[5] سورة يوسف 67 .

[6] سورة القصص 70 .

[7] سورة القصص 88 .

فصل في الرد علي من زعم أن انتقاد المخالفات دافِعُهُ انتقاد لذوات العُلَمَاء وأشخاصهم أو بغض لمناهجهم .

ومن العجب أن يظن بعض الإخوة بأن الاستدراك علي عالم من عُلَمَاء المسلمين مناوءة له وإسقاط لعلمه ومحاربة لشخصه أو بغض وكره لمَنهَجه ، فظن البعض - هداهم الله - أن تفصيل تلك المسألة دافعها الغيرة أو الحقد على الشَّيخ مُحَمَّد بن عبد الوهاب لأنه من أشهر من تكلم في ذلك ، ولكن هَذَا الفهم قاصر جدا إن سلم من فساد في الطوية ، إذ لم يتخط موضع حذائه ، فأني لمخلوق أن يطمس نور الله تَعَالَي الذي تكفل جل جلاله بحفظه ، وَهُوَ القائل : (إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ)[1] فإن كان علم الشَّيخ أو غيره من هَذَا الباب - أى مما ثبت وشرعه الله تَعَالَي وليس من كيسه وعقله - فلا خوف عليه لأن الله تَعَالَي حافظه وقد منَّ الله علي الشَّيخ وانتشر علمه ومَنهَجه وظهرت السُّنَّة وتمايزت ولله الحمد والمنة ، وإلا - إن لم يكن علم الشَّيخ من هَذَا الباب- فلا تسكت عن شيء خالف كاتبه فيه الكِتَاب والسُّنَّة - ولا نظن ذلك من هَذَا الباب مطلقا لظهور الأدلة وتكاثرها ووضوح مَنهَج السَّلَف فيه - ، فاعلم رَحِمَكَ اللهُ تَعَالَي أن مناقشتنا لهذه المسألة وتبيينها لِلنَّاسِ من ذات المنطلق الذي كتب منه الشَّيخ رسائله وفارق قومه بمَنهَج كان في زمانه غريبا حتي أظهره الله تَعَالَي ونشره ، نسأل الله تمامه وكماله وعزه وظهوره .

ولعلك - بل والله - إن تغربت كما تغرب ابن عبد الوهاب رَحِمَهُ اللهُ في زمانه - أظنك - لما رأيتك تأكل ملىء بطنك وتضحك ملىء فيك وتنام ملىء عينك وتفرح ملىء سمعك وبصرك . فانظر له واقرأ سيرته رَحِمَهُ اللهُ وكيف فارق قومه حينما عارضوا دعوة النُّبُوَّة ، ما يبين لك جليا حقيقة الولاء والبراء وصدق دعوي التَّوحِيد التي ادعاها ، وكم من مدع لمثل هَذَا الدعوي هو في حقيقة أمره علي خلافها ؟! وكم من زاعم نفسه علي المَنهَج رقيبا وَهُوَ مفارق له ولأصوله ؟! وأمامك حياة ابن عبد

[1] سورة الحجر 9

الوهاب كيف قضاها ؟ فى الثغور وساحات الجهاد ، فواعجبا ممن يزعم اتباعه ثم هو يقع في المجاهدين المنتفضين لرفع راية رب العالمين [1] . فاللهم ارحمه رحمة واسعة ترضي بها عنه .

وقد قَالَ الشَّيخ الألباني رَحِمَهُ اللهُ كلمة أرجع فيها انتقاد من انتقده إلي مشاحنات وإلي ما في الصدور ،- ولعله أدري بمن يتكلم عنهم ممن يقرأ كلامه - ولكن إن تورع عن مثل هَذَا ورد عليهم بما يبطل حجتهم بغير تعرض لذات الشخص لكان أولي ، فقَالَ رَحِمَهُ اللهُ : (قضية (الانشغال) بإنكارهم هَذَا التقسيم، في الواقع ما جاءت من فراغ مثلما تفضل الأستاذ إنما هم مسبوقون، يعني: كثيرا من الكِتَاب كأبي غدة وغيره وشخص اسمه مرزوق الميداني أو كذا في كتابه: براءة الأشعريين، تكلموا في هذه القضية وردوها، وفي الواقع: ردهم لهَذَا جاء نتيجة عملية المشاحنة التي بينهم وبين شيخ الإسلَام فقط لا غير وبين الدعوة السَّلَفية بشكل عام، مع أن شيخ الإسلَام مسبوق بهَذَا بابن مندة ، ابن منده في كتاب التَّوحِيد له مثل هَذَا التقسيم، والدُّكتُور الفقيهي محقق الكِتَاب أتى بالتاريخ الفعلي لهذه القضية وتقسيم التَّوحِيد إلى ثلاثة أقسام وأثبت أن شيخ الإسلَام مسبوق بهَذَا وليس وحيداً.) [2] والأفضل عدم حمل كل نقد أو مخالفة إلي بغض في المَنهَج أو حقد علي شيخ ، وإن كان البعض كذلك ينطبق عليهم مثل هذا التبرير غير أنها ليست قاعدة يسير عليها المسلم .

وإن كان قَالَ قائل [3] : (ثم ينبغي لطالب العِلم إذا أراد البركة في علمه أن يعرف لعلمائنا قدرهم ، ولا يطرح ما يخالفهم بمثل هَذَا الأسلوب!!) مناصحا أخا له [4] في عرض اصطلاح قَالَ بتقسيم التَّوحِيد أربعا (توحيد الرُّبُوبِيَّة - توحيد الأُلُوهِيَّة - توحيد الحاكمية - توحيد الأَسمَاء وَالصِّفَات)

[1] وتلك المسألة تزكم أنوف كثير من الأدعياء ، وهي مفردة فى مصنفات فمن رغب الحق سعي له والله للساعين خير معين .
[2] موسوعة العلامة الإمَام مجدد العصر مُحَمَّد ناصر الدين الألباني (2 / 70) بترقيم الشامله . صنعه / شادي بن مُحَمَّد بن سالم آل نعمان .
[3] الأخ بن أبي حاتم ، احد أعضاء ملتقي أهل الحديث .
[4] الأخ مُحّمَّد الأمين ، أحد أعضاء الملتقي .

فماذا عساه أن يقول إذا رد أحدنا علي عالم أخطأ فيه ؟! لا شك أن هَذَا- في بعض الحالات مع بعض الناس ولا أعني الأخ المذكور - قد يدخل في الغلو الذي هو رفع العالم فوق منزلته ، فكما أنه يجب نشر الحق يجب كذلك التحذير من الباطل ، وإلزام الناس بما لا يلزم من الباطل ! وتبديع الناس لمجرد الخلاف في تقسيم التوحيد من الباطل ! وترك الرد علي العالم – شيخي مثلا - إجلال له دون غيره من العلماء الذين يقذعهم الشخص سبا وشتما من الباطل !

ثم إن كان ذلك المنطلق صحيحا ـ فماذا لو أخذ به خصومنا في ذلك وتعصبوا لمشايخهم ولم يردوا عليهم ! أليس هذا باب مفسدة تسد باب قبول الحق ؟! إي والله هي كذلك .

فَصْلٌ فِي ذِكرِ مسألة : ليس كل من ينتقد مسألة انتقدها مبتدع فهو مبتدع .

وهنا لابد من ذكر لفتة في غاية الأهمية ، وهي أنه ليس بالتلازم اتفاق المَنهَج عند جميع النقاد الذين اتفقوا - من غير اجتماع مَنهَج أو جماعة - في نقد مسألة عندك .

كحالنا في مسألتنا هذه ، فقد انتقد مسألة التقسيم كثير من العُلَمَاء ، منهم السني والمبتدع وما بين ذلك ، وليسوا علي درجة واحدة في صحة المَنهَج وصواب النقد ، فتفطن أيها اللبيب ولا تجعل مجرد الاختلاف في المسألة حدا فاصلا لبدعة أو سنة ، ولا تجعل من خالفك فيها في ثلة المبتدعة الخارجين عن السُّنَّة لمجرد أنه وَافَقَه في نقده مبتدع .

وإليك مثالا ليبين لك أن بعض من يتصدر لبدعة قد يقول بعض الحق ملبسا به علي الناس داسًّا فيه كثيرا من الباطل ، فليتنبه إلي ذلك وانتق الحق من كلامه - ياطالب العِلم - وصعر خدك عن أباطيله وترهاته ، واعلم أن كل مبطل أو مبتدع وربما كافر عنده بعض الحق ، قلَّ أو كثر ، فوجب علي المسلم قبول الحق ورد الباطل من كل مخلوق ، فلا تربط - أخي - بين موقف صحيح قَالَه مبتدع وموقف سني قَالَ بمثل ما قَالَه ذاك المبتدع .

وخذ مثلا رد الشَّيخ الدُّكتُور عبدالرازق البدر حَفِظَهُ اللهُ في كتابه (القول السديد في الرد على من أنكر تقسيم التَّوحِيد) علي ما كتبه الشَّيخ حسن ابن علي السقاف عَفَا اللهُ عَنهُ في كتابه (التنديد بمن عدَّد التَّوحِيد. إبطال محاولة التثليث في التَّوحِيد والعَقِيدَة الإسلَامية) ، فالثاني - السقاف - سود في كتابه مخالفات صريحة للأدلة من الكِتَاب والسُّنَّة ونسب إلي عُلَمَاء السَّلَف ما هم منه براء وحمل كلامهم علي أسوإ المحامل التي لا يتطرق إليها الذهن الصحيح - بل ولا السقيم - ، وإن كان محقا في قليل من منطلقاته - وَهُوَ الخلاف في ذات التقسيم لا في المضمون - في بحثه غير أن

الكثرة الكاثرة من البحث تودي به في المهالك وتطيح بحسنة فيه [1] ، فقد أساء الرجل الفهم عن السَّلَف الصالح رَحِمَهُ اللهُ وتعدي وظلم ، فما تساوي الخير والشر فيه رُدَّ إعمالا للسلامة فما ظنك بما كثر خبثه وظهر فحشة ؟! لا شك أنه أولي بالرد من غيره . وأما الأول - البدر - فقد رد عليه بما يتوَافَقَ مع الكِتَاب والسُّنَّة في غالب بحثه ، وتعدي هو الآخر في نقاط ظن أنه بها يحسن صنعا ، والحق أنه أساء فيها ، فمع أن منطلقه في الرد حق ، غير أنه أخطأ السير في بعض كلامه فتعدي علي إخوانه من العُلَمَاء وشيطن كلامهم حتي جعلهم من أرباب الجهلة حتي أوصلهم - في مفهوم كلامه - إلي رؤوس ضلال ، ومن تصفح بحثه بإنصاف علم ذلك .

ومثال آخر ، نبين فيه أن منهجية انتقاء الصواب في مسألة واحدة صحيحة من بين ركام المسائل الخاطئة عند رجل هي منهجية " الحكمة ضالة المؤمن أني وجدها فهو أحق بها " ، فليس أخذ الحق في مسألة من رجل تزكية لكل ما قال ولا اعتقاد بكل ما يعتقد ، ومن يظن ذلك فهو أجهل من حمار أهله وأبعد عن العلم ما بين المشرقين ، وقد رد الشيخ عبد المحسن العباد في كتابه " الانتصار لأهل السنة والحديث في رد أباطيل حسن المالكي " علي كتاب " قراءة في كتب العقائد ، المذهب الحنبلي نموذجا " للشيخ حسن المالكي فأجاد كثيرا ، وإن كان المالكي نفسه أصاب في كتابه بعض نقاط وخلط في بعضها ، ومن ذا الذي لا يصيب قط ؟! فلا يستنكرن أحد القول بأن المالكي أصاب في نقاط ! ويزعم أننا نوافقه في ترهاته وأكاذيبه وما خالف فيه منهاج النبوة ، وليسمع كلمتنا بأنه أخطأ أيضا في نقاط ، وليكن الإنصاف رائده وطلب الحق دافعه .

وشاهدنا في هَذَا المثال ، أن الشَّيخ الدُّكتُور صلاح الصاوي حَفِظَهُ اللهُ لا يستوي مع الشَّيخ حسن السقاف عَفَا اللهُ عَنهُ ، فالأول وقاف عند حدود الأدلة سائر علي صريح السُّنَّة أما الثاني

[1] أي تطيح بأي حسنة فيه .

فحكم عقله في كثير من المَسَائِل فزل فيها ، ولكن - قدر الله أن - اتفقا في كون التقسيم لم يكن علي عهد النبي صَلَّي اللهُ عَلَيهِ وَسَلَّمَ ، فالاول وضعه في نصابه وحفظ لكل عالم قدره وفهم المسألة بفهم سلف الأمة أما الثاني فتطاول علي العماء وسفه أحلامهم وتكلم فيهم بما لا يليق أن يتكلم به عن طالب عنده فضلا عن شيخه ناهيك عن أن من وقع فيهم هم أشياخ الدنيا وسادة العالم والمقدمون علي من بعدهم في الفهم والديانة ، فهل يَجُوزُ للشيخ عبدالرازق البدر أن يسوي بينهما علي أنهما رؤوس ضلال ؟! كلا ، ما هَذَا بعقل عاقل ولا إنصاف منصف ، نسأله الله السلامة .

فَصْلٌ فِي وجوب قبول كلمة الحق وإن قَالَهَا المخالف مع بيان ما تتضمنه من بطلان .

اعلم أخي بارك الله فيك أن الحق يعرف بالدليل لا بأقوال الرجال ، ولا يقاس الحق بمن قَالَه أو تبناه ، ولكن الرجال ومناهجهم هم الذين يقاسون بالحق ، فمتي وصلك حق علي لسان كائن من كان فاقبله ، فهي بضاعتك ردت إليك ، ولا تقل من قَالَ ولكن انظر فيما قَالَ هل وَافَقَ الدليل أم خالفه ؟! فإن وَافَقَه فاقبله لأنه الحق وإن خالفه فرده لأنه باطل ، وسنة نبيك أنه عَلَيهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَام صدق رأس الكذب في العالم - إبليس - حينما صدق مرة فقَالَ : (صدقك وَهُوَ كذوب) وعلي هَذَا فسِر حفظك الله .

وقد قَالَ الشَّيخ حسن المالكي هداه الله وعَفَا عَنهُ ذامًا لشيخ الإِسلَام ابن تيمية رَحِمَهُ اللَّهُ وقادحا فيه [1] : (إنَّ التأصيل للتكفير موجود في كلامه عندما بالغ في التفريق بين توحيد الرُّبُوبِيَّة وتوحيد الأُلُوهِيَّة، فهوَّن من شأن الأول، وبالغ في شأن الثاني، والتفريق نفسه تفريق مبتَدَع، ليس في كتاب الله ولا سنَّة رسوله، ولم يَقُل بهَذَا التفريق أحدٌ من الصَّحَابَة ولا التابعين؛ فالتَّوحِيد شأنه واحد، وهَذَا التفريق هو الذي جعل مقلِّدي ابن تيمية يزعمون أنَّ الله لم يبعث الرسل إلاَّمن أجل توحيد الأُلُوهِيَّة، أمَّا توحيد الرُّبُوبِيَّة فقد أقرَّ به الكفار) [2] إلخ ، وفي كلامه بعض الحق الذي استعمله لباطل - وبالطبع كل مبطل معه بعض الحق ولا شك - ، فمن الحق فيه كون التفريق أو بمعني أدق التقسيم للتوحيد أمر مبتدع - أي لغة وليس شرعا - لم يكن علي عهد النبي صَلَّي اللَّهُ عَلَيهِ وَسَلَّمَ ، وإنما اجتهد في تقسيمه العُلَمَاء فوفقوا إليه ، وكذلك كون التَّوحِيد شأنه واحد لا يتجزأ من حيث القبول . وكذلك أن بعثة الأنبياء كانت للتوحيد كله وليس لقسم فيه ولكن الرجل استعمل هذه الأمور الصحيحة الموَافَقَة للسنة في ذم شيخ الإِسلَام ابن تيمية رَحِمَهُ اللَّهُ وأتباعه راميا لهم بطوام

---

[1] في كتابه (قراءة في كتب العقائد ـ المذهب الحنبلي نموذجاً) حسن بن فرحان المالكي ، نسبة إلي بني مالك فى جنوب المملكة العربية السعودية .

[2] الانتصار لأهل السُّنَّة والحديث في رد أباطيل حسن المالكي 175 للشيخ عبدالمحسن العباد .

مهلكات بدون بينة ولا برهان ، وقد رد عليه الشَّيخ عبدالمحسن العباد حَفِظَهُ اللهُ في كتابه الانتصار لأهل السُّنَّة والحديث .

قَالَ الشيخ حسن السقاف عَفَا اللهُ عَنهُ : (ولم يذكر الله تعالى في كتابه ولا النبي صَلَّي اللهُ عَلَيهِ وَسَلَّمَ في سنته - قلت القلموشي : قَالَ عبدالرازق البدر وَفَّقَهُ اللهُ : ونظير هَذَا قول الصاوي فيما تقدم: "بل إنَّ هَذَا التقسيم ابتداءً على هَذَا النحو لم يرد به فيما نعلم آية محكمة أو سنَّة متبعة ..." - أنَّ التَّوحِيد ينقسم إلى ثلاثة أقسام توحيد ربوبية وتوحيد ألوهية وتوحيد أسماء وصفات، بل لم ينطق بهَذَا التقسيم أحد من الصَّحَابَة بل ولا أحد من التابعين، بل ولا أحد من السَّلَف الصالح رضي الله عن الجميع) وكلامه - أي السقاف - في هذه الجزئية صحيح ، إذ لا دليل يقول أن التَّوحِيد ثلاثة أقسام أو يقول قسم الله التَّوحِيد إلي أربعة أقسام أو توحيدنا قسمين أو ما إلي ذلك من التقسيمات المختلف فيها ، ولاحظ أننا نتكلم علي التقسيم اللفظي وليس المضمون الشرعي . فهنا كلام السقاف والصاوي صحيح موَافَقَ للسنة ، وأخطأ العباد حينما انتقدهما وزعم ثبوت ذلك في الشرع ، ولم يذكر دليلا في كتابه يعضد به مسألته فسقط قوله عَفَا اللهُ عَنهُ .

وأما عن الأثر السيء أو الباطل الذي أراده السقاف من كلمته الحق ، فهو حكمه الذي بناه علي الأصل بأن حكم علي هَذَا التقسيم (بالبدعة) وقد يقبل منه كونها بدعة لغوية لأنها بالفعل من هَذَا الباب ، فلم تكن موجودة في صدر الأمة فهي في عرف اللغة بدعة ، ولكن أشد مِنهَا قوله (بدعة مذمومه) فصرح بأن هذه بدعة شرعية محرم فعلها ممنوع اتباعها . وَهُوَ مخطيء في زعمه .

فصل في الرد علي زعم وجوب الأخذ بما اصطلح عليه بعض العُلَمَاء وبيان آثاره .

يقول الشَّيخ الحازمي حَفِظَهُ اللهُ (والاستقراء والتتبع في الشرعيات يكون نتيجته ماذا ؟ إثبات حكم شرعي ، بعضهم يقول ماذا ؟ في مسألة التَّوحِيد التقسيم الثلاثي أن هَذَا اصطلاح ، مبنى الاصطلاح على الاستقراء والتتبع ، هَذَا غلط لماذا ؟ لأنه يُقَالَ : إذا كان الاستقراء والتتبع في اصطلاحات البشر فالنتيجة اصطِلَاحِيَّة . وإذا كان الاستقراء والتتبع في نصوص الشرع فالنتيجة شرعية - انتبه لهَذَا - . بعضهم يُلَبّس يقول : هَذَا دليله الاستقراء والتتبع . ولا يُعرف إلا عن شيخ الإِسلَام مُحّمَّد ابن عبد الوهاب رَحِمَهُ اللهُ تعالى . وعرفنا فيما سبق أن هَذَا باطل بل هو مسبوقٌ ، ودليلهم الاستقراء والتتبع . نقول : الاستقراء والتتبع محله ما هو ؟

قد يكون استقراء وتتبع في الصحف والمجلات ، وقد يكون الاستقراء والتتبع في السُّنَّة وفي الكِتَاب ، وقد يكون الاستقراء والتتبع في كتب الطب ، فالنتائج حينئذٍ باعتبار ما اسْتُقْرِئ وتُتُبِّعَ ، فإن كان الاستقراء والتتبع لاصطلاحات البشر وأوضاعهم فالنتائج اصطِلَاحِيَّة ، ولكن أهل العِلمِ ما تتبعوا كلام البشر ، وإنما نظروا في ماذا ؟ في دلالة الكِتَاب والسُّنَّة ، الله عز وجل يقول : ﴿ وَمَا يُؤْمِنُ أَكْثَرُهُمْ بِاللّهِ إِلاَّ وَهُم مُّشْرِكُونَ ﴾ [1] تقسيم تقابل كما قَالَ ابن عباس . فحينئذٍ لَمّا نظروا وتَتَبَّعُوا كلام الله تعالى والاستقراء التام حجةٌ شرعية كما هو معلوم في محله كانت النتيجة شرعية لا اصطِلَاحِيَّة ، فبعضهم يقول : التتبع والاستقراء نتيجته اصطِلَاحِيَّة . قلنا : هَذَا باطل ليس بصوابٍ.) [2]

نقول : بل هَذَا التقسيم اصطِلَاحِيٌ ، لأنه لم يرد به دليل شرعي صريح من كتاب ولا من سنة ولا من قول صحابة أو تابعين يقول بأن التَّوحِيد ثلاثة أقسام أو قسمين ، بل جمع العُلَمَاء النصوص

---

[1] (سورة يوسف : 106)

[2] في مقدمة ابن أبي زيد 27 للحازمي .

الشرعية بعضها إلي بعض ولخصوا تلك المَسَائِل ورتبوها كل حسب ما يراه طريقة أيسر لتفهيم الناس أمر دينهم وعليه فاستقرائهم هَذَا اصطِلَاحِيٌ محض ولا يترتب عليه - أي علي مجرد التقسيم ذاته لا علي محتواه ومضمونه ، ففرق بين ذلك رَحِمَكَ اللهُ - عمل شرعي .

قَالَ الأخ الفاضل عمرو بسيوني وَفَّقَهُ اللهُ : (التقسيم اصطِلَاحِيٌ .. وليس معنى كونه اصطِلَاحِيًا أنه ليس شرعيا ، فليست العلاقة بين الاصطِلَاحِيٌ والشرعي علاقة مباينة من كل وجه ،
فالاصطلاح منه شرعي ومنه غير شرعي . فهو اصطِلَاحِيٌ من حيث إنه استقرائي ، وَهُوَ شرعي من حيث إن استقراءه من نصوص الشرع .) [1] فالأخ يقصد بشرعي أنه مستقرأ من الشرع وهَذَا لا نخالف فيه ، ولكنا نقول أنه غير شرعي من حيث ثبوته بلفظه ولحظه في الكِتَاب والسُّنَّة دون مضمونه ، وهَذَا ما نوه إليه الأخ الفاضل أيضا حين أتبع كلامه بقوله : (فالحاصل أن التقسيم بنصه وفصه ليس من كلام النبي ولا الصَّحَابَة ولا التابعين بلا نزاع .) [2]

---

[1] مشاركة الأخ الفاضل من موضوع (ما الفائدة من تقسيم التَّوحِيد إلي ثلاث ؟!)

[2] وتمام كلامه حَفِظَهُ اللهُ لنفاسته : (التقسيم اصطلاحي ..وليس معنى كونه اصطلاحيا أنه ليس شرعيا ، فليست العلاقة بين الاصطلاحي والشرعي علاقة مباينة من كل وجه ، فالاصطلاح منه شرعي ومنه غير شرعي .
فهو اصطلاحي من حيث إنه استقرائي ، وَهُوَ شرعي من حيث إن استقراءه من نصوص الشرع .
لذلك تجد بعض الفقهاء يقولون الصلاة اصطلاحا وبعضهم يقول شرعا ، ويعللون ذلك أن مراد من قال اصطلاحا لأنه من وضع العُلَمَاء ، ومن قال شرعا فمراده أن هَذَا التعريف وإن كان من وضع العُلَمَاء لكنه مستنبط من الشرع ، فيفرق عن الاصطلاح اللغوي أو الأصولي أو الكلامي إلخ ، فالحاصل أن الاصطلاح يتنوع بحسب مورده ، فيصح كون الاصطلاح شرعيا أو لغويا أو طبيا أو هندسيا ، إلخ بهَذَا الاعتبار .
وكونه حقا في نفسه فهَذَا لأنه قائم على استقراء تام صحيح لنصوص الشرع الدالة على التَّوحِيد ، وهَذَا سبب عدم سواغ الخلاف فيه ـ والمراد الخلاف في مفهوم التقسيم واعتباراته ، وإلا فمن أقر بالحق في إفراد الله بالرُّبُوبِيَّة والألوهة و أصاب الحق في باب الأسماء والصفات فهو محق في نفس الأمر وإن لم يعبر عن ذلك بتقسيم ثنائي أو ثلاثي أو رباعي إلخ ، وإنما يكون مدخل الكلام معه صناعي لا شرعي ، لكون ذلك التقسيم هو تعبير العُلَمَاء وطريقتهم القارة .
وما ذكره أخونا أنس عن من قال بالتقسيم من عُلَمَاء السَّلَف ، فالحاصل أن أقدم من ذكره من المتأخرين عن درجة تابعي التابعين ، فالحاصل أن التقسيم بنصه وفصه ليس من كلام النبي ولا الصَّحَابَة ولا التابعين بلا نزاع .
الشاهد أن تقرير اصطلاحية التقسيم لا تعني السواغ في الخلاف في مفهومه ، ولا تعتبر حجة لا للأسمريين ولا لغيرهم لرده ، وإلا لعد جهلا قبيحا ، فكثير من نظر الأئمة في الشرعيات قائم على الاستقراء ويصير حجة بذلك ، ولا يعني هَذَا كونه نصا في نفسه ، كتقسيمهم أفعال العبادة إلى ركن و واجب وسنة و هيئة إلخ ، فلو قال إنسان ليس في النص أن الصاة أركان و واجبات وأبعاض وهيئات ، لم يقبل منه لمجرد دعواه أن هَذَا اصطلاحي ، لأنه وإن كان اصطلاحيا لكنه قائم على استقراء تام لنصوص الصلاة ، والاستقراء التام حجة، و إن قال الصلاة مِنهَا ما لا تصلح من دونه ، ومِنهَا ماتصلح لكن بخلل ومِنهَا ماتصلح بلا خلل ولكن لا تكون كاملة ، كان قوله في نفسه حقا ، ولكن المبحث معه صناعي لا شرعي . أما اعتراضات السقاف وقوله إن هَذَا تثليث فهذه حماقة منه ، فتثليث النصاري هو في الذات ، أما تقسيم التَّوحِيد ولو

فمن قبل بهَذَا الاجتهاد من العُلَمَاء وقَالَ به فجزاه الله خيرا ومن لم يقل به أو في أقصي الحالات رده ولم يقبله فلا تثريب عليه ما لم يبدع صاحبه أو يؤثمه أو يرد مضمونه ، لأن الثاني وقف علي الأصل من عدم التقسيم الذي تركنا عليه النبي صَلَّي اللهُ عَلَيهِ وَسَلَّمَ وكان عليه السَّلَف الصالح من صدر هَذِهِ الأُمَّةِ . والثاني اجتهد في فهم تلك النصوص مجتمعة فرتبها ترتيبا يناسب عصره ويتوَافَقَ مع محل دعوته وهَذَا لا بأس به وَهُوَ مأجور أجرين إن أصاب - وبالفعل ليس في التقسيم ما ينتقد أو يخالف الشرع - ومعذور إن أخطأ مع نيل أجر الاجتهاد .

ولا أبلغ - في الرد عليك يا شيخ - من قولك في مكان آخر : (والأصل في الصفة أن تصدر عن الذات، فكل صفةٍ صادرة الذات فهي ذاتية، وإنما التقسيم هَذَا تقسيمٌ اصطِلَاحِيٌ فحسب. وقد تكون الصفة ذاتية فعلية باعتبارين، كالكلام باعتبار الرب جل وعلا متصفًا به أزلاً وأبدًا فهي صفة ذاتية، وباعتبار الآحاد نقول: هذه صفةٌ فعلية.) [1] فأنت من قررت بأن هَذَا تقسيم اصطِلَاحِيٌ لأن مضمونها ورد في القرآن كما ورد مضمون أقسام التَّوحِيد في القرآن ! وهذه كتلك .

وأما قول الشَّيخ : (والاستقراء والتتبع في الشرعيات يكون نتيجته ماذا ؟ إثبات حكم شرعي) فليس مضطردا أن كل استقراء أو تتبع في الشرعيات يكون له نتيجة شرعية ، بل في غالب المَسَائِل يكون الاستقراء تحصيل حاصل وإعادةً وتكراراً بطرق مختلفة وأساليب متباينة ، كما هو الحال في مسألتنا هذه ، فنتيجة الاستقراء فيها لم يخرج لنا بجديد ولا بحكم شرعي لم يكن موجودا قبل استقراء العُلَمَاء وتتبعهم ولم ينبن عليه عمل ولا اعتقاد . فقبل الاستقراء كان التَّوحِيد هو التَّوحِيد ومن نقضه أو نقض بعضه فهو كافر ، وبعده ظل التَّوحِيد هو التَّوحِيد ومن نقضه أو

لألف نوع فهو تقسيم في اعتبارات التَّوحِيد لا ماهيته ! ، لكن موضوع كل أنواع التَّوحِيد واحد هو الباري تعالى . ثم إن أصحابه الأشاعرة وغيرهم يقسمون التَّوحِيد أيضا ، إلى توحيد الذات ، وتوحيد الصفات ، وتوحيد الأفعال ، فهل هم مشركون عنده أيضا ؟) انتهى .

[1] دروس صوتية قام بتفريغها موقع الشَّيخ الحازمي (5 / 22) بترقيم الشاملة .

نقض بعضه فهو كافر بزيادة التقسيم . ومن زعم إثبات حكم شرعي في مسألة كهذه لم يكن موجودا فعليه الدليل ، ولن يستطيع إثباتا .

وقوله : (قد يكون استقراء وتتبع في الصحف والمجلات ، وقد يكون الاستقراء والتتبع في السُّنَّة وفي الكِتَاب ، وقد يكون الاستقراء والتتبع في كتب الطب ، فالنتائج حينئذٍ باعتبار ما اسْتُقْرِئ وتُتُبِّعَ) نقول : فالاستقراء والتتبع في مَسَائِل ثبت فيها الحكم الشرعي يختلف - ياشيخ - عن الاجتهاد في فهم نص شرعي !

فمسألتنا هذه غاية الأمر فيها أنه - أي التقسيم - ترتيب للأدلة الواردة في الكِتَاب والسُّنَّة ، ولم يخرج الاستقراء فيها والتتبع حكما مبتدعا لم يكن عليه أسلافنا ألبتة ، بل خرج ليقرر ما قرروه ويسيروا علي ما قَالَوه .

أما الاجتهاد فيي فهم النصوص الشرعية أو الاجتهاد في مسألة شرعية لا نص فيها فهو الذي أظنك كنت تقصده في مقابلة الاستقراء في كتب الطب أو الصحف والمجلات ! فالتتبع والاستقراء في الصنف الأول شرعي وحجةٌ شرعية ونتيجته شرعية لا اصطِلَاحِيَّة - أي لا يصح مخالفتها - ، والتتبع والاستقراء في الصنف الثاني اصطِلَاحِيٌ دنيوي ونتيجته اصطِلَاحِيَّة دنيوية .

واعلم أن الإصطلاح قد يكون اصطلاحا شرعيا أو اصطلاحا غير شرعي ، فالأول هو ما ترتب عليه عمل شرعي لا يسوغ مخالفته كنتيجة لاستقراء أو اجتهاد عالم في فهم النصوص ، والثاني ما لم يترتب عليه عمل شرعي عنه قبل الاستقراء وإطلاق هَذَا الاصطلاح كمسألتنا هذه . ومن هنا نعلم خطأ قوله : (فبعضهم يقول : التتبع والاستقراء نتيجته اصطِلَاحِيَّة . قلنا : هَذَا باطل ليس بصوابٍ) لأن الأمر ليس مضطردا ، وليس كل اصطلاح في الشرع نتيجته اصطِلَاحِيَّة غير شرعية أو اصطِلَاحِيَّة شرعية ، ومسألتنا هذه أن التقسيم من باب الاصطلاح الشرعي الذي لم يترتب

عليه اعتقاد زائد عما كان معتقدا قبله ولا عمل جديد لم يكن موجودا قبل وجوده . فتنبه لتلك الفلسفات رَحِمَكَ اللهُ .

فصل في ذكر مآخذ علي تعريف أقسام التَّوحِيد وتصويبها .

قد رد الدُّكتُور عبد الرزاق البدر حَفِظَهُ اللهُ علي أحد خصومه مثبتا معاني أقسام التَّوحِيد الاصطِلَاحِيَّة فقَالَ : (وَالمُرَاد بتوحيد الرُّبُوبِيَّة : الإعتقاد الجازم بأنَّ الله وحده الخَالِق الرازق المحيي المميت المدبر لشئون خلقه كلها لا شريك له في ذلك.

وَالمُرَاد بتوحيد الأُلُوهِيَّة: إفراد الله وحده بالخضوع والذل والمحبة والخشوع وسائر أنواع العبادة لا شريك له.

وَالمُرَاد بتوحيد الأَسمَاء وَالصِّفَات: الإِيمَان الجازم بأسماء الله وصفاته الواردة في الكِتَاب والسُّنَّة، وإثباتها دون تحريف أو تعطيل أو تكييف أو تمثيل.) [1]

وأراه لم يف تعريف الرُّبُوبِيَّة حقه ، فقَالَ (الإعتقاد الجازم بأن الله تَعَالَي وحده الخَالِق الرازق المحيي المميت المدبر لشئون خلقه كلها لا شريك له في ذلك.) فذكر حَفِظَهُ اللهُ مَسَائِل من مَسَائِل الرُّبُوبِيَّة ولم يترك الباب مفتوحا - علي أقل الأحوال - ليضاف إليها ما كان من فعل الله تَعَالَي ، فظهر من شرحه حصر - بدون قصد - مَسَائِل الرُّبُوبِيَّة فيما ذكره من مَسَائِل الخلق والرزق والتدبير والإحياء والإماتة ، وهَذَا غير دقيق في تعريف الرُّبُوبِيَّة ، لأن الرُّبُوبِيَّة هي فعل الرب سُبْحَانَهُ وَتَعَالَي ، فكل ما كان من فعله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَي فهو داخل في الرُّبُوبِيَّة وكل ما ينسب العجز لذات الله تَعَالَي فهو نقض للربوبية ، وإن كان التعريف الذي ذكره هو التعريف الصحيح فعليه يكون المشركون مؤمنون في الرُّبُوبِيَّة لأنهم - حسب هَذَا التعريف - استكملوا مَسَائِلها التي حددها الشَّيخ حَفِظَهُ اللهُ ، ولكن التعريف قاصر علي عدة مَسَائِل من الرُّبُوبِيَّة فقط - وهي ما أثبتها مشركوا العرب - وهناك مَسَائِل أخري داخلة في الرُّبُوبِيَّة لم يذكرها الدُّكتُور وجحدها المشركون ، وعليه

[1] القول السديد في الرد على من أنكر تقسيم التَّوحِيد (1 / 16) .

فالتعريف الأشمل للربوبية قول : (توحيد الله بأفعاله سُبْحَانَهُ [1]) . ومثل ذلك ما عرف به الأَسمَاء وَالصِّفَات فأشمل مما قَالَه أن يقول : (الإيمَان بكل ما وصف الله تَعَالَي به نفسه وما وصفه به رسوله صَلَّي اللهُ عَلَيهِ وَسَلَّمَ من غير تحريف ولا تعطيل ومن غير تكييف ولا تمثيل) لأن الوصف يشمل النفي والإثبات وقد ذكر الدُّكتُور الإثبات فقط فى تعريفه فقد يلتبس علي البعض النفي حسب هَذَا التعريف .

وكان لابد من التنبيه علي هذه المسألة ودقة الألفاظ فيها ، لأن الشَّيخ كان في معرض الرد علي مخالف فلابد أن تكون الألفاظ دقيقة والجواب كامل فلا يستعاض بإجمال علي تفصيل .

[1] وتنزيهه عن النقائص

فَصْلٌ فِي ذِكرِ بعض الآثار عن إقرار بعض مشركي العرب ومعرفتهم لبعض مَسَائِل في الرُّبُوبِيَّة .

مدخل :

يشتهر بين طلاب العِلم تقسيم التَّوحِيد أو الإيمَان اصطِلَاحِيًا إلي أقسام ، وأشهر التقسيمات علي أن التَّوحِيد ثلاثة أنواع أو أقسام .

توحيد الرُّبُوبِيَّة وتوحيد الأُلُوهِيَّة وتوحيد الأَسمَاء وَالصِّفَات ، وهذه التقسيمات تشكل التَّوحِيد الذي دعا جميع الأنبياء أقوامهم إليه جملة وتفصيلا ، فمن بلغته مسألة من تفاصيل هذه الأنواع فكفر بها أو أنكرها فقد كفر بجميع المَسَائِل ، لأن التَّوحِيد كلٌ لا يتجزأ من حيث العَمَل ، والإيمَان كنهٌ لا يتقسم من حيث العَمَل ،

وعليه : فتوحيد الرُّبُوبِيَّة إفراد الله تَعَالَي بأفعاله جل ثنائه ، وتوحيد الأُلُوهِيَّة إفراد الله تَعَالَي بأفعالنا وتوحيد الأَسمَاء وَالصِّفَات الإيمَان بما وصف الله به نفسه أو وصفه به رسوله كما فهم رسوله صَلَّي اللهُ عَلَيهِ وَسَلَّمَ وأصحابه رَضِيَ اللهُ عَنهُ من غير تحريف ولا تعطيل ومن غير تكييف ولا تمثيل .

فمن أقر بتلك الأنواع وانقاد إليها وآمن بها ولم ينقُض مسألة مِنهَا ، فقد آمن بالله تَعَالَي وبرسوله ومن أقر بمسألة وكفر بمسألة فقد كفر بالله تَعَالَي وبرسوله صَلَّي اللهُ عَلَيهِ وَسَلَّمَ .

وقد أقر الكفار من قريش ومن عاصرهم من المشركين ببعض المَسَائِل فى التَّوحِيد ، فبعضهم أقر بمَسَائِل فى الرُّبُوبِيَّة وأنكر بعضها ، وبعضهم أقر بمَسَائِل فى الأُلُوهِيَّة وأنكر بعضها ، وبعضهم أقر بمَسَائِل فى الصفات والأسماء وأنكر بعضها ، فصاروا كفارا جملة وتفصيلا ، لأنه كما - أسلفنا - التَّوحِيد لا يقبل إلا كاملا ، ولا يقَالَ علي أحد آمن بقسم من التَّوحِيد وكفر بقسم ، لأن الله تَعَالَي دعا الناس إلي التَّوحِيد كله لا إلي أقسامه .

وقد فهم ذلك حق الفهم أصحاب النبي صَلَّي اللهُ عَلَيهِ وَسَلَّمَ فلم يسموهم مؤمنين بقسم من التَّوحِيد كافرين بآخر ، بل سموهم كافرين ولم يفصلوا ،

ثم ، خلف من بعدهم خلوف ، تكلموا في مَسَائِل لم يتكلم فيها سلفهم بمثل كلامهم ، فزعموا أن الكفار كانوا موحدين في الرُّبُوبِيَّة مؤمنين بها ، مخالفين بذلك فهم سلف الأمة الذي لم يرد عنهم مثل هَذَا القول . وَهُوَ بأنهم كانوا مؤمنين أو موحدين بالرُّبُوبِيَّة ، ثم زعموا أيضا أنهم كفروا بالأُلُوهِيَّة مع أنهم أقروا لله بالأُلُوهِيَّة وأشركوا معه غيره فيها ، وما ثبت هو الإقرار أو الاعتراف ، وكما تعلم أن الإقرار أو الاعتراف جزء من الإِيمَان في كل قسم ولا يطلق عليه إيمان ، فمن أقر بشيء فقد حصل جزءا من الإِيمَان ولا يطلق عليه مؤمنا بهَذَا القسم لأنه نقضه ولم يستوفه .

ونحن إذ نتفق مع ما يقوله الإخوة من كون الكفار أقروا ببعض المَسَائِل فى الرُّبُوبِيَّة وليس في كلها نقول أيضا بأنهم أقروا ببعض المَسَائِل أيضا في الأُلُوهِيَّة والأَسمَاء وَالصِّفَات ، ولا يطلق عليهم مؤمنين بقسم من الأقسام لأنهم لم يؤمنوا به كاملا فليسوا مؤمنين به ، بل غايتهم الإقرار أو الإِيمَان ببعضه .

قَالَ الشَّيخ الألباني رَحِمَهُ اللهُ : (فرقوا بين الإله وبين الرب ، فهم يشركون في الأُلُوهِيَّة ولا يشركون في الرُّبُوبِيَّة)[1] وكلامه رَحِمَهُ اللهُ غير مستقيم في كونهم لا يشركون في الرُّبُوبِيَّة ! لأنهم كانوا مقرين ببعض مَسَائِلها و بالفعل كانوا مشركين فيها ، وكذلك قوله كانوا مشركين بالأُلُوهِيَّة صحيح غير أنهم كانوا مقرين ببعض مَسَائِلها أيضا .

مبحث في ذكر القصور في تعريف الرُّبُوبِيَّة بالخلق والرزق والتدبير :

ومنشأ - هَذَا - الفهم بأن مشركي العرب كانوا مؤمنين أو موحدين بالرُّبُوبِيَّة ، هو حصر توحيد الرُّبُوبِيَّة فى الخلق والرزق والتدبير ، وعليه فقد أقروا بالفعل بمثل هذه المَسَائِل - وهي الخلق

[1] موسوعة العلامة الإمَام مجدد العصر مُحَمَّد ناصر الدين الألباني (2 / 71) بترقيم الشامله . صنعه / شادي بن مُحَمَّد بن سالم آل نعمان .

والرزق والتدبير - ولكنهم أنكروا أو أشركوا أو نسبوا الله إلى العجز والنقص في مَسَائِل أخري هي أيضا من مَسَائِل الرُّبُوبِيَّة .

وحق لمن قَصَرَ الرُّبُوبِيَّة على الخلق والرزق والتدبير أن يزلق فى مثل هَذَا المنزلق ، حتي قَالَ قائل منهم : (لم نسمع أحد منهم قَالَ إن مع الله خالق أو رازق) وَهُوَ واهم ، فأني له أن يفهم أن من أقر لله بالخلق لم يستوف - حتي - الرُّبُوبِيَّة وحدها حتي يوسم بالإيمَان فيها . والله المستعان .

مبحث في ذكر إقرارهم بالرُّبُوبِيَّة لله تَعَالَي إجمالا :

قَالَ الله تَعَالَي مخبرا عن المشركين إقرارهم لله تَعَالَي بالرُّبُوبِيَّة: { قُلْ لِمَنِ الأَرْضُ وَمَنْ فِيهَا إِنْ كُنتُمْ تَعْلَمُونَ * سَيَقُولُونَ لِلَّهِ قُلْ أَفَلا تَذَكَّرُونَ * قُلْ مَنْ رَبُّ السَّمَوَاتِ السَّبْعِ وَرَبُّ الْعَرْشِ الْعَظِيمِ * سَيَقُولُونَ لِلَّهِ قُلْ أَفَلا تَتَّقُونَ * قُلْ مَنْ بِيَدِهِ مَلَكُوتُ كُلِّ شَيْءٍ وَهُوَ يُجِيرُ وَلا يُجَارُ عَلَيْهِ إِنْ كُنتُمْ تَعْلَمُونَ * سَيَقُولُونَ لِلَّهِ قُلْ فَأَنَّى تُسْحَرُونَ } [1] . وهذا حديث عام ولا يقصد به أن كلهم يؤمنون بمضمون ذلك ، بل منهم الكثيرون من ينقضون ذلك الاعتقاد .

مبحث في ذكر إقرار بعض مشركي العرب ببعض مَسَائِل الرُّبُوبِيَّة :

كما تعلم - أخي فى الله - أن الرُّبُوبِيَّة إفراد الله تَعَالَي بأفعاله من الخلق والرزق والتدبير والإحياء والإماتة والتصرف فى الكون والقدرة علي الخلق وسماعهم وإبصارهم وغير ذلك من أفعاله وعدم نسبة النقص إليه بوجه من الوجوه في الذات والأفعال ، فمن فعل ذلك - ولم يخالف فى باقي مَسَائِل الدين - فقد آمن بالرُّبُوبِيَّة ، ومن آمن ببعض المَسَائِل وكفر بالبعض أو نسب العجز إلي الله تعالي أو غير ذلك فلا يعد مؤمنا بالرُّبُوبِيَّة ولا - حتي - يعد مؤمنا بتلك الصفة التي زعم أنه مؤمن بها ، بل هو مقر ببعض مَسَائِلها ، وهَذَا ما وقع فيه مشركوا العرب .

---

[1] [سورة المؤمنون:84-89]

كما أنه من أتي بمَسَائِل الدين كلها غير أنه أنكر معلوما من الدين بالضرورة كمانعي الزكاة على عهد الخليفة الراشد أبي بكر الصديق رَضِيَ اللهُ عَنهُ ، فقد ارتدوا عن الإسلَام بإنكارهم تلك المسألة وحاربهم الصديق حربه للكفار ، فهؤلاء بعدما كانوا مسلمين انسلخوا منه بإنكارهم لمعلوم من الدين بالضرورة .

وقد قال الشيخ الحازمي فأحسن : (وما أُثْبِتَ من جهة كون المشركين الذين بعث إليهم النبي أنهم أقروا بتوحيد الربوبية المراد به إقرار في الجملة أو أنهم أتوا بـ أو أقروا بالأصول العامة ولم يأتوا به على وجه التمام ، فلا يكمل لأحدٍ توحيده إلا باجتماع هذه الأنواع الثلاثة ، فهي متلازمةٌ وجودًا وانتفاءً ، يكمل بعضها بعضًا ، والخلل والنقص والانحراف في أي نوعٍ منها هو خللٌ في التوحيد كله .) [1]
فالمشركون أقروا إجمالا بالربوبية وظهر من بعضهم نواقض للربوبية أيضا ولم يؤمنوا بالربوبية ، وإقرارهم ليس علي وجه التمام بل هو ناقص ومنقوض بنواقض شنعاء أتت علي أصل إقرارهم فصار كالعدم .

مبحث في ذكر إقرارهم بالخلق لله تعَالَي :

وأما إقرار مشركي العرب لله تعَالَي بالخلق فهي كثيرة جدا ، لأن إلحادهم وانتكاسة فطرهم لم تصل إلي حد إنكار الخَالِق ، وهم بهَذَا الإثبات لا يدخلون في الإسلَام ، بل حتي لم يستكملوا الرُّبُوبِيَّة ، فهم غير مؤمنين وغير موحدين فى الرُّبُوبِيَّة ، قَالَ ربنا تبارك وتعَالَي :{ وَلَئِنْ سَأَلْتَهُمْ مَنْ خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضَ وَسَخَّرَ الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ لَيَقُولُنَّ اللَّهُ فَأَنَّى يُؤْفَكُونَ } [2] .

---

[1] شرح كشف الشبهات الشريط الثاني ، تفريغ موقع الشيخ الحازمي .
[2] [سورة العنكبوت:61]

وقَالَ تَعَالَي :{ وَلَئِنْ سَأَلْتَهُمْ مَنْ خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضَ لَيَقُولُنَّ اللَّهُ قُلِ الْحَمْدُ لِلَّهِ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لا يَعْلَمُونَ }[1].

وقَالَ تَعَالَي :{ وَلَئِنْ سَأَلْتَهُمْ مَنْ خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضَ لَيَقُولُنَّ اللَّهُ قُلْ أَفَرَأَيْتُمْ مَا تَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ إِنْ أَرَادَنِيَ اللَّهُ بِضُرٍّ هَلْ هُنَّ كَاشِفَاتُ ضُرِّهِ أَوْ أَرَادَنِي بِرَحْمَةٍ هَلْ هُنَّ مُمْسِكَاتُ رَحْمَتِهِ قُلْ حَسْبِيَ اللَّهُ عَلَيْهِ يَتَوَكَّلُ الْمُتَوَكِّلُونَ } [2] .

وقَالَ تَعَالَي :{ وَلَئِنْ سَأَلْتَهُمْ مَنْ خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضَ لَيَقُولُنَّ خَلَقَهُنَّ الْعَزِيزُ الْعَلِيمُ } [3].

وقَالَ تَعَالَي :{ وَلَئِنْ سَأَلْتَهُمْ مَنْ خَلَقَهُمْ لَيَقُولُنَّ اللَّهُ فَأَنَّى يُؤْفَكُونَ }[4].

مبحث في ذكر إقرارهم بالرزق والتدبير لله تَعَالَي :

وقد أقر مشركوا العرب لله تَعَالَي بأنه الذي يرزقهم ويغيثهم بالمطر ويدبر شئون حياتهم ، فقَالَ تَعَالَي :{ وَلَئِنْ سَأَلْتَهُمْ مَنْ نَزَّلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَحْيَا بِهِ الأَرْضَ مِنْ بَعْدِ مَوْتِهَا لَيَقُولُنَّ اللَّهُ قُلِ الْحَمْدُ لِلَّهِ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لا يَعْقِلُونَ } [5] .

وقَالَ تَعَالَي :{ قُلْ مَنْ يَرْزُقُكُمْ مِنَ السَّمَاءِ وَالأَرْضِ أَمَّنْ يَمْلِكُ السَّمْعَ وَالأَبْصَارَ وَمَنْ يُخْرِجُ الْحَيَّ مِنَ الْمَيِّتِ وَيُخْرِجُ الْمَيِّتَ مِنَ الْحَيِّ وَمَنْ يُدَبِّرُ الأَمْرَ فَسَيَقُولُونَ اللَّهُ فَقُلْ أَفَلا تَتَّقُونَ } [6] .

وقَالَ الإِمَام الرازي في تفسيره : "ثم بين تعالى أن الرسول صَلَّي اللّهُ عَلَيهِ وَسَلَّمَ إذا سألهم عن مدبر هذه الأحوال فسيقولون انه الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَي ، وهَذَا يدل على ان المخاطبين بهَذَا الكلام كانوا

---

[1] [سورة لقمان:25]
[2] [سورة الزمر:38]
[3] [سورة الزخرف:9]
[4] [سورة الزخرف:87]
[5] [سورة العنكبوت:63]
[6] [سورة يونس:31]

يعرفون الله ويقرون به ، وهم الذين قَالَوا في عبادتهم للأصنام أنها تقربنا إلى الله زلفى ، وأنهم شفعاؤنا عند الله ، وكانوا يعلمون أن هذه الأصنام لا تنفع ولا تضر " [1] انتهى

مبحث في ذكر إقرار بعضهم بالإحياء والإماتة لله تَعَالَي :

قَالَ ربنا تبارك وتَعَالَي : (وَمَنْ يُخْرِجُ الْحَيَّ مِنَ الْمَيِّتِ وَيُخْرِجُ الْمَيِّتَ مِنَ الْحَيِّ وَمَنْ يُدَبِّرُ الْأَمْرَ فَسَيَقُولُونَ اللَّهُ فَقُلْ أَفَلَا تَتَّقُونَ) [2]

مبحث في ذكر إقرارهم بالقدرة لله تَعَالَي :

وقَالَ تَعَالَي :{ قُلْ مَنْ رَبُّ السَّمَوَاتِ السَّبْعِ وَرَبُّ الْعَرْشِ الْعَظِيمِ * سَيَقُولُونَ لِلَّهِ قُلْ أَفَلا تَتَّقُونَ * قُلْ مَنْ بِيَدِهِ مَلَكُوتُ كُلِّ شَيْءٍ وَهُوَ يُجِيرُ وَلا يُجَارُ عَلَيْهِ إِنْ كُنتُمْ تَعْلَمُونَ * سَيَقُولُونَ لِلَّهِ قُلْ فَأَنَّى تُسْحَرُونَ } [3] .

وكذا يظهر إقرارهم بل واعتقادهم القلبي بأن الله هو القادر علي التصرف فى الكون حينما يكونوا فى الفلك وتهيج عليهم الرياح وتعصف بهم الأمواج فلا يجدون مهربا سوي الله تَعَالَي ، فيتضرعون إليه داعين مخلصين : (لَئِنْ أَنْجَيْتَنَا مِنْ هَذِهِ لَنَكُونَنَّ مِنَ الشَّاكِرِينَ) [4] وهَذَا الدعاء منبعه عقيدة قلبية جازمة بأن الله قادر علي ذلك .

---

[1] تفسير الرازي (70/17)

[2] سورة يونس 31 .

[3] [سورة المؤمنون: 85-89]

[4] سورة يونس 22

فَصْلٌ فِي ذِكرِ معني الإِيمَان في قول الله تَعَالَي : (وَمَا يُؤْمِنُ أَكْثَرُهُمْ بِاللَّهِ إِلَّا وَهُمْ مُشْرِكُونَ) [1] ودفع توهم تحقيقهم الإيمان في شيء من التَّوحِيد وبيان تأويل العُلَمَاء له .

قَالَ القرطبي [2] رَحِمَهُ اللهُ : (قَوْلُهُ تَعَالَى: (وما يُؤْمِنُ أَكْثَرُهُمْ بِاللَّهِ إِلَّا وَهُمْ مُشْرِكُونَ) نَزَلَتْ فِي قَوْمٍ أَقَرُّوا بِاللَّهِ خَالِقِهِمْ وَخَالِقِ الْأَشْيَاءِ كُلِّهَا، وَهُمْ يعبدون الأوثان، قَالَه الحسن ومجاهد وعامر الشعبي وَأَكْثَرُ الْمُفَسِّرِينَ. وَقَالَ عِكْرِمَةُ هُوَ قَوْلُهُ:" وَلَئِنْ سَأَلْتَهُمْ مَنْ خَلَقَهُمْ لَيَقُولُنَّ اللَّهُ" [3] ثُمَّ يَصِفُونَهُ بِغَيْرِ صِفَتِهِ وَيَجْعَلُونَ لَهُ أَنْدَادًا، وَعَنِ الْحَسَنِ أَيْضًا: أَنَّهُمْ أَهْلُ كِتَابٍ مَعَهُمْ شِرْكٌ وَإِيمَانٌ، آمَنُوا بِاللَّهِ وَكَفَرُوا بِمُحّمَّد صَلَّي اللهُ عَلَيهِ وَسَلَّمَ، فَلَا يَصِحُّ إِيمَانُهُمْ، حَكَاهُ ابْنُ الْأَنْبَارِيُّ. وَقَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ: نَزَلَتْ فِي تَلْبِيَةِ مُشْرِكِي الْعَرَبِ: لَبَّيْكَ لَا شَرِيكَ لَكَ إِلَّا شَرِيكًا هُوَ لَكَ تَمْلِكُهُ وَمَا مَلَكَ. وَعَنْهُ أَيْضًا أَنَّهُمُ النَّصَارَى. وَعَنْهُ أَيْضًا أَنَّهُمُ المشبهة، آمنوا مجملا وأشركو مُفَصَّلًا.

وَقِيلَ: نَزَلَتْ فِي الْمُنَافِقِينَ، الْمَعْنَى:" وما يُؤْمِنُ أَكْثَرُهُمْ بِاللَّهِ" أَيْ بِاللِّسَانِ إِلَّا وَهُوَ كَافِرٌ بِقَلْبِهِ، ذَكَرَهُ الْمَاوَرْدِيُّ عَنِ الْحَسَنِ أَيْضًا. وَقَالَ عَطَاءٌ: هَذَا فِي الدُّعَاءِ، وَذَلِكَ أَنَّ الْكُفَّارَ يَنْسَوْنَ رَبَّهُمْ فِي الرَّخَاءِ، فَإِذَا أَصَابَهُمُ الْبَلَاءُ أَخْلَصُوا فِي الدُّعَاءِ، بَيَانُهُ:" وَظَنُّوا أَنَّهُمْ أُحِيطَ بِهِمْ" [4] الْآيَةَ. وَقَوْلُهُ:" وَإِذا مَسَّ الْإِنْسانَ الضُّرُّ دَعانا لِجَنْبِهِ" [5] الْآيَةَ. وَفِي آيَةٍ أُخْرَى:" وَإِذا مَسَّهُ الشَّرُّ فَذُو دُعاءٍ عَرِيضٍ" [6].

وَقِيلَ: مَعْنَاهَا أَنَّهُمْ يَدْعُونَ اللَّهَ يُنْجِيهِمْ مِنَ الْهَلَكَةِ، فَإِذَا أَنْجَاهُمْ قَالَ قَائِلُهُمْ: لَوْلَا فُلَانٌ مَا نَجَوْنَا ، وَلَوْلَا الْكَلْبُ لَدَخَلَ عَلَيْنَا اللِّصُّ، وَنَحْوَ هَذَا، فَيَجْعَلُونَ نِعْمَةَ اللَّهِ مَنْسُوبَةً إِلَى فُلَانٍ، وَوِقَايَتَهُ مَنْسُوبَةً إِلَى الْكَلْبِ. قُلْتُ: وَقَدْ يَقَعُ فِي هَذَا الْقَوْلِ وَالَّذِي قَبْلَهُ كَثِيرٌ مِنْ عَوَامِّ الْمُسْلِمِينَ، وَلَا حَوْلَ وَلَا قُوَّةَ إِلَّا بِاللَّهِ الْعَلِيِّ الْعَظِيمِ. وَقِيلَ: نَزَلَتْ هَذِهِ الْآيَةُ فِي قِصَّةِ الدُّخَانِ، وَذَلِكَ أَنَّ أَهْلَ مَكَّةَ لَمَّا غَشِيَهُمُ الدُّخَانُ

---

[1] سورة يوسف 106

[2] هو أبو عبد الله مُحّمَّد بن أحمد بن أبي بكر بن فرح الأنصاري الخزرجي شمس الدين القرطبي (المتوفى: 671هـ) .

[3] [سورة الزخرف: 87]

[4] [سورة يونس: 22]

[5] [سورة يونس: 12]

[6] [سورة فصلت: 51]

فِي سِنِي الْقَحْطِ قَالَوا:" رَبَّنَا اكْشِفْ عَنَّا الْعَذابَ إِنَّا مُؤْمِنُونَ" [1] فَذَلِكَ إِيمَانُهُمْ، وَشِرْكُهُمْ عَوْدُهُمْ إِلَى الْكُفْرِ بَعْدَ كشف العذاب، بيانه قوله:" إِنَّكُمْ عائِدُونَ" [2] وَالْعَوْدُ لَا يَكُونُ إِلَّا بَعْدَ ابْتِدَاءٍ، فَيَكُونُ مَعْنَى:" إِلَّا وَهُمْ مُشْرِكُونَ" أَيْ إِلَّا وَهُمْ عَائِدُونَ [إِلَى الشِّرْكِ]، وَاللَّهُ أَعْلَمُ.) [3]

فانظر يا رعاك الله ، إلي النقول المتكاثرة التي أوردها الإمَام القرطبي رَحِمَهُ اللهُ ، حيث دارت مجمل أقوال المفسرين والعُلَمَاء رَحِمَهُم اللهُ حول أنهم أقروا ببعض المَسَائِل التي سموها إيمانا ، وهي في الحقيقة جزء من الإيمَان إن استكملوه ولا قيمة لها ولا كرامة إن انفردت كما كان حالهم ! فتنبه ، فاحتج الله تَعَالَي عليهم بما زعموه من إيمان علي كفرهم في واقع أمرهم .

ولعلي أجلّي لك الأمر بذكر النقول منفردة معلقا عليها بما يظهر مكنونها .

قوله - أي القرطبي - رَحِمَهُ اللهُ : (نَزَلَتْ فِي قَوْمٍ أَقَرُّوا بِاللَّهِ خَالِقِهِمْ وَخَالِقِ الْأَشْيَاءِ كُلِّهَا، وَهُمْ يعبدون الأوثان، قَالَه الحسن ومجاهد وعامر الشعبي وَأَكْثَرُ الْمُفَسِّرِينَ.) فلم يذكر توحيدا في هَذَا القسم ولا إيمانا ! بل ذكر عنهم إقرارا واعترافا ، وَهُوَ ما ثبت بالادلة أنهم أقروا ولم يؤمنوا بالرُّبُوبِيَّة كلها .

وكذلك قوله - القرطبي - رَحِمَهُ اللهُ : (وَعَنِ الْحَسَنِ أَيْضًا: أَنَّهُمْ أَهْلُ كِتَابٍ مَعَهُمْ شِرْكٌ وَإِيمَانٌ، آمَنُوا بِاللَّهِ وَكَفَرُوا بِمُحَمَّد صَلَّي اللهُ عَلَيهِ وَسَلَّمَ، فَلَا يَصِحُّ إِيمَانُهُمْ) فذكر أن معهم خليطا من الشرك والإيمَان ثم بين أن إيمانهم الذي زعموه منقوض في ذاته بشركهم في غيره .

وقوله - القرطبي - رَحِمَهُ اللهُ : (وَقَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ: نَزَلَتْ فِي تَلْبِيَةِ مُشْرِكِي الْعَرَبِ: لَبَّيْكَ لَا شَرِيكَ لَكَ إِلَّا شَرِيكًا هُوَ لَكَ تَمْلِكُهُ وَمَا مَلَكَ.) [4] فيه ملمح عظيم ، إذ قد رأي ابن عباس رَضِيَ اللهُ عَنهُمَا أن ما يسمي إيمانا هو في قولهم الأول (لبيك اللهم لبيك) وفي قولهم الثاني (تملكه وما ملك

[1] [سورة الدخان: 12]
[2] [سورة الدخان: 15]
[3] تفسير القرطبي المسمي " الجامع لأحكام القرآن " (9 / 274) . بتحقيق أحمد البردوني وإبراهيم أطفيش .
[4] تفسير القرطبي المسمي " الجامع لأحكام القرآن " (9 / 274) . بتحقيق أحمد البردوني وإبراهيم أطفيش .

) فقولهم الأول يظهر منه أنهم أقروا لله بالعبادة وَهُوَ من الأُلُوهِيَّة فلذا دعوه كإله ، ويظهر من قولهم الثاني أنهم أقروا لله بالملك وَهُوَ من الرُّبُوبِيَّة ، ولا يخلوا دعائهم السابق من الشرك في الأُلُوهِيَّة والرُّبُوبِيَّة معا ، فقد كانوا يطوفون طوافهم بالبيت عرايا قاصدين الأصنام معتقدين لها شيئا من الملك حيث قَالَوا (وما ملك) . ، وفي هَذَا دليل صريح علي من يزعم - بإطلاق من غير تقييد - أن المشركين ءامنوا بالرُّبُوبِيَّة وأشركوا بالأُلُوهِيَّة ، كما صرح ابن عباس رَضِيَ اللهُ عَنهُمَا . والصحيح كما أسلفنا أنهم أقروا - وليس ءامنوا - ببعض مَسَائِل الرُّبُوبِيَّة وبعض مَسَائِل الأُلُوهِيَّة وأشركوا في البعض الآخر . فتنبه لذلك رَحِمَكَ اللهُ .

وقوله - القرطبي - رَحِمَهُ اللهُ : (الْمَعْنَى:" وَما يُؤْمِنُ أَكْثَرُهُمْ بِاللَّهِ" أَيْ بِاللِّسَانِ إِلَّا وَهُوَ كَافِرٌ بِقَلْبِهِ، ذَكَرَهُ الْمَاوَرْدِيُّ عَنِ الْحَسَنِ أَيْضًا.) ومعلوم أن النطق باللسان جزء من الإيمَان ، والتصديق بالقلب جزء ثان من الإيمَان ، والانقياد بالجوارح جزء ثالث من الإيمَان ، لا يصدق مسمي مؤمن علي بشر إلا إذا استكمل الثلاثة أجزاء معا - أو ما بلغه منه وقدر عليه - وعليه فمشركوا العرب نطقوا باللسان فحصلوا شيئا من الإيمَان في شيء من مسألة من مَسَائِل الرُّبُوبِيَّة أو الأُلُوهِيَّة ! فكيف يقَالَ أنهم آمنوا بالرُّبُوبِيَّة ؟! ياللعجب ، أيصدق علي شيء من شيء من شيء اسم الكل ؟! كلا والله .

وقوله - القرطبي - رَحِمَهُ اللهُ : (وَقَالَ عَطَاءٌ: هَذَا فِي الدُّعَاءِ، وَذَلِكَ أَنَّ الْكُفَّارَ يَنْسَوْنَ رَبَّهُمْ فِي الرَّخَاءِ، فَإِذَا أَصَابَهُمُ الْبَلَاءُ أَخْلَصُوا فِي الدُّعَاءِ، بَيَانُهُ:" وَظَنُّوا أَنَّهُمْ أُحِيطَ بِهِمْ" [1] الْآيَةَ. وَقَوْلُهُ:" وَإِذا مَسَّ الْإِنْسانَ الضُّرُّ دَعانا لِجَنْبِهِ" [2] الْآيَةَ. وَفِي آيَةٍ أُخْرَى:" وَإِذا مَسَّهُ الشَّرُّ فَذُو دُعاءٍ عَرِيضٍ" [3].) وفي تأويل عطاء رَحِمَهُ اللهُ بيان أن إيمانهم وشركهم المذكور في الآية في الدعاء الذي هو شيء

[1] [سورة يونس: 22]

[2] [سورة يونس: 12]

[3] [سورة فصلت: 51]

من الأُلُوهِيَّة ، فيدعونه وقت الشدة وذاك إيمانهم في زعمهم وَهُوَ في الحقيقة إقرار بالله واعتراف به لأنه مشوب بشرك فلا يصدق عليه حقيقة الإِيمَان حتي في هذه الجزئية ، وينسونه وقت الرخاء وهَذَا كفرهم الصريح مع علمهم بألوهيته تبارك وتَعَالَي .

وفي هَذَا أيضا رد صريح علي من يطلق إيمانهم في الرُّبُوبِيَّة وكفرهم في الأُلُوهِيَّة ، فهم - أمامك ياعبد الله - قد اعترفوا بالأُلُوهِيَّة وأشركوا في ذات الوقت ، فكيف لا تكون دقيقا وتصفهم بحقيقة حالهم وتقول أنهم أقروا بمَسَائِل من الأُلُوهِيَّة وأشركوا في مَسَائِل فصاروا مشركين ؟! ، وكذلك أقروا بمَسَائِل في الرُّبُوبِيَّة وأشركوا في مَسَائِل فصاروا مشركين ؟! .

وأما علي قياسك - الفاسد - من زعمك كونهم مؤمنين بالرُّبُوبِيَّة لمجرد اقرارهم ببعض مَسَائِلها فعممتها علي الكل يلزمك أن تزعم - سيرا علي قاعدتك - انهم أيضا آمنوا بالأُلُوهِيَّة لأنهم أقروا ببعض مَسَائِلها وأشركوا ببعضها ، وإن فرقت بين المثالين فلست مستقيما في طرحك .

وقوله - القرطبي - رَحِمَهُ اللهُ : (وَقِيلَ: مَعْنَاهَا أَنَّهُمْ يَدْعُونَ اللَّهَ يُنْجِيهِمْ مِنَ الْهَلَكَةِ، فَإِذَا أَنْجَاهُمْ قَالَ قَائِلُهُمْ: لَوْلَا فُلَانٌ مَا نَجَوْنَا، وَلَوْلَا الْكَلْبُ لَدَخَلَ عَلَيْنَا اللِّصُّ، وَنَحْوَ هَذَا، فَيَجْعَلُونَ نِعْمَةَ اللَّهِ مَنْسُوبَةً إِلَى فُلَانٍ، وَوِقَايَتَهُ مَنْسُوبَةً إِلَى الْكَلْبِ.) فيه إثبات لمسألة الدعاء وقت الشدة والجحود وقت الرخاء ، ومنه كما أسلفنا إثبات إقرار بمسألة من مَسَائِل الأُلُوهِيَّة .

وقوله - القرطبي - رَحِمَهُ اللهُ : (وَقِيلَ: نَزَلَتْ هَذِهِ الْآيَةُ فِي قِصَّةِ الدُّخَانِ، وَذَلِكَ أَنَّ أَهْلَ مَكَّةَ لَمَّا غَشِيَهُمُ الدُّخَانُ فِي سِنِي الْقَحْطِ قَالَوا:" رَبَّنَا اكْشِفْ عَنَّا الْعَذابَ إِنَّا مُؤْمِنُونَ" [1] فَذَلِكَ إِيمَانُهُمْ، وَشِرْكُهُمْ عَوْدُهُمْ إِلَى الْكُفْرِ بَعْدَ كشف العذاب، بيانه قوله:" إِنَّكُمْ عائِدُونَ" [2] وَالْعَوْدُ لَا يَكُونُ إِلَّا بَعْدَ ابْتِدَاءٍ، فَيَكُونُ مَعْنَى:" إِلَّا وَهُمْ مُشْرِكُونَ" أَيْ إِلَّا وَهُمْ عَائِدُونَ [إِلَى الشِّرْكِ]،) فانظر يأخا الإِسلَام ، كيف خاطبهم الله تَعَالَي بما ادعوه وزعموه حين قَالَوا في دعائهم (إنا مؤمنون) فقَالَ الله

[1] [سورة الدخان: 12]

[2] [سورة الدخان: 15]

تَعَالَي رادا عليهم إيمانهم وشركهم بقوله (إنكن عائدون) أي إلي الشرك فلم تخرجوا منه ، فقَالَ سُبْحَانَهُ (وما يؤمن أكثرهم بالله إلا وهم مشركون) .

قَالَ الطبري رَحِمَهُ اللهُ : (القول في تأويل قوله تعالى : { وَمَا يُؤْمِنُ أَكْثَرُهُمْ بِاللَّهِ إِلا وَهُمْ مُشْرِكُونَ }

قَالَ أبو جعفر: يقول تعالى ذكره: وما يُقِرُّ أكثر هؤلاء - الذين وصَفَ عز وجل صفتهم بقوله:(وكأين من آية في السموات والأرض يمرُّون عليها وهم عنها معرضون) - بالله أنه خالقه ورازقه وخالق كل شيء - (إلا وهم مشركون)، في عبادتهم الأوثان والأصنام ، واتخاذهم من دونه أربابًا ، وزعمهم أنَّ له ولدًا ، تعالى الله عما يقولون.

وبنحو الذي قلنا في ذلك قَالَ أهل التأويل .

* ذكر من قَالَ ذلك:

قَالَ ابن عباس:(وما يؤمن أكثرهم بالله) الآية ، قَالَ: من إيمانهم، إذا قيل لهم: مَن خلق السماء؟ ومن خلق الأرض؟ ومن خلق الجبال؟ قَالَوا: الله . وهم مشركون.

وعن عكرمة ، في قوله:(وما يؤمن أكثرهم بالله إلا وهم مشركون) ، قَالَ: تسألهم: مَن خلقهم؟ ومن خلق السماوات والأرض ، فيقولون: الله . فذلك إيمانهم بالله ، وهم يعبدون غيره.

وعن عكرمة:(وما يؤمن أكثرهم بالله) الآية ، قَالَ : يعلمون أنه ربُّهم ، وأنه خلقهم ، وهم يشركون به.

وعن عكرمة:(وما يؤمن أكثرهم بالله إلا وهم مشركون) ، قَالَ: من إيمانهم إذا قيل لهم: من خلق السماوات؟ قَالَوا: الله. وإذا سئلوا: من خلقهم؟ قَالَوا: الله. وهم يشركون به بَعْدُ.

وعن عكرمة ، قَالَ: هو قول الله:(وَلَئِنْ سَأَلْتَهُمْ مَنْ خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضَ لَيَقُولُنَّ اللَّهُ) [1] . فإذا سئلوا عن الله وعن صفته ، وصفوه بغير صفته، وجعلوا له ولدًا، وأشركوا به.

[1] [سورة لقمان: 25/ سورة الزمر:38]

وعن مجاهد ، قوله:(وما يؤمن أكثرهم بالله إلا وهم مشركون) ، إيمانهم قولهم: الله خالقُنا، ويرزقنا ويميتنا.

وعن مجاهد:(وما يؤمن أكثرهم بالله إلا وهم مشركون) ، فإيمانهم قولُهم: الله خالقنا ويرزقنا ويميتنا.

وعن مجاهد:(وما يؤمن أكثرهم بالله إلا وهم مشركون) ، إيمانُهم قولهم: الله خالقنا ويرزقنا ويميتنا ، فهَذَا إيمان مع شرك عبادتهم غيرَه.

وعن مجاهد:(وما يؤمن أكثرهم بالله إلا وهم مشركون) قَالَ: إيمانهم قولهم: الله خالقنا ويرزقنا ويميتنا

وعن مجاهد ، قَالَ: يقولون:"الله ربنا ، وَهُوَ يرزقنا"، وهم يشركون به بعدُ.

وعن مجاهد قَالَ: إيمانهم قولُهم: الله خالقنا، ويرزقنا ويميتنا.

وعن عكرمة ومجاهد، وعامر: أنهم قَالَوا في هذه الآية:(وما يؤمن أكثرهم بالله إلا وهم مشركون) ، قَالَ: ليس أحد إلا وَهُوَ يعلم أن الله خلقه وخلق السموات والأرض، فهَذَا إيمانهم ، ويكفرون بما سوى ذلك.

وعن قتادة ، قوله:(وما يؤمن أكثرهم بالله إلا وهم مشركون) ، في إيمانهم هَذَا. إنك لست تلقى أحدًا منهم إلا أنبأك أن الله ربه، وَهُوَ الذي خلقه ورزقه ، وَهُوَ مشرك في عبادته.

وعن قتادة:(وما يؤمن أكثرهم بالله) الآية ، قَالَ: لا تسأل أحدًا من المشركين: مَنْ رَبُّكَ؟ إلا قَالَ: ربِّيَ الله! وَهُوَ يشرك في ذلك.

وعن ابن عباس قوله:(وما يؤمن أكثرهم بالله إلا وهم مشركون) ، يعني النصارى، يقول:(وَلَئِنْ سَأَلْتَهُمْ مَنْ خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضَ لَيَقُولُنَّ اللَّهُ) [1] ،(وَلَئِنْ سَأَلْتَهُمْ مَنْ خَلَقَهُمْ لَيَقُولُنَّ اللَّهُ) [2]، ولئن سألتهم من يرزقكم من السماء والأرض؟ ليقولن: الله .وهم مع ذلك يشركون به ويعبدون غيره، ويسجدون للأنداد دونه.؟

[1] [سورة لقمان: 25/ سورة الزمر:38]

[2] [سورة الزخرف: 87]

وعن الضحاك ، قَالَ: كانوا يشركون به في تلبيتهم.

وعن عطاء:(وما يؤمن أكثرهم بالله) ، الآية ، قَالَ: يعلمون أن الله ربهم ، وهم يشركون به بعدُ.

وعن عطاء ، في قوله:(وما يؤمن أكثرهم بالله إلا وهم مشركون) ، قَالَ: يعلمون أن الله خالقهم ورازقهم ، وهم يشركون به.

وقَالَ ابن زيد رحمه الله :(وما يؤمن أكثرهم بالله) ، الآية ، قَالَ: ليس أحدٌ يعبد مع الله غيره إلا وَهُوَ مؤمن بالله ، ويعرف أن الله ربه ، وأن الله خالقه ورازقه ، وَهُوَ يشرك به. ألا ترى كيف قَالَ إبراهيم:(أَفَرَأَيْتُمْ مَا كُنْتُمْ تَعْبُدُونَ أَنْتُمْ وَآبَاؤُكُمُ الأَقْدَمُونَ فَإِنَّهُمْ عَدُوٌّ لِي إِلا رَبَّ الْعَالَمِينَ) [1] ؟ قد عرف أنهم يعبدون رب العالمين مع ما يعبدون. قَالَ: فليس أحد يشرك به إلا وَهُوَ مؤمن به. ألا ترى كيف كانت العرب تلبِّي تقول:"لبيك اللهم لبيك ، لبيك لا شريك لك ، إلا شريك هو لك ، تملكه وما ملك"؟ المشركون كانوا يقولون هَذَا.) [2] انتهي بتصرف .

فتأمل رَحِمَكَ اللهُ كيف فهم الإِمَام الطبري نقولاته عن أئمة التفسير ثم عبر عنه بقوله (وما يُقِرُّ أكثر هؤلاء بالله أنه خالقه ورازقه وخالق كل شيء - (إلا وهم مشركون)، في عبادتهم الأوثان والأصنام ، واتخاذهم من دونه أربابًا ، وزعمهم أنَّ له ولدًا ، تعالى الله عما يقولون.) فذكر أن ما يسمونه إيمانا هو إقرارهم بمسألة الخلق والرزق والتدبير وشركهم في باقي مَسَائِل الرُّبُوبِيَّة ومَسَائِل الأُلُوهِيَّة .

وأما وقوف الأئمة علي حد اللفظ (يؤمن) وقولهم به فليس علي عمومه في مَسَائِل الرُّبُوبِيَّة ، بل كما صرحوا في المَسَائِل التي ورد ذكرها في القرآن وأقر بها المشركون ، وعليه فيَجِبُ علي من أراد الوقوف علي لفظ (الإِيمَان) فيَجِبُ عليه أن يقيد هَذَا الإِيمَان بالمَسَائِل التي ذكرها ربنا تبارك وتَعَالَي وقيدها الأئمة كما رأيت . من مثل أقوالهم (إيمانُهم قولهم: الله خالقنا ويرزقنا ويميتنا) فإذا سئلوا عن الله وعن صفته ، وصفوه بغير صفته، وجعلوا له ولدًا، وأشركوا به وهَذَا شرك في الرُّبُوبِيَّة .

---

[1] [سورة الشعراء: 75-77]

2 جامع البيان في تأويل القرآن للامام الطبري (16 / 286 - 289) بتحقيق أحمد مُحَمَّد شاكر .

قَالَ البغوي رحمه الله : ({ وَمَا يُؤْمِنُ أَكْثَرُهُمْ بِاللَّهِ إِلا وَهُمْ مُشْرِكُونَ } فكان من إيمانهم إذا سُئِلُوا: مَنْ خلق السموات والأرض؟ قَالَوا: الله، وإذا قيل لهم: مَنْ ينزل القطر؟ قَالَوا: الله، ثم مع ذلك يعبدون الأصنام ويشركون [1] .

وعن ابن عباس أنه قَالَ: إنها نزلت في تلبية المشركين من العرب كانوا يقولون في تلبيتهم، لبيك اللهم لبيك لبيك لا شريك لك إلا شريك هو لك تملكه وما ملك [2] .

وقَالَ عطاء رحمه الله : هَذَا في الدعاء، وذلك أن الكفار نسوا ربَّهم في الرخاء، فإذا أصابهم البلاء أخلصوا في الدعاء [3] ، كما قَالَ الله تعالى: { وَظَنُّوا أَنَّهُمْ أُحِيطَ بِهِمْ دَعَوُا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ }[4] الآية وقَالَ تعالى: { فَإِذَا رَكِبُوا فِي الْفُلْكِ دَعَوُا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ فَلَمَّا نَجَّاهُمْ إِلَى الْبَرِّ إِذَا هُمْ يُشْرِكُونَ } [5]، وغير ذلك من الآيات.) [6] انتهي .

وقَالَ الزمخشري [7] رحمه الله : (وَما يُؤْمِنُ أَكْثَرُهُمْ في إقراره بالله وبأنه خلقه وخلق السموات والأرض، إلا وَهُوَ مشرك بعبادته الوثن، وعن الحسن: هم أهل الكِتَاب معهم شرك وإيمان. وعن ابن عباس رَضِيَ اللهُ عَنهُمَا: هم الذين يشبهون الله بخلقه.) [8] انتهي .

وقَالَ الماتريدي رَحِمَهُ اللهُ [1] : (يحتمل هَذَا وجهين:

---

[1] وَهُوَ مروي عن ابن عباس وعكرمة ومجاهد وعطاء والشعبي وقتادة والضحاك وابن زيد. انظر: تفسير الطبري: 16 / 286-288، ابن كثير: 2 / 495، الدر المنثور 4 / 593. (معالم التنزيل (4 / 283) بتحقيق : مُحمَّد عبد الله النمر - عثمان جمعة ضميرية - سليمان مسلم الحرش)

[2] ثبت ذلك في الصحيحين، وفي صحيح مسلم: (2 / 843) أنهم كانوا إذا قالوا: لبيك لا شريك لك. قال رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيهِ وَسَلَّمَ: "ويلكم قد قد" (أي: حسبكم لا تزيدوا على هَذَا) فيقولون: إلا شريكا هو لك، تملكه وما ملك. هَذَا، ولم تذكر هذه الأحاديث أن الآيات نزلت في ذلك. فهي حكاية عن حالهم في الجاهلية وتلبيتهم هذه. وانظر: تفسير ابن كثير: 2 / 495. (معالم التنزيل (4 / 283) بتحقيق : مُحمَّد عبد الله النمر - عثمان جمعة ضميرية - سليمان مسلم الحرش)

[3] انظر: البحر المحيط: 5 / 351. وهذه الأقوال التي تقدمت وغيرها من الأقوال الأخرى المروية، داخلة كلها في عموم الآية الكريمة، ولا تنافي بينها، فذلك كله كان واقعا منهم، فالآية تحكي هَذَا كله. (معالم التنزيل (4 / 283) بتحقيق : مُحمَّد عبد الله النمر - عثمان جمعة ضميرية - سليمان مسلم الحرش)

[4] (سورة يونس -22)

[5] (سورة العنكبوت -65)

[6] معالم التنزيل (4 / 283)

[7] أبو القاسم محمود بن عمرو بن أحمد، الزمخشري جار الله (المتوفى: 538هـ)

[8] الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل (2 / 508)

أحدهما: في الاعتقاد؛ أي: وما يؤمن أكثرهم بالله بأنه الإله؛ إلا وهم مشركون الأصنام والأوثان في التسمية، وسموها آلهة؛ كقوله - تعالى -: (قُلْ لَوْ كَانَ مَعَهُ آلِهَةٌ كَمَا يَقُولُونَ إِذًا لَابْتَغَوْا إِلَى ذِي الْعَرْشِ سَبِيلًا)[2] .

والثاني: إشراك في الفعل؛ أي: وما يؤمن أكثرهم بالله إلا وهم عبدوا غيره؛ من الأصنام والأوثان، أو أن يكون (وَمَا يُؤْمِنُ أَكْثَرُهُمْ بِاللَّهِ) بلسانهم (إِلَّا وَهُمْ مُشْرِكُونَ) بقلوبهم أو يقول: وما يؤمن أكثرهم بالله في النعمة أنها من الله تعالى؛ إلا وهم مشركون في الشكر له تعالى.)[3]

وقَالَ ابن كثير رَحِمَهُ اللهُ : (يُخْبِرُ تَعَالَى عَنْ غَفْلَةِ أَكْثَرِ النَّاسِ عَنِ التَّفَكُّرِ فِي آيَاتِ اللَّهِ، وَدَلَائِلِ تَوْحِيدِهِ، بِمَا خَلَقَهُ اللَّهُ فِي السماوات والأرض من كواكب زاهرات وأفلاك دائرت؛ وحدائق وجنات، وجبال راسيات، وبحار زاخرات، وحيوان ونبات، فسبحان الواحد الأحد خالق أنواع المخلوقات، المنفرد بالدوام والبقاء والصمدية للأسماء وَالصِّفَاتِ، وَقَوْلِهِ: {وَمَا يُؤْمِنُ أَكْثَرُهُم بِاللَّهِ إِلاَّ وَهُمْ مُّشْرِكُونَ} قَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ: مِنْ إِيمَانِهِمْ أنهم إِذَا قِيلَ لَهُمْ: مَّنْ خَلَقَ السماوات وَمَنْ خَلَقَ الْأَرْضَ وَمَنْ خَلَقَ الْجِبَالِ؟ قَالُوا: اللَّهُ وَهُمْ مُشْرِكُونَ بِهِ (وَكَذَا قَالَ مُجَاهِدٌ وعطاء وعكرمة والشعبي وقتادة والضحاك). وفِي الصَّحِيحَيْنِ: أَنَّ الْمُشْرِكِينَ كَانُوا يَقُولُونَ فِي تَلْبِيَتِهِمْ: لَبَّيْكَ لَا شَرِيكَ، إلا شريك هو لك، تملكه وما ملك. وفي صحيح مسلم: أَنَّهُمْ كَانُوا إِذَا قَالُوا لَبَّيْكَ لَا شَرِيكَ لك، قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّي اللهُ عَلَيهِ وَسَلَّمَ: «قَدْ قَدْ» أَيْ حَسْبُ حَسْبُ لَا تَزِيدُوا عَلَى هَذَا، وَقَالَ اللَّهُ تَعَالَى: {إِنَّ الشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٍ}. وَقَالَ الْحَسَنُ الْبَصْرِيُّ فِي قَوْلِهِ: {وَمَا يُؤْمِنُ أَكْثَرُهُمْ بِاللَّهِ إِلاَّ وَهُمْ مُّشْرِكُونَ} قَالَ: ذَلِكَ الْمُنَافِقُ يَعْمَلُ إِذَا عَمِلَ رِيَاءَ النَّاسِ، وَهُوَ مشرك بعمله ذلك، يعني في قوله تعالى: { يُرَاؤُونَ النَّاسَ وَلاَ يَذْكُرُونَ اللَّهَ إِلاَّ قَلِيلاً}، عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللهُ عَنهُ قَالَ، قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّي اللهُ

[1] مُحَمَّد بن مُحَمَّد بن محمود، أبو منصور الماتريدي (المتوفى: 333هـ)

[2] سورة الاسراء 42 .

[3] تفسير الماتريدي المسمي (تأويلات أهل السُنَّة) (6 / 296) بتحقيق د. مجدي باسلوم .

عَلَيهِ وَسَلَّمَ: «يقول الله أنا أغنى الشركاء عن الشرك، من عَمِلَ عَمَلًا أَشْرَكَ فِيهِ مَعِي غَيْرِي تَرَكْتُهُ وشركه» [1] ، وَعَنْ أَبِي سَعِيدِ ابن أَبِي فَضَالَةَ قَالَ، سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّي اللهُ عَلَيهِ وَسَلَّمَ يقول: «إذا جمع الله الأولين والآخرين لِيَوْمٍ لاَّ رَيْبَ فِيهِ، يُنَادِي منادٍ مَنْ كَانَ أَشْرَكَ فِي عَمَلٍ عَمِلَهُ لِلَّهِ فَلْيَطْلُبْ ثَوَابَهُ مِنْ عِنْدِ غَيْرِ اللَّهِ، فَإِنَّ اللَّهَ أَغْنَى الشركاء عن الشرك» [2] وقَالَ: «إِنَّ أَخْوَفَ مَا أَخَافُ عَلَيْكُمُ الشِّرْكُ الْأَصْغَرُ»، قَالَوا: وَمَا الشِّرْكُ الْأَصْغَرُ يَا رَسُولَ اللَّهِ؟ قَالَ: "الرياء، يقول الله تعالى يوم القيامة إذا جاز الناس بأعمالهم: اذهبوا إلى الذين كنتم تراؤون فِي الدُّنْيَا، فَانْظُرُوا هَلْ تَجِدُونَ عِنْدَهُمْ جَزَاءً؟ ". وَقَدْ رَوَى الإِمَام أَحْمَدُ وَأَبُو دَاوُدَ وَالتِّرْمِذِيُّ قَالَ، قَالَ أَبُو بَكْرٍ الصِّدِّيقُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ عَلِّمْنِي شَيْئًا أَقُولُهُ إِذَا أصبحت وأمسيت وَإِذَا أَخَذْتُ مَضْجَعِي، قَالَ: «قُلِ اللَّهُمَّ فَاطِرَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ، عَالِمَ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ رَبَّ كُلِّ شَيْءٍ وَمَلِيكَهُ، أَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ، أَعُوذُ بِكَ مِنْ شر نفسي، ومن شر الشيطان وشركه») [3] انتهي بتصرف .

وقَالَ التستري رَحِمَهُ اللهُ : (قوله تعالى : { وَمَا يُؤْمِنُ أَكْثَرُهُمْ بالله إلاَّ وَهُمْ مُّشْرِكُونَ } يعني شرك النفس الأمارة بالسوء كما قَالَ النبي صَلَّي اللهُ عَلَيهِ وَسَلَّمَ : « الشرك في أمتي أخفى من دبيب النمل على الصفا » ، هَذَا باطن الآية ، وأما ظاهرها مشركو العرب يؤمنون بالله ، كما قَالَ : { وَلَئِن سَأَلْتَهُم مَّنْ خَلَقَهُمْ لَيَقُولُنَّ الله } [4] وهم مع ذلك مشركون يؤمنون ببعض الرسل ولا يؤمنون ببعضهم .) [5] .

---

[1] (أخرجه مسلم)

[2] (أخرجه الإمام أحمد في المسند).

[3] مختصر تفسير بن كثير للصابوني (2 / 264 – 265)

[4] [سورة الزخرف : 87]

[5] تفسير التستري1/ 245 .

وقَالَ الماوردي [1] **رَحِمَهُ اللهُ** عند تفسير هذه الآية : (فيه خمسة أوجه: أحدها: أنه قول المشركين الله ربنا وآلهتنا ترزقنا , قَالَه مجاهد. الثاني: أنه في المنافقين يؤمنون في الظاهر رياء وهم في الباطن كافرون بالله تعالى , قَالَه الحسن. الثالث: هو أن يشبه الله تعالى بخلقه , قَالَه السدي. الرابع: أنه يشرك في طاعته كقول الرجل لولا الله وفلان لهلك فلان , وهَذَا قول أبي جعفر. الخامس: أنهم كانوا يؤمنون بالله تعالى ويكفرون بمُحَمَّد صَلَّي اللهُ عَلَيهِ وَسَلَّمَ , فلا يصح إيمانهم حكاه ابن الأنباري.) [2]

وفي تفسير القرآن [3] للعز ابن عبد السلام [4] رَحِمَهُ اللهُ : ({مُّشْرِكُونَ} يقولون: الله ربنا وآلهتنا ترزقنا، أو المنافق يؤمن بظاهره ويكفر بباطنه " ح "، أو قول الرجل لولا الله وفلان لهلك فلان.) انتهى . [5]

وقَالَ الآلوسي رَحِمَهُ اللهُ : (وقيل : أشركوا بالتبني واتخاذهم أحبارهم ورهبانهم أرباباً . وقيل : هم الكفار الذين يخلصون في الدعاء عند الشدة ويشركون إذا نجوا مِنهَا وروي ذلك عن عطاء ، وقيل : هم الثنوية قَالَوا بالنور والظلمة . وقيل : هم المنافقون جهروا بالإيمَان واخفوا الكفر ونسب ذلك للبلخي ، وعن الحبر أنهم المشبهة آمنوا مجملاً وكفروا مفصلاً . وعن الحسن أنهم المراؤون بأعمالهم والرياء شرك خفي ، وقيل : هم المناظرون إلى الأسباب المعتمدون عليها ، وقيل : هم الذين يطيعون الخلق بمعصية الخَالِق ، وقد يقَالَ نظراً إلى مفهوم الآية : إنهم من يندرج فيهم كل من أقر بالله تعالى وخالقيته مثلاً وكان مرتكباً ما يعد شركاً كيفما كان ، ومن أولئك عبدة القبور الناذرون لها المعتقدون

---

[1] هو أبو الحسن علي بن مُحَمَّد بن مُحَمَّد بن حبيب البصري البغدادي، الشهير بالماوردي (المتوفى: 450هـ) .

[2] تفسير الماوردي المسمي " النكت والعيون " (3 / 87) بتحقيق السيد ابن عبد المقصود بن عبد الرحيم .

[3] وَهُوَ اختصار لتفسير الماوردي .

[4] هو أبو مُحَمَّد عز الدين عبد العزيز بن عبد السلام بن أبي القاسم بن الحسن السلمي الدمشقي، الملقب بسلطان العُلَمَاء (المتوفى: 660هـ)

[5] تفسير القرآن (مختصر تفسير الماوردي) للعز بن عبد السلام (2 / 142) بتحقيق الدكتور عبد الله بن إبراهيم الوهبي .

للنفع والضر ممن الله تعالى أعلم بحاله فيها وهم اليوم أكثر من الدود ، واحتجت الكرامية بالآية على أن الإيمَان مجرد الإقرار باللسان وفيه نظر .) [1] انتهي .

وقَالَ السعدي [2] رَحِمَهُ اللهُ : ({ وَكَأَيِّنْ } أي: وكم { مِنْ آيَةٍ فِي السَّمَاوَاتِ وَالأرْضِ يَمُرُّونَ عَلَيْهَا } دالة لهم على توحيد الله { وَهُمْ عَنْهَا مُعْرِضُونَ } ومع هَذَا إن وجد منهم بعض الإيمَان فلا { يُؤْمِنُ أَكْثَرُهُمْ بِاللَّهِ إِلا وَهُمْ مُشْرِكُونَ } فهم وإن أقروا بربوبية الله تعالى، وأنه الخَالِق الرازق المدبر لجميع الأمور، فإنهم يشركون في ألوهية الله وتوحيده، فهؤلاء الذين وصلوا إلى هذه الحال لم يبق عليهم إلا أن يحل بهم العذاب، ويفجأهم العقاب وهم آمنون،) [3] انتهي .

وفي المنتخب [4] عند تفسير هذه الآية : (106- وفيهم مصدقون باللّه معترفون بربوبيته وأنه خالق كل شئ ، ولكن إيمان أكثرهم لا يقوم على أساس سليم من التَّوحِيد ، فلا يعترفون بوحدانية اللَّه اعترافاً خالصاً ، ولكنه مقترن فى نفوسهم بشوائب تسلكهم فى مسلك المشركين .) [5] انتهي .

قَالَ الأخ أبو معاذ الأثري [6] وفقه الله : (ثم هنا أمر لابد من تقريره وإيضاحه وَهُوَ أَنَّ قول أهل العِلم عن المشركين بأنَّهم يعترفون بتوحيد الرُّبُوبِيَّة ليس المراد به أنَّهم اعترفوا بهَذَا القسم من التَّوحِيد على التمام والكمال ، فمشركو العرب مع توحيدهم الله وإقرارهم له سُبْحَانَهُ في (أصل) توحيد الرُّبُوبِيَّة إلاَّ أنهم كانوا واقعين في (أفراد) من الشرك فيه فهم يقرون بصفات الرُّبُوبِيَّة من حيث الجملة لكن قد يقعون في بعض أفراد هذه الصفات فمثلاً إنكارهم للبعث دليل على خلل ونقص في إثباتهم لصفة القدرة المطلقة لله عزوجل على التمام والكمال فهم يثبتون أصل القدرة لله تعالى باعتقادهم أن الله الخَالِق الرازق المدبر المالك ويخرج الحي من الميت ويخرج الميت من الحي وسخر الشمس و

[1] تفسير الآلوسي المسمي " روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني " (9 / 150) .
[2] هو عبد الرحمن بن ناصر بن عبد الله السعدي (المتوفى: 1376هـ)
[3] تفسير السعدي المسمي " تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان " (1 / 406) بتحقيق عبد الرحمن بن معلا اللويحق.
[4] إعداد لجنة من عُلَمَاء الأزهر الشريف .
[5] تفسير المنتخب المسمي " المنتخب في تفسير القرآن الكريم " (1 / 400)
[6] أحد الإخوة فى ملتقي أهل الحديث .

القمر وأنه يجيب دعوة المضطر إذا دعاه ... وكل ذلك يستلزم إثبات القدرة لله عز وجل لكن انكروا فردا من أفراد القدرة وَهُوَ البعث بعد الموت ولا يلزم ذلك إنكارهم للقدرة في الجملة.

ثم إن هَذَا أيضاً ليس حكماً عاماً مطرداً على جميع المشركين إذ منهم من وجد عنده حتى الشرك في الرُّبُوبِيَّة، ومنهم من آمن ببعض خصائص الرُّبُوبِيَّة دون بعض، ومنهم من كان يؤمن إضافة إلى إيمانه بوجود الله الخَالِق الرازق بالمعاد وبعث الأبدان والحساب، كما قَالَ زهير ابن أبي سلمى في معلقته المشهورة:

فلا تكتمنَّ الله ما في نفوسكم ... ليخفى فمهما يكتم الله يعلم

يؤخر فيوضع في كتاب فيدخر ... ليوم حساب أو يعجل فينقم

قَالَ ابن كثير وقد أورد هذين البيتين:

"فقد اعترف هَذَا الشاعر الجاهلي بوجود الصانع وعلمه بالجزئيات وبالمعاد وبالجزاء وبكتابة الأعمال في الصحف ليوم القيامة" [1] .

وقَالَ ابن جرير: "وقد أنشد لبعض الجاهلية الجهلاء:

ألا ضربت تلك الفتاة هجينها ... ألا قضب الرحمن ربي يمينها

وقَالَ سلامة ابن جندل الطهوي:

عجلتم علينا عجلتينا عليكم ... وما يشأ الرحمن يعقد ويطلق" [2] .

والشواهد على هَذَا كثيرة، ومع ذلك فهم مشركون لأنهم يعبدون مع الله غيره) [3] .

---

1 (تفسير ابن كثير (238/4)

2 تفسير ابن جرير (58/1)

3 (الأخ أبو معاذ الأثري / موضوع : بيان اعتراف المشركين بتوحيد الرُّبُوبِيَّة ، منشور فى ملتقي أهل الحديث)

مبحث في ذكر معني الإيمَان في الآية " وما يؤمن أكثرهم " وبيان أن المقصود تقريرهم بما يزعمون وليس توصيفهم علي وجه الحقيقة بالإيمَان في بعض التَّوحِيد .

وليس المقصود بقوله تَعَالَي : (يؤمن) ظاهر اللفظ أنهم مؤمنون بالله تَعَالَي كما يفهم البعض ! ، ولكن المراد تقريرهم بما زعموه إيمانا وفي ذات الآية بين الله تَعَالَي المراد بأن ما يزعمونه إيمان هو غير مكتمل بإشراكهم بالله تَعَالَي في مَسَائِل أخري .

قَالَ ابن الجوزي[1] **رَحِمَهُ اللهُ** : (فإن قيل كيف وصف المشرك بالإيمَان ؟ فالجواب : أنه ليس المراد به حقيقة الإيمَان وإنما المعنى أن أكثرهم مع إظهارهم الإيمَان بألسنتهم مشركون أفأمنوا أن تأتيهم غاشية من عذاب الله أو تأتيهم الساعة بغتة وهم لا يشعرون)[2]

فلا يحتج أحد بنسبتهم إلي الإيمَان في باب عظيم من أبواب الإيمَان - وَهُوَ باب الرُّبُوبِيَّة - استشهادا بهذه الآية ، لأن اللفظ ليس علي ظاهره ، بل له معني مراد وَهُوَ تقريرهم والإنكار عليهم .

وظهر ذلك الفهم جليا من خلال جمع أقوال العُلَمَاء بعضها إلي بعض .

حيث دارت مجمل أقوال المفسرين والعُلَمَاء رَحِمَهُم اللهُ حول أنهم أقروا ببعض المَسَائِل التي سموها إيمانا ، وهي في الحقيقة جزء من الإيمَان إن استكملوه ، ولا قيمة لها ولا كرامة إن انفردت كما كان حالهم ! فاحتج الله تَعَالَي عليهم بما زعموه من إيمان علي كفرهم في واقع أمرهم .

ومعلوم أن النطق باللسان جزء من الإيمَان ، والتصديق بالقلب جزء ثان منه ، والانقياد بالجوارح جزء ثالث ، ولا يصدق مسمي مؤمن علي بشر إلا إذا استكمل الثلاثة أجزاء معا - أو ما بلغه منه وقدر عليه - وعليه فمشركوا العرب نطقوا باللسان فحصلوا شيئا من الإيمَان في شيء من مسألة من مَسَائِل الرُّبُوبِيَّة أو الأُلُوهِيَّة ! ولِهَذَا عبر المتقدمون بقولهم عندهم إيمان في كذا وكذا - فحددوا المَسَائِل

1 عبد الرحمن بن علي بن مُحَمَّد الجوزي.

2 زاد المسير في علم التفسير (4 / 476).

ولم يطلقوا الإِيمَان علي توحيد الرُّبُوبِيَّة بالكامل - أي شيء من إيمان . فكيف يقَالَ أنهم آمنوا بالرُّبُوبِيَّة ؟! ياللعجب ، أيصدق علي شيء من شيء من شيء اسم الكل ؟! كلا والله .

وفي هَذَا أيضا رد صريح علي من يطلق إيمانهم في الرُّبُوبِيَّة وكفرهم في الأُلُوهِيَّة ، فقد اعترفوا بالأُلُوهِيَّة وأشركوا في ذات الوقت ، فكيف لا تكون دقيقا وتصفهم بحقيقة حالهم وتقول أنهم أقروا بمَسَائِل من الأُلُوهِيَّة وأشركوا في مَسَائِل فصاروا مشركين ؟! ، وكذلك أقروا بمَسَائِل في الرُّبُوبِيَّة وأشركوا في مَسَائِل فصاروا مشركين ؟! .

فصل في ذكر أمثلة من إقرار بعض مشركي العرب لله تَعَالَي بالأُلُوهِيَّة :

فتوحيد الأُلُوهِيَّة هو إفراد الله تَعَالَي بأفعال العباد من العبادة والدعاء والصلاة والصيام والحج والزكاة والصدقة والذبح والنذر والخوف والرجاء والاستعانة والاستغاثة والتضرع والإنابة والمراقبة والركوع والسجود والمناجاة وطلب العون والمدد وغير ذلك من أفعال العباد ، فمن آمن بالله تَعَالَي ربا وأدي تلك العبادات له لا شريك له فهو مؤمن بالأُلُوهِيَّة ، أما من أقر لله تَعَالَي بهذه المَسَائِل أو بعضها ثم أشرك مع الله تَعَالَي غيره فيها أو في بعضها فقد نقضها وكفر بها وإن نطق بها بلسانه .

وقد ثبت أن مشركي العرب كانوا يعترفون ويقرون لله تَعَالَي بأنه الإله ، ولكنهم كانوا يشركون معه أوثانا وأصناما وغير ذلك ، فأصبحوا مشركين في العبادة شرك وسائط ولذلك لم يقل أحد عنهم أنهم ءامنوا بالله تَعَالَي إلها أو وحدوا الله تَعَالَي بالعبادة ، فالرسول صَلَّي اللهُ عَلَيهِ وَسَلَّمَ جاء إلى قوم من العرب في الجاهلية كانوا يعرفون الله عز وجل ويؤدون بعض المناسك فكانوا يحجون ويصومون ويصلون. وكانوا يصلون الصلاة, ولكنهم يعبدون أصنامهم وآلهتهم من دون الله، يقولون: { مَا نَعْبُدُهُمْ إِلَّا لِيُقَرِّبُونَا إِلَى اللَّهِ زُلْفَى } [1] وكانوا في نسكهم يدعون الله بدعاء يشركون فيه مع الله تعالى وفي تلبيتهم يهلون بتلبيات كثيرة

وورد عن أبي طالب قوله :

مليك الناس ليس له شريك ... هو الوهاب والمبدي المعيد
ومن تحت السماء له بحق ... ومن فوق السماء له عبيد

[1] [سورة الزمر:3]

وفيه ما يدل علي أنهم كانوا يعرفون الله إلها مستحقا للعبادة ويعرفون له أسماءا وصفاتا . لكنهم أشركوا معه غيره فردت عليهم عبادتهم وبعضهم استكبر عن تجريد التَّوحِيد له تَعَالَي مخالفة مقَالَة الناس فباء بالخسران والبوار .

قَالَ الشيخ الألباني [1] **رَحِمَهُ اللهُ** - مبينا أن مشركي العرب كانوا مقريين لله بالأُلُوهِيَّة ولكنهم أشركوا فيها فلم يسموا مؤمنين ولا موحدين - : (وكلنا نعرف أن المشركين كانوا يؤمنون بإله خالق إلا قلة نادرة جداً أيضاً، أشار إلى ذلك القرآن حيث قَالَ: { وَلَئِنْ سَأَلْتَهُمْ مَنْ خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ لَيَقُولُنَّ اللَّهُ } [2] وبين سبب ضلالهم وشركهم أنه بسبب اعتقاد الشفعاء والوسطاء بينهم وبين الله: { وَيَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ مَا لا يَضُرُّهُمْ وَلا يَنْفَعُهُمْ وَيَقُولُونَ هَؤُلاءِ شُفَعَاؤُنَا عِنْدَ اللَّهِ } [3] { وَالَّذِينَ اتَّخَذُوا مِنْ دُونِهِ أَوْلِيَاءَ مَا نَعْبُدُهُمْ إِلَّا لِيُقَرِّبُونَا إِلَى اللَّهِ زُلْفَى } [4]وفي شعر للجاهليين تجد كثيراً لفظة الإله والخَالِق ويسلمون به، ويعظمونه، ولكنهم يعتقدون أن هذه الأصنام هي وسائط، وهي مقربات لهَذَا الإله، وأن ذكرها ودعوتها هو ضمان ليستجيب لهم الله دعاءهم ويغيثهم إذا استغاثوا به.) [5] .

مبحث في ذكر معرفتهم بأن الله هو الإله المستحق للعبادة وإقرارهم له ببعض مسائل الألوهية .

قَالَ الماتريدي [6] **رحمه الله** : (وقوله - عَزَّ وَجَلَّ -: (وَمَا يُؤْمِنُ أَكْثَرُهُمْ بِاللَّهِ إِلَّا وَهُمْ مُشْرِكُونَ) [7] يحتمل هَذَا وجهين: أحدهما: في الاعتقاد؛ أي: وما يؤمن أكثرهم باللَّه بأنه الإله؛ إلا وهم مشركون الأصنام والأوثان في التسمية، وسموها آلهة؛ كقوله - تعالى -: (قُلْ لَوْ كَانَ مَعَهُ آلِهَةٌ كَمَا يَقُولُونَ إِذًا لَابْتَغَوْا إِلَى ذِي الْعَرْشِ سَبِيلًا).

---

1 أبو عبد الرحمن مُحمَّد ناصر الدين، بن الحاج نوح بن نجاتي بن آدم، الأشقودري الألباني (المتوفى: 1420هـ).

2 [سورة الزمر:38].

3 [سورة يونس:18].

4 [سورة الزمر:3].

5 دروس للشيخ مُحمَّد ناصر الدين الألباني(7/78) بترقيم الشاملة .

6 مُحمَّد بن مُحمَّد بن محمود، أبو منصور الماتريدي (المتوفى: 333هـ).

7 سورة يوسف 106.

والثاني: إشراك في الفعل؛ أي: وما يؤمن أكثرهم بالله إلا وهم عبدوا غيره؛ من الأصنام والأوثان، أو أن يكون (وَمَا يُؤْمِنُ أَكْثَرُهُمْ بِاللَّهِ) بلسانهم (إِلَّا وَهُمْ مُشْرِكُونَ) بقلوبهم أو يقول: وما يؤمن أكثرهم بالله في النعمة أنها من الله تعالى؛ إلا وهم مشركون في الشكر له تعالى.) [1] انتهي

والشاهد قوله ("وَمَا يُؤْمِنُ أَكْثَرُهُمْ بِاللَّهِ " بلسانهم " إِلَّا وَهُمْ مُشْرِكُونَ " بقلوبهم) فهم قد أقروا بألسنتهم ونقضوا إقرارهم بإنكارهم مَسَائِل أخري من نفس الباب بألسنتهم وتخلفوا عن اعتقادهم بقلوبهم وعن انسياقهم أفعالهم ،ثم صرح الشَّيخ بأنهم أقروا بالأُلُوهِيَّة لله تَعَالَي ولكن إقرارهم لم يكن كاملا من الأصل فلم يعد إيمانا ، وذلك فى قوله : (وما يؤمن أكثرهم بالله بأنه الإله ؛ إلا وهم مشركون الأصنام والأوثان في التسمية، وسموها آلهة) ، فالتلفظ باللسان ليس إيمانا ، بل هو جزء من الإِيمَان ، فمن تلفظ بلسانه وخالف ذلك قلبه أو تنكبت عن طريق العَمَل جوارحه فليس بمؤمن ولا يطلق عليه مؤمنا .

مبحث في ذكر قول الشيخ محمد بن عبد الوهاب في معرفة المشركين للألوهية .

قال الشيخ محمد بن عبد الوهاب [2] رحمه الله : - (وآخر الرسل محمد - صلى الله عليه وسلم - وهو الذي كسر صور هؤلاء الصالحين، أرسله الله إلى أناس يتعبدون ويحجون ويتصدقون ويذكرون الله كثيرا، ولكنهم يجعلون بعض المخلوقات وسائط بينهم وبين الله. يقولون نريد منهم التقرب إلى الله ونريد شفاعتهم عنده مثل الملائكة وعيسى ومريم وأناس وغيرهم من الصالحين. فبعث الله محمدا - صلى الله عليه وسلم - يجدد لهم دين أبيهم إبراهيم - عليه السلام - ويخبرهم أن هذا التقرب والاعتقاد محض حق لله لا يصلحُ منه شيء لا لملك مقرب ولا لنبي مرسل فضلا عن غيرهما.) [3]

---

[1] تفسير الماتريدي (تأويلات أهل السُّنَّة) 6 / 295 . بتحقيق د. مجدي باسلوم.

[2] محمد بن عبد الوهاب بن سليمان التميمي النجدي (المتوفى: 1206هـ).

[3] كشف الشبهات – الفصل الأول.

و قال أيضا : - (كما كانوا يدعون الله سبحانه وتعالى ليلا ونهارا، ثم منهم من يدعو الملائكة لأجل صلاحهم وقربهم من الله ليشفعوا له أو يدعو رجلا صالحا مثل اللات، أو نبيا مثل عيسى. وعرفت أن رسول الله - صلى الله عليه وسلم - قاتلهم على هذا الشرك ودعاهم إلى إخلاص العبادة لله وحده) وفي ذلك تصريح من الشيخ أن مشركي العرب كانوا يعرفون أنواعا من العبادة ولكنهم كانوا مشركين في الألوهية ! فلماذا رددنا اعترافهم ببعض مسائل الألوهية ؟! لأنهم اتخذوا مع الله أندادا ! ولم نرد اعترافهم بالربوبية مع أنهم أيضا اتخذوا أندادا وأشركوا في بعض مسائلها ولم يكن اقرارهم خالصا!؟ ومن ذلك يعلم فساد تقرير أنهم آمنوا بالربوبية ولم يؤمنوا بالألوهية والصواب أنهم أقروا ببعض مسائل الربوبية والألوهية وأنكروا وجحدوا مسائل أخري من الربوبية والألوهية . فهنا قد أثبت الشيخ أن مشركي الجاهلية كانوا عارفين انواعا من العبادات يتقربون بها لله تعالي ولكنهم يجعلون معه شريكا يتخذونه شفيعا لهم عند الله ! فلما عبدوا الله تعالي غير مخلصين العبادة له تعالي لم يعتد بتلك العبادة بل كانت كالعدم ، وما أظهر شركهم إلا معاندتهم الصريحة وما يلزم إقرارهم وانقيادهم لتلك العبادة ! فلما رأوا أن لتلك العبادة لوازم صرحوا بأنهم لها منكرين ولطريقها متنكبين ، ولما كانت لوازم إقرارهم بالربوبية خافية ولم تكن بالصراحة والظهور مثل لوازم الألوهية أقروا بالربوبية ولم يتحملوا عناء الصراحة بإنكارها ، وإلا فهم لم يلتزموا لوازم إقرارهم ! ما يدل علي أنهم غير معتقدينها يقينا ! ولا تظننهم جهلة غير مدركين لمعاني كلامهم ولا للوازمه ! بل هم من أفطن الناس وأعلمهم بلغة العرب وأثقلهم في التلاعب بألفاظها وأرسخهم قدما في استخراج ما يريدون باللفظ الذي يريدون !

مبحث في ذكر قسم بعض المشركين بالله تعالي .

وقد وقع القسم بالله من مشركي العرب في كلامهم وهذا أكثر من أن يحصر وأشهر من أن ينكر ، وهذا إن دل فإنما يدل علي معرفتهم بألوهية الله تعالي ولكنهم لم ينقُّوها لله تعالي ولم يجعلوها له خالصة فردت عليهم ، ومن تلك الأمثلة ما يلي .

قال الإمام أَبُو بَكْرٍ ، عَبْدُ اللهِ بْنُ مُحَمَّدِ بْنِ أَبِي شَيْبَةَ [1] (37833- حَدَّثَنَا يَزِيدُ بْنُ هَارُونَ ، عَنْ جَرِيرِ بْنِ حَازِمٍ ، عَنْ أَخِيهِ يَزِيدَ بْنِ حَازِمٍ ، عَنْ عِكْرِمَةَ مَوْلَى ابْنِ عَبَّاسٍ ، قَالَ : لَمَّا نَزَلَ الْمُسْلِمُونَ بَدْرًا وَأَقْبَلَ الْمُشْرِكُونَ ، نَظَرَ رَسُولُ اللهِ صلى الله عليه وسلم إلَى عُتْبَةَ بْنِ رَبِيعَةَ وَهُوَ عَلَى جَمَلٍ لَهُ أَحْمَرَ ، فَقَالَ : إنْ يَكُ عِنْدَ أَحَدٍ مِنَ الْقَوْمِ خَيْرٌ فَعِنْدَ صَاحِبِ الْجَمَلِ الأَحْمَرِ ، إنْ يُطِيعُوهُ يَرْشُدُوا ، فَقَالَ عُتْبَةُ : أَطِيعُونِي ، وَلاَ تُقَاتِلُوا هَؤُلاَءِ الْقَوْمَ ، فَإِنَّكُمْ إنْ فَعَلْتُمْ لَمْ يَزَلْ ذَاكَ فِي قُلُوبِكُمْ ، يَنْظُرُ الرَّجُلُ إلَى قَاتِلِ أَخِيهِ وَقَاتِلِ أَبِيهِ ، فَاجْعَلُوا فِيَّ جُبْنَهَا وَارْجِعُوا.

قَالَ : فَبَلَغَتْ أَبَا جَهْلٍ ، فَقَالَ : انْتَفَخَ وَاللهِ سَحْرُهُ حَيْثُ رَأَى مُحَمَّدًا وَأَصْحَابَهُ ، وَاللهِ مَا ذَاكَ بِهِ ، وَإِنَّمَا ذَاكَ لأَنَّ ابْنَهُ مَعَهُمْ ، وَقَدْ عَلِمَ أَنَّ مُحَمَّدًا وَأَصْحَابَهُ أَكَلَةُ جَزُورٍ لَوْ قَدَ الْتَقَيْنَا ، قَالَ : فَقَالَ عُتْبَةُ : سَيَعْلَمُ الْمُصَفِّرُ اسْتِهِ مَنِ الْجَبَانُ الْمُفْسِدُ لِقَوْمِهِ ، أَمَا وَاللهِ إِنِّي لأَرَى تَحْتَ الْقِشَعِ قَوْمًا لَيَضْرِبُنَّكُمْ ضَرْبًا يَدْعُونَ لَكُمُ الْبَقِيعَ ، أَمَا تَرَوْنَ كَأَنَّ رُؤُوسَهُمْ رُؤُوسُ الأَفَاعِي ، وَكَأَنَّ وُجُوهَهُمَ السُّيُوفُ ؟ قَالَ : ثُمَّ دَعَا أَخَاهُ وَابْنَهُ وَمَشَى بَيْنَهُمَا ، حَتَّى إذَا فَصَلَ مِنَ الصَّفِّ دَعَا إلَى الْمُبَارَزَةِ.

37834- حَدَّثَنَا عُبَيْدُ اللهِ بْنُ مُوسَى ، قَالَ : أَخْبَرَنَا إسْرَائِيلُ ، عَنْ أَبِي إِسْحَاقَ ، عَنْ حَارِثَةَ بْنِ مُضَرِّبٍ ، عَنْ عَلِيٍّ ، قَالَ : لَمَّا قَدِمْنَا الْمَدِينَةَ ، فَأَصَبْنَا مِنْ ثِمَارِهَا اجْتَوَيْنَاهَا وَأَصَابَنَا وَعْكٌ ، وَكَانَ رَسُولُ اللهِ صلى الله عليه وسلم يَتَخَبَّرُ عَنْ بَدْرٍ ، قَالَ : فَلَمَّا بَلَغَنَا أَنَّ الْمُشْرِكِينَ قَدْ أَقْبَلُوا ، سَارَ رَسُولُ اللهِ صلى الله عليه وسلم إلَى بَدْرٍ ، وَبَدْرُ بِئْرٌ ، فَسَبَقْنَا الْمُشْرِكِينَ إلَيْهَا ، فَوَجَدْنَا فِيهَا رَجُلَيْنِ

---

[1] أبو بكر عبد الله بن محمد بن أبي شيبة العبسي الكوفي (159 ـ 235 هـ) صاحب المصنف .

مِنْهُمْ ؛ رَجُلاً مِنْ قُرَيْشٍ ، وَمَوْلًى لِعُقْبَةَ بْنِ أَبِي مُعَيْطٍ ، فَأَمَّا الْقُرَشِيُّ فَانْفَلَتَ إِلَيْهَا ، وَأَمَّا الْمَوْلَى فَأَخَذْنَاهُ ، فَجَعَلْنَا نَقُولُ لَهُ : كَمِ الْقَوْمُ ؟ فَيَقُولُ : هُمْ وَاللهِ كَثِيرٌ عَدَدُهُمْ ، شَدِيدٌ بَأْسُهُمْ ، فَجَعَلَ الْمُسْلِمُونَ إِذَا قَالَ ذَاكَ ضَرَبُوهُ ، حَتَّى انْتَهَوْا بِهِ إِلَى رَسُولِ اللهِ صلى الله عليه وسلم ، فَقَالَ لَهُ : كَمِ الْقَوْمُ ؟ فَقَالَ : هُمْ وَاللهِ كَثِيرٌ عَدَدُهُمْ ، شَدِيدٌ بَأْسُهُمْ ، فَجَهَدَ الْقَوْمُ عَلَى أَنْ يُخْبِرَهُمْ كَمْ هُمْ ، فَأَبَى.

ثُمَّ إِنَّ رَسُولَ اللهِ صلى الله عليه وسلم سَأَلَهُ : كَمْ يَنْحَرُونَ ؟ فَقَالَ : عَشْرًا كُلَّ يَوْمٍ ، فَقَالَ رَسُولُ اللهِ صلى الله عليه وسلم : الْقَوْمُ أَلْفٌ ، كُلُّ جَزُورٍ لِمِئَةٍ وَتَبَعِهَا.

ثُمَّ إِنَّهُ أَصَابَنَا مِنَ اللَّيْلِ طَشٌّ مِنْ مَطَرٍ ، فَانْطَلَقْنَا تَحْتَ الشَّجَرِ وَالْحَجَفِ نَسْتَظِلُّ تَحْتَهَا مِنَ الْمَطَرِ ، قَالَ : وَبَاتَ رَسُولُ اللهِ صلى الله عليه وسلم لَيْلَتَئِذٍ يَدْعُو رَبَّهُ ، فَلَمَّا طَلَعَ الْفَجْرُ نَادَى : الصَّلاَةَ عِبَادَ اللهِ ، فَجَاءَ النَّاسُ مِنْ تَحْتِ الشَّجَرِ وَالْحَجَفِ ، فَصَلَّى بِنَا رَسُولُ اللهِ صلى الله عليه وسلم ، وَحَرَّضَ عَلَى الْقِتَالِ ، ثُمَّ قَالَ : إِنَّ جَمْعَ قُرَيْشٍ عِنْدَ هَذِهِ الضِّلَعَةِ الْحَمْرَاءِ مِنَ الْجَبَلِ ، فَلَمَّا أَنْ دَنَا الْقَوْمُ مِنَّا وَصَافَفْنَاهُمْ ، إِذَا رَجُلٌ مِنْهُمْ عَلَى جَمَلٍ أَحْمَرَ يَسِيرُ فِي الْقَوْمِ ، فَقَالَ رَسُولُ اللهِ صلى الله عليه وسلم : يَا عَلِيُّ ، نَادِ لِي حَمْزَةَ ، وَكَانَ أَقْرَبَهُمْ إِلَى الْمُشْرِكِينَ ؛ مَنْ صَاحِبُ الْجَمَلِ الأَحْمَرِ ، وَمَا يَقُولُ لَهُمْ . ثُمَّ قَالَ لَهُمْ رَسُولُ اللهِ صلى الله عليه وسلم : إِنْ يَكُ فِي الْقَوْمِ أَحَدٌ ، فَعَسَى أَنْ يَكُونَ صَاحِبَ الْجَمَلِ الأَحْمَرِ ، فَجَاءَ حَمْزَةُ ، فَقَالَ : هُوَ عُتْبَةُ بْنُ رَبِيعَةَ ، وَهُوَ يَنْهَى عَنِ الْقِتَالِ ، وَيَقُولُ لَهُمْ : يَا قَوْمُ ، إِنِّي أَرَى قَوْمًا مُسْتَمِيتِينَ ، لاَ تَصِلُونَ إِلَيْهِمْ وَفِيكُمْ خَيْرٌ ، يَا قَوْمُ ، اِعْصِبُوا اللَّوْمَ بِرَأْسِي ، وَقُولُوا : جَبُنَ عُتْبَةُ ، وَقَدْ عَلِمْتُمْ أَنِّي لَسْتُ بِأَجْبَنِكُمْ.

فَسَمِعَ ذَلِكَ أَبُو جَهْلٍ ، فَقَالَ : أَنْتَ تَقُولُ هَذَا ، لَوْ غَيْرُكَ قَالَ هَذَا أَعْضَضْتُهُ ، لَقَدْ مُلِئَتْ رِئَتُكَ وَجَوْفُكَ رُعْبًا ، فَقَالَ عُتْبَةُ : إِيَّايَ تُعَيِّرُ يَا مُصَفِّرَ اسْتِهِ ، سَتَعْلَمُ الْيَوْمَ أَيُّنَا أَجْبَنُ ؟.

قَالَ : فَبَرَزَ عُتْبَةُ ، وَأَخُوهُ شَيْبَةُ ، وَابْنُهُ الْوَلِيدُ حَمِيَّةً ، فَقَالُوا : مَنْ مُبَارِزٌ ؟ فَخَرَجَ فِتْيَةٌ مِنَ الأَنْصَارِ سِتَّةٌ ، فَقَالَ عُتْبَةُ : لاَ نُرِيدُ هَؤُلاَءِ ، وَلَكِنْ يُبَارِزُنَا مِنْ بَنِي عَمِّنَا ، مِنْ بَنِي عَبْدِ الْمُطَّلِبِ ، قَالَ :

فَقَالَ رَسُولُ اللهِ صلى الله عليه وسلم : قُمْ يَا عَلِيُّ ، قُمْ يَا حَمْزَةُ ، قُمْ يَا عُبَيْدَةُ بْنَ الْحَارِثِ ، فَقَتَلَ اللَّهُ عُتْبَةَ بْنَ رَبِيعَةَ ، وَشَيْبَةَ بْنَ رَبِيعَةَ ، وَالْوَلِيدَ بْنَ عُتْبَةَ ، وَجُرِحَ عُبَيْدَةُ بْنُ الْحَارِثِ ، فَقَتَلْنَا مِنْهُمْ سَبْعِينَ وَأَسَرْنَا سَبْعِينَ.

قَالَ : فَجَاءَ رَجُلٌ مِنَ الأَنْصَارِ قَصِيرٌ بِالْعَبَّاسِ أَسِيرًا ، فَقَالَ الْعَبَّاسُ : إِنَّ هَذَا وَاللهِ مَا أَسَرَنِي ، لَقَدْ أَسَرَنِي رَجُلٌ أَجْلَحُ مِنْ أَحْسَنِ النَّاسِ وَجْهًا ، عَلَى فَرَسٍ أَبْلَقَ ، مَا أَرَاهُ فِي الْقَوْمِ ، فَقَالَ الأَنْصَارِيُّ : أَنَا أَسَرْتُهُ يَا رَسُولَ اللهِ ، فَقَالَ لَهُ : اُسْكُتْ ، لَقَدْ أَيَّدَكَ اللَّهُ بِمَلَكٍ كَرِيمٍ ، قَالَ عَلِيٌّ : فَأُسِرَ مِنْ بَنِي عَبْدِ الْمُطَّلِبِ الْعَبَّاسُ ، وَعَقِيلٌ ، وَنَوْفَلُ بْنُ الْحَارِثِ.)[1] فهؤلاء الكفرة يحلفون بالله تعالي وهم علي كفرهم لعلمهم بجلالة الحلف بالله تعالي ومن المعلوم أن الحلف من باب الألوهية وليس من باب الربوبية ولذلك فمن حلف بغير الله فقد كفر أو أشرك في ألوهية الله تعالي .

ومثال آخر :- في قصة عروة بن مسعود مع النبي صلي الله عليه وسلم في صلح الحديبية (فَقَالَ عُرْوَةُ عِنْدَ ذَلِكَ أَيْ مُحَمَّدُ أَرَأَيْتَ إِنْ اسْتَأْصَلْتَ قَوْمَكَ هَلْ سَمِعْتَ بِأَحَدٍ مِنْ الْعَرَبِ اجْتَاحَ أَهْلَهُ قَبْلَكَ وَإِنْ تَكُنْ الْأُخْرَى فَوَاللَّهِ إِنِّي لَأَرَى وُجُوهًا وَأَرَى أَوْبَاشًا مِنْ النَّاسِ خُلُقًا أَنْ يَفِرُّوا وَيَدَعُوكَ فَقَالَ لَهُ أَبُو بَكْرٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ امْصُصْ بَظْرَ اللَّاتِ نَحْنُ نَفِرُّ عَنْهُ وَنَدَعُهُ فَقَالَ مَنْ ذَا قَالُوا أَبُو بَكْرٍ قَالَ أَمَا وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ لَوْلَا يَدٌ كَانَتْ لَكَ عِنْدِي لَمْ أَجْزِكَ بِهَا لَأَجَبْتُكَ)[2]

وفي روايات أخري : - ((لَكَأَنِّي بِهِمْ قَدْ انْكَشَفُوا عَنْكَ غَدًا - قَالَ: وَأَبُو بَكْرٍ الصِّدِّيقُ - رضي الله عنه - خَلْفَ رَسُولِ اللَّهِ - صلى الله عليه وسلم - قَاعِدٌ - فَقَالَ لَهُ أَبُو بَكْرٍ: امْصُصْ بَظْرَ اللَّاتِ [3]

---

[1] مُصنف ابن أبي شيبة 14\361 ، تحقيق : محمد عوامة . بترقيم الشاملة ، ربما الجزء والصفحة يتوافقان مع طبعة الدار السلفية الهندية القديمة . ترقيم الأحاديث يتوافق مع طبعة دار القبلة.

[2] مسند الإمام أحمد 18447 .

[3] الْبَظْر: قِطْعَة تَبْقَى بَعْد الْخِتَان فِي فَرْج الْمَرْأَة، وَاللَّات: اِسْم أَحَد الْأَصْنَام الَّتِي كَانَتْ قُرَيْش وَثَقِيف يَعْبُدُونَهَا، وَكَانَتْ عَادَة الْعَرَب الشَّتْم بِذَلِكَ , لَكِنْ بِلَفْظِ الْأُمّ , فَأَرَادَ أَبُو بَكْر الْمُبَالَغَة فِي سَبّ عُرْوَة بِإِقَامَةِ مَنْ كَانَ يَعْبُد مَقَام أُمّه وَحَمَلَهُ عَلَى ذَلِكَ مَا أَغْضَبَهُ بِهِ مِنْ نِسْبَةِ الْمُسْلِمِينَ إِلَى الْفِرَار. فتح الباري لابن حجر - (ج 8 / ص 283)

أَنَحْنُ) [1] (نَفِرُّ عَنْهُ وَنَدَعُهُ؟) [2] (فَقَالَ: مَنْ هَذَا يَا مُحَمَّدُ؟ , قَالَ: " هَذَا ابْنُ أَبِي قُحَافَةَ " , قَالَ: وَاللَّهِ لَوْلَا يَدٌ [3] كَانَتْ لَكَ عِنْدِي) [4] (لَمْ أَجْزِكَ بِهَا لَأَجَبْتُكَ [5]) [6] (وَلَكِنَّ هَذِهِ بِهَا) [7]

والأدلة الثابتة من الشرع الحنيف تدل علي أن الحلف والقسم من الألوهية وليس من الربوبية وعليه فمن حلف بغير الله فقد خالف في الألوهية .

قال الإمام ابن تيمية رحمه الله تعالى في بيان هذا المعنى الجليل: «وقد كان النبي - صلى الله عليه وسلم - يحقق هذا التوحيد لأمته، ويحسم عنهم موارد الشرك إذ هذا تحقيق قولنا: (لا إله إلا الله) فإن الإله هو الذي تألهه القلوب لكمال المحبة والتعظيم والإجلال والإكرام والرجاء والخوف.

حتى قال لهم: (لا تقولوا: ما شاء الله وشاء محمد، ولكن قولوا: ما شاء الله ثم شاء محمد)، وقال له رجل: ما شاء الله وشئت فقال: (أجعلتني لله ندًا بل ما شاء الله وحده) ، وقال: (من كان حالفًا فليحلف بالله أو ليصمت) [8] وقال: (مَنْ حَلَفَ بِغَيْرِ اللهِ فَقَدْ أَشْرَكَ)» [9] [10].

مبحث في ذكر معرفتهم الألوهية في الشدة وشركهم في الرخاء .

ومن الأخطاء الشائعه التي يقع فيها كثير من الإخوة عدم تدقيق الكلام في مسائل هذا الباب ! والوقوف علي حقيقة معاني ألفاظه ، فمن قائل أن مشركي الجاهلية كانوا مؤمنين بالربوبية ـ غير مبال

[1] مسند الإمام أحمد 18930

[2] البخاري 2583 , مسند الإمام أحمد 18948

[3] أَيْ: نِعْمَة .. فتح الباري لابن حجر - (ج 8 / ص 283)

[4] مسند الإمام أحمد 18930

[5] أَيْ: جَازَاهُ بِعَدَمِ إِجَابَته عَنْ شَتْمه بِيَدِهِ الَّتِي كَانَ أَحْسَنَ إِلَيْهِ بِهَا، وَبَيَّنَ الزُّهْرِيّ فِي هَذَا الْحَدِيث أَنَّ الْيَد الْمَذْكُورَة أَنَّ عُرْوَة كَانَ تَحَمَّلَ بِدِيَةٍ فَأَعَانَهُ أَبُو بَكْر فِيهَا بِعَوْنٍ حَسَن. فتح الباري لابن حجر - (ج 8 / ص 283)

[6] البخاري 2583 , مسند الإمام أحمد 18948

[7] الجامع الصحيح للسنن والمسانيد (445/9) صهيب عبد الجبار

[8] متفق عليه، صحيح البخاري (2679)، وصحيح مسلم (1646).

[9] سنن أبي داود (3251)، وصححه ابن حبان (4358)، وصححه الألباني في السلسلة (2042).

[10] مجموع الفتاوى (1/ 136).

بمعني كلمة " مؤمن " مع التجاهل لحقيقة معناها وما تطلق عليه ! والحاذق منهم يقول " مقريين بالربوبية " مطلِقا كلمته علي عواهنها من غير تقييد بشيء !

مع أن مشركي العرب لم يشركوا في باب الربوبية كله وكذا فهم لم يقروا بكل مسائل باب الربوبية ، وعليه وجب تقييد إقرارهم بأنه كان في بعض المسائل حتي لا يتوهم البعض أنهم كانوا مقريين بكل مسائل الربوبية ومن ثم يتسلل الفهم الخاطيء – الواقع فعلا عند البعض – بأنهم كانوا مؤمنين بالربوبية !

ثم ينتقل المتحدث إلي القول بأن مشركي الجاهلية كانوا مشركين في الألوهية ! مطلقا كلمته أيضا من غير تفصيل ولا تقييد ببعض المسائل أو الأوقات ! مع أن حال المشركين لم يكن على هذا الإطلاق أبدا ! فقد كانوا يعرفون بعض مسائل الألوهية ويفعلونها ويشركون ببعض مسائلها الأخري .

قال الشيخ محمد بن عبد الوهاب رحمه الله : - (أحدهما: أن الأولين يشركون ويدعون الملائكة والأولياء والأوثان مع الله في الرخاء، وأما في الشدة فيخلصون لله الدعاء. كما قال تعالى: {وَإِذَا مَسَّكُمُ الضُّرُّ فِي الْبَحْرِ ضَلَّ مَنْ تَدْعُونَ إِلَّا إِيَّاهُ فَلَمَّا نَجَّاكُمْ إِلَى الْبَرِّ أَعْرَضْتُمْ وَكَانَ الْإِنْسَانُ كَفُورًا} وقوله: {قُلْ أَرَأَيْتَكُمْ إِنْ أَتَاكُمْ عَذَابُ اللَّهِ أَوْ أَتَتْكُمُ السَّاعَةُ أَغَيْرَ اللَّهِ تَدْعُونَ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ - بَلْ إِيَّاهُ تَدْعُونَ فَيَكْشِفُ مَا تَدْعُونَ إِلَيْهِ إِنْ شَاءَ وَتَنْسَوْنَ مَا تُشْرِكُونَ} [1] وقوله: {وَإِذَا مَسَّ الْإِنْسَانَ ضُرٌّ دَعَا رَبَّهُ مُنِيبًا إِلَيْهِ}[2] إلى قوله: {قُلْ تَمَتَّعْ بِكُفْرِكَ قَلِيلًا إِنَّكَ مِنْ أَصْحَابِ النَّارِ} [3] وقوله: {وَإِذَا غَشِيَهُمْ مَوْجٌ كَالظُّلَلِ دَعَوُا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ}[4] فمن فهم هذه المسألة التي وضحها الله في كتابه، وهي أن المشركين الذين قاتلهم رسول الله - صلى الله عليه وسلم - يدعون الله ويدعون غيره في الرخاء، وأما في الضراء والشدة فلا يدعون إلا الله وحده لا شريك له وينسون ساداتهم، تبين له

[1] سورة الأنعام: 40 – 41.

[2] سورة الزمر: 8.

[3] سورة الزمر: 8.

[4] سورة لقمان: 32 .

الفرق بين شرك أهل زماننا وشرك الأولين، ولكن أين من يفهم قلبه هذه المسألة فهما راسخا، والله المستعان.) [1]

فمن صريح كلام الشيخ رحمه الله يفهم أن مشركي الجاهلية كانوا يعرفون ألوهية الله تعالي بل ويخلصون له العبادة والدعاء والتضرع والالتجاء ! فلم لم يدقق المتحدث عن إقرارهم وشركهم القول فيقول : "كانوا مقريين بالألوهية وقت الشدة ومشركين بها وقت الرخاء " ؟!

مبحث في ذكر صلاة المشركين حول البيت .

أمر الله تَعَالَي كل أمة بالصلاة بكيفية خاصة بها ، فإن قاموا بها كما أمر الله تَعَالَي فقد أسلموا لله تَعَالَي وآمنوا ، وإن صلوا بغير الطريقة التي أمرهم الله تَعَالَي بها فكأنهم لم يصلوا بل أعظموا الفرية على الله تَعَالَي إذ نسبوا عبادة لم يأمرهم بها إليه ، وقد قَالَ الله تَعَالَي مخبرا عن حال عبادة المشركين الباطلة - لأنها على غير هدي - التي كانوا يقومون بها : (وَمَا كَانَ صَلَاتُهُمْ عِنْدَ الْبَيْتِ إِلَّا مُكَاءً وَتَصْدِيَةً فَذُوقُوا الْعَذَابَ بِمَا كُنْتُمْ تَكْفُرُونَ) [2] وصلاتهم هذه علي غير مراد الله منهم على الملة الإبراهيمية ، فلذلك ذمها ربنا في كتابة وساقها فى معرض النقد . قَالَ مُجَاهِدٌ : يُلْحِدُونَ فِي آيَاتِنَا بِالْمُكَاءِ وَالتَّصْدِيَةِ وَاللَّغْوِ وَاللَّغَطِ [3] .

قَالَ الطبري [4] **رَحِمَهُ اللهُ** : (عن ابن عباس قوله: "وما كان صلاتهم عند البيت إلا مكاء وتصدية" ، يقول: كانت صلاة المشركين عند البيت "مكاء"= يعني الصفير= و"تصدية"، يقول: التصفيق. وعن

---

[1] كشف الشبهات 34.

[2] سورة التوبة 35 .

3 تفسير البغوي المسمي " معالم التنزيل في تفسير القرآن " (7 / 175) ، بتحقيق مُحَمَّد عبد الله النمر - عثمان جمعة ضميرية - سليمان مسلم الحرش .

[4] مُحَمَّد بن جرير بن يزيد بن كثير بن غالب الآملي، أبو جعفر الطبري، [224 - 310 هـ]

ابن عمر: "وما كان صلاتهم عند البيت إلا مكاء وتصدية" ، قَالَ: "المكاء" و"التصدية"، الصفير والتصفيق.) [1]

قال السعدي رَحِمَهُ اللهُ : (يعني أن الله تعالى إنما جعل بيته الحرام ليقام فيه دينه، وتخلص له فيه العبادة،فالمؤمنون هم الذين قاموا بِهَذَا الأمر،وأما هؤلاء المشركون الذين يصدون عنه، فما كان صلاتهم فيه التي هي أكبر أنواع العبادات { إلا مُكَاءً وَتَصْدِيَةً } أي: صفيرا وتصفيقا، فعل الجهلة الأغبياء، الذين ليس في قلوبهم تعظيم لربهم، ولا معرفة بحقوقه، ولا احترام لأفضل البقاع وأشرفها،فإذا كانت هذه صلاتهم فيه، فكيف ببقية العبادات؟".) [2]

وقَالَ الشعراوي [3] **رَحِمَهُ اللهُ** : (حيث كانت صلاتهم مظهرا من مظاهر اللهو واللعب يؤدونها بالمكاء والتصدية ، والمكاء هو التصفير الذي يصفرونه ، والتصدية هي التصفيق) [4]

مبحث في ذكر حج المشركين بالبيت وطوافهم .

ورد أن مشركي العرب كانوا يحجون إلي البيت الحرام ، ويطوفون حوله وكان هَذَا إقرارا عمليا منهم لله تَعَالَي بالأُلُوهِيَّة ، ولكن حجهم كان علي غير دين وشريعة ، وطوافهم كان كله بدعة وضلالة ، فقد كانوا يطوفون بالبيت عرايا ، ويشركون بالله تَعَالَي حال حجهم وطوافهم ، فبعد الفتح صار الكافر لا يحج ولا يعتمر لأن الله عز وجل قَالَ: { يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنَّمَا الْمُشْرِكُونَ نَجَسٌ فَلا يَقْرَبُوا الْمَسْجِدَ الْحَرَامَ بَعْدَ عَامِهِمْ هَذَا} [5] وقَالَ تَعَالَي : {وَأَذَانٌ مِنَ اللَّهِ وَرَسُولِهِ إِلَى النَّاسِ يَوْمَ الْحَجِّ الأَكْبَرِ أَنَّ اللَّهَ بَرِيءٌ مِنَ الْمُشْرِكِينَ وَرَسُولُهُ } وهَذَا يدل على أنه لا يَجُوزُ دخول المشرك

---

[1] تفسير الطبري المسمي " جامع البيان في تأويل القرآن " (13 / 523) بتحقيق الشَّيخ أحمد مُحَمَّد شاكر ، بتصرف ..

2 تفسير السعدي المسمي تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان 320 . بتحقيق عبد الرحمن بن معلا اللويحق .

[3] هوالإمام محمد متولى الشعراوى ، وزير الأوقاف المصرى الأسبق ومن مشاهير علماء مصر فى العصر الحديث .

[4] تفسير الشعراوي (1 / 3269) بترقيم الشاملة .

[5] سورة التوبة، الآية 28

والكافر إلى مكة، ويشمل ذلك الحج والعمرة، وقد ثبت في الصحيح عَنِ النَّبِيّ صَلَّي اللهُ عَلَيهِ وَسَلَّمَ أنه بعث علياً رَضِيَ اللهُ عَنهُ ينادي بنداءه سنة تسعٍ من الهجرة من ينادي في الحج : ((أن لا يحج بعد العام مشرك ولا يطوف بالبيت عريان)) [1] ، ولذلك قَالَوا : لا يدخل الكافر الحج ولا العمرة ومنع المشركون من الحج والعمرة بعد نزول هذه الآية الكريمة [2].

قَالَ الطبري [3] **رَحِمَهُ اللهُ** : (وفي السُّنَّة التاسعة حج بالناس أبو بكر رَضِيَ اللهُ عَنهُ وأردفه بعلي رَضِيَ اللهُ عَنهُ يؤذن في الناس بسورة براءة وأن لا يحج بعد العام مشرك ولا يطوف بالبيت الحرام عريان) [4]

وقَالَ الإمَام الشافعي رَحِمَهُ اللهُ مقررا ما كان عليه مشركوا العرب من بعض مَسَائِل توحيد الأُلُوهِيَّة : (وَأَمَّا سَائِرُ الْأَرْكَانِ , مِنْ الزَّكَاةِ وَالصِّيَامِ وَالْحَجِّ , فَلَا يُحْكَمُ بِإِسْلَامِهِ بِهِ , فَإِنَّ الْمُشْرِكِينَ كَانُوا يَحُجُّونَ فِي عَهْدِ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّي اللهُ عَلَيهِ وَسَلَّمَ حَتَّى مَنَعَهُمْ النَّبِيُّ صَلَّي اللهُ عَلَيهِ وَسَلَّمَ فَقَالَ : { لَا يَحُجُّ بَعْدَ الْعَامِ مُشْرِكٌ . } وَالزَّكَاةُ صَدَقَةٌ , وَهُمْ يَتَصَدَّقُونَ . وَقَدْ فَرَضَ عَلَى نَصَارَى بَنِي تَغْلِبَ مِنْ الزَّكَاةِ مِثْلَيْ مَا يُؤْخَذُ مِنْ الْمُسْلِمِينَ , وَلَمْ يَصِيرُوا بِذَلِكَ مُسْلِمِينَ , وَأَمَّا الصِّيَامُ فَلِكُلِّ أَهْلِ دِينٍ صِيَامٌ , وَلِأَنَّ الصِّيَامَ لَيْسَ بِفِعْلٍ , إنَّمَا هُوَ إمْسَاكٌ عَنْ أَفْعَالٍ مَخْصُوصَةٍ فِي وَقْتٍ مَخْصُوصٍ , وَقَدْ يَتَّفِقُ هَذَا مِنْ الْكَافِرِ , كَاتِّفَاقِهِ مِنْ الْمُسْلِمِ , وَلَا عِبْرَةَ بِنِيَّةِ الصِّيَامِ ; لِأَنَّهَا أَمْرٌ بَاطِنٌ لَا عِلْمَ لَنَا بِهِ , بِخِلَافِ الصَّلَاةِ , فَإِنَّهَا أَفْعَالٌ تَتَمَيَّزُ عَنْ أَفْعَالِ الْكُفَّارِ , وَيَخْتَصُّ بِهَا أَهْلُ الإسلَام , وَلَا يَثْبُتُ الإسلَام حَتَّى يَأْتِيَ بِصَلَاةٍ يَتَمَيَّزُ بِهَا عَنْ صَلَاةِ الْكُفَّارِ , مِنْ اسْتِقْبَالِ قِبْلَتِنَا , وَالرُّكُوعِ , وَالسُّجُودِ , وَلَا يَحْصُلُ بِمُجَرَّدِ الْقِيَامِ ; لِأَنَّهُمْ يَقُومُونَ فِي صَلَاتِهِمْ . وَلَا فَرْقَ بَيْنَ الْأَصْلِيِّ وَالْمُرْتَدِّ فِي هَذَا ; لِأَنَّ مَا حَصَلَ بِهِ

---

[1] البخاري، فتح الباري (413/8) كتاب الصلاة / باب حج الناس بأبي بكر سنة تسع، ومسلم مع شرح النووي (118/9) كتاب الحج، باب لا يحج البيت مشرك، ولا يطوف بالبيت عريان، وبيان يوم الحج الأكبر. عن علي بن أبي طالب رَضِيَ اللهُ عَنهُ.

2 بتصرف من كلام للشيخ مُحَمَّد المختار الشنقيطي المدرس بالحرم النبوي ، كتاب المناسك من زاد المستقنع

3 محب الدين أبي جعفر بن عبد الله بن مُحَمَّد بن أبي بكر الطبري 694هـ

4 خلاصة سير سيد البشر 63 ، بتحقيق طلال بن جميل الرفاعي

الإسلَام فِي الْأَصْلِيّ , حَصَلَ بِهِ فِي حَقِّ الْمُرْتَدِّ كَالشَّهَادَتَيْنِ . فَعَلَى هَذَا , لَوْ مَاتَ الْمُرْتَدُّ فَأَقَامَ وَرَثَتُهُ بَيِّنَةً أَنَّهُ صَلَّى بَعْدَ رِدَّتِهِ , حُكِمَ لَهُمْ بِالْمِيرَاثِ , إلَّا أَنْ يَثْبُتَ أَنَّهُ ارْتَدَّ بَعْدَ صَلَاتِهِ أَوْ تَكُونَ رِدَّتُهُ بِجَحْدِ فَرِيضَةٍ , أَوْ كِتَابٍ , أَوْ نَبِيٍّ , أَوْ مَلَكٍ , أَوْ نَحْوِ ذَلِكَ مِنْ الْبِدَعِ الَّتِي يَنْتَسِبُ أَهْلُهَا إلَى الإِسلَام , فَإِنَّهُ لَا يُحْكَمُ بِإِسْلَامِهِ بِصَلَاتِهِ ; لِأَنَّهُ يَعْتَقِدُ وُجُوبَ الصَّلَاةِ , وَيَفْعَلُهَا مَعَ كُفْرِهِ , فَأَشْبَهَ فِعْلَهُ غَيْرَهَا . وَاَللَّهُ أَعْلَمُ .) [1]

قَالَ ابن كثير رَحِمَهُ اللهُ عند تفسيره لقول الله تَعَالَي : (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنَّمَا الْمُشْرِكُونَ نَجَسٌ فَلا يَقْرَبُوا الْمَسْجِدَ الْحَرَامَ بَعْدَ عَامِهِمْ هَذَا وَإِنْ خِفْتُمْ عَيْلَةً فَسَوْفَ يُغْنِيكُمُ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ إِنْ شَاءَ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ حَكِيمٌ) [2] أَمَرَ تَعَالَى عِبَادَهُ الْمُؤْمِنِين الطَّاهِرِينَ دِينًا وَذَاتًا بِنَفْيِ الْمُشْرِكِينَ، الَّذِينَ هُمْ نَجَس دينًا، عن المسجد الْحَرَامِ، وَأَلَّا يَقْرَبُوهُ بَعْدَ نُزُولِ هَذِهِ الْآيَةِ. وَكَانَ نُزُولُهَا فِي سَنَةِ تِسْعٍ؛ وَلِهَذَا بَعَثَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّي اللهُ عَلَيهِ وَسَلَّمَ عَلِيًّا صُحْبَةَ أَبِي بَكْرٍ، رَضِيَ اللَّهُ عَنهُمَا، عَامَئِذٍ، وَأَمَرَهُ أَنْ يُنَادِيَ فِي الْمُشْرِكِينَ: أَلَّا يَحُجَّ بعد العام مشرك، ولا يطوف بالبيت عريان. فَأَتَمَّ اللَّهُ ذَلِكَ، وَحَكَمَ بِهِ شَرْعًا وَقَدَرًا.

وقَالَ عبد الرازق: أَخْبَرَنَا ابْنُ جُرَيْج، أَخْبَرَنِي أَبُو الزُّبَيْرِ، أَنَّهُ سَمِعَ جَابِرَ ابن عَبْدِ اللَّهِ يَقُولُ فِي قَوْلِهِ تَعَالَى: {إِنَّمَا الْمُشْرِكُونَ نَجَسٌ فَلا يَقْرَبُوا الْمَسْجِدَ الْحَرَامَ بَعْدَ عَامِهِمْ هَذَا} إِلَّا أَنْ يَكُونَ عَبْدًا، أَوْ أَحَدًا مِن أَهلِ الذِّمَّةِ

وَقَدْ رُوِيَ مَرْفُوعًا مِنْ وَجْهٍ آخَرَ، فَقَالَ الإِمَام أَحْمَدُ: حَدَّثَنَا حُسَين حَدَّثَنَا شَرِيكٌ، عَنِ الْأَشْعَثِ - يَعْنِي: ابْنَ سَوَّار - عَنِ الْحَسَنِ، عَنْ جَابِرٍ قَالَ: قَالَ النَّبِيُّ صَلَّي اللهُ عَلَيهِ وَسَلَّمَ: "لَا يَدْخُلُ مَسْجِدَنَا بَعْدَ عَامِنَا هَذَا مُشْرِكٌ، إِلَّا أَهْلُ الْعَهْدِ وَخَدَمُهُمْ " [3] تَفَرَّدَ بِهِ أَحْمَدُ مَرْفُوعًا، وَالْمَوْقُوفُ أَصَحُّ إِسْنَادًا.

---

[1] المفصل في شرح حديث من بدل دينه فاقتلوه (2 / 187) لعلي بن نايف الشحود

[2] سورة التوبة، الآية 28

[3] المسند (392/3) وقال الهيثمي في المجمع (10/4) : "فيه أشعث بن سوار وفيه ضعف وقد وثق".

وَقَالَ الإِمَام أَبُو عَمْرٍو الْأَوْزَاعِيُّ: كَتَبَ عُمَرَ ابن عَبْدِ الْعَزِيزِ، رَضِيَ اللهُ عَنهُ: أَنِ امْنَعُوا الْيَهُودَ وَالنَّصَارَى مِنْ دُخُولِ مَسَاجِدِ الْمُسْلِمِينَ، وَأَتْبَعَ نَهْيَهُ قَوْلَ اللَّهِ: {إِنَّمَا الْمُشْرِكُونَ نَجَسٌ} وَقَالَ عَطَاءٌ: الْحَرَمُ كُلُّهُ مَسْجِدٌ، لِقَوْلِهِ تَعَالَى: {فَلا يَقْرَبُوا الْمَسْجِدَ الْحَرَامَ بَعْدَ عَامِهِمْ هَذَا} .) [1]

مبحث في ذكر حج بعض قبائل المشركين بيت الله الحرام تعبدا :

وَكَانَت قَبَائِلٌ مِنَ المُشرِكِينَ الذِينَ أُرسِلَ النَّبِيُّ صَلَّي اللهُ عَلَيهِ وَسَلَّمَ إِلَيهِم يَحُجُّونَ إِلي البَيتِ العَتِيقِ حَجَّاً مُبْتَدَعَاً مَا أَنزَلَ اللهُ بِهِ مِن سُلطَانٍ ، وَمِن هَذِهِ القَبَائِلِ قَبِيلَةِ عَكٍّ .

وَقَد كَانَت مَوَاقِفُ الجَاهِلِيَّةِ فِي الحَجِّ مَوَاقِفَاً مُخزِيَةً، وَكَانَت خَلِيطَا مَمزُوجَا مِن الأضدَادِ وَالمتَنَاقِضَاتِ، يظهر ذلك جلياً في المواقف المتكررة، فمن ذلك -مثلاً -: تلبيتهم في الحج التي يخلطون معها الشرك، فيقولون: (لبيك اللهم لبيك، لبيك لا شريك لك) وهَذَا فيه اعتراف لله بالعبودية ولكن ما لبثوا أن نقضوه حين أردفوا ذلك بقولهم (إلا شريكاً هو لك) فأضاعوا اعترافهم الأول ونقضوه ، ومع اعترافهم لله تَعَالَي بالرُّبُوبِيَّة أيضا في قولهم (تملكه وما مَلَك) فقد نقضوا ذلك الاعتراف بذات الكلمة التي أثبتوا بها لله ملكا حيث أثبتوا للمعبودات الباطلة ملكا مع الله ، فكانوا يعتقدون أن هذه المعبودات الباطلة هي وما تملكه داخلة في ملك الله.

وكانت قبيلة عَكٍ إذا خرجت حاجَّة قدمت أمامها غُلامين أسودين من غلمانها ، فكانا أمام ركبهم، فيقولان: نحن غرابا عَكٍّ، فتقول عَكٍّ من بعدهما:

(عَكٌّ إليك عانية ، عبادة يمانية ، كيما نحجَّ الثانية)

مبحث في ذكر تلبية المشركين حول البيت ودعائهم لله تعالي .

قد ورد أن الكفار من المشركين كانوا يدعون الله تَعَالَي ويلبون حال طوافهم بالبيت العتيق ، وهَذَا الدعاء وتلك التلبية من مَسَائِل توحيد الأُلُوهِيَّة وليست من غيره . وفي ذلك دليل علي أنهم كانوا

[1] تفسير القرآن العظيم (4 / 130) بتحقيق سامي بن مُحَمَّد سلامة .

يعرفون مَسَائِل الأُلُوهِيَّة وكانوا يصرفون بعضها الي الله جل وعلا ولكن ليس علي سبيل التَّوحِيد الجازم من القلب له الخالي من الشرك ، بل كان إيمانا مشوبا بشرك فصار شركا خالصا لا يطلق عليه إيمان بوجه من الوجوه .

قَالَ الشَّيخ فيصل ابن عبد العزيز رَحِمَهُ اللهُ [1] عن ابن عباس قَالَ: (كان المشركون يطوفون بالبيت، ويقولون: لبيك اللَّهُمَّ لبيك، لبَّيك لا شريك لك، فيقول النبي - صَلَّي اللهُ عَلَيهِ وَسَلَّمَ: «قدٍ، قد». ويقولون: لبيك اللهم لبيك، لبيك لا شريك لك إلا شريكًا هو لك، تملكه وما ملك. ويقولون: غفرانك غفرانك، فأنزل الله: {وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُعَذِّبَهُمْ وَأَنتَ فِيهِمْ وَمَا كَانَ اللَّهُ مُعَذِّبَهُمْ وَهُمْ يَسْتَغْفِرُونَ}[2].) [3]

قَالَ ابن الأثير [4] **رحمه الله** : - ([لَبَّيك لا شريك لك إلاَّ شريكٌ هُوَ لك تَمْلِكه وما مَلَك] يَعْنون بالشَّريك الصَّنَمَ يُريدون أن الصَّنم وما يَملِكه ويَختصُّ به من الآلاتِ التي تكون عنده وحوله والنُّذورِ التي كانوا يتقرَّبون بها إليه مِلكٌ لله تعالى فذلك معنى قولهم : تَملِكه وما مَلَك) [5]

قَالَ الشَّيخ عطية مُحّمَّد سالم [6] **رَحِمَهُ اللهُ** : (مع أن العرب كانوا يقولون: لبيك اللهم لبيك، لبيك لا شريك لك إلا شريكاً هو لك، تملكه وما ملك فهم معترفون بأن آلهتهم تحت سلطة الله سُبْحَانَهُ ، وكانوا يقولون { مَا نَعْبُدُهُمْ إِلَّا لِيُقَرِّبُونَا إِلَى اللَّهِ زُلْفَى } [7]، لكن اتخذوهم شركاء مع الله، فقاتلهم رسول الله صَلَّي اللهُ عَلَيهِ وَسَلَّمَ حتى يقولوا: لا إله إلا الله لا معبود بحق إلا الله.) [8]

---

1 فيصل بن عبد العزيز بن فيصل ابن حمد المبارك الحريملي النجدي (المتوفى: 1376هـ)

2 [سورة الأنفال: 33]

3 تطريز رياض الصالحين (1 / 1068) بترقيم الشاملة ، بتحقيق د. عبد العزيز بن عبد الله بن إبراهيم الزير آل حمد .

4 أبو السعادات المبارك بن مُحَمَّد الجزري

5 النهاية في غريب الحديث والأثر (2 / 1144) بتحقيق طاهر أحمد الزاوى - محمود مُحَمَّد الطناحي

6 عطية بن مُحَمَّد سالم المصري نزيل المدينة (المتوفى : 1420هـ)

7 [سورة الزمر:3]

8 شرح الأربعين النووية

قَالَ الهيثمي [1] **رَحِمَهُ اللهُ** :- (5361 - «وَعَنْ عَمْرِو ابن مَعْدِي قَالَ: لَقَدْ رَأَيْتُنَا فِي الْجَاهِلِيَّةِ وَنَحْنُ إِذَا حَجَجْنَا الْبَيْتَ نَقُولُ:

هَذِي زُبَيْدُ قَدْ أَتَتْكَ قَسْرًا ... تَغْدُو بِهَا مُضْمِرَاتٌ شَزْرًا

يَقْطَعْنَ خَبْتًا وَجِبَالًا وُعْرًا ... قَدْ تَرَكُوا الْأَصْنَامَ خَلْوًا صُفْرًا

وَنَحْنُ الْيَوْمَ نَقُولُ كَمَا عَلَّمَنَا رَسُولُ اللَّهِ صَلَّي اللهُ عَلَيهِ وَسَلَّمَ: " لَبَّيْكَ اللَّهُمَّ لَبَّيْكَ، لَبَّيْكَ لَا شَرِيكَ لَكَ لَبَّيْكَ، إِنَّ الْحَمْدَ وَالنِّعْمَةَ لَكَ وَالْمُلْكَ، لَا شَرِيكَ لَكَ».

رَوَاهُ الْبَزَّارُ [2] وَالطَّبَرَانِيُّ فِي الصَّغِيرِ وَالْكَبِيرِ وَالْأَوْسَطِ إِلَّا أَنَّهُ قَالَ: «لَقَدْ رَأَيْتُنَا مِنْ قَرْنٍ وَنَحْنُ إِذَا حَجَجْنَا قُلْنَا:

لَبَّيْكَ تَعْظِيمًا إِلَيْكَ عُذْرًا ... هَذِي زُبَيْدُ قَدْ أَتَتْكَ قَسْرًا

يَقْطَعْنَ خَبْتًا وَجِبَالًا وُعْرًا ... قَدْ خَلَّفُوا الْأَنْدَادَ خَلْوًا صُفْرًا

وَلَقَدْ رَأَيْتُنَا وُقُوفًا بِبَطْنِ مُحَسِّرٍ نَخَافُ أَنْ تَخْطَفَنَا الْجِنُّ، فَقَالَ النَّبِيُّ صَلَّي اللهُ عَلَيهِ وَسَلَّمَ: " ارْتَفِعُوا عَنْ بَطْنِ عُرَنَةَ، فَإِنَّهُمْ إِخْوَانُكُمْ إِذَا أَسْلَمُوا ". وَعَلَّمَنَا التَّلْبِيَةَ». فَذَكَرَهُ. وَفِيهِ شَرْقِيُّ ابن قُطَامِيٍّ، وَهُوَ ضَعِيفٌ. وَقَالَ الْبَزَّارُ: إِسْنَادُهُ لَيْسَ بِالثَّابِتِ، وَزَادَ الطَّبَرَانِيُّ فِي الْكَبِيرِ: وَكُنَّا نَمْنَعُ النَّاسَ أَنْ يَقِفُوا فِي الْجَاهِلِيَّةِ، فَأَمَرَنَا رَسُولُ اللَّهِ صَلَّي اللهُ عَلَيهِ وَسَلَّمَ أَنْ نَحُولَ بَيْنَهُمْ وَبَيْنَ عُرَنَةَ، فَإِنَّمَا كَانَ مَوْقِفُهُمْ بِبَطْنِ مُحَسِّرٍ عَشِيَّةَ عَرَفَةَ فَرَقًا أَنْ تَخْطِفَهُمُ الْجِنُّ. وَالْبَاقِي بِنَحْوِهِ.

5362 - وَعَنْ أَنَسٍ قَالَ: كَانَ النَّاسُ بَعْدَ إِسْمَاعِيلَ عَلَى الإِسلَام، فَكَانَ الشَّيْطَانُ يُحَدِّثُ النَّاسَ بِالشَّيْءِ يُرِيدُ أَنْ يَرُدَّهُمْ عَنِ الإِسلَام حَتَّى أَدْخَلَ عَلَيْهِمْ فِي التَّلْبِيَةِ:

لَبَّيْكَ اللَّهُمَّ لَبَّيْكَ ... لَبَّيْكَ لَا شَرِيكَ لَكَ

إِلَّا شَرِيكٌ هُوَ لَكَ ... تَمْلِكُهُ وَمَا مَلَكَ

---

1 أبو الحسن نور الدين علي بن أبي بكر بن سليمان الهيثمي (المتوفى: 807هـ)

2 مسند البزار 7188 ، الْبَزَّارُ أَبُو بَكْرٍ أَحْمَدُ بنُ عَمْرٍو البَصْرِيُّ 292 هـ

قَالَ: فَمَا زَالَ حَتَّى أَخْرَجَهُمْ عَنِ الإِسلَام إِلَى الشِّرْكِ. رَوَاهُ الْبَزَّارُ، وَرِجَالُهُ رِجَالُ الصَّحِيحِ.

5363 - وَعَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ قَالَ: كَانَ يُلَبِّي أَهْلُ الشِّرْكِ:

لَبَّيْكَ اللَّهُمَّ لَبَّيْكَ ... لَبَّيْكَ لَا شَرِيكَ لَكَ

إِلَّا شَرِيكًا هُوَ لَكَ ... تَمْلِكُهُ وَمَا مَلَكَ

فَأَنْزَلَ اللَّهُ تَعَالَى: {هَلْ لَكُمْ مِمَّا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ مِنْ شُرَكَاءَ فِيمَا رَزَقْنَاكُمْ فَأَنْتُمْ فِيهِ سَوَاءٌ تَخَافُونَهُمْ كَخِيفَتِكُمْ أَنْفُسَكُمْ} [1] . رَوَاهُ الطَّبَرَانِيُّ فِي الْأَوْسَطِ [2] ، وَفِيهِ حَمَّادُ ابن شُعَيْبٍ، وَهُوَ ضَعِيفٌ.) [3]

قَالَ الشَّيخ حسن أبو الأشبال [4] **وَفَّقَهُ اللهُ** : (قَالَ: [عن ابن عباس رَضِيَ اللهُ عَنهُمَا قَالَ: كان المشركون يحجون ويعتمرون]، لكن على نظام الوثنية، فكانوا يقولون في طوافهم: لبيك لا شريك لك، ولكنهم كانوا بعد ذلك يشركون في تلبيتهم فيقولون: لبيك لا شريك لك إلا شريكاً هو لك تملكه وما ملك، يقولون هَذَا وهم يطوفون بالبيت.) [5]

وفي قصة ثمامة ابن أثال سيد أهل اليمامة [6] قوله رَضِيَ اللهُ عَنهُ : (وَإِنَّ خَيْلَكَ أَخَذَتْنِى وَأَنَا أُرِيدُ الْعُمْرَةَ) [7] ومعلوم أنه أخذ قبل أن يسلم ، فعلم أنهم كانوا يحجون فى جاهليتهم .

وقَالَ الشَّيخ حسن أبو الأشبال وَفَّقَهُ اللهُ أيضا : (وأنتم تعلمون أن النبي عَلَيهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَام حج مرتين قبل البعثة على ملة إبراهيم عليه السلام، فالمشركون كانوا يحجون ويعتمرون إلى البيت.) [8]

---

1 [سورة الروم: 28]

2 المعجم الكبير 12348 ، لسليمان بن أحمد بن أيوب أبو القاسم الطبراني ، بتحقيق حمدي بن عبدالمجيد السَّلَفي .

3 مجمع الزوائد ومنبع الفوائد (3 / 506) للهيثمي . بتحقيق حسام الدين القدسي

4 أبو الأشبال حسن الزهيري آل مندوه المنصوري المصري .

5 شرح صحيح مسلم ، بتصرف من شرح حديث ابن عباس في تلبية المشركين في الجاهلية.

6 من بلاد نجد.

7 الجامع الصحيح المسمى صحيح مسلم 4688 لأبي الحسين مسلم بن الحجاج بن مسلم القشيري النيسابوري .

8 شرح صحيح مسلم ، بتصرف من الباب التاسع عشر: (باب ربط الأسير وحبسه وجواز المن عليه).

مبحث في ذكر شيء من صيام أهل الجاهلية .

وأما عن الصيام ، فكان بعض العرب يصومون يوم عاشوراء حتى في الجاهلية موافقة لليهود ، ويوم عاشوراء هو اليوم الذي نجا الله تَعَالَي فيه موسى عليه السلام وقومه، وأغرق فرعون وجنده، فصامه موسى عليه السلام شكراً لله، وكانت اليهود تصومه ويتخذونه عيدا ، ولما كانت دعوة الرسل واحدة أمر النبي صَلَّي اللهُ عَلَيهِ وَسَلَّمَ بصيامه محبة لموسى، وشكرا لله وحده، وقد احتسب أن يكفر الله به ذنوب عام كامل ، وأمر أصحابه بصيامه وقال نحن أحق بموسي منكم فإنا موافقون له في أصول الدين ومصدقون لكتابه، وأنتم مخالفون لها بالتغيير والتحريف.

فعَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللهُ عَنهُمَا، قَالَ: قَدِمَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّي اللهُ عَلَيهِ وَسَلَّمَ الْمَدِينَةَ، فَوَجَدَ الْيَهُودَ صِيَامًا يَوْمَ عَاشُورَاءَ، فَقَالَ لَهُمْ: "مَا هَذَا الْيَوْمُ الَّذِي تَصُومُونَهُ؟" قَالَوا: هَذَا يَوْمٌ عَظِيمٌ أَنْجَى اللَّهُ فِيهِ مُوسَى وَقَوْمَهُ، وَأَغْرَقَ فِرْعَوْنَ وَقَوْمَهُ، فَصَامَهُ مُوسَى شُكْرًا، فَنَحْنُ نَصُومُهُ، فَقَالَ عليه السلام: "نَحْنُ أَوْلَى بِمُوسَى مِنْكُمْ" وَصَامَهُ عليه السلام، وَأَمَرَ بِصِيَامِهِ، فَلَمَّا هَاجَرَ إِلَى الْمَدِينَةِ صَامَهُ وَأَمَرَ بِصِيَامِهِ، فَلَمَّا فُرِضَ شَهْرُ رَمَضَانَ، قَالَ: مَنْ شَاءَ صَامَهُ وَمَنْ شَاءَ تَرَكَهُ) [1] وإظهاراً للمخالفة فإنه صَلَّي اللهُ عَلَيهِ وَسَلَّمَ أمر بصيام يومٍ قبله وقَالَ: (لَئِن عِشْت - أو بقيت [2] - إِلَى قَابل لأصومن التَّاسِع) [3]، وصار المستحب صيام تاسوعاء وعاشوراء. وفي ذلك الصيام دليل علي أن أهل الجاهلية ومنهم اليهود كانوا يقومون ببعض شعائر الألوهية مشوبة بمظاهر الشرك لله تعالي .

مبحث في ذكر دعاءهم الله تَعَالَي في الشدة وكفرهم فى الرخاء :

قَالَ الله تَعَالَي : (هُوَ الَّذِي يُسَيِّرُكُمْ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ حَتَّى إِذَا كُنْتُمْ فِي الْفُلْكِ وَجَرَيْنَ بِهِمْ بِرِيحٍ طَيِّبَةٍ وَفَرِحُوا بِهَا جَاءَتْهَا رِيحٌ عَاصِفٌ وَجَاءَهُمُ الْمَوْجُ مِنْ كُلِّ مَكَانٍ وَظَنُّوا أَنَّهُمْ أُحِيطَ بِهِمْ دَعَوُا اللَّهَ

---

[1] البخاري: ص 268، وص 481، ومسلم: ص 359. نقلا عن (نصب الراية لأحاديث الهداية مع حاشيته بغية الألمعي في تخريج الزيلعي ، " 2 / 454 " لجمال الدين أبو مُحَمَّد عبد الله بن يوسف بن مُحَمَّد الزيلعي (المتوفى : 762هـ))

[2] «صَحِيح مُسلم» (2 / 797 - 798 رقم 134 / 133)

[3] «صَحِيح مُسلم» (2 / 798 رقم 1134 / 134) .

مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ لَئِنْ أَنْجَيْتَنَا مِنْ هَذِهِ لَنَكُونَنَّ مِنَ الشَّاكِرِينَ (22) فَلَمَّا أَنْجَاهُمْ إِذَا هُمْ يَبْغُونَ فِي الْأَرْضِ بِغَيْرِ الْحَقِّ) [1]

قَالَ عطاء رَحِمَهُ اللَّهُ : هَذَا في الدعاء ، وذلك أن الكفار ينسون ربهم في الرخاء فإذا أصابهم البلاء أخلصوا في الدعاء . بيانه (وظنوا أنهم أحيط بهم) الآية ، وفي آية أخرى (وإذا مسه الشر فذو دعاء عريض) انتهي .

قَالَ الطبري : (عن قتادة في قوله: (دعوا الله مخلصين له الدين) ، قَالَ: إذا مسّهم الضرُّ في البحر أخلصوا له الدعاء. وقَالَ ابن زيد في قوله: (وإذا أذقنا الناس رحمة من بعد ضراء مستهم) إلى آخر الآية، قَالَ: هؤلاء المشركون يدعون مع الله ما يدعون، فإذا كان الضر لم يدعوا إلا الله، فإذا نجاهم إذا هم يشركون.) [2]

وقَالَ ابن كثير رَحِمَهُ اللَّهُ : ({لَنَكُونَنَّ مِنَ الشَّاكِرِينَ} أَيْ: لَا نُشْرِكُ بِكَ أَحَدًا، وَلَنُفْرِدَنَّكَ بِالْعِبَادَةِ هُنَاكَ كَمَا أَفْرَدْنَاكَ بِالدُّعَاءِ هَاهُنَا) [3]

وبمجرد توجيه الدعاء لله تعالي ولو لمرة واحدة في الحياة يكون الانسان معترفا بنوع من الألوهية لله تعالي وغن كان مخالطا تلك الشعيرة بأكوام من الشركيات ، ولذلك فهم معتقدون أن الله تعالي هو المستحق للعبادة ولكنهم يتكبرون عن عبادته أو تلهيهم أنفسهم وتستهويهم نفوسهم وشياطينهم فلا يتذكرون الله تعالي ويتوجهون إليه إلا في وقت الحاجة ومس الضر! .

[1] سورة يونس 22 - 23
[2] تفسير الطبري (15 / 51 – 52)
[3] تفسير بن كثير (4 / 259) بحقيق سامي بن مُحمَّد سلامة

مبحث في ذكر دعاء مشركي العرب في حادثة أبرهة الحبشى ورجاءهم لله وحمدهم له تعالي.

وقد ورد في قصة هدم الكعبة التي تواتر ذكرها في كتب السير بعضا من أنواع العبادات التي كان يقوم بها مشركوا العرب في الجاهلية ، ففي "القول المبين في سيرة سيد المرسلين" ، ذكر الشيخ محمد الطيب النجار رحمه الله بعض ما كان من عبد المطلب جد النبي صلي الله عليه وسلم فقَالَ : (فانطلق معه عبد المطلب ومعه بعض بنيه حتى أتى المعسكر ووقف بباب أبرهة، فقيل لأبرهة: إن عبد المطلب ببابك، فقَالَ: من هو عبد المطلب؟ قيل: إنه سيد قريش وصاحب عيش مكة، وهو الذي يطعم الناس في السهل والوحوش في رءوس الجبال. فأذن له أبرهة.

وكان عبد المطلب وسيمًا جميلًا شديد الهيبة والوقار. فلما رآه أبرهة، أجلَّه وأعظمه وأكرمه عن أن يجلسه تحته، وكره أن تراه الحبشة يجلس معه على سرير ملكه. فنزل أبرهة عن سريره فجلس على بساطه وأجلسه معه عليه إلى جنبه، ثم قَالَ لترجمانه: سله عن حاجته: فسأل الترجمان؟ فقَالَ: حاجتي أن يرد علي الملك مائتي بعير أصابها لي. فلما قَالَ له ذلك، قَالَ أبرهة لترجمانه: قد كنت أعجبتني حين رأيتك، ثم قد زهدت فيك حين كلمتني، أتكلمني في مائتي بعير أصبتها لك وتترك بيتًا، هو دينك ودين آبائك قد جئت لهدمه، لا تكلمني فيه؟ فقَالَ له عبد المطلب: "إني أنا رب الإبل، وإن للبيت ربا سيمنعه ويحميه". فرد أبرهة قائلًا: ما كان ليمتنع مني . فأجابه: أنت وذلك.. فرد أبرهة على عبد المطلب المائتي بعير التي أصابها.. وانطلق عبد المطلب إلى قريش فأخبرهم الخبر ، ثم تعلق بحلقة الكعبة وأستارها في ضراعة الخائف الوجل وإنابة العائذ المستغيث، وأخذ يقول:

لَا هُمّ إنّ الْعَبْدَ يَمْ ... نَعُ رَحْلَهُ فَامْنَعْ حِلَالَك ، وَانصُر عَلَى آلِ الصَّلِيبِ ... وَعابِدِيهِ اليَومَ آلَكَ

لَا يَغْلِبَن صَلِيبَهُمْ ... وَمِحَالُهُمْ أَبدًا مِحَالُك ، هُم جَرَّدُوا لَكَ جَمعَهُم ... وَالفِيلَ كَي يَسْبُوا عِيَالَكَ

عَمَدُوا حِمَاكَ بِكَيدِهِم ... جَهلاً وَمَا رَقبُوا جَلَالَك إن كُنتَ تَارِكَهُم وَقِبـ ... ـلَتَنَا فَأمُر مَا بَدَا لَكَ

ثم طاف بالبيت منشدًا والناس معه يرددون:

يَا رَب لَا أَرجُو لَهُم سِوَاكَا ... رَبٌ فَامنَع مِنهُم حِمَاكَا ، امنَعهُمُوا أَن يخربُوا قراكا ... إِنَّ عَدُوّ البَيتِ مَن عَادَاكَا

وهكذا لجأ عبد المطلب ولجأت معه قريش إلى الله يطلبون عونه وحمايته، ثم خرجوا من مكة لكي يتحرزوا في شعف الجبال والشعاب، وينتظرون عدل الله مع هؤلاء الطغاة الظالمين..) انتهي

وفي تلك القصة ما يبين أن مشركي قريش كانوا يتضرعون إلي الله تعالي ويدعونه ، وذلك في وقت الشدة كما بينا ذلك في ذكر دعاءهم الله تَعَالَي في الشدة وكفرهم فى الرخاء .

وفيها أيضا فوائد منها :

1) اعتراف مشركي العرب وإقرارهم بألوهية الله تعالي وأنه المستحق للعبادة ولذلك هرعوا إليه داعين إياه أن يكشف عنهم ما نزل بهم من ضر وبلاء . وذلك في قولهم (اللهم) .

2) إقرارهم بأن الله إله واعترافهم بأنهم عبيد لله تعالي ، وذلك في قولهم (إنّ الْعَبْدَ) .

3) إقرارهم بأن الله تعالي قادر علي حفاظتهم ورد المعتدين عنهم لأنه ربهم القادر علي ذلك ولذلك دعوه ، وهذا في قولهم (فَامْنَعْ حِلَالَك أو رحالك) .

4) اعترافهم بأن لله صفات جلال وجمال وأنه مغاير لخلقه وأن القرشيين يرقبون جلال الله وأما المعتدون لم يرقبوا ذلك وذلك في قولهم : (وَمَا رَقبُوا جَلَالَك) .

5) اعترافهم بألوهية الله تعالي وذلك برجاءهم إياه وذلك في قولهم (يَا رَب لَا أَرجُو لَهُم سِوَاكَا رَب) .

وكذلك في (الروض الأنف) حكاية أيضا فيها ذكر نوع من العبادات التي كان أهل الجاهلية يعتقدونها : (فَقَالَ نُفَيْلٌ حِينَ رَأَى مَا أَنَزَلَ لالّهُ بِهِمْ مِنْ نِقْمَتِهِ

أَيْنَ الْمَفَرّ وَالْإِلَهُ الطّالِبُ ... وَالْأَشْرَمُ الْمَغْلُوبُ لَيْسَ الْغَالِبُ

قَالَ ابْنُ هِشَامٍ : قَوْلُهُ " لَيْسَ الْغَالِبُ " عَنْ غَيْرِ ابْنِ إسْحَاقَ . قَالَ ابْنُ إسْحَاقَ : وَقَالَ نُفَيْلٌ أَيْضًا :

أَلَا حُيّيت عَنّا يَا رُدَيْنَا ... نَعِمْنَاكُمْ مَعَ الْإِصْبَاحِ عَيْنَا

رُدَيْنَةُ لَوْ رَأَيْت - وَلَا تَرَيْهِ ... لَدَي جَنْبِ الْمُحَصّبِ مَا رَأَيْنَا

إذًا لَعَذَرْتِنِي وَحَمِدْت أَمْرِي ... وَلَمْ تَأْسَى عَلَى مَا فَاتَ بَيْنَا

حَمِدْت اللّهَ إذْ أَبْصَرْت طَيْرًا ... وَخِفْت حِجَارَةً تُلْقَى عَلَيْنَا

وَكُلّ الْقَوْمِ يَسْأَلُ عَنْ نُفَيْلٍ ... كَأَنّ عَلَيّ لِلْحُبْشَانِ دَيْنَا) انتهي

قلت وفيها ذكر الإله وانه الذي يأخذ للمستضعف من الظلوم وفيها أيضا حمد الله علي ما كان من نصره لبيته العتيق . وهذه كلها أنواع من توحيد الألوهية .

مبحث في ذكر معرفة بعض مشركي العرب الدعاء في غزوة أحد.

ومن مظاهر معرفة المشركين لبعض أنواع الألوهية ما حدث من بعضهم في غزوة أحد .

قال المباركفوري في الرحيق المختوم : (ثم اندلعت نيران المعركة، واشتد القتال بين الفريقين في كل نقطة من نقاط الميدان، وكان ثقل المعركة يدور حول لواء المشركين، فقد تعاقب بنو عبد الدار لحمل اللواء بعد قتل قائدهم طلحة بن أبي طلحة، فحمله أخوه أبو شيبة عثمان بن أبي طلحة، وتقدم للقتال وهو يقول :

إنَّ على أهْل اللوَاءِ حقاً ** أن تُخْضَبَ الصَّعْدَة أو تَنْدَقَّا

فحمل عليه حمزة بن عبد المطلب فضربه على عاتقه ضربة بترت يده مع كتفه، حتى وصلت إلى سرته، فبانت رئته .

ثم رفع اللواء أبو سعد بن أبي طلحة، فرماه سعد بن أبي وقاص بسهم أصاب حنجرته، فأُدْلِعَ لسانُهُ ومات لحينه . وقيل : بل خرج أبو سعد يدعو إلى البراز، فتقدم إليه على بن أبي طالب، فاختلفا ضربتين، فضربه على فقتله .

ثم رفع اللواء مُسَافع بن طلحة بن أبي طلحة، فرماه عاصم بن ثابت بن أبي الأفْلَح بسهم فقتله، فحمل اللواء بعده أخوه كِلاَب بن طلحة بن أبي طلحة، فانقض عليه الزبير بن العوام وقاتله حتى قتله، ثم حمل اللواء أخوهما الجُلاَس بن طلحة بن أبي طلحة، فطعنه طلحة بن عبيد الله طعنة قضت على حياته . وقيل : بل رماه عاصم بن ثابت بن أبي الأفلح بسهم فقضي عليه .

هؤلاء ستة نفر من بيت واحد، بيت أبي طلحة عبد الله بن عثمان بن عبد الدار، قتلوا جميعاً حول لواء المشركين، ثم حمله من بني عبد الدار أرطاة بن شُرَحْبِيل، فقتله على بن أبي طالب، وقيل : حمزة بن عبد المطلب، ثم حمله شُرَيح بن قارظ فقتله قُزْمَان ـ وكان منافقاً قاتل مع المسلمين حمية، لا عن الإسلام ـ ثم حمله أبو زيد عمرو بن عبد مناف العبدري، فقتله قزمان أيضاً، ثم حمله ولد لشرحبيل بن هاشم العبدري فقتله قزمان أيضاً .

فهؤلاء عشرة من بني عبد الدار ـ من حمله اللواء ـ أبيدوا عن آخرهم، ولم يبق منهم أحد يحمل اللواء . فتقدم غلام لهم حبشي ـ اسمه صُؤَاب ـ فحمل اللواء، وأبدي من صنوف الشجاعة والثبات

ما فاق به مواليه من حملة اللواء الذين قتلوا قبله، فقد قاتل حتى قطعت يداه، فبرك على اللواء بصدره وعنقه؛ لئلا يسقط، حتى قتل وهو يقول : اللّهم هل أعزرت ؟ يعني هل أعذرت ؟ .

وبعد أن قتل هذا الغلام ـ صُؤاب ـ سقط اللواء على الأرض، ولم يبق أحد يحمله، فبقي ساقطاً .)[1]

(قَالَ ابْنُ إسْحَاقَ : وَحَدّثَنِي بَعْضُ أَهْلِ الْعِلْمِ أَنّ اللّوَاءَ لَمْ يَزَلْ صَرِيعًا حَتّى أَخَذَتْهُ عَمْرَةُ بِنْتُ عَلْقَمَةَ الْحَارِثِيّةُ ، فَرَفَعَتْهُ لِقُرَيْشٍ فَلَاثُوا بِهِ . وَكَانَ اللّوَاءُ مَعَ صُؤَابٍ غُلَامٌ لِبَنِي أَبِي طَلْحَةَ حَبَشِيّ وَكَانَ آخِرَ مَنْ أَخَذَهُ مِنْهُمْ فَقَاتَلَ بِهِ حَتّى قُطِعَتْ يَدَاهُ ثُمّ بَرَكَ عَلَيْهِ فَأَخَذَ اللّوَاءَ بِصَدْرِهِ وَعُنُقِهِ حَتّى قُتِلَ عَلَيْهِ وَهُوَ يَقُول : اللّهُمّ هَلْ أَعَزَرْت يَقُولُ أَعَذَرْت فَقَالَ حَسّانُ بْنُ ثَابِتٍ فِي ذَلِكَ

فَخُرْتُمْ بِاللّوَاءِ وَشَرّ فَخْرٍ ... لِوَاءٌ حِينَ رُدّ إلَى صُؤَابِ

جَعَلْتُمْ فَخْرَكُمْ فِيهِ بِعَبْدِ ... وَأَلْأَمُ مَنْ يَطَأُ عَفَرَ التّرَابِ

ظَنَنْتُمْ وَالسّفِيهُ لَهُ ظُنُونٌ ... وَمَا إنّ ذَاكَ مِنْ أَمْرِ الصّوَابِ

بِأَنّ جِلَادَنَا يَوْمَ الْتَقَيْنَا ... بِمَكّةَ بَيْعُكُمْ حُمْرَ الْعِيَابِ

أَقَرّ الْعَيْنَ أَنْ عُصِبَتْ يَدَاهُ ... وَمَا إنْ تُعْصَبَانِ عَلَى خِضَاب .)[2]

ومحل شاهدنا في القصة قول صؤاب: (: اللّهم هل أعزرت ؟ يعني هل أعذرت ؟) فقد توجه إلي الله بقوله ذلك لمعرفته بأن هناك إله يلتجيء إليه العبيد في أحلك الظروف ، وفي ذلك ما يبين أن

[1] الرحيق المختوم 226 بترقيم الشاملة ، صفي الرحمن المباركفوري
[2] الروض الأنفص 263

مشركي العرب كانوا يعرفون بعض أنواع توحيد الألوهية ولكنها كانت مشوبة بشرك في كثير من صورها وأشكالها فلذلك كانت مردودة عليهم غير مقبولة منهم .

مبحث في ذكر اختتان أهل الجاهلية .

ولما كان الختان من العبادة ، إذ هو في كل الأحوال بين الواجب والمندوب وكليهما فيه أمر من الله تعالي ، فلذلك كان القائم به قائما بنوع عبادة ، ففي الصحيحين عن عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَبَّاسٍ - رضي الله عنهما - قَالَ:

(" كَتَبَ رَسُولُ اللَّهِ - صلى الله عليه وسلم - إِلَى قَيْصَرَ يَدْعُوهُ إِلَى الْإِسْلَامِ , وَبَعَثَ بِكِتَابِهِ إِلَيْهِ مَعَ دِحْيَةَ الْكَلْبِيِّ [1] وَأَمَرَهُ رَسُولُ اللَّهِ - صلى الله عليه وسلم - أَنْ يَدْفَعَهُ إِلَى عَظِيمِ بُصْرَى [2] لِيَدْفَعَهُ إِلَى قَيْصَرَ " , وَكَانَ قَيْصَرُ لَمَّا كَشَفَ اللَّهُ عَنْهُ جُنُودَ فَارِسَ مَشَى مِنْ حِمْصَ إِلَى إِيلِيَاءَ [3]) [4] (عَلَى الزَّرَابِيِّ [5] تُبْسَطُ لَهُ) [6] (شُكْرًا لِمَا أَبْلَاهُ اللَّهُ [7]) [8] (وَكَانَ ابْنُ النَّاطُورِ [9] صَاحِبُ إِيلِيَاءَ [10] وَهِرَقْلُ [11] سُقُفًّا [1] عَلَى نَصَارَى الشَّامِ) [2] (فَأَصْبَحَ هِرَقْلُ يَوْمًا حِينَ قَدِمَ إِيلِيَاءَ خَبِيثَ النَّفْسِ [3]

---

[1] هُوَ ابْنُ خَلِيفَةَ الْكَلْبِيُّ، صَحَابِيٌّ جَلِيلٌ كَانَ أَحْسَنَ النَّاسِ وَجْهًا، وَأَسْلَمَ قَدِيمًا، وَبَعَثَهُ النَّبِيُّ - صلى الله عليه وسلم - فِي آخِرِ سَنَةِ سِتٍّ بَعْدَ أَنْ رَجَعَ مِنَ الْحُدَيْبِيَةِ بِكِتَابِهِ إِلَى هِرَقْلَ، وَكَانَ وُصُولُهُ إِلَى هِرَقْلَ فِي الْمُحَرَّمِ سَنَةَ سَبْعٍ، وَمَاتَ دِحْيَةُ فِي خِلَافَةِ مُعَاوِيَةَ. فتح الباري لابن حجر- (ح7)

[2] (بُصْرَى): مَدِينَة مَعْرُوفَة , بَيْنهَا وَبَيْن دِمَشْق نَحْو ثَلَاث مَرَاحِل، وَهِيَ مَدِينَة حَورَان , بَيْنهَا وَبَيْن مَكَّة شَهْر ، وعَظِيمُهَا هُوَ الْحَارِثُ بْنُ أَبِي شِمْرٍ الْغَسَّانِيُّ، وَكَانَتْ وَفَاةُ الْحَارِثِ عَامَ الْفَتْحِ.

[3] أَيْ: بيت المقدس

[4] البخاري 2782 .

[5] الزَّرابِيُّ البُسُطُ. لسان العرب - (ج 1 / ص 447).

[6] مسند أحمد 2370 , وقال الشيخ شعيب الأرناؤوط: إسناده صحيح.

[7] وَكَانَ سَبَبُ ذَلِكَ مَا رَوَاهُ الطَّبَرِيُّ وَابْنُ عَبْدِ الْحَكَمِ مِنْ طُرُقٍ مُتَعَاضِدَةٍ مُلَخَّصُهَا أَنَّ كِسْرَى أَغْزَى جَيْشَهُ بِلَادَ هِرَقْلَ، فَخَرَّبُوا كَثِيرًا مِنْ بِلَادِهِ، ثُمَّ اسْتَبْطَأَ كِسْرَى أَمِيرَهُ فَأَرَادَ قَتْلَهُ وَتَوْلِيَةَ غَيْرِهِ، فَاطَّلَعَ أَمِيرُهُ عَلَى ذَلِكَ فَبَاطَنَ هِرَقْلَ وَاصْطَلَحَ مَعَهُ عَلَى كِسْرَى , وَانْهَزَمَ عَنْهُ بِجُنُودِ فَارِسَ، فَمَشَى هِرَقْلُ إِلَى بَيْتِ الْمَقْدِسِ شُكْرًا لِلَّهِ تَعَالَى عَلَى ذَلِكَ. فتح الباري لابن حجر - (ح7)

[8] البخاري 2782 .

[9] (النَّاطُور): هُوَ بِالْعَرَبِيَّةِ حَارِسُ الْبُسْتَانِ. وَوَقَعَ فِي رِوَايَةِ اللَّيْثِ عَنْ يُونُسَ " ابْنِ نَاطُورَا " بِزِيَادَةِ أَلِفٍ فِي آخِرِهِ , فَعَلَى هَذَا هُوَ اسْمٌ أَعْجَمِيٌّ. فتح الباري لابن حجر - (ح7).

[10] (صَاحِبُ إِيلِيَاءَ) أَيْ أَمِيرُهَا.

[11] (هِرَقْل) هُوَ مَلِكُ الرُّومِ، وَهِرَقْل: اِسْمه، وَلَقَبه قَيْصَر، كَمَا يُلَقَّب مَلِك الْفُرْس: كِسْرَى وَنَحْوه. فتح الباري.

فَقَالَ بَعْضُ بَطَارِقَتِهِ [4] : قَدْ اسْتَنْكَرْنَا هَيْئَتَكَ - قَالَ ابْنُ النَّاطُورِ: وَكَانَ هِرَقْلُ حَزَّاءً [5] يَنْظُرُ فِي النُّجُومِ - فَقَالَ لَهُمْ حِينَ سَأَلُوهُ: إِنِّي رَأَيْتُ اللَّيْلَةَ حِينَ نَظَرْتُ فِي النُّجُومِ مَلِكَ الْخِتَانِ قَدْ ظَهَرَ [6] فَمَنْ يَخْتَتِنُ مِنْ هَذِهِ الْأُمَّةِ [7] ؟ , فَقَالُوا: لَيْسَ يَخْتَتِنُ إِلَّا الْيَهُودُ [8] , فلَا يُهِمَّنَّكَ شَأْنُهُمْ , وَاكْتُبْ إِلَى مَدَائِنِ مُلْكِكَ فَيَقْتُلُوا مَنْ فِيهِمْ مِنْ الْيَهُودِ) [9] (فَلَمَّا جَاءَ قَيْصَرَ كِتَابُ رَسُولِ اللَّهِ - صلى الله عليه وسلم - قَالَ حِينَ قَرَأَهُ) [10] (: اذْهَبُوا فَانْظُرُوا أَمُخْتَتِنٌ هُوَ أَمْ لَا , فَنَظَرُوا إِلَيْهِ فَحَدَّثُوهُ أَنَّهُ مُخْتَتِنٌ , وَسَأَلَهُ عَنْ الْعَرَبِ فَقَالَ: هُمْ يَخْتَتِنُونَ , فَقَالَ هِرَقْلُ: هَذَا مُلْكُ هَذِهِ الْأُمَّةِ قَدْ ظَهَرَ) [11] (الْتَمِسُوا لِي هَا هُنَا أَحَدًا مِنْ قَوْمِهِ لِأَسْأَلَهُمْ عَنْ رَسُولِ اللَّهِ - صلى الله عليه وسلم - , **قَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ:** فَأَخْبَرَنِي أَبُو سُفْيَانَ بْنُ حَرْبٍ [12] أَنَّهُ كَانَ بِالشَّامِ فِي رِجَالٍ مِنْ قُرَيْشٍ , قَدِمُوا تِجَارًا فِي الْمُدَّةِ [13] الَّتِي كَانَتْ بَيْنَ رَسُولِ اللَّهِ - صلى الله عليه وسلم - وَبَيْنَ كُفَّارِ قُرَيْشٍ , قَالَ أَبُو سُفْيَانَ: فَوَجَدَنَا رَسُولُ قَيْصَرَ بِبَعْضِ الشَّامِ ,

---

[1] الْأُسْقُفُ وَالسُّقْفُ لَفْظٌ أَعْجَمِيٌّ , وَمَعْنَاهُ رَئِيسُ دِينِ النَّصَارَى.

[2] البخاري .

[3] (خَبِيثُ النَّفْسِ) أَيْ: غَيْرُ طَيِّبِهَا , أَيْ: مَهْمُومًا. وَقَدْ تُسْتَعْمَلُ فِي كَسَلِ النَّفْسِ , وَفِي الصَّحِيحِ " لَا يَقُولَنَّ أَحَدُكُمْ خَبُثَتْ نَفْسِي "كَأَنَّهُ كَرِهَ اللَّفْظَ , وَالْمُرَادُ بِالْخِطَابِ الْمُسْلِمُونَ وَأَمَّا فِي حَقِّ هِرَقْلَ فَغَيْرُ مُمْتَنِعٍ , وَصَرَّحَ فِي رِوَايَةِ ابْنِ إِسْحَاقَ بِقَوْلِهِمْ لَهُ " لَقَدْ أَصْبَحْتَ مَهْمُومًا ". فتح الباري لابن حجر - (ح7).

[4] الْبَطَارِقَةُ جَمْعُ بِطْرِيقٍ , وَهُمْ خَوَاصُّ دَوْلَةِ الرُّومِ.

[5] أَيْ: كَاهِنًا , فَإِنْ قِيلَ: كَيْفَ سَاغَ لِلْبُخَارِيِّ إِيرَادُ هَذَا الْخَبَرِ الْمُشْعِرِ بِتَقْوِيَةِ أَمْرِ الْمُنَجِّمِينَ وَالِاعْتِمَادِ عَلَى مَا تَدُلُّ عَلَيْهِ أَحْكَامُهُمْ؟ , فَالْجَوَابُ أَنَّهُ لَمْ يَقْصِدْ ذَلِكَ , بَلْ قَصَدَ أَنْ يُبَيِّنَ أَنَّ الْإِشَارَاتِ بِالنَّبِيِّ - صلى الله عليه وسلم - جَاءَتْ مِنْ كُلِّ طَرِيقٍ وَعَلَى لِسَانِ كُلِّ فَرِيقٍ مِنْ كَاهِنٍ أَوْ مُنَجِّمٍ مُحِقٍّ أَوْ مُبْطِلٍ إِنْسِيٍّ أَوْ جِنِّيٍّ , وَهَذَا مِنْ أَبْدَعِ مَا يُشِيرُ إِلَيْهِ عَالِمٌ أَوْ يَجْنَحُ إِلَيْهِ مُحْتَجٌّ. فتح الباري لابن حجر - (ح7).

[6] أَيْ: غَلَبَ , يَعْنِي دَلَّهُ نَظَرُهُ فِي حُكْمِ النُّجُومِ عَلَى أَنَّ مَلِكَ الْخِتَانِ قَدْ غَلَبَ , وَهُوَ كَمَا قَالَ؛ لِأَنَّ فِي تِلْكَ الْأَيَّامِ كَانَ ابْتِدَاءُ ظُهُورِ النَّبِيِّ - صلى الله عليه وسلم - إِذْ صَالَحَ كُفَّارَ مَكَّةَ بِالْحُدَيْبِيَةِ وَأَنْزَلَ اللَّهُ تَعَالَى عَلَيْهِ (إِنَّا فَتَحْنَا لَكَ فَتْحًا). إِذْ فَتْحُ مَكَّةَ كَانَ سَبَبُهُ نَقْضَ قُرَيْشٍ الْعَهْدَ الَّذِي كَانَ بَيْنَهُمْ بِالْحُدَيْبِيَةِ , وَمُقَدِّمَةُ الظُّهُورِ ظُهُورٌ. فتح الباري.

[7] مُرَادَهُ الْعَرَبُ خَاصَّةً , وَالْحَصْرُ فِي قَوْلِهِمْ إِلَّا الْيَهُودَ هُوَ بِمُقْتَضَى عِلْمِهِمْ؛ لِأَنَّ الْيَهُودَ كَانُوا بِبَيْتِ الْمَقْدِسِ كَثِيرِينَ تَحْتَ الذِّلَّةِ مَعَ الرُّومِ , بِخِلَافِ الْعَرَبِ فَإِنَّهُمْ وَإِنْ كَانَ مِنْهُمْ مَنْ هُوَ تَحْتَ طَاعَةِ مَلِكِ الرُّومِ كَآلِ غَسَّانَ , لَكِنَّهُمْ كَانُوا مُلُوكًا بِرَأْسِهِمْ. فتح الباري.

[8] قال القسطلاني : - (أجابوا بمقتضى علمهم لأن اليهود كانوا بإيلياء تحت الذلة مع النصارى بخلاف العرب.) إرشاد الساري لشرح صحيح البخاري (82/1) ، أحمد بن محمد بن أبى بكر بن عبد الملك القسطلاني القتيبي المصري، أبو العباس، شهاب الدين (المتوفى: 923هـ)

[9] البخاري .

[10] البخاري 2782 .

[11] البخاري .

[12] هُوَ صَخْرُ بْنُ حَرْبِ بْنِ أُمَيَّةَ بْنِ عَبْدِ شَمْسِ بْنِ عَبْدِ مَنَافٍ. فتح الباري .

[13] يَعْنِي مُدَّةَ الصُّلْحِ بِالْحُدَيْبِيَةِ.

فَانْطَلَقَ بِي وَبِأَصْحَابِي [1] حَتَّى قَدِمْنَا إِيلِيَاءَ، فَأُدْخِلْنَا عَلَيْهِ , فَإِذَا هُوَ جَالِسٌ فِي مَجْلِسِ مُلْكِهِ وَعَلَيْهِ التَّاجُ , وَإِذَا حَوْلَهُ عُظَمَاءُ الرُّومِ , فَقَالَ لِتَرْجُمَانِهِ [2]: سَلْهُمْ أَيُّهُمْ أَقْرَبُ نَسَبًا إِلَى هَذَا الرَّجُلِ الَّذِي يَزْعُمُ أَنَّهُ نَبِيٌّ , فَقَالَ أَبُو سُفْيَانَ: أَنَا أَقْرَبُهُمْ إِلَيْهِ نَسَبًا , قَالَ: مَا قَرَابَةُ مَا بَيْنَكَ وَبَيْنَهُ؟ , فَقُلْتُ: هُوَ ابْنُ عَمِّي - وَلَيْسَ فِي الرَّكْبِ [3] يَوْمَئِذٍ أَحَدٌ مِنْ بَنِي عَبْدِ مَنَافٍ غَيْرِي [4] - فَقَالَ قَيْصَرُ: أَدْنُوهُ , وَأَمَرَ بِأَصْحَابِي فَجُعِلُوا خَلْفَ ظَهْرِي عِنْدَ كَتِفِي , ثُمَّ قَالَ لِتَرْجُمَانِهِ: قُلْ لِأَصْحَابِهِ: إِنِّي سَائِلٌ هَذَا الرَّجُلَ عَنْ الَّذِي يَزْعُمُ أَنَّهُ نَبِيٌّ) [5] (فَإِنْ كَذَبَنِي فَكَذِّبُوهُ , قَالَ أَبُو سُفْيَانَ: فَوَاللَّهِ لَوْلَا الْحَيَاءُ) [6] (يَوْمَئِذٍ مِنْ أَنْ يَأْثُرَ أَصْحَابِي عَنِّي الْكَذِبَ لَكَذَبْتُهُ حِينَ سَأَلَنِي عَنْهُ , وَلَكِنِّي اسْتَحْيَيْتُ أَنْ يَأْثُرُوا الْكَذِبَ عَنِّي فَصَدَقْتُهُ ....[7]) [8]

وشاهدنا في تلك القصة الطويلة هو قولهم : - (فَقَالَ لَهُمْ حِينَ سَأَلُوهُ: إِنِّي رَأَيْتُ اللَّيْلَةَ حِينَ نَظَرْتُ فِي النُّجُومِ مَلِكَ الْخِتَانِ قَدْ ظَهَرَ فَمَنْ يَخْتَتِنُ مِنْ هَذِهِ الْأُمَّةِ ؟ , فَقَالُوا: لَيْسَ يَخْتَتِنُ إِلَّا الْيَهُودُ , فَلَا يُهِمَّنَّكَ شَأْنُهُمْ , وَاكْتُبْ إِلَى مَدَائِنِ مُلْكِكَ فَيَقْتُلُوا مَنْ فِيهِمْ مِنْ الْيَهُودِ) (فَلَمَّا جَاءَ قَيْصَرَ كِتَابُ رَسُولِ اللَّهِ - صلى الله عليه وسلم - قَالَ حِينَ قَرَأَهُ) (: اذْهَبُوا فَانْظُرُوا أَمُخْتَتِنٌ هُوَ أَمْ لَا , فَنَظَرُوا

---

[1] وَفِي رِوَايَةِ ابْنِ إِسْحَاقَ: فَقَالَ هِرَقْلُ لِصَاحِبِ شُرْطَتِهِ: قَلِّبِ الشَّامَ ظَهْرًا لِبَطْنٍ حَتَّى تَأْتِيَ بِرَجُلٍ مِنْ قَوْمِ هَذَا أَسْأَلُهُ عَنْ شَأْنِهِ، فَوَاللَّهِ إِنِّي وَأَصْحَابِي بِغَزَّةَ، إِذْ هَجَمَ عَلَيْنَا فَسَاقَنَا جَمِيعًا. فتح الباري.

[2] التَّرْجُمَانُ: الْمُعَبِّرُ عَنْ لُغَةٍ بِلُغَةٍ.

[3] جَمْع رَاكِب , كَصَحْبِ وَصَاحِب، وَهُمْ أُولُو الْإِبِل الْعَشَرَة فَمَا فَوْقهَا. فتح الباري.

[4] عَبْدُ مَنَافٍ الْأَبُ الرَّابِعُ لِلنَّبِيِّ - صلى الله عليه وسلم - وَكَذَا لِأَبِي سُفْيَانَ، وَأَطْلَقَ عَلَيْهِ ابْنَ عَمٍّ لِأَنَّهُ نَزَّلَ كُلًّا مِنْهُمَا مَنْزِلَةَ جَدِّهِ، فَعَبْدُ الْمُطَّلِبِ بْنُ هَاشِمِ بْنِ عَبْدِ مَنَافٍ ابْنُ عَمِّ أُمَيَّةَ بْنِ عَبْدِ شَمْسِ بْنِ عَبْدِ مَنَافٍ، وَإِنَّمَا خَصَّ هِرَقْلُ الْأَقْرَبَ لِأَنَّهُ أَحْرَى بِالِاطِّلَاعِ عَلَى أُمُورِهِ ظَاهِرًا وَبَاطِنًا أَكْثَرَ مِنْ غَيْرِهِ؛ وَلِأَنَّ الْأَبْعَدَ لَا يُؤْمَنُ أَنْ يَقْدَحَ فِي نَسَبِهِ بِخِلَافِ الْأَقْرَبِ، وَظَهَرَ ذَلِكَ فِي سُؤَالِهِ بَعْدَ ذَلِكَ: كَيْفَ نَسَبُهُ فِيكُمْ؟. فتح الباري

[5] البخاري 2782 .

[6] البخاري .

[7] أَيْ: يَنْقُلُوا عَلَيَّ الْكَذِبَ لَكَذَبْتُ عَلَيْهِ، وَفِيهِ دَلِيلٌ عَلَى أَنَّهُمْ كَانُوا يَسْتَقْبِحُونَ الْكَذِبَ , وَفِي قَوْلِهِ يَأْثِرُوا دُونَ قَوْلِهِ يُكَذِّبُوا دَلِيلٌ عَلَى أَنَّهُ كَانَ وَاثِقًا مِنْهُمْ بِعَدَمِ التَّكْذِيبِ أَنْ لَوْ كَذَبَ لِاشْتِرَاكِهِمْ مَعَهُ فِي عَدَاوَةِ النَّبِيِّ - صلى الله عليه وسلم - , لَكِنَّهُ تَرَكَ ذَلِكَ اسْتِحْيَاءً وَأَنَفَةً مِنْ أَنْ يَتَحَدَّثُوا بِذَلِكَ بَعْدَ أَنْ يَرْجِعُوا فَيَصِيرُ عِنْدَ سَامِعِي ذَلِكَ كَذَّابًا، وَفِي رِوَايَةِ ابْنِ إِسْحَاقَ التَّصْرِيحُ بِذَلِكَ وَلَفْظُهُ: " فَوَاللَّهِ لَوْ قَدْ كَذَبْتُ مَا رَدُّوا عَلَيَّ " وَلَكِنِّي كُنْتُ امْرَأً سَيِّدًا أَتَكَرَّمُ عَنِ الْكَذِبِ، وَعَلِمْتُ أَنَّ أَيْسَرَ مَا فِي ذَلِكَ إِنْ أَنَا كَذَبْتُهُ أَنْ يَحْفَظُوا ذَلِكَ عَنِّي ثُمَّ يَتَحَدَّثُوا بِهِ، فَلَمْ أُكَذِّبْهُ ". فتح الباري

[8] الجامع الصحيح للسنن والمسانيد (453/9) للشيخ صهيب عبد الجبار .

إِلَيْهِ فَحَدَّثُوهُ أَنَّهُ مُخْتَتِنٌ , وَسَأَلَهُ عَنْ الْعَرَبِ فَقَالَ: هُمْ يَخْتَتِنُونَ , فَقَالَ هِرَقْلُ: هَذَا مُلْكُ هَذِهِ الْأُمَّةِ قَدْ ظَهَرَ)

قال العيني [1] **رحمه الله** : - (ولكن ذكر هذا بناء على عادة [2] العرب فإنهم يختنون النساء) [3]

وفي ذلك دلالة علي أنه كانت هناك بقايا من دين إبراهيم عند بعض مشركي الجاهلية ، ومعلوم أن الختان من شعائر الألوهية وليس من مظاهر الربوبية ! وفي ذلك بيان أن المشركين كانوا يقومون ببعض شعائر الألوهية ولو من غير اعتقاد ، ولكن يبقي أنهم يفعلون الشعيرة ولو عريَّة عن اليقين وإرادة الله تعالي بهذا الفعل وهو المطلوب إثباته .

فإن قيل كان الختان عندهم من العادة وليس العبادة ، قلنا لو كان من العادة لما اختتن إبراهيم عليه السلام في عمر الثمانين ! قال الملا علي القارى [4]:- (وذكر صاحب الشرعة أنه قد ولد الأنبياء كلهم مختونين مسرورين أي مقطوعي السرة كرامة لهم لئلا ينظر أحد إلى عوراتهم إلا إبراهيم عليه الصلاة والسلام فإنه قد ختن نفسه ليستن بسننه بعدها هذا للرجال وأما للنساء فمكرمة ففي خزانة الفتاوى ختان الرجال سنة واختلفوا في ختان المرأة قال في أدب القاضي مكروه وفي موضع آخر سنة وقال بعض العلماء واجب وقال بعضهم فرض قلت والصحيح أنه سنة لقوله عليه الصلاة والسلام الختان سنة للرجال ومكرمة للنساء) [5].

---

[1] محمود بن أحمد بن موسى بن أحمد، أبو محمد، بدر الدين العينى الحنفي: مؤرخ، علامة، من كبار المحدثين المتوفي 855 هـ .

[2] فإن قبل الختان من العادة وليس العبادة ، رددنا عليه بقول الملا على القاري رحمه الله : - (قال في شرح شرعة الإسلام من السنة الختان وبه قال أبو حنيفة وقال الأكثرون ومنهم الشافعي أنه واجب لأنه من شعائر الإسلام وشدد ابن عباس رضي الله تعالى عنهما فيه وقال الأقلف لا تقبل شهادته وصلاته وذبيحته وقال ابن شريح ستر العورة واجب اتفاقا فلولا وجوب الختان لم يجز كشفها لجواز الكشف دليل وجوبه كذا في التنوير ويمكن أن مراد أبي حنيفة أنه ثابت بالسنة لا أنه غير واجب لكن غالب الكتب مشحون بأن الختان سنة لكن إن لم يولد مختونا ختانا تاما وإنما قيدنا به لما في الخلاصة ومجمع الفتاوى صبي ولد مختونا بحيث لو رآه إنسان يراه كأنه ختن ويشق عليه الختان مرة أخرى واعترف بذلك أهل البصيرة من الحجامين ترك ولا يتعرض له وذكر زين العرب إن أربعة عشر نبيا ولدوا مختونين آدم وشيث ونوح وصالح وشعيب ويوسف وموسى وزكريا وسليمان وعيسى وحنظلة بن صفوان وهو نبي أصحاب الرس ونبينا محمد وعلى سائر الأنبياء والمرسلين) مرقاة المفاتيح شرح مشكاة المصابيح (158/13).

[3] عمدة القاري شرح صحيح البخاري (336/5) .

[4] ....

[5] مرقاة المفاتيح شرح مشكاة المصابيح (159/13)

قال الشيخ أبو الأشبال [1] **وفقه الله** : - (وهذا يدل على أن العرب في الجاهلية قبل الإسلام كانوا يختتنون. أي: أن الختان ليست عادة فرعونية. قال: (إني رأيت الليلة حين نظرت في النجوم ملك الختان قد ظهر، فمن يختتن من هذه الأمة؟). أي: أنه يريد أن يعرف من على وجه الأرض يختتن؟ قال: (قالوا: ليس يختتن إلا اليهود). وكأنهم يقولون له: النصارى لا يختتنون، إنما اليهود من عادتهم الختان. قالوا: (فلا يهمنك شأنهم). أي: يا هرقل! لا يهمك، وهذه هي بطانة السوء التي تستدرجه. قالوا: لا تخف. الذين يختتنون على وجه الأرض كلها اليهود.) [2]

مبحث في ذكر معرفة بعض مشركي قريش قدرة الله ورجاءهم إياه.

ورد في صحيح مسلم عَنْ عُرْوَةَ عَنْ عَائِشَةَ قَالَتْ جَاءَتْ هِنْدٌ إِلَى النَّبِيِّ صلى الله عليه وسلم فَقَالَتْ يَا رَسُولَ اللَّهِ وَاللَّهِ مَا كَانَ عَلَى ظَهْرِ الأَرْضِ أَهْلُ خِبَاءٍ أَحَبَّ إِلَيَّ مِنْ أَنْ يُذِلَّهُمُ اللَّهُ مِنْ أَهْلِ خِبَائِكَ وَمَا عَلَى ظَهْرِ الأَرْضِ أَهْلُ خِبَاءٍ أَحَبَّ إِلَيَّ مِنْ أَنْ يُعِزَّهُمُ اللَّهُ مِنْ أَهْلِ خِبَائِكَ. فَقَالَ النَّبِىُّ -صلى الله عليه وسلم- « وَأَيْضًا وَالَّذِى نَفْسِى بِيَدِهِ ». ثُمَّ قَالَتْ يَا رَسُولَ اللَّهِ إِنَّ أَبَا سُفْيَانَ رَجُلٌ مُمْسِكٌ فَهَلْ عَلَىَّ حَرَجٌ أَنْ أُنْفِقَ عَلَى عِيَالِهِ مِنْ مَالِهِ بِغَيْرِ إِذْنِهِ فَقَالَ النَّبِىُّ -صلى الله عليه وسلم- « لاَ حَرَجَ عَلَيْكِ أَنْ تُنْفِقِى عَلَيْهِمْ بِالْمَعْرُوفِ » [3] .

وفي الحديث معرفة كفار قريش حال كفرهم أن الله تعالي هو الذي بيده إذلال عزيز أو عز ذليل ، ولذلك أحبت هند رضي الله عنها - قبل إسلامها - أن يذل الله تعالي النبي محمدا صلي الله عليه سلم وأصحابه .

---

[1] أبو الأشبال حسن الزهيري آل مندوه المنصوري المصري وفقه الله .

[2] شرح صحيح مسلم (8/92) تفريغ محاضرات .

3 صحيح مسلم (1714) و (4576) ،صحيح بن حبان (4257) ، مسند أبي عوانه (6383) ، مسند إسحاق بن راهوية (734) ، مصنف عبد الرزاق (16612) .

مبحث في ذكر معرفة بعض كفار الجاهلية صدق نبوة مُحَمَّد صَلَّي اللهُ عَلَيهِ وَسَلَّمَ .

وقد كان كثير من عرب الجاهلية يعرفون النبي صَلَّي اللهُ عَلَيهِ وَسَلَّمَ وأنه نبي آخر الزمان وكثير من اليهود أيضا يعلمون ذلك بصفته ، ومع علمهم بصدق نبوته وختام رسالته إلا أن ذلك لا يشفع لهم من نار ولا ينجيهم من عذاب ولا يدخلهم في إسلام إذا لم ينطقوا بألسنتهم بالكلمة الطيبة التي بعث لأجلها النبي صَلَّي اللهُ عَلَيهِ وَسَلَّمَ ويعتقدوا ذلك من صميم قلوبهم وينقادوا للوازمها ويموتوا علي ذلك .

فانظر رَحِمَكَ اللهُ كيف أن من عرف صدق النبي وما يقوله ولكنه لم ينقد له فليس بمؤمن ولا مسلم ، ومعرفته هذه من باب الأُلُوهِيَّة وليس من باب الرُّبُوبِيَّة ، لأن التصديق بالرسالة من أفعال العبد التي أمره بها الله تَعَالَي .

قَالَ ابن القيم رَحِمَهُ اللهُ مبينا أن من عرف الحق ولم يتبعه فليس بمسلم : (وفيها [1] : أَنَّ إقرارَ الكاهن الكِتَابى لرسول الله صَلَّي اللهُ عَلَيهِ وَسَلَّمَ بأنه نبى لا يُدخله فى الإسلَام ما لم يلتزِمْ طاعتَه ومتابعته، فإذا تمسَّك بدينه بعد هَذَا الإقرار لا يكونُ رِدَّة منه، ونظيرُ هَذَا قول الحَبْرينِ له، وقد سألاه ثلاث مَسَائِل، فلما أجابهما، قَالَا: نشهد أنك نبى، قَالَ: "فما يمنعُكما مِن اتباعى"؟ قَالَا: نخاف أن تقتُلَنا اليهودُ، ولم يُلزمهما بذلك الإسلَام، ونظيرُ ذلِكَ شهادةُ عمه أبى طالب له بأنه صادق، وأنَّ دينَه مِن خير أديان البرية ديناً، ولم تُدخِلْه هذه الشهادةُ فى الإسلَام.) [2]

وقَالَ أيضا : (ومَن تأمَّل ما فى السير والأخبار الثابتة من شهادة كثير مِن أَهلِ الكِتَاب والمشركين له بالرسالة، وأنه صادق، فلم تدخلهم هذه الشهادة في الإسلَام، علم أَنَّ الإسلَام أمرٌ وراء ذلك،

---

[1] قصة قدوم وفد نجران على رسول الله صَلَّي اللهُ عَلَيهِ وَسَلَّمَ.

[2] زاد المعاد (3 / 638)

وأنه ليس هو المعرفة فقط، ولا المعرفة والإقرار فقط، بل المعرفةُ والإقرارُ، والانقيادُ، والتزامُ طاعته ودينه ظاهراً وباطناً) وأول ذلك توحيد الله عز وجل في كل ما يستحق .

وتأملوا في القصة المشهورةالتي تذكر مدى تأثرهم بالقرآن ، يذكر أصحاب السير أنه اجتمع الأخنس ابن شريق و أبو جهل و الوليد ابن المغيرة -وهم من صناديد قريش- ، ويأتون في الليل ليستمعوا القرآن من النبي صَلَّي اللهُ عَلَيهِ وَسَلَّمَ؛ لأنه يسحرهم ويجذبهم ببلاغته وبيانه وفصاحته؛ لأنهم ملوك البيان وأساطين الفصاحة، وهم يتلذذون بالكلام العظيم، وأتوا يسمعون، فتلاقوا في الطريق، فقَالَ بعضهم لبعض: أنتم الكبار، فإذا رآكم سفهاء قريش فماذا يصنعون؟! قَالَ الأخنس ابن شريق : نتعاهد على ألا نرجع، فتعاهدوا على ألا يرجعوا، وفي الليلة الثانية إذا بهم يتقابلون، وقد نقضوا العهد وجاءوا لسماع القرآن، لم يستطيعوا أن يصبروا عن بلاغة القرآن؛ لأنهم أصحاب تذوق في هَذَا المجال، فقَالَ الأخنس : ما دمنا نحن العقلاء ونتعاهد ونخلف، فلماذا لا نسلم، ما يضرنا لو أسلمنا؟ فقام أبو جهل -عليه من الله ما يستحق، فرعون هَذِهِ الأُمَّةِ - وقَالَ: والله لا نسلم، قَالَ: ولِمَ؟ قَالَ: نحن سابقنا بني هاشم في المجد حتى إذا كنا كفرسي رهان قَالَوا: منا نبي، فمتى يصير هَذَا منا، والله لا نسلم!! فمنعه كبره وعناده من الانقياد والاعتراف بنبوة النبي صَلَّي اللهُ عَلَيهِ وَسَلَّمَ وإلا فهو واثق أنه رسول من عند الله.

وكذا أبو طالب - عم النبي " صلي الله علي مُحّمَّد" - الذي يلفظ أنفاسه على ملة عبد المطلب يعرف الحق وَهُوَ على يقين من صدقه ويدافع عنه، ولكن رأسه (يابس) وصلب، على الكفر ما تزحزح -والعياذ بالله- فهم لا يكذبون الرسول؛ لأنهم يعلمون صدقه، ، وَهُوَ القائل:

ولقد علمت بأن دين مُحّمَّد ... من خير أديان البرية دينا

ولكنه إنكار وجحود وتكبر وعناد، ولهَذَا قَالَ الله: { فَإِنَّهُمْ لا يُكَذِّبُونَكَ وَلَكِنَّ الظَّالِمِينَ بِآيَاتِ اللَّهِ يَجْحَدُونَ } [1].

مبحث في ذكر إقرار مشركي العرب ببعض مَسَائِل الأَسْمَاء وَالصِّفَات :

وقد كان المشركون يقرون لله تَعَالَي ببعض الأَسمَاء وَالصِّفَات ولكنهم كانوا يلحدون فيها قَالَ الله تَعَالَي : (وَلِلَّهِ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَى فَادْعُوهُ بِهَا وَذَرُوا الَّذِينَ يُلْحِدُونَ فِي أَسْمَائِهِ سَيُجْزَوْنَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ) [2]

قَالَ الطبري رَحِمَهُ اللهُ : (فإنه يعني به المشركين ، وكان إلحادهم في أسماء الله، أنهم عدَلوا بها عمّا هي عليه، فسموا بها آلهتهم وأوثانهم، وزادوا فيها ونقصوا مِنهَا، فسموا بعضها "اللات" اشتقاقًا منهم لها من اسم الله الذي هو "الله"، وسموا بعضها "العُزَّى" اشتقاقًا لها من اسم الله الذي هو "العزيز".) [3]

قَالَ ابن كثير رحمه الله عند تفسير تلك الآية : (وَقَالَ الْعَوْفِيُّ عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ فِي قَوْلِهِ تَعَالَى: {وَذَرُوا الَّذِينَ يُلْحِدُونَ فِي أَسْمَائِهِ} قَالَ: إِلْحَادُ الْمُلْحِدِينَ: أَنْ دَعَوُا "اللات" في أسماء الله. وَقَالَ ابْنُ جُرَيْجٍ، عَنْ مُجَاهِدٍ: {وَذَرُوا الَّذِينَ يُلْحِدُونَ فِي أَسْمَائِهِ} قَالَ: اشْتَقُّوا "اللَّاتَ" مِنَ اللَّهِ، وَاشْتَقُّوا "الْعُزَّى" مِنَ الْعَزِيزِ. وَقَالَ قَتَادَةُ: {يُلْحِدُونَ} يُشْرِكُونَ.) [4]

وقَالَ تَعَالَي مخبرا عن حالهم : {وَلَئِنْ سَأَلْتَهُمْ مَنْ خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضَ لَيَقُولُنَّ خَلَقَهُنَّ الْعَزِيزُ الْعَلِيمُ} [5]

---

[1] سورة الأنعام (33)

[2] سورة الأعراف (180)

[3] تفسير الطبري (13 / 282) بتحقيق أحمد مُحّمّد شاكر رحمه الله.

[4] تفسير بن كثير (3 / 515)

5 [سورة الزخرف:9]

قَالَ الطبري رَحِمَهُ اللَّهُ : (يقول تعالى ذكره: ولئن سألت يا مُحَمَّد هؤلاء المشركين من قومك: من خلق السموات السبع والأرضين، فأحدثهن وأنشأهن؟ ليقولنّ: خلقهنّ العزيز في سلطانه وانتقامه من أعدائه، العليم بهن وما فيهنّ من الأشياء، لا يخفى عليه شيء.) [1]

وقَالَ البغوي رَحِمَهُ اللَّهُ : (وَأَقَرُّوا بِعِزِّهِ وَعِلْمِهِ ثُمَّ عَبَدُوا غَيْرَهُ وَأَنْكَرُوا قُدْرَتَهُ عَلَى الْبَعْثِ لِفَرْطِ جَهْلِهِمْ.) [2]

وقَالَ القشيري [3] **رَحِمَهُ اللَّهُ** : (كانوا يقرّون بأنّ الله خالقهم، وأنّه خلق السماوات والأرض، وإنما جحدوا حديث الأنبياء، وحديث البعث وجوازه .) [4]

وقَالَ السعدي رَحِمَهُ اللَّهُ : (يخبر تعالى عن المشركين، أنك لو { سَأَلْتَهُمْ مَنْ خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضَ لَيَقُولُنَّ } الله وحده لا شريك له، العزيز الذي دانت لعزته جميع المخلوقات، العليم بظواهر الأمور وبواطنها، وأوائلها وأواخرها، فإذا كانوا مقرين بذلك، فكيف يجعلون له الولد والصاحبة والشريك؟! وكيف يشركون به من لا يخلق ولا يرزق، ولا يميت ولا يحيي؟!) [5] وفيه تصريح من الشَّيخ بأنهم كانوا يقرون لله تَعَالَي ببعض الصفات والأسماء .

وفي المنتخب : (إن سألت الكافرين - أيها الرسول - عمن خلق السموات والأرض؟ ليقولن - جواباً لذلك - : خلقهن الله ، المتصف فى واقع الأمر بالعزة والعِلم المحيط .) [6]

1 جامع البيان في تأويل القرآن (21 / 572) ، بتحقيق أحمد مُحَمَّد شاكر رحمه الله .

2 تفسير البغوي المسمي " معالم التنزيل في تفسير القرآن " (7 / 207) ، بتحقيق مُحَمَّد عبد الله النمر - عثمان جمعة ضميرية - سليمان مسلم الحرش

3 عبد الكريم بن هوازن بن عبد الملك القشيري (المتوفى: 465هـ)

4 تفسير القشيري المسمي " لطائف الإشارات " (3 / 362) بتحقيق إبراهيم البسيوني.

5 تفسير السعدي (1 / 763) ، بتحقيق عبد الرحمن بن معلا اللويحق .

6 تفسير المنتخب (2 / 353) ، لجنة من عُلَمَاء الأزهر .

قَالَ الشَّيخ الحويني [1] **وفقه الله** : (إذاً: نخلص من هَذَا أن التَّوحِيد الكبير الذي كان فرقاناً بين الجاهلية والإسلَام هو توحيد العبادة، وكانت العرب تعرف بعضاً من أسماء الله، قَالَ تعالى: {وَلَئِنْ سَأَلْتَهُمْ مَنْ خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضَ لَيَقُولُنَّ خَلَقَهُنَّ الْعَزِيزُ الْعَلِيمُ}[2] ، وإنما أنكروا صفة الرحمن جحوداً واستكباراً منهم: {وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ اسْجُدُوا لِلرَّحْمَنِ قَالُوا وَمَا الرَّحْمَنُ} [3] نوع من الجحود.) [4]

وقَالَ الشَّيخ الألباني رَحِمَهُ اللهُ : (أما كون الله في السماء ؛ فكانت عقيدة العرب في الجاهلية) [5]

قَالَ [6] **في عون المعبود** : (وَرَوَى التِّرْمِذِيّ وَالإِمَام أَحْمَد مِنْ حَدِيث الْحَسَن عَنْ عِمْرَان ابن حُصَيْنٍ قَالَ قَالَ رَسُول الله لِأَبِي يَا حُصَيْنُ كَمْ تَعْبُد الْيَوْم إِلَهًا ؟ قَالَ أَبِي سَبْعَة سِتَّة فِي الْأَرْض وَوَاحِدًا فِي السَّمَاء ، قَالَ فَأَيّهمْ تَعُدّ لِرَغْبَتِك وَرَهْبَتك ؟ قَالَ الَّذِي فِي السَّمَاء ، قَالَ يَا حُصَيْنُ أَمَا إِنَّك لَوْ أَسْلَمْت عَلَّمْتُك كَلِمَتَيْنِ يَنْفَعَانِك قَالَ فَلَمَّا أَسْلَمَ حُصَيْنٌ قَالَ يَا رَسُول اللَّه عَلِّمْنِي الْكَلِمَتَيْنِ اللَّتَيْنِ وَعَدْتنِي قَالَ قُلْ اللَّهُمَّ أَلْهِمْنِي رُشْدِي وَأَعِذْنِي مِنْ شَرّ نَفْسِي) [7]

وَقَالَ الشَّيخُ الأَلْبَانِيُّ رَحِمَهُ اللهُ مُقَرِّراً أَنَّ كُفَّارَ العَرَبِ كَانُوا يَعرِفُونَ للهِ تَعَالَي أَسمَاءَاً وَصِفَاتَاً وَكَانُوا يُنكِرُونَ كَذَلِكَ قِسْماً آخَرَ مِن أَسمَاءِهِ وَصِفَاتِهِ : (قَولُه [8] : إِنَّ الْمُشركِينَ كَانُوا يَعتَقِدُونَ بِأَنَّ لِهَذَا الكَونِ خَالِقَاً مُدَبِّراً، لَو وَقَفَ إِلى هُنَا لَكَانَ الكَلَامُ مُسَلَّماً، وَلَكِنَّهُ أَضَافَ إِلَى ذَلِكَ وَصفَاً وَصِفَةً أُخرَى وَهِيَ صِفَةُ حَقٍّ لله تبَارَكَ وَتعَالَى، وَلَكِنَّهُ نَسَبَ إِلَى الكُفَّارِ أَنَّهُم كَانُوا يَعتَقِدُونَ فِي اللهِ هَذِهِ الصِّفَةِ أَيضَاً وَهِيَ أَنَّهُ حَكِيمٌ.

---

[1] أبو إسحاق حجازي مُحَمَّد شريف الحويني الأثري ، المصري حَفِظَهُ اللهُ .

[2] [سورة الزخرف:9]

[3] [سورة الفرقان:60]

[4] دروس للشيخ أبو إسحاق الحويني (5/111) بترقيم الشاملة .

[5] السلسلة الصحيحة (24 / 13) فى الرد على الكوثري حديث 3161 . .

[6] مُحَمَّد أشرف بن أمير بن علي بن حيدر، أبو عبد الرحمن، شرف الحق، الصديقي، العظيم آبادي (المتوفى: 1329هـ)

[7] عون المعبود شرح سنن أبي داود، ومعه حاشية ابن القيم: تهذيب سنن أبي داود وإيضاح علله ومشكلاته (13 / 15) ، قال الألباني رَحِمَهُ اللهُ ضعيف ، المشكاة (2476 / التحقيق الثاني) ، ضعيف الجامع الصغير (4098) القسم الأخير .

8 يقصد به الشَّيخ عيد عباسي

من المؤسف أن أقول -وهَذَا هو الشيء الآخر الذي أرمي إليه في هَذَا الكلام :- إن اعتقاد أن الله حكيم ليس فقط مما لا يعتقده المشركون الذين كانوا يشركون في توحيد الأُلُوهِيَّة، وفي توحيد الصفات كما سمعتم شيئاً من التفصيل في ذلك، ليس المشركون هؤلاء وحدهم كانوا لا يعرفون الله حكيماً، يعرفونه خالقاً مربياً مدبراً، أما أنهم يعرفونه حكيماً فلا، ولكن مع الأسف الشديد هناك جماهير من المسلمين اليوم لا يعتقدون هذه الصفة لله رب العالمين، هَذَا ما أردت التنبيه عليه، يعني: وصف المشركين بأنهم يعتقدون بأن الله حكيم خطأ؛ لأننا نعلم أن هذه الحكمة هي في كثير من الأمور الإيمَانية،) [1] ومن خلال ما سبق يتبين أن مشركي العرب كانوا يقرون ببعض مَسَائِل الأَسمَاء وَالصِّفَات وينكرون بعضها .

فَصْلٌ فِي ذِكرِ طرف من تناقض مشركي العرب في اعترافهم بالرُّبُوبِيَّة والأُلُوهِيَّة والأَسمَاء وَالصِّفَات.

اعلم بارك الله فيك أن العرب فى الجاهلية وقعوا فى مخالفات كثيرة ، ونقضوا بتلك المخالفات صريح الإيمان من جميع جوانبه ، فإن رحت تنظر إلى قسم الألوهية ستجدهم كانوا يعرفون بعضا من مسائله ولكنهم كانوا يشركون فيها مع الله أندادا وكانوا ينكرون بعض مسائل الألوهية الأخري ، وكذلك توحيد الربوبية كانوا يقرون ببعض المسائل الظاهرة التى لا محيص عن الاعتراف بها وهناك أيضا بعض المسائل التى تندرج فى باب الربوبية كانوا يقعون فى الشرك فيها ، وكذلك باب الأسماء والصفات ، وهنا سنبين أنهم لم يخلص لهم قسم من أقسام التوحيد نقيا صافيا ، بل كانوا مخالفين فى الأقسام الثلاثة .

[1] دروس صوتية للشيخ مُحَمَّد ناصر الدين الألباني قام بتفريغها موقع الشبكة الإسلَامية (38 / 14) بترقيم الشامله .

مبحث في ذكر إقرار بعض العرب ومعرفتهم لبعض أنواع التَّوحِيد الثلاثة .

إعلم - رَحِمَكَ اللَّهُ - أن بعض العرب أقروا واعترفوا بأنواع التَّوحِيد الثلاثة ولكن علي درجات مختلفة ومتفاوته ، فمنهم من أقر بنوع وجحد نوعا آخر ، ومنهم من أقر ببعض الأنواع وأشرك مع الله غيره في بعضها وجحد أنواعا أخري ، ومنهم من جحد غالب أنواعه ، ومنهم من أقر بالأنواع الثلاثة ولكنهم لم يجعلوها لله تَعَالَي خالصة ، وجميع هذه الفرق فى الحكم واحد ، فكلهم كفرة بالله تَعَالَي في ألوهيته وربوبيته وأسمائه وصفاته ، ولا ينفعهم إقرارهم بجميع الأنواع مجتمعة من غير انقياد ولا يطلق عليهم أنهم مؤمنون أو موحدون فكيف بمن جحد قسما وأقر بقسم آخر ؟! .

والأدلة متوافرة في إثبات إقرار بعض مشركي الجاهلية لبعض المَسَائِل من الأُلُوهِيَّة والرُّبُوبِيَّة والأَسمَاء وَالصِّفَات ، ولا حاجة لإفرادها في هَذَا المبحث لتوافرها في أجزاء كثيرة من الرسالة ، قَالَ ابن القيّم [1] رَحِمَهُ اللَّهُ : «ومَن تأمَّل ما فى السير والأخبار الثابتة من شهادة كثير مِن أَهلِ الكِتَاب والمشركين له بالرسالة، وأنه صادق، فلم تدخلهم هذه الشهادة في الإسلَام، علم أنَّ الإسلَام أمرٌ وراء ذلك، وأنه ليس هو المعرفة فقط، ولا المعرفة والإقرار فقط، بل المعرفةُ والإقرارُ، والانقيادُ، والتزامُ طاعته ودينه ظاهراً وباطناً» [2] .

مبحث في بيان خطأ من يُطلِقُ [3] أن العرب أقروا[4] بتوحيد الرُّبُوبِيَّة وبيان وجوب تقييدها بقوله (ببعض مَسَائِل) .

قَالَ قائل: (لأن المشركين جميعاً يقرون بتوحيد الرُّبُوبِيَّة، ولا يجحدون أن الله عز وجل هو الذي خلق ورزق وأحيا وأمات، لا يخالفون في ذلك كله، ما علمنا من المشركين من يقول: إن آلهةً

---

[1] مُحَمَّد بن أبي بكر بن أيوب بن سعد شمس الدين ابن قيم الجوزية (المتوفى : 751هـ)

[2] زاد المعاد في هدي خير العباد (3 / 639)

[3] من الإطلاق دون تقييد بمسألة .

[4] هنا نناقش من يقول " أقروا " ولكنه لا يقيد الربوبية ويطلقها ، وفرق بين الإقرار بالربوبية كلها وبين الإقرار ببعض مسائلها.

شاركت الله في خلق السموات والأرض، بل كانوا يقرون بذلك)[1] . فقد جعل القائل أن إقرارهم بالإحياء والإماته والخلق والرزق دليل علي إقرارهم بتوحيد الرُّبُوبِيَّة ، وهَذَا مخالف للصحيح ، بل الأصح أن يقيد إقرارهم بالمَسَائِل التي أقروا بها ولا يطلق علي العموم أنهم أقروا بتوحيد الرُّبُوبِيَّة ، وإلا فهم قد شكوا في صفات للربوبية أيضا فنسبوا الله تَعَالَي إلي العجز وهَذَا شرك فى الرُّبُوبِيَّة .

وإن كان القائل وغيره - قد - يقولوا نحن لم نقصد أنهم استكملوا توحيد الرُّبُوبِيَّة ! فنقول : أنت لم تقصد ذلك ولكنك قلتها وفُهِمَ من اطلاقك أنهم مقرون بتوحيد الرُّبُوبِيَّة ، وأكدت كلامك بأنهم لم يشركوا فى الرُّبُوبِيَّة بقولك : (ما علمنا من المشركين من يقول: إن آلهةً شاركت الله في خلق السموات والأرض، بل كانوا يقرون بذلك)

فالصحيح - حتى لا يُتَقَوَّل علي الله تَعَالَي وأن لا يكون الكلام علي بعض الناس فتنة - أن يقَالَ : (إن مشركي العرب كانوا مقرين بمَسَائِل من الرُّبُوبِيَّة ، وليس مقرين بتوحيد الرُّبُوبِيَّة) والله أعلم .

وقد بين الشَّيخ الحازمي حَفِظَهُ اللهُ معني توحيد الرُّبُوبِيَّة ووضح أن ليس كل من أقر بشيء من التَّوحِيد يسمي موحدا بالرُّبُوبِيَّة إلا إذا استكمل التَّوحِيد ولم ينقضه وأنه لابد من الاقرار بوجود الله تَعَالَي وبأفعاله كلها من غير نقض لأحد تلك الأفعال والإقرار بانفراده بذلك فلا مماثل له ولا معاون ولا منازع ثم صرح بأنه لا يصح أن يقَالَ عمن أقر لله بالخلق بالرُّبُوبِيَّة ، فقَالَ - بتصرف - :

(توحيد الرُّبُوبِيَّة هو: الإقرار الجازم بأن الله وحده رب كل شيء ومليكه ، وأنه الخَالِق للعالم ، المحيي المميت ، الرزاق ذو القوة المتين ، لم يكن له شريك في الملك ، ولم يكن له ولي من الذل ، لا راد لأمره ، ولا معقب لحكمه ، ولا مضاد له ، ولا مماثل ، ولا سميّ ، ولا منازع له في شيء من معاني ربوبيته ومقتضيات أسمائه وصفاته . والمشهور أن توحيد الرُّبُوبِيَّة هو إفراد الله تعالى بأفعاله ، يعني

---

[1] هو الشَّيخ الحويني حَفِظَهُ اللهُ وذكر هَذَا القول أو شبيها له عن كثير من المعاصرين .

الإيمَان بأفعاله الواردة في الكِتَاب والسُّنَّة ، والإيمَان بأنه منفرد جل وعلا في هذه الأفعال ، ولذلك قلنا : أن توحيد الرُّبُوبِيَّة يشتمل على أمور أربعة لا بد من إثباتها ولا ثَمَّ خلل في الاعتقاد .

أولاً : إثبات الذات . الثاني : الإيمَان بأفعال الله تعالى العامة كـ : الخلق ، والرَّزق ، والتدبير ، والملك ، والإحياء ، والإماتة ، ونحو ذلك . ثالثًا : الإيمَان بقضاء الله وقدره ، إذ هو من توحيد الرُّبُوبِيَّة . رابعًا : إفراده تعالى فيما ذُكر . هل إثبات كون الله تعالى خالقًا هكذا ونكتفي ، هل هَذَا توحيد الرُّبُوبِيَّة ؟ الجواب : لا ، لا بد أن تثبت أنه الخَالِق على ما جاء في الكِتَاب والسُّنَّة ، يعني : على المعنى الذي أراده الله عز وجل دون تحريف ، ثم تفرده ، بمعنى أنك تعتقد أنه لا شريك له في هذه الصفة ، هكذا في سائر الصفات ، إذًا لا بد فيه من الإفراد ، فلا يتحقق الإفراد إلا بإثباتٍ ونفي ، لا بد من اجتماعها كلها ، إذًا هذه أربعة أمور لا بد أن ينتظمها توحيد الرُّبُوبِيَّة وإلا كان فيه خللاً) [1]

وقد وضح التناقض الذي وقعوا فيه من إقرارهم ببعض مَسَائِل الرُّبُوبِيَّة وإنكارهم مَسَائِل أخري من نفس الباب الإمَام الماتريدي رَحِمَهُ اللهُ عند تفسيره لقول الله تَعَالَي : (وَلَئِنْ سَأَلْتَهُمْ مَنْ خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ لَيَقُولُنَّ خَلَقَهُنَّ الْعَزِيزُ الْعَلِيمُ) [2] : (في قولهم وجوابهم: أن اللَّه خلق السماوات والأرض - دلالة أنهم قد عرفوا أنه رسول، لكن كذبوه عنادًا ومكابرة؛ لأن أهل مكة كانوا لا يؤمنون بالرسل حتى يزعموا أنا عرفنا أن اللَّه خلق السماوات والأرض بقولهم، وينكرون رسالته خاصة؛ بل ينكرون الرسل أجمع، ثم هم ما عرفوا أن اللَّه هو خلق السماوات والأرض إلا بالرسل؛ إذ هم ليسوا من الذين عادتهم الاستدلال والنظر في الدلائل؛ ليعرفوا اللَّه - تعالى - بالدلائل العقلية، والظاهر في العَوَام جملة المعرفة بالدلائل السمعية؛ فكان الظاهر هَذَا: أن معرفتهم: أن اللَّه خلق السماوات والأرض بقول الرسل - عَلَيهِمُ السَّلَام - لكنهم كذبوه ولم يصدقوه عنادًا منهم ومكابرة، وما به عرفوا

---

[1] شـــرح سلم الوصول إلى علم الأصول ، للشيخ أحمد بن عمر الحازمي (الشريط الرابع) بتصرف .

[2] تفسير الماتريدي المسمي " تأويلات أهل السُّنَّة " (9 / 150) ، بتحقيق د. مجدي باسلوم .

سائر الرسل من المعجزات موجود معاين في حق رسولنا - صَلَّي اللهُ عَلَيهِ وَسَلَّمَ - لا بد أن يعرفوه رسولا، لكنهم كذبوه عنادًا؛ فدل أن قولهم هَذَا دليل على معرفتهم برسالته، واللَّه أعلم.

ثم إن تمام الاحتجاج بِهَذَا أن يقَالَ لهم: قد عرفتم أن اللَّه هو خلق السماوات والأرض، فهلا عرفتم أنه لم يجعلهما عبثًا باطلا؛ إذ لو كان على ما يزعمون أن لا رسل ولا بعث ولا حساب ولا ثواب ولا عقاب يكون خلقه إياهما عبثًا باطلا، فكان إقرارهم بخلقه إياهما إقرارًا لخلقه على وجه الحكمة، ولن يخرج خلقه على الحكمة إلا بالإقرار بالرسل والبعث والثواب والعقاب؛ على ما عرف غير مرة.

أو أن يقَالَ: فإذا عرفتم أن اللَّه - تعالى - هو خلق السماوات والأرض وما ذكر إلى آخره. . . فكيف أنكرتم قدرته على البعث والإعادة بعد الموت، والأعجوبة في خلق السماوات والأرض أعظم وأكثر من الأعجوبة في بعثكم وإعادتكم، فكيف أنكرتم ما هو أقل في القدرة والأعجوبة؟)

وفي كلامه رَحِمَهُ اللهُ رد علي من زعم أنهم آمنوا بالرُّبُوبِيَّة ، مطلقا القول من غير تقييد ، والسلامة في التفطن لكل لفظ وما يستلزمه ، فتنبه لذلك يرَحِمَكَ اللهُ .

قال الشيخ محمد أبو زهرة [1] في رده علي سؤال ، هل يجوز القول عن المشركين أنهم كانوا يوحدون الله تعالي في الربوبية بناءا علي إقرارهم بربوبية الله تعالي ؟ : - (لا يجوز أن يقال عن المشركين أنهم كانوا يوحدون الله تعالي في الربوبية ! لأن التوحيد شيء آخر غير الإقرار ، فالتوحيد هو الإخلاص ، والمشركون ليسوا مخلصين لله تعالي لا في ربوبية ولا في ألوهية أبدا ، التوحيد هو نفي الأنداد والشركاء عن الله ، والمشركون يثبتون لله تعالي الأنداد والشركاء ، فلا يصح أن يقال عنهم أنهم يوحدون الله تعالي في الربوبية ، إذ الأنداد والشركاء الذين جعلوهم مع الله يعتقدون أنهم يتصرفون مع الله تصرف الند مع نده وتصرف الشريك مع شريكه ، وهذا التصرف يحدث في نظر المشركين فيما يتعلق بالربوبية ، إن العبد يوحد الله تعالي بأفعال الله (أي بأفعال الربوبية) بحيث

[1] هو الشيخ محمد أبو زهرة المغربي ، أحد الدعاة المعروفين وليس هو الشيخ الدكتور محمد أبو زهرة المصري .

يجعل أفعال الله كلها لله وحده ولا ينسب منها شيئا لغير الله ، فإذا نسب فعلا واحدا من أفعال الله (أفعال الربوبية) لغير الله فقد أشرك مع الله ذلك الغير في ربوبية الله تعالي) .

مبحث في بيان أن نقد الإقرار بالربوبية واقع بإنكار صفة واحدة من صفاتها فضلا عما هو أكثر من ذلك .

قال الشيخ عبد المحسن العباد حفظه الله في معرض رده علي الشيخ حسن المالكي : - (تقسيم التوحيد إلى ربوبيَّة وألوهية جاء في القرآن الكريم في آيات كثيرة، فيها بيان أنَّ الكفَّار الذين بُعث فيهم رسول الله صلى الله عليه وسلم مُقرُّون بتوحيد الربوبية، ومنكرون لتوحيد الألوهيَّة، ويُقرِّر الله في هذه الآيات توحيد الربوبيَّة الذي أقرَّ به الكفار؛ لإلزامهم بتوحيد الألوهية الذي جحدوه،[1]) [2] وانظر إلي قوله " مقرون " وهذا في حد ذاته قريب جدا من الصواب ، فهو لم يقل " مؤمنون " كما قال البعض في إقرار المشركين ، ولكن كان يلزمه أن يستثني في ذلك الإقرار أيضا فيقول " مقرون ببعض مسائل الربوبية " ، لأن حقيقة حالهم لم يكن إقرار بالربوبية كلها ، بل كانوا مقريين ببعض مسائلها مشركين ببعضها الآخر ، ولو ءامنوا بألوهية الله تعالي علي إقرارهم المزعوم هذا - في

[1] تمام كلامه : (ويُقرِّر الله في هذه الآيات توحيد الربوبيَّة الذي أقرَّ به الكفار؛ لإلزامهم بتوحيد الألوهية الذي جحدوه، ومن هذه الآيات قول الله عزَّ وجلَّ: {يَا أَيُّهَا النَّاسُ اعْبُدُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ وَالَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ الْأَرْضَ فِرَاشاً وَالسَّمَاءَ بِنَاءً وَأَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَخْرَجَ بِهِ مِنَ الثَّمَرَاتِ رِزْقاً لَكُمْ فَلا تَجْعَلُوا لِلَّهِ أَنْدَاداً وَأَنْتُمْ تَعْلَمُونَ الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ الأَرْضَ فِرَاشاً وَالسَّمَاءَ بِنَاءً وَأَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَخْرَجَ بِهِ مِنَ الثَّمَرَاتِ رِزْقاً لَكُمْ فَلا تَجْعَلُوا لِلَّهِ أَنْدَاداً وَأَنْتُمْ تَعْلَمُونَ} ، فبدأها بالأمر بعبادة الله، وختمها بالنهي عن الشرك، وقرَّر فيما بين ذلك توحيد الربوبية؛ لبيان أنَّ مَن تفرَّد بالخلق والإيجاد وإنزال المطر وإخراج الرزق من الأرض هو المستحقُّ لأَنْ يُعبد وحده لا شريك له، وقال تعالى: {وَلَئِنْ سَأَلْتَهُمْ مَنْ خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضَ وَسَخَّرَ الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ لَيَقُولُنَّ اللَّهُ فَأَنَّى يُؤْفَكُونَ} ، وقال تعالى: {قُلْ مَنْ يَرْزُقُكُمْ مِنَ السَّمَاءِ وَالأَرْضِ أَمَّنْ يَمْلِكُ السَّمْعَ وَالأَبْصَارَ وَمَنْ يُخْرِجُ الْحَيَّ مِنَ الْمَيِّتِ وَيُخْرِجُ الْمَيِّتَ مِنَ الْحَيِّ وَمَنْ يُدَبِّرُ الأَمْرَ فَسَيَقُولُونَ اللَّهُ فَقُلْ أَفَلا تَتَّقُونَ} ، وقال تعالى: {قُلْ لِمَنِ الأَرْضُ وَمَنْ فِيهَا إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ سَيَقُولُونَ لِلَّهِ قُلْ أَفَلا تَذَكَّرُونَ قُلْ مَنْ رَبُّ السَّمَاوَاتِ السَّبْعِ وَرَبُّ الْعَرْشِ الْعَظِيمِ سَيَقُولُونَ لِلَّهِ قُلْ أَفَلا تَتَّقُونَ قُلْ مَنْ بِيَدِهِ مَلَكُوتُ كُلِّ شَيْءٍ وَهُوَ يُجِيرُ وَلا يُجَارُ عَلَيْهِ إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ سَيَقُولُونَ لِلَّهِ قُلْ فَأَنَّى تُسْحَرُونَ} ، وقال تعالى: {أَمَّنْ خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضَ وَأَنْزَلَ لَكُمْ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَنْبَتْنَا بِهِ حَدَائِقَ ذَاتَ بَهْجَةٍ مَا كَانَ لَكُمْ أَنْ تُنْبِتُوا شَجَرَهَا أَإِلَهٌ مَعَ اللَّهِ بَلْ هُمْ قَوْمٌ يَعْدِلُونَ أَمَّنْ جَعَلَ الأَرْضَ قَرَاراً وَجَعَلَ خِلالَهَا أَنْهَاراً وَجَعَلَ لَهَا رَوَاسِيَ وَجَعَلَ بَيْنَ الْبَحْرَيْنِ حَاجِزاً أَإِلَهٌ مَعَ اللَّهِ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لا يَعْلَمُونَ أَمَّنْ يُجِيبُ الْمُضْطَرَّ إِذَا دَعَاهُ وَيَكْشِفُ السُّوءَ وَيَجْعَلُكُمْ خُلَفَاءَ الأَرْضِ أَإِلَهٌ مَعَ اللَّهِ قَلِيلاً مَا تَذَكَّرُونَ أَمَّنْ يَهْدِيكُمْ فِي ظُلُمَاتِ الْبَرِّ وَالْبَحْرِ وَمَنْ يُرْسِلُ الرِّيَاحَ بُشْراً بَيْنَ يَدَيْ رَحْمَتِهِ أَإِلَهٌ مَعَ اللَّهِ تَعَالَى اللَّهُ عَمَّا يُشْرِكُونَ أَمَّنْ يَبْدأُ الْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُ وَمَنْ يَرْزُقُكُمْ مِنَ السَّمَاءِ وَالأَرْضِ أَإِلَهٌ مَعَ اللَّهِ قُلْ هَاتُوا بُرْهَانَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ}).

[2] الانتصار لأهل السنة والحديث في الرد علي أباطيل حسن المالكي 177 ، للشيخ عبد المحسن العباد .

الربوبية - لما كانوا مؤمنين لأنهم واقعين في بعض مسائل الربوبية ، ولن يقبل منهم إيمانهم بالألوهية إلا بعد أن يستكملوا الإيمان بالربوبية .

وقول الشيخ بأن " تقسيم التوحيد إلى ربوبيَّة وألوهية جاء في القرآن الكريم في آيات كثيرة " لا يخالف في ذلك سوي التقييد بأن الوارد في القرآن هو مضمون التقسيم لا التقسيم ذاته ! حتي لا يفهمها قاصر بأن الأقسام ذاتها وردت بأسمائها وعددها ! بل الحق أنها وردت بمضمونها وليس بأسمائها ، ولذلك نجد علماء أهل السنة أنفسهم مختلفين تقسيم التوحيد فمنهم من يجعله قسمين ومنهم من يجعله ثلاثة ومنهم من يجعله أربعه ومنهم من يزيد ، ولكل وجهه ، والخلاف في مثل هذا مما لا يشغب به علي المخالف ولا يبدع علي أساسه .

وقد بين الشيخ ما قلناه في نفس الكتاب بقوله : (أقسام التوحيد عند أهل السنَّة ثلاثة: توحيد الربوبية، وتوحيد الألوهية، وتوحيد الأسماء والصفات... - ثم قال ... وهذا التقسيم لأنواع التوحيد عُرف بالاستقراء من نصوص الكتاب والسنَّة، ويتَّضح ذلك بأوَّل سورة في القرآن وآخر سورة؛ فإنَّ كلاًّ منهما مشتملةٌ على أنواع التوحيد الثلاثة.) [1] فانظر رحمك الله إلي قوله هذا المبين لقوله السابق ترشد . عليه نصل إلي القول بأن مشركي العرب لم يؤمنوا بقسم التوحيد كاملا بل كانوا مقريين ببعض أجزاءه.

---

[1] الانتصار لأهل السنة والحديث في الرد علي أباطيل حسن المالكي 181 ، للشيخ عبد المحسن العباد .

مبحث في الرد علي من زعم أن الأنبياء بعثوا من أجل توحيد الألوهية ولم يبعثوا من أجل توحيد الربوبية [1].

ولعل العقيدة المستقرة في نفوس كثير من طلبة العلم في زماننا أن مشركي العرب كانوا مؤمنين بالربوبية ! والعاقل منهم يقول بأنهم كانوا مقرين بالربوبية بلا استثناء ولا تفصيل ، وقد بينا فى طول الرسالة خطأ هذا الفهم والاعتقاد .

وكذلك من الأفهام المغلوطة عند البعض زعمهم أن الأنبياء لم يبعثوا إلا لدعوة أقوامهم إلي ألوهية الله تعالي لا إلي ربوبيته ! وهذا فهم خاطيء أيضا ، حيث قد قرر القرآن والسنة بأن بعثة الرسل كانت من أجل دعوة الناس إلي الله تعالي وبيان توحيده ، وتوحيد الله تعالي جامع للألوهية وهو أعظمها وكذلك الأسماء والصفات والربوبية ، لأن التوحيد كله شيء لا يتجزأ في الميزان ! فهو إما عمل مقبول أو مردود ، وقد علمنا أن الأنبياء كانوا يدعون أقوامهم إلي المخالفات التي يقعون فيها ، وقد استقرت كلمة علماء السنة علي أن المشركين كانوا مشركين في أنواع التوحيد كلها مع تفاوت فيها وليسس معني إقرارهم أو اعترافهم باللسان في جزء من نوع من أنواع التوحيد يعد إيما بذلك القسم أبدا ، ولعلنا نورد بعض أقوال العلماء في كفر بعض الكفرة في الربوبية خاصة ، لأنها محل الخلاف والغلط .

قال بن كثير [2] رحمه الله تعالي : - (وَمَعْنَى قَوْلِهِ: {أَلَمْ تَرَ} أَيْ: بِقَلْبِكَ يَا مُحَمَّدُ {إِلَى الَّذِي حَاجَّ إِبْرَاهِيمَ فِي رَبِّهِ} أَيْ: [فِي] وُجُودِ رَبِّهِ. وَذَلِكَ أَنَّهُ أَنْكَرَ أَنْ يَكُونَ ثَمَّ إِلَهٌ غَيْرُهُ كَمَا قَالَ بَعْدَهُ فِرْعَوْنُ لِمَلَئِهِ:

---

[1] هو مناقشة للشيخ عبد المحسن العباد البدر حفظه الله في زعمه أن الأنبياء لم يبعثوا لتصحيح شرك الربوبية ، وكذلك من يقول بقوله من عامة من يتبنون هذا القول .

[2] أبو الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي البصري ثم الدمشقي (المتوفى: 774هـ).

{مَا عَلِمْتُ لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرِي}1 وَمَا حَمَلَهُ عَلَى هَذَا الطُّغْيَانِ وَالْكُفْرِ الْغَلِيظِ وَالْمُعَانَدَةِ الشَّدِيدَةِ إِلَّا تَجَبُّرُهُ، وَطُولُ مُدَّتِهِ فِي الْمُلْكِ؛ وَذَلِكَ أَنَّهُ يُقَالُ: إِنَّهُ مَكَثَ أَرْبَعَمِائَةِ سَنَةٍ فِي مُلْكِهِ؛ وَلِهَذَا قَالَ: {أَنْ آتَاهُ اللَّهُ الْمُلْكَ} وَكَأَنَّهُ طَلَبَ مِنْ إِبْرَاهِيمَ دَلِيلًا عَلَى وُجُودِ الرَّبِّ الَّذِي يَدْعُو إِلَيْهِ فَقَالَ إِبْرَاهِيمُ: {رَبِّيَ الَّذِي يُحْيِي وَيُمِيتُ} أَيِ: الدَّلِيلُ عَلَى وُجُودِهِ حُدُوثُ هَذِهِ الْأَشْيَاءِ الْمُشَاهَدَةِ بَعْدَ عَدَمِهَا، وَعَدَمُهَا بَعْدَ وُجُودِهَا. وَهَذَا دَلِيلٌ عَلَى وُجُودِ الْفَاعِلِ الْمُخْتَارِ ضَرُورَةً؛ لِأَنَّهَا لَمْ تَحْدُثْ بِنَفْسِهَا فَلَابُدَّ لَهَا مِنْ مُوجِدٍ أَوْجَدَهَا وَهُوَ الرَّبُّ الَّذِي أَدْعُو إِلَى عِبَادَتِهِ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ. فَعِنْدَ ذَلِكَ قَالَ الْمُحَاجُّ - وَهُوَ النُّمْرُوذُ-: {أَنَا أُحْيِي وَأُمِيتُ} قَالَ قَتَادَةُ وَمُحَمَّدُ بْنُ إِسْحَاقَ وَالسُّدِّيُّ وَغَيْرُ وَاحِدٍ: وَذَلِكَ أَنِّي أُوتَى بِالرَّجُلَيْنِ قَدِ اسْتَحَقَّا الْقَتْلَ فَآمُرُ بِقَتْلِ أَحَدِهِمَا فَيُقْتَلُ، وَبِالْعَفْوِ عَنِ الْآخَرِ فَلَا يُقْتَلُ. فَذَلِكَ مَعْنَى الْإِحْيَاءِ وَالْإِمَاتَةِ. وَالظَّاهِرُ - وَاللَّهُ أَعْلَمُ- أَنَّهُ مَا أَرَادَ هَذَا؛ لِأَنَّهُ لَيْسَ جَوَابًا لِمَا قَالَ إِبْرَاهِيمُ وَلَا فِي مَعْنَاهُ؛ لِأَنَّهُ غَيْرُ مَانِعٍ لِوُجُودِ الصَّانِعِ. وَإِنَّمَا أَرَادَ أَنْ يَدّعِي لِنَفْسِهِ هَذَا الْمَقَامَ عِنَادًا وَمُكَابَرَةً وَيُوهِمُ أَنَّهُ الْفَاعِلُ لِذَلِكَ وَأَنَّهُ هُوَ الَّذِي يُحْيِي وَيُمِيتُ، كَمَا اقْتَدَى بِهِ فِرْعَوْنُ فِي قَوْلِهِ: {مَا عَلِمْتُ لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرِي} وَلِهَذَا قَالَ لَهُ إِبْرَاهِيمُ لَمَّا ادَّعَى هَذِهِ الْمُكَابَرَةَ: {فَإِنَّ اللَّهَ يَأْتِي بِالشَّمْسِ مِنَ الْمَشْرِقِ فَأْتِ بِهَا مِنَ الْمَغْرِبِ} أَيْ: إِذَا كُنْتَ كَمَا تَدَّعِي مِنْ أَنَّكَ [أَنْتَ الَّذِي] تُحْيِي وَتُمِيتُ فَالَّذِي يُحْيِي وَيُمِيتُ هُوَ الَّذِي يَتَصَرَّفُ فِي الْوُجُودِ فِي خَلْقِ ذَوَاتِهِ وَتَسْخِيرِ كَوَاكِبِهِ وَحَرَكَاتِهِ فَهَذِهِ الشَّمْسُ تَبْدُو كُلَّ يَوْمٍ مِنَ الْمَشْرِقِ، فَإِنْ كُنْتَ إِلَهًا كَمَا ادَّعَيْتَ تُحْيِي وَتُمِيتُ فَأْتِ بِهَا مِنَ الْمَغْرِبِ. فَلَمَّا عَلِمَ عَجْزَهُ وَانْقِطَاعَهُ، وَأَنَّهُ لَا يَقْدِرُ عَلَى الْمُكَابَرَةِ فِي هَذَا الْمَقَامِ بُهِتَ أَيْ: أُخْرِسَ فَلَا يَتَكَلَّمُ، وَقَامَتْ عَلَيْهِ الْحُجَّةُ..) 2 وفي كلام بن كثير رحمه الله من الأدلة علي بطلان زعم القوم بطلانا ظاهرا يُتعجب من خفاءه علي أمثالهم من أهل العلم .

---

1 سورة القصص 38 .

2 تفسير القرآن العظيم ، لابن كثير ، بتحقيق سامي بن محمد سلامة .

فانظر إلي قوله :- ({أَلَمْ تَرَ} أَيْ: بِقَلْبِكَ يَا مُحَمَّدُ {إِلَى الَّذِي حَاجَّ إِبْرَاهِيمَ فِي رَبِّهِ} أَيْ: [فِي] وُجُودِ رَبِّهِ) أبعد قول بن كثير هذا في أن النمروذ يُشك في وجود الله تعالي وربوبيته ؟! وفي قوله رحمه الله رد علي من يكابر ويزعم أنهم لم يكونوا منكرين لوجود الله تعالي ، ولا دخل لتيقن نفوسهم من وجوده هنا لأن الظاهر لنا مقالاتهم ولا سبيل لنا لدواخل نفوسهم إلا ما أخبرنا الله تعالي به عنهم من أنهم جاحدين بتلك الآيات بعدما تيقنوا ، فلا يحتج أحد علي ذلك ويرده بأنه يعرف أنهم مستيقنين بوجود الله ! لأن هذا غيب لا يعلمه إلا الله وهو من أطلعنا عليه ، ولكننا الآن في مدار البحث عن شبهته التي طرحها ومقولته التي قالها ، وإبراهيم عليه السلام نفسه وموسي عليه السلام حينما وردت لهم تلك الشبهات من كفرة زمانهم لم يكونوا عالمين بما في داخل أعداءهم من هذا اليقين ، اللهم إلا أن يكون الله تعالي أعلمهم بها كما أعلمنا ، ومع كونهم علموا أو لم يعلموا لم يمنعهم علمهم من الرد علي شبهاتهم ومسايرتهم فيها حتي تفرغ حجتهم . فليعقل العاقل مثل هذا ولا يكابر .

وانظر إلي قوله رحمه الله :- ({أَنْ آتَاهُ اللَّهُ الْمُلْكَ} وَكَأَنَّهُ طَلَبَ مِنْ إِبْرَاهِيمَ دَلِيلًا عَلَى وُجُودِ الرَّبِّ الَّذِي يَدْعُو إِلَيْهِ) تصريح آخر من الإمام بأن الكافر كان منكرا أو مشككا في وجود الله تعالي ، وهذا من أصرح أنواع الكفر والتكذيب . فلا يقال إنهم كانوا مقريين بالربوبية ! فأين هذا الإقرار الذي صار قانونا عند المتأخرين لا ينخرم ولا يستثني ؟! ثم ، هل خفي مثل هذا المتفق عليه عند أهل السنة - على حد زعمهم - علي مثل بن كثير رحمه الله وغيره من كونه لم ينكر أحد الربوبية ؟! وعلي حد زعمهم أن الأنبياء يبعثون للدعوة إلي الألوهية لا إلي الربوبية ! هل سكت إبراهيم عليه السلام علي ادعاء النمروذ الربوبية أم جادله بالحجة القاطعة والأدلة الظاهرة حتي أقض مضجعه وفند شبهته ؟!

ثم انظر - رحمك الله أيضا - إلي قوله رحمه الله :- (وَالظَّاهِرُ - وَاللَّهُ أَعْلَمُ- أَنَّهُ مَا أَرَادَ هَذَا؛ لِأَنَّهُ لَيْسَ جَوَابًا لِمَا قَالَ إِبْرَاهِيمُ وَلَا فِي مَعْنَاهُ؛ لِأَنَّهُ غَيْرُ مَانِعٍ لِوُجُودِ الصَّانِعِ. وَإِنَّمَا أَرَادَ أَنَّ يَدّعي لِنَفْسِهِ

هَذَا الْمَقَامَ عِنَادًا وَمُكَابَرَةً وَيُوهِمُ أَنَّهُ الْفَاعِلُ لِذَلِكَ وَأَنَّهُ هُوَ الَّذِي يُحْيِّي وَيُمِيتُ،) فإن كان النمروذ غير مانع لوجود الصانع أي الله تعالي الخالق ، إلا أنه أراد لنفسه التشريك فب تلك الصفة التي لا تنبغي لمخلوق ! عنادا ومكابرة ! فهو هنا ادعي الربوبية ، ولا يخالف في ذلك عاقل يفهم أبجديات العربية .

وقال بن أبي حاتم [1] **رحمه الله** مقررا أن النمروذ ادعي صفات الربوبية وحاول جاهدا إظهار نفسه ربا طلبا لعبادة الناس له : - (2636 - حَدَّثَنَا أَبُو زُرْعَةَ ثنا عَمْرُو بْنُ حَمَّادٍ بن طلحة، ثنا أسباط، عن السدي قَالَ: وَأَخْرَجُوا إِبْرَاهِيمَ- يَعْنِي مِنَ النَّارِ- فَأَدْخَلُوهُ عَلَى الْمَلِكِ، وَلَمْ يَكُنْ قَبْلَ ذَلِكَ دَخَلَ عَلَيْهِ، فَكَلَّمَهُ وَقَالَ: مَنْ رَبُّكَ؟ قَالَ: رَبِّيَ الَّذِي يُحْيِي وَيُمِيتُ. قَالَ نُمْرُودُ: أَنَا أُحْيِي وَأُمِيتُ، أَنَا آخُذُ أَرْبَعَةَ نَفَرٍ، فَأُدْخِلُهُمْ بَيْتًا، فَلا يُطْعَمُوا وَلا يُسْقَوْا، حَتَّى إِذَا هَلَكُوا مِنَ الْجُوعِ، أَطْعَمْتُ اثْنَيْنِ وَسَقَيْتُهُمَا، فَعَاشَا، وَتَرَكْتُ الاثْنَيْنِ، فَمَاتَا فَعَرَفَ إِبْرَاهِيمُ أَنَّ لَهُ قُدْرَةً وَتَسْلِيطًا فِي مُلْكِهِ عَلَى أَنْ يَفْعَلَ ذَلِكَ. قَالَ لَهُ إِبْرَاهِيمُ فَإِنَّ اللَّهَ يَأْتِي بِالشَّمْسِ مِنَ الْمَشْرِقِ فَأْتِ بِهَا مِنَ الْمَغْرِبِ فَبُهِتَ الَّذِي كَفَرَ وَقَالَ: إن هذ إِنْسَانٌ مَجْنُونٌ، فَأَخْرِجُوهُ أَلا تَرَوْنَ أَنَّهُ مَجْنُونٌ، اجْتَرَأَ عَلَى آلِهَتِكُمْ فَكَسَّرَهَا، وَأَنَّ النَّارَ لَمْ تَأْكُلْهُ. وَخَشِيَ أَنْ يُفْتَضَحَ فِي قَوْمِهِ.

2637 - حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ حَمَّادٍ الطِّهْرَانِيُّ، أبنا حَفْصُ بْنُ عمر، ابنا الْحَكَمُ بْنُ أَبَانٍ، عَنْ عِكْرِمَةَ فِي قَوْلِهِ: أَنَا أُحْيِي وَأُمِيتُ يَقُولُ: أَنَا أَقْتُلُ مَنْ شِئْتُ، وَأَتْرُكُ مَنْ شِئْتُ.

2638 - حَدَّثَنَا الْحَسَنُ بْنُ أَبِي الرَّبِيعِ، أبنا عَبْدُ الرزاق ابنا مَعْمَرٌ، عَنْ زَيْدِ بْنِ أَسْلَمَ أَنَّ أَوَّلَ جَبَّارٍ كَانَ فِي الأَرْضِ نُمْرُوذٌ، وَكَانَ النَّاسُ يَخْرُجُونَ فَيَمْتَارُونَ مِنْ عِنْدِهِ الطَّعَامَ. قَالَ: فَخَرَجَ إِبْرَاهِيمُ، يَمْتَارُ مَعَ مَنْ يَمْتَارُ، فَإِذَا مَرَّ بِهِ نَاسٌ قَالَ: مَنْ رَبُّكُمْ؟ قَالُوا: أَنْتَ. حَتَّى مَرَّ بِهِ إِبْرَاهِيمُ. قَالَ: مَنْ رَبُّكَ؟ قَالَ: الَّذِي يُحْيِي وَيُمِيتُ. قَالَ أَنَا أُحْيِي وَأُمِيتُ. قَالَ إِبْرَاهِيمُ: فَإِنَّ اللَّهَ يَأْتِي بِالشَّمْسِ مِنَ الْمَشْرِقِ فَأْتِ بِهَا

[1] أبو محمد عبد الرحمن بن محمد بن إدريس بن المنذر التميمي، الحنظلي، الرازي ابن أبي حاتم (المتوفى: 327هـ) .

مِنَ الْمَغْرِبِ فَبُهِتَ الَّذِي كَفَرَ فَرَدَّهُ بِغَيْرِ طَعَامٍ.) 1 وفي ذلك بيان لزعمه الربوبية ، لأنه كان من يبدأ إبراهيم بالسؤال عن الربوبية وليس الألوهية ! فلما جاوبه بأنه له رب آخر حصلت المجادلة بينهما ولو - فرضا - أجابه بأنك ربي - وحاشا للنبي إبراهيم أن يفعل - لما حدثت تلك المجادلة ، ولو قال قائل بأنه يقصد بمن ربك الألوهية قلنا فلماذا أجابه إبراهيم بالربوبية ؟! ومن هنا علمنا أن الربوبية والألوهية متلازمان لا ينفكان علي أرض الواقع ، فالرب إله والإله رب فبطل زعم المفرق بينهما علي أرض الواقع .

ولعل قائلا يزعم أن النمروذ لم يقصد حقيقة الربوبية وإنما كان يقصد الألوهية وعبر بلفظ الربوبية ، فنرد عليه بأن فعله يقصد به الربوبية وليس الألوهية لأن الألوهية هي فعل العبد ، وهذا صريح في قول الطبري 2 رحمه الله : - (وذلك عند العرب يسمى"إحياء"، كما قال تعالى ذكره: (وَمَنْ أَحْيَاهَا فَكَأَنَّمَا أَحْيَا النَّاسَ جَمِيعًا)) 3 فعلم أن مقصود الطاغية هو صفة الربوبية بما هو متوفر معه من قدرة ولو كان مستطيعا لقدرة أعلي منها لأظهرها .

وقال الثعلبي4 رحمه الله : - (أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِي حَاجَّ إِبْراهِيمَ فِي رَبِّهِ أي خاصم وجادل وأصلها من الحجّة، وهو نمرود بن كنعان بن سخاريب بن كوش بن سام بن نوح وهو أول من وضع التاج على رأسه وتجبّر في الأرض وادّعى الربوبيّة أَنْ آتاهُ اللَّهُ الْمُلْكَ أي لأنّ أتاه الله الملك فطغى، وموضع (أن) نصب بنزع حرف الصفة.) 5 ففي كلامه صريح العبارة أنه ادعي الربوبية ! فهل يكابر في ذلك أحد ؟!

[1] تفسير القرآن العظيم لابن أبي حاتم 498/2 بتحقيق أسعد محمد الطيب .
[2] محمد بن جرير بن يزيد بن كثير بن غالب الآملي، أبو جعفر الطبري (المتوفى: 310هـ).
[3] جامع البيان في تأويل القرآن 432/5 بتحقيق العلامة أحمد محمد شاكر .
[4] أحمد بن محمد بن إبراهيم الثعلبي، أبو إسحاق (المتوفى: 427هـ) .
[5] الكشف والبيان عن تفسير القرآن 239/2 ، بتحقيق الإمام أبي محمد بن عاشور ، مراجعة وتدقيق: الأستاذ نظير الساعدي .

وقال السمعاني 1 رحمه الله : - (قَوْله تَعَالَى: {أَلم تَرَ إِلَى الَّذِي حَاج إِبْرَاهِيم فِي ربه} مَعْنَاهُ: هَل انْتهى إِلَيْك خبر الَّذِي حَاج إِبْرَاهِيم وَهُوَ نمروذ؟ قَالَه قَتَادَة. وَهُوَ أول من تجبر فِي الأَرْض وَادّعى الربوبية. والمحاجة: المجادلة، ثمَّ بَين المحاجة فِي سِيَاق الْآيَة. قَوْله: {أَن آتَاهُ الله الْملك} أَي: كَانَت تِلْكَ المحاجة فِي الربوبية من نظر الْملك وطغيانه.) 2 وفي ذلك تصريح بأن المجادلة بين إبراهيم والنمروذ كانت في صفات الربوبية لما ادعاها وليست في الألوهية أصالة .

ولعل ما قاله البغوي 3 رحمه الله من الصراحة والوضوح بمكان حيث يبين بما لا اللتباس فيه ادعاء الطاغية النموذ الربوبية فيقول :- (معناه هل انتهى إليك يا محمد خبر الذي حاج إبراهيم أي خاصم وجادل، وهو نمرود وهو أول من وضع التاج على رأسه، وتجبر في الأرض وادعى الربوبية؟) 4

وأصرح منه قول الراغب الأصفهاني 5 **رحمه الله** حيث فصل الكلام فيها فقال:- (إن قيل: ما الذي ادعى هذا الكافر؟ ادعى نفي الخالق؟ أم ادعى لنفسه الربوبية؟ أم الأمرين؟ فإن ادعى الربوبية، فعلى أي وجه ادعى، فبعيد أن يزعم من وجد بعد أن لم يكن أنه موجد الخلائق... قيل: قد ذكر المخلصون في ذلك وجهين، أحدهما: أن هذا الكافر نمرود، وكان الناس حينئذ يعظمون ملكهم حتى كانوا يسمونه الرب والإله، ولهذا قيل: (الله رب الأرباب وإله الآلهة)، وكانوا يدعون له أفعالاً ألاهية تقصر قدر البشر عنها، وقد حكى الفرس عن ملوكهم شيئاً كبيراً من ذلك كما ادعوا لكن خسرو أنه ألجأة عدو له إلى سفح جبل، فحملته الملائكة، وأن شابور لما حارب التنين، فأظلم عليه الدنيا، أنزل عليه نارا، فصارت على عرف فرسه، فاستضاء بها حتى قتل التقين، وكان نمرود لما طغى سام الناس أن يعبدوه عبادتهم لله، إذ هو بزعمهم سايسهم، وملكهم، وربهم، وإلأههم، فهذاك أحد

---

1 أبو المظفر، منصور بن محمد بن عبد الجبار ابن أحمد المروزى السمعاني التميمي الحنفي ثم الشافعي (المتوفى: 489هـ) .

2 تفسير القرآن 261/1 للسمعاني ، بتحقيق ياسر بن إبراهيم وغنيم بن عباس بن غنيم .

3 محيي السنة ، أبو محمد الحسين بن مسعود البغوي [المتوفى 516 هـ].

4 معالم التنزيل 1/ 315 حققه وخرج أحاديثه محمد عبد الله النمر - عثمان جمعة ضميرية - سليمان مسلم الحرش .

5 أبو القاسم الحسين بن محمد بن المفضل المعروف بالراغب الأصفهانى (أو الأصبهاني) أديب، من الحكماء العلماء. من أهل (أصبهان) سكن بغداد، واشتهر، حتى كان يقرن بالإمام الغزالي. (المتوفى: 502هـ)

الوجهين، والثاني: أنه كان يذهب مذهب من يقول بالحلول، أن الباري- تعالي عن ذلك- يحل في أشخاص الأئمة حسب ما ادعى بعض المتنصرة وبعض المتشيعه الملحدة، وكان نمرو يدعي الربوبية على أحد هذين الوجهين، لا أنه ينكر رب العزة ...) 1 وفي كلامه تصريح بأن نمروذا ادعي الربوبية ، وهو الأمر الذي يحاول التعامي أو التغافل عنه جمع من أهل العلم .

قال سراج الدين الدمشقي 2 : - (قال مجاهِدٌ 3 هو النُّمروذُ بن كنعانَ بن سام بن نُوح 4، هو أول من وضع التَّاجَ على رأسه، وتجبر وادَّعى الرُّبوبية) 5 فانظر إلي صريح قول مجاهد ادعي الربوبية ! وفيه أنه أشرك في الربوبية إلي جانب عدم انسياقه للعبوديه والألوهية ! وهذا من أصرح ما يكون في رد شبهة القوم بأن الرسل لم تبعث للدعوة إلي توحيد الربوبية ! فتنبه .

وقال أسعد حومد6 في تفسيره : - (أَلَمْ يَنْتَهِ إِلَى عِلْمِكَ يَا مُحَمَّدُ نَبَأ المَلِكِ الذِي ادَّعى الرُّبُوبِيَّةَ ، فَجَادَلَ إبْرَاهِيمَ فِي وُجُودِ رَبِّهِ؟ وَمَا حَمَلَهُ عَلَى ذَلِكَ إلاَّ الطُّغْيَانُ وَالكُفْرُ وَالتَّجَبُّرُ وَطُولُ مُدَّتِهِ فِي المُلْكِ ، فَطَلَبَ مِنْ إبْرَاهِيمَ دَليلاً عَلَى وُجُودِ اللهِ ، الذِي يَدْعُو إليهِ . فَقَالَ إبْراهِيمُ : إنَّ رَبِّي هُوَ الذِي يَخْلُقُ الحَيَاةَ ، وَهُوَ الذِي يَعْدِمُها . فَقَالَ لَهُ المَلِكُ المُجَادِلُ المُدَّعِي الرُّبُوبِيَّة (وَقِيلَ إنَّهُ النَّمْرُودُ بْنُ كِنْعَانَ) ؛ إنَّهُ قَادِرٌ عَلَى أنْ يُحْيِيَ بِالعَفْوِ مَنْ حُكِمَ عَلَيهِ بِالإِعْدامِ ، وَيُمِيتَ مَنْ شَاءَ إماتَتَهُ بِأنْ يَأمُرَ بِقَتْلِهِ . فَقَالَ إبَرَاهِيمُ : إنَّ الذِي يُحْيِي وَيُمِيتُ قَادِرٌ عَلَى التَّصرُّفِ فِي الوُجُودِ ، وَتَسْخِيرِ الكَوَاكِبِ وَحَرَكَاتِهَا ، فَإنْ كُنْتَ كَمَا تَدَّعِي إلهاً فَبَدِّلْ حَرَكَةَ الشَّمْسِ التي تَطْلُعُ مِنَ المَشْرِقِ ، فَاجْعَلْها تَطْلُعُ مِنَ

---

1 تفسير الراغب الأصفهاني 537/1 بتحقيق د. محمد عبد العزيز بسيوني .

2 أبو حفص سراج الدين عمر بن علي بن عادل الحنبلي الدمشقي النعماني (المتوفى: 775هـ).

3 أبو الحجاج مجاهد بن جبر التابعي المكي القرشي المخزومي (المتوفى: 104هـ) .

4 تفسير مجاهد 243 بتحقيق الدكتور محمد عبد السلام أبو النيل.

5 اللباب في علوم الكتاب 337/4 بتحقيق الشيخ عادل أحمد عبد الموجود والشيخ علي محمد معوض .

6 ....

المَغْرِبِ . فَبُهِتَ الذي كَفَرَ وَأُبْلِسَ ، إذْ قَامَتْ عَلَيهِ الحُجَّةُ ، وَاللهُ لا يَهْدِي القَوْمَ الظَّالِمينَ وَلا يُلْهِمُهُمْ حُجَّةً وَلاَ بُرْهَاناً .) 1

وقال بن جزي : - ({ الذي حَاجَّ إبراهيم } هو نمروذ الملك وكان يدّعي الربوبية) 2

وبعد هذه النقولات المتكاثرة وما تركناه أكثر مما نقلناه ما يرسخ في ذهن المسلم أن المشركين كانوا مشركين في الربوبية بجانب شركهم في الربوبية ، وإن لم يكن الرك في هذا النوع شهيرا كما الألوهية غير أنهم لم يكونوا بها مؤمنين ولا - حتي - بجملتها مقرين ، فمن أقر بنوع أنكر نوعا آخر .

وفي جملة ما ذكرنا رد صريح علي زعم الشيخ عبد المحسن العباد وفقه الله حينما أراد الرد علي المالكي ولم يصب في رده وكان ردا هزيلا في بعض جوانبه ، قال الشيخ العباد في رده علي المالكي 3 :- (فهذه الآيات كلُّها تدلُّ على أنَّ الرسلَ إنَّما بُعثوا لأمر أقوامهم بعبادة الله وحده دون مَن سواه، وعلى هذا فأهل السنة جعلوا عنايتهم واهتمامهم بما اعتنى به الرسل وبلَّغوه لأقوامهم، وهذا بخلاف غيرهم من أهل البدع، الذين جعلوا عنايتهم بتقرير توحيد الربوبية والاشتغال بالاستدلال على وجود الله وإهمال بيان توحيد الألوهيَّة والتحذير من الشِّرك، مِمَّا ترتَّب على ذلك افتتان كثير

---

[1] أيسرالتفاسير لأسعد حومد 256/1 نسخة الشاملة غير موافق للمطبوع .

[2] التسهيل لعلوم التنزيل لابن جزي 137/1 .

[3] وكلام الشيخ بتمامه (قوله: "وهذا التفريق هو الذي جعل مقلّدي ابن تيمية يزعمون أنَّ الله لم يبعث الرسل إلاَّ من أجل توحيد الألوهية، أمَّا توحيد الربوبية فقد أقرَّ به الكفار!! ". أقول: إنَّ بَعْثَ الله الرسل وإنزاله الكتب جاء في القرآن أنَّ ذلك لعبادة الله وحده وترك عبادة ما سواه، وقد جاءت الآيات في ذلك على سبيل الإجمال والتفصيل، أمَّا الإجمال ففي مثل قول الله عزَّ وجلَّ: {وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَسُولاً أَنِ اعْبُدُوا اللَّهَ وَاجْتَنِبُوا الطَّاغُوتَ} ، وقوله: {وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ مِنْ رَسُولٍ إِلاَّ نُوحِي إِلَيْهِ أَنَّهُ لا إِلَهَ إِلاَّ أَنَا فَاعْبُدُونِ} . ومن الآيات التي فيها التفصيل قوله تعالى في الأعراف عن نوح: {لَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحاً إِلَى قَوْمِهِ فَقَالَ يَا قَوْمِ اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرُهُ} ، وقوله عن هود: {وَإِلَى عَادٍ أَخَاهُمْ هُوداً قَالَ يَا قَوْمِ اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرُهُ} ، وقوله عن صالح: {وَإِلَى ثَمُودَ أَخَاهُمْ صَالِحاً قَالَ يَا قَوْمِ اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرُهُ} ، وقوله عن شعيب: {وَإِلَى مَدْيَنَ أَخَاهُمْ شُعَيْباً قَالَ يَا قَوْمِ اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرُهُ} ، وقال تعالى في سورة هود: {وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحاً إِلَى قَوْمِهِ إِنِّي لَكُمْ نَذِيرٌ مُبِينٌ} ، وقال عن كلٍّ من هود وصالح وشعيب أنَّه قال لقومه: {يَا قَوْمِ اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرُهُ} ، وقال في سورة الشعراء عن كلٍّ من نوح وهود وصالح ولوط وشعيب أنَّهم قالوا لأقوامهم: {أَلا تَتَّقُونَ إِنِّي لَكُمْ رَسُولٌ أَمِينٌ} ، وقال تعالى في سورة العنكبوت: {وَإِبْرَاهِيمَ إِذْ قَالَ لِقَوْمِهِ اعْبُدُوا اللَّهَ وَاتَّقُوهُ ذَلِكُمْ خَيْرٌ لَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ} . فهذه الآيات كلُّها تدلُّ على أنَّ الرسلَ إنَّما بُعثوا لأمر أقوامهم بعبادة الله وحده دون مَن سواه، وعلى هذا فأهل السنة جعلوا عنايتهم واهتمامهم بما اعتنى به الرسل وبلَّغوه لأقوامهم، وهذا بخلاف غيرهم من أهل البدع، الذين جعلوا عنايتهم بتقرير توحيد الربوبية والاشتغال بالاستدلال على وجود الله وإهمال بيان توحيد الألوهيَّة والتحذير من الشِّرك، مِمَّا ترتَّب على ذلك افتتان كثير من المسلمين بالاستغاثة بغير الله ودعائه والذبح له، وغير ذلك من أنواع العبادة التي لا يجوز صرفُها لغير الله سبحانه، ومَن حصل منه ذلك وبلغته الحجَّة ولم يَتُب منه فهو مشركٌ بالله، وهذا هو الشركُ الذي بعث اللهُ الرسلَ لدعوة أقوامهم إلى تركه، أمَّا توحيد الربوبية فإنَّ الآيات الكريمة التي مرَّ ذكرُها تدلُّ على اعترافهم به، ولم يَقُل أحدٌ منهم: إنَّه مشاركٌ لله عزَّ وجلَّ في الخلق والإيجاد.) انتهي .

من المسلمين بالاستغاثة بغير الله ودعائه والذبح له، وغير ذلك من أنواع العبادة التي لا يجوز صرفُها لغير الله سبحانه، ومَن حصل منه ذلك وبلغته الحجَّة ولم يَتُب منه فهو مشركٌ بالله، وهذا هو الشركُ الذي بعث اللهُ الرسلَ لدعوة أقوامهم إلى تركه، أمَّا توحيد الربوبية فإنَّ الآيات الكريمة التي مرَّ ذكرُها تدلُّ على اعترافهم به، ولم يَقُل أحدٌ منهم: إنَّه مشاركٌ لله عزَّ وجلَّ في الخلق والإيجاد.) 1
ولا نخالف الشيخ في اعتقاد أن الأمر الذي أرسل الله تعالي الرسل من أجله هو عبادة الله وتعبيد الناس لله تعالي ، لصريح قول الله تعالي : (وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنْسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ) 2 . فالله تعالي هو الرب المعبود المتصف بصفات الكمال والجلال .

ولكننا نخالف الشيخ في ظنه أن المقصود من عبادة الله تعالي وحده هو الألوهية دون الربوبية والأسماء والصفات ، وهذا ظن خاطىء ، والصحيح - ولا يخالف في ذلك سني - أن عبادة الله جامعة لأقسام التوحيد كلها فإن تخلفت عن ذلك مسألة واحدة كانت تلك العبادة ناقصة مردودة علي صاحبها ، لأن الأقسام نظرية لتقريب الأفهام وليست للتفريق بين مقصد بعثة الأنبياء وماكان عليه المشركون !.

فمن زعم أن المشركين في أي زمان كانوا مؤمنين بالربوبية فقد زعم باطلا ، وإنما ما ذكره الله عنهم كان إقرار ببعض مسائلها وليس إيمانا بها علي وجه الكمال ، ولذلك حينما كان يزعم بعض الكفرة الربوبية بقولهم أنا أحيي وأميت كما حكي الله تعالي عنهم في قوله تعالي :- (إِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ رَبِّيَ الَّذِي يُحْيِي وَيُمِيتُ قَالَ أَنَا أُحْيِي وَأُمِيتُ) 3 كانت بعثة النبي إليه لنفي ذلك الشرك أيضا وتجريد التوحيد لله تعالي مما يشوبه من صنوف الشرك كلها ، ولا يُرد علي ذلك بالرد الهزيل - الذي لا يثبت ولا يستقيم - الذي قال به الشيخ العباد (أقول: لَم ينسَ أهلُ السنَّة ما ذكره الله عن فرعون ومَن

[1] الانتصار لأهل السُّنَّة والحديث في رد أباطيل حسن المالكي 178-179
[2] سورة الذاريت 56
[3] سورة البقرة 258

حاجَّ إبراهيم في ربِّه؛ لأنهَّما مثالان من شواذ الخلق، ولم يذكر الله عن رسله أنهَّم أمروا أقوامَهم بأن يُقرُّوا بوجود الله وربوبيَّته للعالَمين، بل إنَّما أمروهم بعبادة الله وحده، كما هو واضح من الآيات المتقدِّمة؛ وذلك لأنَّ الكفَّار الذين بُعثوا فيهم إمَّا مقرُّون بربوبية الله، وإمَّا منكرون لها علوًّا واستكباراً) فالمحلصة من قول هؤلاء الكفار أنهم زعموا الربوبية أو شاركوا الله تعالي فيها ، ومجرد شركهم حتي ولو كانوا مقريين لله تعالي بها في نفوسهم يعد قادحا في إقراراهم وهذا الشرك واجب التصحيح لا يمرر أمره ولا يهون شأنه ، ولا يقدر الشيخ أن يقول بأن دعوة إبراهيم له لم تكن لإبطال زعمه الربوبية ! فهناك آيات صريحات في سورة البقرة تفند شبهة زعمه الربوبية ، ومن العجيب قول الشيخ السابق : (ولم يذكر الله عن رسله أنهَّم أمروا أقوامَهم بأن يُقرُّوا بوجود الله وربوبيَّته للعالَمين،) فكيف يقول الشيخ في قول الله تعالي : (فإن الله يأتي بالشمس من المشرق فأت بها من المغرب) ؟! أليست هذه محاجة في باب أفعال الله تعالي ؟! وبهذا يبطل زعم الشيخ ومن قال بقوله بأن الأنبياء لم يبعثوا لتصحيح الربوبية بل بعثوا لتصحيح الألوهية .

ثم نقول علي فرض صحة زعمكم بأن أكثر آيات القرآن لتقرير توحيد الألوهية فإن هذه الأكثرية ينقضها موقف واحد - كمثالنا هذا - وليس كما تزعمون بأن صاحب إبراهيم " النمرود 1 " وصاحب موسي " فرعون "كانا من شواذ الخلق ! فشواذ الخلق هؤلاء كانوا محل دعوة هؤلاء الأنبياء ، فتنبه لذلك رحمك الله ولا تنتصر لقول أصحابك وتكابر .

ولعل قائلا يتطاول علينا ويرمينا بما نحن منه براء - من بدعة أو موافقة مبتدعة أو ماإلي ذلك من قائمة التهم الملفقة لكل راد علي مشايخهم - لمجرد ردنا علي الشيخ ، فحسن بنا أن ننقل أقوال بعض علماء المذهب المنتشر في الأرض التي نشأ فيها الشيخ العباد ، فها شيخه - وشيخنا - الشيخ

---

[1] - هَذَا الَّذِي حَاجَّ إِبْرَاهِيمَ فِي رَبِّهِ هو ملك بابل نمرود بْنُ كَنْعَانَ بْنِ كُوشِ بْنِ سَامِ بْنِ نوح ويقال نمرود بن فالح بن عبار بْنِ شَالِخِ بْنِ أَرْفَخْشَذَ بْنِ سَامِ بْنِ نُوحٍ، وَالْأَوَّلُ قَوْلُ مُجَاهِدٍ وَغَيْرِهِ، قَالَ مُجَاهِدٌ: وَمَلَكَ الدُّنْيَا مَشَارِقَهَا وَمَغَارِبَهَا أَرْبَعَةٌ: مُؤْمِنَانِ وَكَافِرَانِ، فَالْمُؤْمِنَانِ سُلَيْمَانُ بْنُ دَاوُدَ، وَذُو الْقَرْنَيْنِ، وَالْكَافِرَانِ: نمرود وبختنصر، والله أَعْلَمُ. تفسير بن كثير 525/1 بتحقيق محمد حسين شمس الدين ، طبعة دار الكتب العلمية، منشورات محمد علي بيضون - بيروت. وفيه نمرود بالدال المهملة . وفي نسخة دار طيبة بتحقيق سامي بن محمد سلامة (نُمْرُوذُ) بالذال المعجمة.

بن سعدي رحمه الله حين تطرق لتفسير تلك الآية التي لم يأخذها الشيخ العباد ومن ذهب مذهبه في اعتباره حينما قرروا أن الأنبياء لم يدعوا لتوحيد الربوبية : (يقول تعالى: {ألم تر إلى الذي حاج إبراهيم في ربه} أي: إلى جرائته وتجاهله وعناده ومحاجته فيما لا يقبل التشكيك، وما حمله على ذلك إلا {أن آتاه الله الملك} فطغى وبغى ورأى نفسه مترئسا على رعيته، فحمله ذلك على أن حاج إبراهيم في ربوبية الله فزعم أنه يفعل كما يفعل الله، فقال إبراهيم {ربي الذي يحيي ويميت} أي: هو المنفرد بأنواع التصرف، وخص منه الإحياء والإماتة لكونهما أعظم أنواع التدابير، ولأن الإحياء مبدأ الحياة الدنيا والإماتة مبدأ ما يكون في الآخرة، فقال ذلك المحاج: {أنا أحيي وأميت} ولم يقل أنا الذي أحيي وأميت، لأنه لم يدع الاستقلال بالتصرف، وإنما زعم أنه يفعل كفعل الله ويصنع صنعه، فزعم أنه يقتل شخصا فيكون قد أماته، ويستبقي شخصا فيكون قد أحياه، فلما رآه إبراهيم يغالط في مجادلته ويتكلم بشيء لا يصلح أن يكون شبهة فضلا عن كونه حجة، اطرد معه في الدليل فقال إبراهيم: {فإن الله يأتي بالشمس من المشرق} أي: عيانا يقر به كل أحد حتى ذلك الكافر {فأت بها من المغرب} وهذا إلزام له بطرد دليله إن كان صادقا في دعواه، فلما قال له أمرا لا قوة له في شبهة تشوش دليله، ولا قادحا يقدح في سبيله {بهت الذي كفر} أي: تحير فلم يرجع إليه جوابا وانقطعت حجته وسقطت شبهته، وهذه حالة المبطل المعاند الذي يريد أن يقاوم الحق ويغالبه، فإنه مغلوب مقهور، فلذلك قال تعالى: {والله لا يهدي القوم الظالمين} بل يبقيهم على كفرهم وضلالهم، وهم الذين اختاروا لأنفسهم ذلك، وإلا فلو كان قصدهم الحق والهداية لهداهم إليه ويسر لهم أسباب الوصول إليه، ففي هذه الآية برهان قاطع على تفرد الرب بالخلق والتدبير، ويلزم من ذلك أن يفرد بالعبادة والإنابة والتوكل عليه في جميع الأحوال.) 1

[1] تيسير الكريم الرحمن بتفسير كلام المنان 111-112 للشيخ عبد الرحمن بن سعدي .

ولعلك تلاحظ في تفسيره رحمه الله قوله:- " فحمله ذلك على أن حاج إبراهيم في ربوبية الله فزعم أنه يفعل كما يفعل الله) وهذا صريح في أن الكفار كانوا يشركون في ربوبية الله تعالي ، وليسوا شواذ كما ذكر الشيخ ! وهذا رجل من أهل السنة أيضا فلا أدري أخفي عليه أم أن لقب أهل السنة صار علما علي من يوافق منهج الكاتب ؟!

وقوله :- " فقال إبراهيم {ربي الذي يحيي ويميت} أي: هو المنفرد بأنواع التصرف، وخص منه الإحياء والإماتة لكونهما أعظم أنواع التدابير، ولأن الإحياء مبدأ الحياة الدنيا والإماتة مبدأ ما يكون في الآخرة، " وهذا فيه تصريح لا يكابر أمامه مكابر في أن إبراهيم عني بتصحيح شرك المشرك في ربوبية الله . ولم يقل له بأن ربي الله المستحق للعبادة . فحينما كلمه إبراهيم كلمه بما هو مستقر في النفوس الطبيعية من نسبة الخلق والإحياء والإماتة إلي الرب دون باقي صفات الربوبية التي قد تخفي علي الدهماء ولا يعقلها إلا أصحاب الفطر النقية السليمة .

وقوله رحمه الله : " فقال ذلك المحاج: {أنا أحيي وأميت} ولم يقل أنا الذي أحيي وأميت، لأنه لم يدع الاستقلال بالتصرف، وإنما زعم أنه يفعل كفعل الله ويصنع صنعه، " يدل علي أن النمروذ أشرك في ربوبية الله تعالي ، وأن هذا الشرك كان محل دعوة إبراهيم عليه السلام ، فلما قوبل إبراهيم بهذا الشرك الصريح في الربوبية قابلهم بتفنيد شبههم والرد علي باطلهم ، ولم يسكت علي ذلك ، بل أنكر عليهم زعمهم ذلك ، فلا ندري من أين أتي هؤلاء الزاعمون بأن الأنبياء لم يكن مقصد بعثتهم الدعوة إلي الربوبية ؟! والحق أن بعثتهم كانت لأجل التوحيد الكامل الخالص لا لأجل ألوهية دون ربوبية ، وما نتج هذا الخلط إلا عن التفريق بين أقساك التوحيد الاصطلاحية ومحاولة إسقاطها علي أرض الواقع . وقول إبراهيم عليه السلام {فأت بها من المغرب} دليل صريح علي رده علي زعمه ربوبية الله تعالي .

وانظر سلمك الله إلي قول الشيخ : - " ففي هذه الآية برهان قاطع على تفرد الرب بالخلق والتدبير " ففيه استشهاد بما حدث من إبراهيم عليه السلام أنه إثبات لربوبية الله ، وإلا لو كانت ربوبية الله الخالصة - له وحده دون منازعة ومشاركة - مستقرة في نفوس الكفار لما كان هذا الاستنباط ذا جدوي وفائدة ! ولكن الشيخ صرح به حتي إن زعمه زاعم فيكون ذلك ردا شافيا عليه مفحما له كما أفحم سلفه الضال .

وخلاصة ما نستنبطه من كلام الشيخ عبد الرحمن بن سعدي رحمه الله هو الرد الصريح علي من زعم أن الأنبياء لم يبعثوا من أجل توحيد الربوبية ! وأن أهل السنة متفقون علي ذلك .

ولا ننسي هنا أن نقيد الكلام حتي لا يفهم من بعض ضيقي العقول علي غير مراده فنقول ، إن الله تعالي لم يبعث الرسل إلا لتعبيد الناس لله تعالي عبادة كامة ، والعبادة الكاملة لا تكون إلا بإفراد الله تعالي في ربوبية وألوهيته وأسماءه وصفاته ، وقد كان شرك الأمم السابقة في تلك الأنواع كلها مع اختلاف قليل بينهم فمنهم من يشرك في نوع دون نوع ومنهم من يقر بنوع دون نوع إلي غير ذلك ولما كان شرك الأولين في القسمين الآخرين أظهر من القسم الأول انصبت دعوة الرسل إلي تحقيقه وتصحيحه وحينما يجدون من أممهم من يقع في أي نوع من الشرك يصححوه وهذه عقيدتنا وهي عقيدة أهل السنة والجماعة المبثوثة في الكتاب والسنة وليس في الكتاب والسنة ما يخالفها .

كما صرح الإمام الآلوسي[1] **رحمه الله** بادعاء النمروذ الربوبية حيث قال :- (والمراد بالموصول نمروذ بن كنعان بن سنجاريب وهو أول من تجبر وادعى الربوبية ، كما قاله مجاهد وغيره) [2]

وقال الشيخ الجزائري [3] **حفظه الله** : - ({فِي رَبِّهِ} : في شأن ربه من وجوده تعالى وربوبيته وألوهيته للخلق كلهم.) 1 وقال أيضا : - (فقال تعالى مخاطباً رسوله محمد صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: { أَلَمْ تَرَ إِلَى

---

[1] شهاب الدين محمود ابن عبدالله الحسيني الألوسي

[2] روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني 326/2 نسخة الشاملة غير موافق للمطبوع.

[3] أبو بكر جابر بن موسى بن عبد القادر بن جابر الجزائري نزيل المدينة النبوية المنورة .

الَّذِي حَاجَّ إِبْرَاهِيمَ فِي رَبِّهِ} أي: لم ينته إلى علمك حجاج ذاك الطاغية الذي بطرته نعمة الملك الذي آتيناه امتحاناً له فكفر وادعى الربوبية وحاج خليلنا فبين إنه لأمر عجب. إذ قال له إبراهيم ربي الذي يحي ويميت، وأنت لا تحيي ولا تميت، فقال أنا أحيي وأميت، فرد عليه إبراهيم حجته قائلاً: ربي يأتي بالشمس من المشرق فآت بها أنت من المغرب، فاندهش وتحير وانقطع وأيد الله وليه إبراهيم فانتصر)

وفي التفسير الميسر2 :- (هل رأيت -أيها الرسول- أعجب مِن حال هذا الذي جادل إبراهيم عليه السلام في توحيد الله تعالى وربوبيته) 3 وبهذا نكون قد فندنا شبهة علقت في أذهان كثير من منتسبي منهج السلف في زماننا المعاصر تقليدا لبعض مشايخهم دونما إعمال لعقل ولا بحث عن حقيقة ، فتنبه رحمك الله لذلك ولا تتسرع في الحكم علي من خالفك أو رد عليك ، فلعل كلمة خفيت عليك تتكبر عنها هي الحق الذي أراده الله تعالي ورسوله وكانت هي منهاج النبوة . أسأل الله تعالي التوفيق والسداد .

مبحث في ذكر الجزء المردود من قول المتأخرين ووجه التوفيق بين القولين.

ونلخص ما نتعقبه فى كلام مشايخنا وَهُوَ زعمهم إيمان كفار العرب أو توحيدهم في الرُّبُوبِيَّة . بل الحق أنهم كانوا كفارا بالرُّبُوبِيَّة ككفرهم بالأُلُوهِيَّة والأَسمَاء وَالصِّفَات . فهم قد كفروا بكل أنواع التَّوحِيد لم يؤمنوا بنوع منه ، وإن كانوا مقرين بمَسَائِل في كل نوع من أنواع التَّوحِيد الثلاثة فهَذَا لا يدخلهم في الإِسلَام ولا يطلق عليهم مسمي مؤمنين أو موحدين بقسم من الأقسام . [4]

---

[1] أيسر التفاسير لكلام العلي الكبير 248/1 .

[2] لمجموعة من العلماء - عدد من أساتذة التفسير تحت إشراف الدكتور عبد الله بن عبد المحسن التركي ، صادر عن مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف.

[3] التفسير الميسر 271/1.

[4] قال ابو القاسم المدني : (وأزيد إما أن هَذَا من مشكلات التقسيم وأن من قسم من العِلما أدخل بعضها في بعض فأثبت أشياء لا ينبغي أن تثبت لأقوام بأعينهم كمن يقول إن الفاكهة هي الموز والبرتقال والتفاح والقثاء مثلا فإذا قال كان فلان يأكل فاكهة فسيفهم أنه ربما كان يأكل قثاء والعكس إذا قيل ليس من الفاكهة العنب فإذا قيل كان

فهم - أي المشركون - قد أقروا ببعض مَسَائِل الرُّبُوبِيَّة فلا يقَالَ آمنوا بالرُّبُوبِيَّة أو وحدوا الله توحيد ربوبية ، ولكن يقَالَ أقروا ببعض مَسَائِل الرُّبُوبِيَّة وقد يقَالَ كفروا بالرُّبُوبِيَّة لأن إنكارهم مَسَائِل فيها - أي في الربوبية - عاد بهم إلي الكفر فيها ، فحق عليهم كفرهم بالرُّبُوبِيَّة كلها ، فإثبات الكفر المطلق - لكفار قريش - في قسم من أقسام التوحيد الاصطلاحية أو في مجمله له وجه مقبول لان الكفر في جزء من جزئيات التوحيد ينقض التوحيد كله ، بخلاف إثبات الايمان المطلق في قسم من أقسام التوحيد الاصطلاحية أو في مجمله لأن الإقرار أو الإيمان - تنزلا - بجزء من التوحيد لا يكمل التوحيد ولا يعد مؤمنا ولا حتي في تلك الجزئية التي زعم أنه مؤمن بها، وكذلك أقروا ببعض مَسَائِل الأُلُوهِيَّة فلا يقَالَ آمنوا بالأُلُوهِيَّة أو وحدوا الله بالأُلُوهِيَّة - وهَذَا لم يقل به مسلم ، ولكننا قلناه استطرادا للمسألة السابقة - بل يقَالَ أقروا ببعض مَسَائِل الأُلُوهِيَّة وكفروا ببعضها ، وقد يقَالَ كفروا بالأُلُوهِيَّة لأن كفرهم في بعض مَسَائِلها عاد بإقرارهم في مَسَائِل أخري إلي الكفر فحقت عليهم التسمية وإطلاق الكفر . وكذلك القول في الأَسمَاء وَالصِّفَات .

ومنشأ الخلط في تلك المسألة هي حصر - أو توهم أو عدم التفطن لدقائق الكلام وجعل - توحيد الرُّبُوبِيَّة متمثل - فقط - في الخلق والرزق والتدبير والإحياء والإماتة ، ولكن - البصير - يعلم أن توحيد الرُّبُوبِيَّة هو توحيد الله تَعَالَي بأفعاله ، فكل ما كان من أفعاله داخل في توحيد الرُّبُوبِيَّة ، فمن ءامن بذلك فهو موحد بالرُّبُوبِيَّة ومن نقض مسألة من مَسَائِله فقد نقض كل هَذَا النوع ويصبح إطلاق الإِيمَان عليه من باب السفسطة و تسمية الشيء بغير اسمه .

فلان يأكل فاكهة فلابد أنه لم يكن يأكل العنب وهكذا ، وأن التقسيم صحيح في مجمله أولا يترتب علي عدم الدقة فيه مشكلة حقيقية ولكننا نحن من نجحف ونزيد ما لم يزده الله ورسوله فمثلا لم يقل الله تَعَالَي ولئن سألتهم من ربهم ليقولن الله بل ولا معني هَذَا اللفظ إذ كان الأمر علي العكس حيث يطالبهم بتحقيق هَذَا القول أي أن يقولوا ربنا الله).

والأحكم الوقوف علي ما ثبت في الشرع بعدم إطلاق الإيمَان والتَّوحِيد عليهم في أي من أنواع التَّوحِيد الاصطِلَاحِيَّة وعليه فلا يطلق لفظ إيمان بالرُّبُوبِيَّة أو آمنوا بتوحيد الرُّبُوبِيَّة أو غير مشركين بالرُّبُوبِيَّة ولا يقَالَ أقروا بتوحيد الرُّبُوبِيَّة إذ هم لم يقروا بكل مَسَائِله والله المستعان .

مبحث في الرد علي زعم أن مدلول كلمة الإيمَان مختلف ، وبيان الإيمَان الذي أراده الله تَعَالَي من خلقه

قَالَ قائل : (ففرق بين تعريف الإيمَان عند أهل السُّنَّة والذي كما يقول شيخ الإسلَام هو تعريفه عند الإطلاق وفرق بين تعريفه عند التقييد فتنبه قَالَ تعالى :" أَفَبِالْبَاطِلِ يُؤْمِنُونَ وَبِنِعْمَةِ اللَّهِ يَكْفُرُونَ" [1]) [2]

أقول : حينما يطلق عالم لفظة إيمان فيتبادر الذهن إلي الإيمَان المطلوب من العباد ، فلا يصح أن يطلق عالم - مهما علا قدره - لفظة يكون في سماعها فتنة لبعض المسلمين ، وعليه فمن يزعم أن الإيمَان الذي يقوله عن مشركي العرب ليس الإيمَان الذي يقوله عن المسلمين مع أن المسألتين في باب واحد من أبواب العَقِيدَة ؟!

بل الإيمَان المطلوب من العباد واحد ، حققه المسلمون ونقضه الكافرون ، ومن حققه يقَالَ حققه ومن حقق جله ونقض مَسَائِل فيه يقَالَ نقضه ولا يقَالَ حققه ، وعليه فمن ءامن بالتَّوحِيد يقَالَ مؤمن ومن ءامن بجل مَسَائِله وكفر بمَسَائِل قليلة منه يقَالَ كافر ولا يقَالَ مؤمن .

وقد أفهم من نقلك : (ففرق بين تعريف الإيمَان عند أهل السُّنَّة) أن لأهل السُّنَّة تعريف للإيمان ، ولا تجهله حفظك الله ، فلماذا حينما تذكر الكفار تذكر نفس لفظة الإيمَان بلا تقييد بأن هذه اللفظة مدلولها غير مدلول لفظة الإيمَان السابقة التى تذكرها عن أهل السُّنَّة ؟! هذه زلة زللت فيها حينما لبست علي الناس بلفظة واحدة قصدت بها معنيين في مكانيين متقاربين ، ظن المسلم أن المراد من اللفظة واحد ثم زعمت أن لكل لفظة منهما مدلولها .

---

1 سورة العنكبوت 67

2 هَذَا رد الأخ الفاضل مُحَمَّد أمين المشرفي الوهراني علي ذات الموضوع السابق ذكره .

ثم قولك بأن هناك فرق بين تعريف الإيمَان عند الإطلاق والتقييد ! يلزم من يقول بأن مشركي العرب كانوا مؤمنين بالرُّبُوبِيَّة بأن يقيد كلامه ويفصله ! فإيمانهم ليس بإيمان ولا توحيد ! ولكنه اعتراف وإقرار وإن سماه الله تعالى إيمانا فليس المقصود به الإيمَان الذي حققناه نحن ! وعليه فهناك فرق بين قولي : أنا مؤمن بالرُّبُوبِيَّة وأبو جهل مؤمن بالرُّبُوبِيَّة !!! طبعا هناك فرق شاسع ، لأن إيماني ليس كإيمان أبى جهل ! فإيماني اعتقاد بقلبى وقول بلساني وانقياد بجوارحي ، أما إيمان أبي جهل فاعتراف باللسان فى بعض المَسَائِل ! وعليه فليس هو بإيمان إلا إذا فصلت ،

ثم في قول الله تَعَالَي : (أَفَبِالْبَاطِلِ يُؤْمِنُونَ) [1] أقاويل معروفة كما في تفسير القرطبي :

قَالَ قتادة : أفبالشرك . وقَالَ يحيى ابن سلام : أفبإبليس .

(وَبِنِعْمَةِ اللَّهِ يَكْفُرُونَ) [2] قَالَ ابن عباس : أفبعافية الله . وقَالَ ابن شجرة : أفبعطاء الله وإحسانه وقَالَ ابن سلام : أفبما جاء به النبي صَلَّي اللهُ عَلَيهِ وَسَلَّمَ . أ.هـ

فقف يا أخي حيث وقف القوم تفلح ، وإلا فقد تفتحُ علي نفسك باب الجدال العقيم الذي يودي بصاحبه المهالك ، ولا عليك بقول فلان أو فلان إذا تبينت لك مخالفتهم ، فكل امرىء حجيج نفسه .

والسبب الذي جعلنا ننبه علي هَذَا الأمر ، هو اشتهاره بين عامة الناس ، الذين لا يفرقون بين ألفاظ اللغة ! - التي تجيد معانيها أنت - فرأيتُ كثيرا منهم يرمون أناسا بأنهم مؤمنون بالرُّبُوبِيَّة ومشركون بالأُلُوهِيَّة ! علي ما فهموه من هذه المسألة ، وقَالَوا باللفظ : هم ككفار قريش ، لأن كفار قريش ءامنوا بالرُّبُوبِيَّة وأشركوا بالأُلُوهِيَّة ! ، وقولهم لا شك خطأ فادح وتكفير للمسلمين ظاهر ،

[1] سورة العنكبوت 67

[2] سورة العنكبوت 67

نتج عن جهل فاضح وتقليد أعمي لبعض المشايخ ، وتعليم خاطىء من بعض الشيوخ جعل الأمر فتنة على كثير من العَوَام ، فتنبه لما نبهتك إليه . فليس الأمر ، انتقادا لمجرد الإنتقاد ! أو شهوة فى التكلم والرد ، عافانا الله وإياك من ذلك .

بل هناك مصيبة كبيرة يقع فيها - بالفعل - كثير من عوام المسلمين ، وهي رمي - بعض - المسلمين بالكفر الصريح ، وتشبيههم بكفار قريش ، بدعوي أن كليهما مؤمن بالرُّبُوبِيَّة ، ولم يدرِ المسكين الفرق بين إيمان المسلم - حتى وإن فعل المحرمات ووقع فى الشبهات أو اقترف الكبائر والبدع - وإيمان رأس الكفر وطاغية الأمة أبي جهل وقومه ! فتنبه أخي رَحِمَكَ اللهُ لمغزي كلامي .

مبحث في ذكر مقالَة للأخ أبي عمر السمرقندي في تصحيح خطأ مشهور انتشر بين طلبة العِلم .

كتب الأخ الفاضل أبو عمر السمرقندي [1] **حَفِظَهُ اللهُ** مبينا خطئا مشهورا يقع فيه كثير من طلبة العِلم دون أن يشعروا ، فقَالَ : (الحمدلله رب العالمين ، والصلاة والسلام على أشرف الأنبياء والمرسلين وعلى آله وصحبه أجمعين ... أما بعد

- فمن الأمور الذائعة المشهورة بين كثير من طلبة العِلم أنَّ مشركي العرب إنما كان شركهم في توحيد الأُلُوهِيَّة فحسبُ ، وأما توحيد الرُّبُوبِيَّة والأَسمَاء وَالصِّفَات فكانوا موحدين فيها [2] .
- وهَذَا الأمر على إطلاقه هكذا غير صحيح لدلالة نصوص الكِتَاب والسُّنَّة على خلافه .
- فقد دلَّت دلائل الكِتَاب والسُّنَّة على أنَّ مشركي العرب (وقريش منهم خاصة) كانوا واقعين في جملٍ من شرك الرُّبُوبِيَّة والأَسمَاء وَالصِّفَات .

[1] أحد إخواننا أعضاء ملتقي أهل الحديث .

[2] يجادل في هَذَا بعض الإخوة زاعمين عدم وجود من يقول بذلك ، وسنفرد له فصلا لتبيه فقط .

• والموضوع فيه شيءٌ من البسط ؛ ولعلّي أشير ههنا إلى نبذٍ مختصرةٍ تكون جامعةً لشمله ، وافيةً بمقصوده .

• أما سبب الوهم الذي يتداوله كثير من المبتدئين وبعض الخاصة في هَذَا الأمر فلعلَّ أصله ما ذكره الشَّيخ الإمَام المجدِّد : مُحَمَّد ابن عبدالوهاب رَحِمَهُ اللهُ في بعض كتبه ، ومِنهَا كشف الشبهات , من قضايا ، كان فيها شيءٌ من الإجمال ؛ مِنهَا :

1- ما ذكره من : أنَّ مشركي العرب أحسن حالاً من مشركي زمانه رَحِمَهُ اللهُ وزماننا أيضاً ؛ وذلك لأنهم كانوا يدعون الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَي وحده في الضراء بعد أن كانوا يشركون معه غيره في السرَّاء ، ولهَذَا شواهد من الكِتَاب والسُّنَّة ؛ كقوله تعالى : ((وإذا ركبوا في الفلك دعوا الله مخلصين له الدين فلما نجاهم إلى البَرِّ إذا هم يشركون)) ، وأما مشركو زمانه وهَذَا الزمان فإنهم يدعون البدوي أو عبدالقادر أو غيرهما حتى وقت الشدة .

2- ما ذكره من : أنَّ المشركين كانوا مقرِّين لله بربوبيته وأفعاله ، موحدين إياه فيها ؛ ولهَذَا شواهد مِنهَا : قوله تعالى : ((ولئن سألتهم من خلقهم ليقولنَّ الله فأنى يؤفكون)) وكقوله تعالى : ((ولئن سألتهم من خلق السماوات والأرض وأنزل من السماء ماءً)) ، وغيرها من الآيات .

• قَالَ أبو عمر : وهاتان القضيتان صحيحتان في الجملة ؛ لكن كان في المشركين (نوع) شركٍ في الرُّبُوبِيَّة ، والأَسمَاء وَالصِّفَات ؛ كما كان عندهم نوع شرك في توحيد الأُلُوهِيَّة .

• وبيان هَذَا في النقاط التالية :

1- النقطة الأولى : أنَّ مشركي العرب ما كانوا يوحِّدون العبادة كلها لأصنامهم ؛ بل كانت لهم عبادات لله تعالى ؛ كالذبح والنذر والصلاة والحج والصوم والإطعام وغير ذلك .

• لكنَّ شركهم الذي كفروا به [1] إنما كان في (إشراكهم غير الله) فيما هو من خصائص الله تعالى ؛ وذلك بصرف شيءٍ من أنواع العبادة لغيره .

• كالذبح لله ولغيره ، ودعاء الله ودعاء غيره ، ورجاء الله ورجاء غيره ، والخوف من الله والخوف من غيره ومحبة الله ومحبة غيره ، و ... و ... الخ .

• أما أنهم كانوا متمحِّضين في الوثنية فهَذَا لم يكن ؛ كحال كثير من أمم الكفر الغارقة في الوثنية ؛ كطوائف من الهندوس ، وأشتات من وثنيي أفريقيا وأدغال الأمازون و ... الخ .

• فهذه الأمم - فيما يحكى عنهم - تتوجَّه بالعبادة كلها إلى غير الله ، وكثير منهم لا يعرف أنَّ له إلهاً في السماء أصالةً .

• إذا تبيَّن هَذَا عُلِمَ أنَّ مشركي العرب كانوا يشركون بأفرادٍ من توحيد الأُلُوهِيَّة ، وَهُوَ : توحيد الله بأفعال العباد ، ولم يكونوا مشركين بصرف العبادة (كلها) لغير الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَي .

2- النقطة الثانية : أنَّ مشركي العرب مع توحيدهم الله وإقرارهم له سُبْحَانَهُ في (أصل) توحيد الأَسمَاء وَالصِّفَات وتوحيد الرُّبُوبِيَّة إلاَّ أنهم كانوا واقعين في (أفراد) من الشرك في هذين التَّوحِيدين أيضاً .

• قَالَ أبو عمر : وشواهد هَذَا الأمر في الكِتَاب والسُّنَّة كثيرة :

• أما ما كان في شرك العرب في توحيد الأَسمَاء وَالصِّفَات فقوله تعالى : ((ولله الأسماء الحسنى فادعوه بها وذروا الذين يلحدون في أسمائه)) . وقوله تعالى : ((قل ادعوا الله أو ادعوا الرحمن أيَّاً

[1] ليس هَذَا شركهم فقط ، بل أظهر مسألة خالفوا فيها هي توحيد العبادة لأنها المحك العَمَلي للتوحيد .

ما تدعوا فله الأسماء الحسنى)) . وقوله تعالى : ((وهم يكفرون بالرحمن هو ربي لا إله إلاَّ هو عليه توكلت وإليه متاب)) .

• والشاهد من هذه الآيات الثلاثة : أنَّ المشركين كانوا لا يقرُّون ببعض أسماء الله تعالى ؛ كالرحمن .

• وأما ما كان من شركهم في الرُّبُوبِيَّة فقوله صَلَّي اللهُ عَلَيهِ وَسَلَّمَ : ((أصبح من عبادي مؤمن بي وكافر ؛ فأما من قَالَ مطرنا بنوء كذا فذلك كافرٌ بي ن مؤمنٌ بالكوكب ، وأما من قَالَ مطرنا بِفَضلِ الله ورحمته فذلك مؤمنٌ بي ، كافرٌ بالكوكب)) .

• والشاهد من هَذَا الحديث : أنَّ الشرك في الاستسقاء بالنجوم (وَهُوَ نسبة نزول المطر أو سببه إلى الأنواء والنجوم) إنما هو شركٌ في الرُّبُوبِيَّة . ووجه كونه شركاً في الرُّبُوبِيَّة : أنه اعتقاد تأثير بعض الأنواء بكونها منزلةً للمطر أو سبباً لنزوله ؛ والواجب نسبة إنزال المطر لله وحده ، وعدم جعل شيءٍ سبباً لم يجعله الله كذلك . وهذه النسبة تناقض توحيد الرُّبُوبِيَّة ؛ الذي هو توحيد الله بأفعاله ؛ ومن أفعاله : إنزال المطر .

• ومِنهَا : قوله صَلَّي اللهُ عَلَيهِ وَسَلَّمَ : (الطيرة شرك ، الطيرة شرك) ، وقوله صَلَّي اللهُ عَلَيهِ وَسَلَّمَ : (إن الرقى والتمائم والتولة والطيرة شركٌ) . والشاهد من هذين الحديثين : أنَّ الطيرة - وهي التشاؤم - شركٌ في الرُّبُوبِيَّة . ووجه كونه شركاً في الرُّبُوبِيَّة : أنه اعتقاد تأثير بعض الأعيان أو الأزمان بالشر والسوء على الناس ؛ والواجب نسبة الخلق لله وحده ، وَهُوَ يناقض توحيد الرُّبُوبِيَّة ؛ الذي هو توحيد الله بأفعاله .

• وكذا الاعتقاد في التولة (وَهُوَ ما يصنع من الرقى التى تحبب أحد الزوجين للآخر) أنها جالبة للنفع ، أو الرقى عموماً أنها دافعة للضر ؛ كالعين والسحر والجن ، فهَذَا كله من الشرك في توحيد الرُّبُوبِيَّة .

• وكذا قولهم : (وما يهلكنا إلاَّ الدهر) ؛ فهَذَا نسبة الإماتة للدهر ، وَهُوَ شركٌ في الرُّبُوبِيَّة .

• وكذا قولهم في الشجرة المتبرَّك : (اجعل لنا ذات أنواط كما لهم ذات أنواط) ؛ فقَالَ لهم صَلَّي اللهُ عَلَيهِ وَسَلَّمَ : (قلتم والذي نفسي بيده كما قَالَ قوم موسى لموسى : " اجعل لنا إلهاً كما لهم آلهة " ، ووجهه اعتقاد جلب النفع من غير الله وَهُوَ شرك في الرُّبُوبِيَّة .

• وكذا حرمة التصوير ؛ بتعليل : (المضاهاة لله تعالى في الخلق) ، هو من هَذَا الباب ، وكان المشركون أصحاب تماثيل وتصاوير .

قَالَ أبو عمر السمرقندي : ومن تتبّع وجد أكثر مما ذكرت من الأمثلة الخاطرة السائرة على الذهن .

• قَالَ أبو عمر : ولو جعلنا (توحيد الحاكمية) قسماً رابعاً من أقسام التَّوحِيد - وَهُوَ وجهة نظر - ولكنه خلاف المشهور إذ هو فرد من أفراد توحيد الأُلُوهِيَّة ، أقول : ولو جعلناه قسماً رابعاً لقلنا إنَّ مشركي العرب - وغيرهم كاليهود - كانوا واقعين أيضاً في شرك الحاكمية .

• قَالَ أبو عمر : قد تقدَّم نقاش سالف في مسألة كون الحاكمية قسماً من أقسام التَّوحِيد أو ليس مِنهَا ؛ فلا داعي لطرحه ههنا من جديد .

• قَالَ أبو عمر : فإن قَالَ قائل - وقد قيل - : فكيف يُجمع يين ما ذكره الله في كتابه من إقرار المشركين بأفراد الرُّبُوبِيَّة وبين ما ذُكِر من وقوعهم في أجناس من الشرك به ؟! . فالجواب سهلٌ :

وَهُوَ أَنَّ الإقرار محمول على الإقرار من حيث (الجملة) ، وليس في كلِّ الأفراد . وأما الشرك الذي كانوا واقعين فيه فهو في بعض الأفراد دون بعض .

• قَالَ أبو عمر : وينبغي على هذه النتيجة حمل كلام الأئمة المجمل عليه : كقول الشَّيخ الإِمَام مُحّمَّد ابن عبدالوهاب رَحِمَهُ اللهُ في كشف الشبهات : (وإلاَّ فهؤلاء المشركون مقرُّون يشهدون أنَّ الله هو الخَالِق الرازق وحده لا شريك له ... فإذ أردت الدليل على أنَّ هؤلاء المشركين الذين قاتلهم رسول الله صَلَّي اللهُ عَلَيهِ وَسَلَّمَ يشهدون بهَذَا فاقرأ قوله تَعَالَي : (قل من يرزقكم من الموات والأرض ... فسيقولن الله ، فقل : أفلا تتقون ؟) ... فإذا تحقَّقت أنهم مقرُّون بهَذَا وأنه لم يدخلهم في التَّوحِيد ...) . الخ كلامه رَحِمَهُ اللهُ .

• والشَّيخ رَحِمَهُ اللهُ إنما أراد الردَّ على مشركي زمانه الذين كانوا يفسرون التَّوحِيد بالرُّبُوبِيَّة فحسبُ ؛ فبيَّن أنَّ شرك العرب كان (معظمه) في الأُلُوهِيَّة ؛ وَهُوَ ماكانوا واقعين فيه ؛ وَهُوَ اتخاذهم الوسائط إلى الله ؛ فشركهم مثل شرك من قبلهم ؛ بل أشد .

• وقد عنون هو رَحِمَهُ اللهُ في كتابه الآخر (التَّوحِيد) أبواباً يفهم مِنهَا هَذَا الذي بيَّنته ونبَّهت عليه ؛ كباب من تبرَّك بشجرة أو حجر أو نحوهما ، وباب ما جاء في التطيُّر ، وباب ما جاء في الاستسقاء بالأنواء ، وباب قوله : (ألم تر إلى الذين يزعمون أنهم آمنوا بما أنزل إليك ...) ، وباب من سبَّ الدهر فقد آذى الله ، وباب من جحد شيئاً من الأَسمَاء وَالصِّفَات ... الخ ، والنصوص التي أوردها تحت هذه الأبواب أوضح بيان على ما ذكرت .

• وقَالَ في مَسَائِل الجاهلية : المسألة 38 : الإلحاد في الصفات ؛ كقوله تعالى : ((ولكن ظننتم أنَّ الله لا يعلم كثيراً مما تعملون)) .

• وفي المسألة 39 : الإلحاد في الأسماء ؛ كقوله : ((وهم يكفرون بالرحمن)) .

• وكذا من المجمل قول حفيدة الشَّيخ عبدالرحمن بن حسن : ((أما توحيد الرُّبُوبِيَّة : فهو الذي أقرَّ به الكفَّار على زمن النبي صلى الله ليه وسلَّم)) ؛ أقول : أقرَّ به الكفَّار جملةً .

• وكقول الإمَام الصنعاني في أول كتابه : تطهير الاعتقاد ؛ نحو هَذَا .

• وكقول الشَّيخ أحمد ابن إبراهيم ابن عيسى في كتابه : (الرد على شبهات المستعينيين بغير الله) : ((القسم الأول : توحيد الرُّبُوبِيَّة ... وهَذَا القسم قد أقرَّ به مشركوا العرب)) فهو مجمل يحمل على ما بيَّنته من التفصيل .

• وكذا قوله وغيرُهُ في الكِتَاب نفسه : (أول ما حدث الإلحاد في أسماء الله وصفاته بنفي ما دلَّت عليه الأَسمَاء وَالصِّفَات مقَالَة لجعد ابن درهم ... الخ) فهَذَا غلطٌ على إجماله ، والصواب وَهُوَ الذي يحمل عليه كلام الشَّيخ وغيره أنه قد حصل من المشركين نفي شيءٍ منه كما تقدَّم ؛ لكنَّ الأَوَّلية التي حصلت بالجعد إنما كانت بعد ظهور الإسلَام . والحمد لله رب العالمين ، والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته .) انتهي كلامه [1] . وقد بين ما تكلمنا عنه فأجاد في عرضه وأفاد فجزاه الله خيرا.

[1] أصل كلامه منشور في ملتقي أهل الحديث تحت عنوان : (كان مشركوا العرب واقعين في الشرك في أنواع التَّوحِيد الثلاثة (تصحيحٌ لخطأ مشهور) .) .

فَصْلٌ فِي ذِكرِ دعوة الرسل إلي توحيد الرُّبُوبِيَّة وبطلان زعم من يزعم أنهم لم يبعثوا من أجله

وليعلم الناس أن التَّوحِيد الذي أراده الله تَعَالَي من العبيد هو توحيد كامل ، غير منقوص ، أي توحيد الله في ربوبيته وألوهيته وأسمائه وصفاته ، فالله تَعَالَي حينما أرسل رسله إلي خلقه أرسلهم ليجردوا التَّوحِيد لله تَعَالَي ، وليفردوه تَعَالَي بالتَّوحِيد دون كل ما سواه فى كل ما يُوَحَّد فيه سُبْحَانَهُ ، وإن كانت العبادة أشهر مسالة دعا الانبياء أقوامهم إليها فلا يعني ذلك أنهم أرسلوا من أجلها فقط ، بل أرسلوا من أجل التَّوحِيد جملة وتفصيلا . ولا أعلم واشمل وأحكم وأسلم من الوقوف على ما وقف عليه السَّلَف الصالح .

وقد بينَّا فيما سبق - وبين العُلَمَاء كثيرا - أقسام وأنواع التَّوحِيد التي ترجع كلها إلي كلمة واحدة وهي الإسلَام . فمن زعم الإسلَام فلابد أنه قد حقق هَذَا التَّوحِيد ، وإن نقض مسألة من مَسَائِل التَّوحِيد فقد انتقض إسلامه بقدرها ، كما ثبت عن أبي بكر الصديق رَضِيَ اللَّهُ عَنهُ قوله لعمر : (إن من حقها الزكاة) .

وعليه فقد أرسل الله تَعَالَي رسله وأنزل كتبه لدعوة الناس إلي توحيد الله تَعَالَي فى كل ما يتضمنه أو يستلزمه توحيد الله . وليس كما يظن البعض أن الرسل أرسلت إلي تقرير توحيد الأُلُوهِيَّة لا الرُّبُوبِيَّة ! بدعوى أن بعض العرب كانوا يقرون لله تَعَالَي بالرُّبُوبِيَّة ، وهَذَا غير صحيح ، وحجتنا أن نقول : (وما موقف من ينكر مَسَائِل الرُّبُوبِيَّة - علي قول من يقول أن النبي بعث لتوحيد الأُلُوهِيَّة - من دعوة النُّبُوَّة ؟! ، ثم ما موقف من ليس من عرب الجزيرة الذين ينكرون الخَالِق أصلا كالملحدين أو الهندوس أو عبدة النار وغيرهم ؟!) وعليه يتبين خطأ من يزعم أن النبي صَلَّي اللَّهُ عَلَيهِ وَسَلَّمَ بعث بتوحيد الأُلُوهِيَّة لأن الكفار كانوا مؤمنين بتوحيد الرُّبُوبِيَّة ، وقد بينَّا -

فى هَذَا البحث -كفرهم بتوحيد الرَّبُوبِيَّة فلا يقَالَ عنهم ءامنوا أو وحدوا الله فى الرَّبُوبِيَّة بل يقَالَ أقروا ببعض مَسَائِلِها وكفروا بالباقي فلا يطلق عليهم ذلك .

قَالَ الشَّيخ الحازمي : (حينئذٍ سؤال دائمًا نطرحه هل دعت الرسل إلى توحيد الرَّبُوبِيَّة ؟

الجواب : نعم ، خلافًا لما يظنه البعض من طلاب العِلم .

هل أرسلت وبعثت الرسل من أجل توحيد الرُّبُوبِيَّة ؟ الجواب : لا . [1]

هل دعا الرسل إلى توحيد الرُّبُوبِيَّة ؟

نعم قطعًا ، دعت الرسل إلى توحيد الرُّبُوبِيَّة ، ما أُرسل الرسل إلا من أجل التَّوحِيد بأنواعه الثلاثة ، فعلَّمُوا الناس وأقاموا الحجة على الخلق ببيان الأنواع الثلاثة ، لكن هل أرسلت الرسل والأنبياء من أجل توحيد الرُّبُوبِيَّة ؟ الجواب : لا ، وإنما أرسلوا من أجل تحقيق لا إله إلا الله .) [2]

فقد بين الشَّيخ ما نوهنا إليه بأن الرسل دعت إلي توحيد الرُّبُوبِيَّة كما دعت إلي توحيد الأُلُوهِيَّة ، غير أنه خالف في قوله بأن الرسل لم تبعث من أجل توحيد الرُّبُوبِيَّة . لأن الرسل -كما وضحنا - بعثت وأرسلت من أجل التَّوحِيد - بكل أركانه وأقسامه وأنواعه وفروعه - لأقوامهم وبُعِثَ خاتمهم صَلَّي اللهُ عَلَيهِ وَسَلَّمَ بهَذَا التَّوحِيد لأمته الخاتمة التي هي كافة الناس من لدن بعثته وإلي قيام الساعة ، وفي تلك الأمة - من لدن النبي صَلَّي اللهُ عَلَيهِ وَسَلَّمَ وإلي قيام الساعة ، حتى لا يقَالَ لم يكن ذلك علي عهده صَلَّي اللهُ عَلَيهِ وَسَلَّمَ - من الملل والنحل والأهواء والفرق والكفر ما يشيب منه الولدان ، فمنهم من ينكر الخَالِق ومنهم من يقر به ومنهم من يلحد ومنهم من يعتقد أن الكون خلق نفسه ومنهم من يؤمن بالتطور ومنهم من يعبد النار ومنهم من يعبد الوثن ومنهم من يعبد

---

[1] إجابة هَذَا السؤال غير صحيحة وقد بيناه عقب النقل . فتفهمه .

[2] شــرح سلم الوصول إلى علم الأصول ، للشيخ أحمد بن عمر الحازمي (الشريط الرابع) بتصرف .

البشر والحجر والشجر . وغير ذلك من الأهواء التي كانت موجودة علي عهد النبي صَلَّي اللهُ عَلَيهِ وَسَلَّمَ في كل بقاع الأرض ، فليس بصحيح أن يقَالَ أن النبي لم يبعث من أجل توحيد الرُّبُوبِيَّة ، وهنا يقَالَ لمن يزعم ذلك : (إذا لم يبعث النبي من أجل هَذَا التَّوحِيد فلماذ دعا إليه ؟!) وهنا يبهت ولا يجيب ، لأن كل ما دعا الرسول إليه فقد بُعِثَ مِن أجله .

قَالَ الشَّيخ الألباني رَحِمَهُ اللهُ : (توحيد الرُّبُوبِيَّة المقصود منه أن يعتقد المسلم اعتقاداً جازماً أن خالق هَذَا الكون بما فيه واحد في ذاته، ليس له ند، .. ، وليس له شريك، المجوس يعتقدوا أنه فيه إلهين، إله خالق الشر، وإله خالق الخير، هذول أشركوا في توحيد الرُّبُوبِيَّة، عرفت كيف؟، فإذا المسلم - لا سمح الله - اعتقد أن مع الله من الأولياء والصالحين من يضر وينفع، ويحيي ويميت، ويطعم ويرزق، كفر بالتَّوحِيد، توحيد الرُّبُوبِيَّة، وأشرك؛ لأنه جعل خالقَين، الله بيخلق الخير، بيخلق الشر، وكمان الأولياء والصالحين وبيرزقوا وبحييوا وبيموّتوا، لذلك بيروحوا لعندهم، يطلبون منهم بركات.) [1] ومن ذلك تعلم أن هناك من كانوا مشركين في الرُّبُوبِيَّة وقد أرسل النبي صَلَّي اللهُ عَلَيهِ وَسَلَّمَ لهم أيضا ليدلهم علي التَّوحِيد بكلأ انواعه التي يتعارف عليها المتأخرون .

ومَن خالف شعيرة واحدة - من أصول الدين - دعا النبي صَلَّي اللهُ عَلَيهِ وَسَلَّمَ إليها فقد خالف الإسلَام الذي بعث النبي صَلَّي اللهُ عَلَيهِ وَسَلَّمَ من أجله . فليس عاقل يقول بأن النبي صَلَّي اللهُ عَلَيهِ وَسَلَّمَ دعا الناس إلي شيء لم يبعث من أجله ! ولا عاقل يزعم أن شعيرة واحدة دعا النبي صَلَّي اللهُ عَلَيهِ وَسَلَّمَ الناس إليها لم يبعث من أجلها !!! ،

وهنا لابد من ذكر لمحة مهمة وهي خطأ كثير من الإخوة الذين يزعمون أن النبي صَلَّي اللهُ عَلَيهِ وَسَلَّمَ لم يبعث إلا من أجل التَّوحِيد ! - ويالها من كلمة عظيمة ، تقوَّل قائلها علي الله تَعَالَي

---

[1] موسوعة العلامة الإمَام مجدد العصر مُحَمَّد ناصر الدين الألباني (2 / 63 - 64) بترقيم الشامله . صنعه / شادي بن مُحَمَّد بن سالم آل نعمان . وهي تفريغ لمادة صوتية .

وعلي رسوله صَلَّي اللهُ عَلَيهِ وَسَلَّمَ بغير علم - وما دروا أن النبي صَلَّي اللهُ عَلَيهِ وَسَلَّمَ بعث بالإِسلَام كاملا غير منقوص ، فمن أداه - أي أدي ما بلغه منه واستطاعه - فقد حرم ماله ودمه وحسابه علي الله تَعَالَي ، ومن ترك أو جحد منه شيئا فهو علي قدر تركه ومخالفته ملوم .

وياتري - أسئلة استنكارية - ؛ هل يقاتل أبو بكر الصديق أناسا لأنهم أنكروا الزكاة وطمعوا فيها ولم يخرجوها مع أنهم وحدوا الله فى ألوهيته وربوبيته وأسمائه وصفاته وأدوا كل ما عليهم ؟! أولم يعلم ما علمه القائلون بأن النبي صَلَّي اللهُ عَلَيهِ وَسَلَّمَ لم يبعث إلا من اجل توحيد الأُلُوهِيَّة ؟! فيالله ! كلمة تقَالَ لا يلقي لها المسلم بالا ربما تهوي به في جهنم وتوبق دنياه وآخرته .

فإن قَالَ القائل - أي الزاعم القول السابق - : (بل كل شعيرة من الدين مطلوبه ودعا النبي صَلَّي اللهُ عَلَيهِ وَسَلَّمَ إليها لكنه لم يبعث من أجلها) نقول له ومن أين لك بهذ الزعم يا آخِر ؟! . هل جهله أو لم يعلمه الأقدمون حتي أتيت به أنت ؟! وما الدليل علي كلامك ، هل قَالَ النبي صَلَّي اللهُ عَلَيهِ وَسَلَّمَ بعثت من أجل كذا ولم أبعث من أجل كذا ولكنكم مأمورون به - أو قَالَ ما شابه ذلك أو قاربه - ؟! كلا ، لم يقل ذلك ولا ما يقاربه .

بل وردت السُّنَّة بخلاف ما تقول ، وَهُوَ أنهم رَضِيَ اللهُ عَنهُم كانوا يتعبدون الله بكل ما قَالَه النبي صَلَّي اللهُ عَلَيهِ وَسَلَّمَ ولم يفصلوا هَذَا سنة وهَذَا واجب وهَذَا مكروه وهَذَا حرام ، بل ولم يكثر التهاون بالدين إلا حينما كثرت الفلسفة في إيصاله أو - زعم - فهمه . وماذا يضيرك أخي إن وقفت علي ما وقف عليه سلفك الصالح ؟ فقف حيث وقفوا تفلح .

ولا أظن الشَّيخ الحازمي [1] وفقه الله تعمد لوازم كلمته التي قَالَها ولا أظنه يقصدها ويبين ذلك قوله في شرح كتاب التَّوحِيد : (لَمَّا كان التَّوحِيد ثلاثة أنواع : توحيد الرُّبُوبِيَّة ، وتوحيد الإلهية ،

[1] أبو عبد الله، أحمد بن عمر بن مساعد الحازمي .

وتوحيد الأَسمَاء وَالصِّفَات . هذه ثلاثة أنواع لا يحصل الإيمَان بالله تعالى إلا بتحقق هذه الثلاثة معًا) [1] وقوله حين قَالَ : (دعت الرسل إلى توحيد الرُّبُوبِيَّة، ما أُرسل الرسل إلا من أجل التَّوحِيد بأنواعه الثلاثة، فعلَّمُوا الناس وأقاموا الحجة على الخلق ببيان الأنواع الثلاثة) [2] إذ بين أن المطلوب من الانسان الإيمَان كاملا وهو التَّوحِيد بأنواعه الثلاثه . وَهُوَ ما أُرسِلَ النبي صَلَّي اللهُ عَلَيهِ وَسَلَّمَ لدعوة الناس إليه .

---

[1] شرح كتاب التَّوحِيد للشيخ أحمد بن عمر الحازمي ، الشريط الثاني والثمانون .

[2] شرح سلم الوصول في علم الأصول (4 – 4) للحازمي .

فصل في ذكر من قَالَ بشرك الرُّبُوبِيَّة في هَذِهِ الأُمَّةِ والرد على من زعم أن مقصد الأنبياء هو الألوهية دون الربوبية .

قَالَ الشَّيخ مُحّمَّد ابن الحسن ولد الددو وفقه الله مبينا بعض من خالف في توحيد الرُّبُوبِيَّة من هَذِهِ الأُمَّةِ : (والذين يخالفون في هَذَا التَّوحِيد [1] أجناس، منهم الدهرية، والطبيعيون الذين نسميهم في زماننا هَذَا بالشيوعيين، الذين ينكرون وجود إله أصلاً، ويزعمون أن هذه الحياة مادة، وأن طبيعة العالم تفرز الطفرات، وأن الطفرة الكبيرة التي اقتضت الانقسام بين السماء والأرض، واقتضت توزع الكائنات هي منشأ هَذَا العالم، ومِنهَا تغيرت الأمور وكانت بطبيعتها تتولد وتحتك، والاحتكاك الدائم الذي فيها يقتضي حصول تنوع شديد .

كذلك من الذين ينكرون توحيد الرُّبُوبِيَّة الذين يزعمون أن لهَذَا العالم خالقين وهما: النور، والظلمة. وهؤلاء يسمون بالمانوية، وهم يزعمون أن النور هو إله الخير، وأن الظلمة هي إله الشر، وأنه لا خالق لهَذَا العالم سوى هذين الإلهين، تعالى الله عما يقولون علواً كبيراً.) [2] انتهي بتصرف ، والسؤال هنا نقول : هل بعث النبي صَلَّي اللهُ عَلَيهِ وَسَلَّمَ لهؤلاء بتوحيد العبادة فقط دون توحيد الرُّبُوبِيَّة أم أنه بعث إليهم بكل أنواع التَّوحِيد ؟! وهل ياتري لو قبلوا عبادة الله تَعَالَي غير معتقدين فيه صفات الرُّبُوبِيَّة هل يقبل منهم ويكونوا محققين لما بعث به النبي صَلَّي اللهُ عَلَيهِ وَسَلَّمَ أم لا ؟!

وقَالَ الشَّيخ مُحّمَّد ابن إبراهيم الحمد في بيان الفرق التي أشركت بالرُّبُوبِيَّة [3] : (هناك أقوامٌ أشركوا بالرُّبُوبِيَّة، وفِرَقٌ أشركت به، ومن هؤلاء:

1 - المجوس: الأصلية ، قَالَوا بالأصلين : النور والظلمة، وقَالَوا: إن النور أزليٌّ، والظلمة محدثة.

---

[1] يقصد به توحيد الرُّبُوبِيَّة .

[2] دروس صوتية للشيخ مُحّمَّد بن الحسن ولد الددو قام بتفريغها موقع الشبكة الإسلَامية (24 / 8) بترقيم الشاملة .

[3] انظر شرح العَقِيدَة الطحاوية لابن أبي العز الحنفي، تحقيق الشَّيخ أحمد شاكر، ص24_26. عزو الشَّيخ الحمد .

2 - الثنوية: أصحاب الاثنين الأزليّن : يزعمون أن النور والظلمة أزليان قديمان، بخلاف المجوس الذين قَالَوا بحدوث الظلام، لكن قَالَوا باختلافهما في الجوهر، والطبع، والفعل، والخبر، والمكان، والأجناس، والأبدان، والأرواح، ولم يقولوا بتماثلهما في الصفات والأفعال، كما ترى، وإن قَالَوا بتساويهما في القدم.

3 - المانوية: أصحاب ماني ابن فاتك : قَالَوا: إن العَالَمَ مصنوع من أصلين قديمين، ولكن قَالَوا باختلافهما في النفس، والصورة، والفعل، والتدبير.

4 - النصارى: القائلون بالتثليث : فالنصارى لم يثبتوا للعالم ثلاثة أرباب ينفصل بعضها عن بعض، بل هم متفقون على أنه صانع واحد يقولون: باسم الأب والابن وروح القدس إله واحد، ويقولون: واحد بالذات ثلاثة بالأقنوم. أما الأقانيم فإنهم عجزوا عن تفسيرها. وقولهم هَذَا متناقض أيما تناقض وتصوره كافٍ في رده، قَالَ شيخ الإسلَام ابن تيمية ــرَحِمَهُ اللهُ تعالى ــ: =ولهَذَا قَالَ طائفة من العقلاء: إن عامة مقَالَات الناس يمكن تصورُها إلا مقَالَة النصارى، وذلك أن الذين وضعوها لم يتصوروا ما قَالَوا، بل تكلموا بجهل، وجمعوا في كلامهم بين النقيضين ولهَذَا قَالَ بعضهم: لو اجتمع عشرة نصارى لتفرقوا عن أحدَ عشرَ قولاً.

وقَالَ آخر: لو سألت بعض النصارى وامرأته وابنه عن توحيدهم لقَالَ الرجل قولاً، وامرأته قولاً آخر، وابنه قولاً ثالثاً [1] .

وقَالَ ابن القيم- رَحِمَهُ اللهُ تعالى - في معرض رده عليهم : أما خبر ما عندكم أنتم فلا نعلم أمةً أشدَّ اختلافاً في معبودها منكم؛ فلو سألت الرجل، وامرأته، وابنته، وأمه، وأباه، عن دينهم لأجابك كلٌّ منهم بغير جواب الآخر [1] .

---

[1] الجواب الصحيح لمن بدل دين المسيح لابن تيمية 155/2.

بل قيل فيهم: لو توجهت إلى أي نصراني على وجه الأرض، وطلبت منه أن يصور لك حقيقة دينه، وما يعتقده في طبيعة المسيح تصويراً دقيقاً لما استطاع ذلك [2] .

هَذَا **وقد بيَّن الشَّيخ رحمةُ الله الهندي** [3] **رَحِمَهُ اللهُ** في كتابه (إظهار الحق) ما عندهم من التناقض، وكذلك الشَّيخ الفقيه مُحَمَّد أبو زهرة [4] رحمه الله في كتابه (محاضرات في النصرانية) .

5 - القدرية: هم في الحقيقة مشركون في الرُّبُوبِيَّة، وهَذَا لازم لمذهبهم؛ لأنهم يرون أن الإنسان خالقٌ لفعله، فهم أثبتوا لكل أحد من الناس خَلْقَ فعله.

والخلق إنما هو مما اختص الله به، قَالَ تعالى: [وَاللَّهُ خَلَقَكُمْ وَمَا تَعْمَلُونَ] [5].

وأفعال العباد لا يخرجها شيء من عموم خلقه - عز وجل - [6].

6 - الفلاسفة الدهرية: في قولهم في حركة الأفلاك بأنها تسعة، وأن التاسع مِنهَا وَهُوَ الأطلس يحرك الأفلاك كلها، فجعلوه مبدأ الحوادث، وزعموا أن الله يحدث ما يقدره في الأرض.

7 - عبدة الأصنام من مشركي العرب وغيرهم: ممن كانوا يعتقدون أن الأصنام تضر وتنفع، فيتقربون إليها، وينذرون لها، ويتبركون بها.

8 - غلاة الصوفية: لغلوهم في الأولياء، وزعمِهم أنهم يضرون، وينفعون، ويتصرفون في الأكوان، ويعلمون الغيب، ولقولهم بوحدة الوجود، وربوبيةِ كلِّ شيءٍ [1] .

---

[1] هداية الحيارى في أجوبة اليهود والنصارى لابن القيم، ص321.

[2] مايَجِبُ أن يعرفه المسلم عن حقائق النصرانية والتبشير لإبراهيم الجبهان، ص13.

[3] مُحَمَّد رحمت الله بن خليل الرحمن الكيرانوي العثماني الهندي الحنفي (المتوفى: 1308هـ)

[4] محمد بن أحمد مصطفى أحمد المعروف بأبي زهرة المتوفي 1974م

[5] (سورة الصافات: 96)

[6] انظر مجموع الفتاوى 258/8 والإيمَان بالقضاء والقدر للكاتب ص173_174.

9 - الروافض: لقولهم بأن الدنيا والآخرة للإمام، يتصرف بها كيف يشاء، وأن تراب الحسين شفاءٌ من كل داء، وأمانٌ من كل خوف، ولقولهم: إن أئمتهم يعلمون الغيب، ويعلمون متى يموتون، ولا يموتون إلا بإذنهم.

وهَذَا باطل، وبطلانه لا يحتاج إلى دليل، بل إن فساده يغني عن إفساده [2] .

10 - النصيرية : لقولهم بألوهية علي ابن أبي طالب، وبأنه المتصرف بالكون، لوصفهم إياه بأوصاف لا يَجُوزُ أن يوصف بها أحد إلا الله - عز وجل - مع اختلاف أقوالهم في هَذَا؛ فبعضهم يقول: إنه يسكن في الشمس ويُسَمَّون بـ: الشمسية.

وبعضهم يقولون: إنه يسكن في القمر، ويُسَمَّون بـ: القمرية.

وبعضهم يقولون: إنه يسكن في السحاب، ولذا إذا رأوا السحاب قَالَوا: السلام عليك يا أمير النحل [3] .

11 - الدروز: لقولهم بألوهية الحاكم بأمر الله العبيد، وغلوهم فيه، ووصفِه بأوصافٍ لا تليق إلا بالله وحده، كقولهم عنه: إنه يعلم خائنة الأعين وما تخفي الصدور [4] .

12 - من يعتقدون تأثير النجوم والكواكب والأسماء : وذلك كحال الذين يتتبعون الأبراج ويقولون - رجماً بالغيب - إذا ولد فلان في البرج الفلاني أو الشهر الفلاني أو اليوم الفلاني، أو كان اسمه

[1] انظر هذه هي الصوفية لعبد الرحمن الوكيل، ص35_38 و133.

[2] انظر الخطوط العريضة لمحب الدين الخطيب، تحقيق: مُحَمَّد مال الله، ص69، وانظر مسألة التقريب بين أهل السُنَّة والشيعة، د. ناصر القفازي، ج290/1، والشيعة والسُنَّة لإحسان إلهي ظهير، ص66.

[3] انظر الحركات الباطنية في العالم الإسلَامي، د. مُحَمَّد بن أحمد الخطيب، ص341، ودراسات في الفرق لصابر طعمية، ص42، والنصيرية، د. سهير الفيل، ص93_103، والباكورة السليمانية في كشف أسرار الديانة النصيرية لسليمان الأذني، دار الصحوة.

[4] انظر عقيدة الدروز، عرض ونقض د. مُحَمَّد بن أحمد الخطيب، ص117، وانظر الحركات الباطنية، ص233_238.

يبدأ بحرف كذا أو كذا - فسيصيبه كذا وكذا، ويضعون عليها دعاياتٍ تقول: مِنْ شهر ميلادك تعرف حظك، أو من اسمك تعرف حظك.

كل ذلك شرك في الرُّبُوبِيَّة؛ لأنه ادعاءٌ لعلم الغيبِ، والغيبُ لا يعلمه إلا الله وحده لا شريك له.

13 - القانونيون: الذين يَصدون ويصدفون عن شرع الله، والذين يحكمون الناس بالقوانين الوضعية، التي هي من نحاتة أفكارهم، وزبالة أذهانهم. فهؤلاء محاربون لله، منازعون له في ربوبيته وحكمه وشرعه [1] .) [2] انتهي كلامه رَحِمَهُ اللهُ .

وفي كلامه تفصيل كاف للمسألة يتبين مِنهَا أن في أمتنا صنوف كثيرة من المشركين بالله تَعَالَي شركا أصليا ، ومن كلامه نفهم أن كل هذه الفرق والصنوف الكفرية داخلة في أمة النبي صَلَّي اللهُ عَلَيهِ وَسَلَّمَ ، وقد بعث النبي عَلَيهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَام لهم بالتَّوحِيد الخالص وَهُوَ كما أسلفنا توحيد لا يشتمل علي شرك في جزئية من جزئياته بلا تقسيم ولا تفريع ، فهل نقول لمن يزعم أن النبي لم يبعث من أجل توحيد الرُّبُوبِيَّة أن شرك هؤلاء خارج عن مضمون الرسالة التي بعث بها نبينا صَلَّي اللهُ عَلَيهِ وَسَلَّمَ ؟! فإن قَالَ نعم فقد رد الكِتَاب وإن قَالَ لا فقد عاد إلي قولنا بأن النبي بعث بتوحيد الرُّبُوبِيَّة والأُلُوهِيَّة والأَسمَاء وَالصِّفَات ودعا إليهم جميعا ولزمه الرجوع عن زعمه أن النبي صَلَّي اللهُ عَلَيهِ وَسَلَّمَ لم يبعث من أجل توحيد الرُّبُوبِيَّة .

وخلاصة القول - حتي لا يتشتت الذهن - أن النبي صَلَّي اللهُ عَلَيهِ وَسَلَّمَ أُرسِلَ بالتَّوحِيد الكامل - ألوهية وربوبية وأسماءا وصفاتا وشرائع وعبادات [3] - يدعوا الناس إليه ويعرفهم عليه ، فمن قبل منه

[1] انظر رسالة تحكيم القوانين لسماحة الشَّيخ مُحَمَّد بن إبراهيم آل الشَّيخ رَحِمَهُ اللهُ .

[2] رسائل الشَّيخ مُحَمَّد بن إبراهيم الحمد في العَقِيدَة (3 / 8 - 11)

[3] لأن من انكر مسالة شرعية من العبادات التي هي أصول الدين لا يَجُوزُ مخالفتها فقد نقض شهادة التَّوحِيد بل والإِسلَام كله وعليه يكفر .

- ما بلغه واستطاعه من - التَّوحِيد أسلم ونجا ومن رد عليه مسألة منه كفر وخاب وخسر - وكل بحسبه - .

فصل في بيان تناقض القائل - بأن شرك مشركي العرب كان فى العبودية وأنهم كانوا مؤمنين بالرُّبُوبِيَّة - مع لازم قوله. [1]

بعدما تبين لك أيها البصير ما قدمناه من وجوب اتباع الحق والتجرد له وحرمة التعصب لأقوال البشر فيما خالفوا فيه الهدي النبوي[2] ، نبين لك - حفظك الله - الرد علي زعم من زعم - وإن كان من كان ! فلا عليك بالأسماء بقدر الأقوال - أن مشركي العرب كانوا مؤمنين أو موحدين بالرُّبُوبِيَّة وأنهم كانوا كفارا بالأُلُوهِيَّة وأن الأنبياء بعثوا من أجل توحيد العبادة وليس من أجل توحيد الرُّبُوبِيَّة . فأعرني سمعك وبصرك .

فأبدأ بالجواب علي سؤال السائل : هل شرك العرب كان في الرُّبُوبِيَّة أم في الأُلُوهِيَّة ؟

أقول : التَّوحِيد الذي أراده الله تَعَالَي وأمر به من حيث القبول كل لا يتجزأ. ومَن قَسَّمَهُ فقد قسمه اصطِلَاحِيًا لتقريب المفاهيم، وأما في الحقيقة وعلى أرض الواقع فالتَّوحِيد شيء واحد لا يمكن تقسيمه أبدا. ولذلك فلا ينبني علي التقسيم ذاته فعل .

فلم يُقَسِمه ربنا تبارك وتعالى في كتابه ولم يقسمه نبينا صَلَّي اللهُ عَلَيهِ وَسَلَّمَ ولا أصحابه رَضِيَ اللهُ عَنهُم ولا أحدا من السابقين من صالح السَّلَف .

بل دُعِينا إلى التَّوحِيد جملة ولم يفصل ربنا بأن التَّوحِيد كذا دون كذا ، وقبلناه جملة ورد الكفار ما لم تهواه عقولهم وتقبله نفوسهم واعترفوا بما لم يؤثر علي شهواتهم واهوائهم ، فقسم العُلَمَاء بناء علي أهواء الكفار وقبولهم وردهم التَّوحِيد والأجدر والأولي أن يكون التَّوحِيد كما يحب ربنا ويرضي وليس كما يفعل الكفار ويألفون . وعليه ، فمن نقض مسألة من التَّوحِيد فقد نقض التَّوحِيد كله ولم

---

[1] (فيه بيان خطأ قول من يقول هَذَا ، لأنه تكلم من كيسه وحمل الكلام على غير الظاهر منه ،و أن هَذَا الفهم مغبته عظيمة على العَوَام حيث يرمون الناس بهَذَا الامر العظيم وليس كل مقر ومعترف مؤمن إلا علي طريقة من قال بأن الإيمَان هو المعرفة)

[2] انظر الفصل الأول في الكتاب .

يعد مؤمنا بجزء كافرا بجزء!

وليس من السُّنَّة الاستطراد فى هذه التقسيمات - إلا على سبيل المدارسة بين أهل الفن - حتى لا تكون على بعض الجهلا ء - وقد كانت - ترة وفتنة.

أما من باب الاصطلاح بين أهل الفن - العَقِيدَة - ، فتعارف جمع من العُلَمَاء على تقسيم التَّوحِيد إلى قسمين وبعضهم إلى ثلاثة أقسام وبعضهم إلى اربعة أقسام ، ولكل وجهة هو موليها ، وعلى كل ، فكل هذه التقسيمات صحيحة وسائغة من باب الاصطلاح لتقريب المفهوم الشرعي من التَّوحِيد ولا يترتب عليها عمل أو حكم مطلقا ، ولكن ثارت ثائرة بعض من لا يقبل خلافا سائغا من أحد ، ومن أرباب التعصب المذهبى على إخوانهم ، وبدعوهم وشنعوا عليهم لمجرد اجتهادهم فى هَذَا التقسيم ، وهَذَا - ولا حول ولا قوة إلا بالله - للجهل الفاضح والتعصب الجامح الذى وقعوا فيه!

فياليت شعري ! كيف ينكر رجل على رجل مسألة قَالَ فيها بذات القول ؟! والله المستعان.

ثم إن أشهر تقسيمات العُلَمَاء اصطِلَاحِيًا للتوحيد هى القول الثاني وَهُوَ القول بثلاثة اقسام.

حيث قسم بعض العُلَمَاء التَّوحِيد إلي : - توحيد الرُّبُوبِيَّة و توحيد الأُلُوهِيَّة و توحيد الأَسْمَاء وَالصِّفَات وَهُوَ أشهر التقسيمات بين المتأخرين .

ثم صنف العُلَمَاء الفِرَقَ والطوائف اصطِلَاحِيًا حسب مخالفتهم فى أقسام التَّوحِيد حسب كل قسم ، وَهُوَ اجتهاد مقبول لا نكير عليه وإن كان لا يخلوا من مناقشة!

فصنفوا كفار قريش على أنهم أثبتوا - أو آمنوا - قسما من التَّوحِيد وَهُوَ توحيد الرُّبُوبِيَّة ! وأنكروا باقى أقسامه وَهُوَ توحيد الأُلُوهِيَّة والأَسْمَاء وَالصِّفَات!

والحق أنهم لم يثبتوا لله توحيد الرُّبُوبِيَّة كاملا! ولم ينكروا توحيد الأُلُوهِيَّة كاملا! ، بل اعترفوا بالرُّبُوبِيَّة وأقروا لله ببعض مَسَائِله فقط ! وليس الاعتراف والإقرار بإثبات لتوحيد ولا بإيمان ، وليس إقرارهم لله بالأُلُوهِيَّة مع اتخاذهم معه شركاء بمدخل لهم في الإِسلَام ، لأنهم خالفوا كل أنواع

التَّوحِيد وأشركوا بالله تعالى فى الرُّبُوبِيَّة واتخذوا أصناما يضاهئون بها الله تعالى وقَالَوا ما نعبدهم إلا ليقربونا الى الله زلفى!

وعليه فهم لم يؤمنوا بأن الله تعالى هو رب هَذَا الكون ، وإن زعموا الإيمَان فهو ليس بإيمان بقدر ما هو اعتراف إجمالي وتَقَوُّلٌ لفظي فقط !! فافهم ذلك رعيت .

فليس كل من اعترف بشىء فهو مؤمن به ! وليس كل من ادعي دعوي فهو صادق فيها !

فهَذَا إبليس اللعين الذى يعترف بأن الله هو الخَالِق البارىء المستحق للعبادة ، ومع ذلك فهو رأس الكفر والضلال والشرك والإلحاد !! فليس اعترافه بإيمان ، وعليه فلم يقل أحد مِن أَهلِ العِلم بأن إبليس مؤمن بالله تَعَالَي ربا وإلها ومستيقن بذلك قلبه غير أنه كافر كفر إباء واستكبار فقط، مع أن هَذَا كلام حق لا شك فيه ! غير أن كفره هَذَا نفي عنه جميع التَّوحِيد فسمي كافرا مشركا .

وكذا ليس اعتراف كفار قريش بأن الله خالق السماوات والأرض بدليل على أنهم مؤمنون بربوبية الله تعالى! إذ كيف تزعم أنهم آمنوا بقسم كبير من التَّوحِيد مع أنهم لم يقروا إلا ببعض جزئياته فأثبَتَّهُ لهم كلَّه ؟! ثم وقعت في تناقض مع نفسك حينما - خالفت قاعدتك السابقة التي قعدتها - زعمت أنهم كفروا بالأُلُوهِيَّة مع أنهم أقروا ببعض جزئياته أيضا ؟!

ولأن الرُّبُوبِيَّة والأُلُوهِيَّة شىء واحد لا يتجزأ إلا فى العقول !!! أما على أرض الواقع فهما مترابطان متلازمان وأقل شك فى أحدهما ينقض الآخر !

وعليه فلا يَجُوزُ ولا يصح أن يُنشر بين عموم الناس بأن كفار قريش كانوا مؤمنين بربوبية الله أو موحدين توحيد ربوبية - !! كما يفعل بعض إخواننا عَفَا اللهُ عَنهُم - فهَذَا من الجهل الفاضح ! إلا إذا بينت ووضحت بأن هَذَا تقسيم لفظي اصطِلَاحِيٌ وليس بتقسيم شرعي!

فليسوا فى الشرع موحدين ولا مؤمنين ! بل هم كفار أصليون أي كفار بالتَّوحِيد كله و كفار بأجزاءه كلها.

كمن ءامن بنبوة كل الأنبياء وأنكر نبوة مُحّمَّد أو عيسي أو موسي أو إبراهيم ! فليس بمؤمن بل هو كافر ، لإنكاره معلوما من الدين بالضرورة ولأن الكفر بواحد منهم يستلزم- بل هو بالفعل - الكفر بالباقين ، ولأنهم إخوة لعلات دينهم واحد وأمهاتهم شتي.

وكمن ءامن بالله ربا وبالإسلَام دينا وبمُحّمَّد نبيا وبالقرآن دستورا وبكل شرائعه ثم انكر الزكاة ولم يؤدها وجحدها ! فهو ليس بمسلم ، بل هو مرتد كافر حلال الدم إذا لم يتب ، ويَجِبُ على ولى الأمر محاربته إن كان له شوكة أو أخذ الزكاة منه ونصف ماله معها تعزيرا ، كما فعل خليفة المسلمين الأول أبو بكر الصديق مع مانعي الزكاة!

قَالَ الشَّيخ رضا أحمد صمدي حَفِظَهُ اللهُ مقررا ما قلناه : (أما كون المشركين أقروا بالرُّبُوبِيَّة ولم يقروا بالأُلُوهِيَّة فليس دقيقا ، فمن المشركين من أقر بالأُلُوهِيَّة ولكنهم لم يوحدوه بالأُلُوهِيَّة وبالاستحقاق الكامل والفرد للعبادة ... كما أن من المشركين من أنكروا الرُّبُوبِيَّة أيضا فجعلوا لكل شيء في الخليقة ربا يخلقه ويتولى أمره .. ولعل تفصيل شيخ الإسلَام مبني على ما قص القرآن من حال مشركي العرب وغالبهم كان على هذه الحال ، ولكن هَذَا لا يمنع أن هناك مشركين على صفات أخرى ، ونص القرآن ينطبق عليهم..) [1]

فافهم ذلك بارك الله فيك ، ولا تنسق وراء قول كل قائل وفهمه دون مراعاة لنصوص الشرع فتهلك ، فدونك البحر الرائق فخذ منه وخل القنوات ....

وكذا لا يَجُوزُ تشديد النكير على من خالف فى اجتهاده هذه التقسيمات ! فهى ليست بتقسيمات واجبة الاتباع ! وهي محض اجتهادات للعُلَمَاء من استقراءهم للكتاب والسُّنَّة !

فلا يصح أن ننزل اجتهادهم فى غير منزلته ، ولا يصح تبديع - فى أقصي الحالات وأشدها مخالفة - من ينكر هذه التقسيمات ، ما دام معتقدا مضمونها ، الذى اعتقده الصَّحَابَة الاطهار ومن تبعهم

[1] في رد علي موضوع (الفروق بين توحيد الرُّبُوبِيَّة والأُلُوهِيَّة) للشيخ عبدالله زقيل ، منشورا علي ملتقي أهل الحديث .

بإحسان ! ، فليس هَذَا من السُّنَّة....

فمن ينكر ويشدد النكير على من يؤمن بالله تعالى ربا وبما يستحقه من صفات الجلال والكمال ويتعبد الله بما أمر سائرا على فهم السَّلَف ولكنه رفض هذه التقسيمات ، فقد دخل - الذي ينكر علي من هَذَا حاله - فى الضلال المبين والفهم السقيم والفتنة الجامحة التى لن تبقى ولن تذر.

فضع كل قول فى محله وافهمه بضوابطه ولا تميع أو تشدد فالدين يسر ولن يشاده أحد إلا غلبه.

مبحث في الرد علي من زعم أن الرسل لم يبعثوا من أجل توحيد الربوبية .

قال الشيخ محمد بن عبد الوهاب رحمه الله متحدثا عن إقرار مشركي العرب بالربوبية : - (وعرفت أن إقرارهم بتوحيد الربوبية لم يدخلهم في الإسلام، وأن قصدهم الملائكة، والأنبياء، والأولياء، يريدون شفاعتهم والتقرب إلى الله بذلك هو الذي أحل دماءهم وأموالهم. عرفت حينئذ التوحيد الذي دعت إليه الرسل وأبى عن الإقرار به المشركون.) بالطبع إقرارهم ببعض مسائل الربوبية لم يدخلهم في الاسلام وهذا كان واقع حالهم ، ولو أنهم أقروا بكل مسائل الربوبية والألوهية إلا مسألة واحدة فلن يدخلوا كذلك في الإسلام ، حالهم كحال من يؤمن إيمانا كاملا بكل الأنبياء ولكنه ينكر نبوة نبي واحد منهم ! فهو كافر بالله تعالي وبأنبياءه ! وقد رد **الشيخ بن عبد الوهاب رحمه الله** علي شبهة قريبة من هذا فقال : "كما قال تعالى: {إِنَّ الَّذِينَ يَكْفُرُونَ بِاللَّهِ وَرُسُلِهِ وَيُرِيدُونَ أَنْ يُفَرِّقُوا بَيْنَ اللَّهِ وَرُسُلِهِ وَيَقُولُونَ نُؤْمِنُ بِبَعْضٍ وَنَكْفُرُ بِبَعْضٍ وَيُرِيدُونَ أَنْ يَتَّخِذُوا بَيْنَ ذَلِكَ سَبِيلًا - أُولَئِكَ هُمُ الْكَافِرُونَ حَقًّا وَأَعْتَدْنَا لِلْكَافِرِينَ عَذَابًا مُهِينًا}[1] فإذا كان الله قد صرح في كتابه أن من آمن ببعض وكفر ببعض فهو الكافر حقا، وأنه يستحق ما ذكر، زالت الشبهة. وهذه هي التي ذكرها بعض أهل الإحساء في كتابه الذي أرسله إلينا. ويقال أيضا: إن كنت تقر أن من صدق الرسول في كل شيء، وجحد وجوب الصلاة أنه كافر حلال الدم والمال بالإجماع، وكذلك إذا أقر بكل شيء إلا البعث،

[1] سورة النساء: 150 – 151

وكذلك لو جحد وجوب صوم رمضان وصدق بذلك كله لا تختلف المذاهب فيه، وقد نطق به القرآن كما قدمنا. فمعلوم أن التوحيد هو أعظم فريضة جاء بها النبي - صلى الله عليه وسلم - وهو أعظم من الصلاة والزكاة والصوم والحج فكيف إذا جحد الإنسان شيئا من هذه الأمور كفر، ولو عمل بكل ما جاء به الرسول، وإذا جحد التوحيد الذي هو دين الرسل كلهم لا يكفر، سبحان الله ما أعجب هذا الجهل. " [1]

واما قول الشيخ " عرفتَ حينئذ التوحيد الذي دعت إليه الرسل وأبى عن الإقرار به المشركون " فلا تظن أن مراده أن التوحيد الذي دعا له الانبياء هو الألوهية فقط ! بل هو التوحيد بكل أقسامه وفروعه ! فلو لم يكن يقصد الشيخ التوحيد بجميع مشتملاته لكان مخطئا ! لأن التوحيد الذي تدعو إليه الرسل واحد لا يقبل جزء منه دون جزء ، وأما حالة المشركين - هنا - في قريش كانت ظاهرة في شركهم في الألوهية ! ولو أنهم كانوا مقرين في الألوهية ومنكرين في الربوبية لقاتلهم رسول الله صلي الله عليه وسلم كما فعل معهم تماما ! ولن يتغير الوضع أبدا .

فلا تخلط رحمك الله وتظن أنه صلي الله عليه وسلم ما قاتلهم إلا من أجل الألوهية ! فيحتج عليك عقلاني بأنه قد يقر بالألوهية كلها ولكنه يعتقد ربوبية غير الله أو ينسب لله تعالي نقصا أو يجرده تعالي عن صفات كماله ونعوت جلاله ! فإن رحت تكفره قال لك :- لم تكفرني وتقاتلني وأنت تزعم أن النبي لم يقاتل المشركين إلا من أجل الألوهية ! وها أنذا أقر بالألوهية ! فتقع في شرك .

ومن هذا الباب أيضا تكفير أهل السنة للفرق المبتدعة المنكرة لأسماء الله تعالي الحسني ! فلم يعدوهم في داخل دائرة الإسلام ! بل أخرجوهم من الملة ! مع أنهم مثبتين لله تعالي الألوهية – في زعمهم – ولكنهم أنكروا أسماءه وصفاته !

[1] كشف الشبهات 38- 39

والصحيح أن الدعوة تكون إلي التوحيد كله ! فمن قبله كله فهو مسلم ومن رد شيئا منه كان كمن رده كله لا يقبل منه صرفا ولا عدلا . فافهم ذلك ترشد .

وقال الشيخ الحازمي وفقه الله : (هل الرسل دعت إلى توحيد الربوبية ؟ أجيبوا : نعم . قل : نعم . هل الرسل بعثت من أجل توحيد الربوبية ؟ لا . حدد لك المراد ، سين جيم . وذكر بعضهم فروقًا بين نوعي التوحيد توحيد الربوبية وتوحيد الأسماء وتوحيد الإلوهية ، منها الاختلاف في الاشتقاق ، لا بد أن نميز بين النوعين لأنه من الشبه وخاصةً في هذا العصر وهو شبهةٌ قديمة لكن الآن أحييت وهي شبهة المتكلمين والأشاعرة ألا فرق بين النوعين البتة ، لا فرق بينهما ، ولذلك إذا أبطل التقسيم رجعنا إلى هذا المعنى ، يعني : إذا أبطلنا التقسيم الثلاثي معناه سوينا بين توحيد الربوبية وتوحيد الإلوهية . نقول : لا ثَمّ فروقًا بينهما في الشرع .)[1] أ.هـ

ولا يخلوا كلامه من اعتراضات ، فإجابته علي السؤال الأول ، هل دعت الرسل إلي توحيد الربوبية ؟ قال نعم . ثم قال ، هل بعثت من أجل توحيد الربوبية ؟ قال لا ! وتلك هي المخالفة التي لا نوافقه عليها .

فالرسل إنما بعثت من أجل توحيد الله تعالي الكامل ، المشتمل علي كل مسألة فيه من غير تقسيم لشيء كما نقسمه نحن في زماننا ، فإن التوحيد الذي فرضه الله علي العبيد شيء واحد يقبل كله أو يرد كله ، فإن كان الله تعالي لا يقبل التوحيد إلا كاملا كان مرسلا أنبياءه به كاملا يدعون إليه كاملا ، فمن أعجب العجب أن يفرق طالب علم بين دعوة الأنبياء إلي توحيد الربوبية والألوهية والأسماء والصفات ! وهذا ناتج عن خلل في التصور العام لمسائل التوحيد الذي أوجبه الله علي العبيد !

---

[1] شرح كشف الشبهات للشيخ الحازمي الشريط الثاني .

وسؤال يطرح نفسه : هل لو - افترضنا أنه - كان المشركون مشركون بالربوبية ومقرون بالألوهية ! سيتركهم النبي صلي الله عليه وسلم ولا يدعوهم إلي إصلاح الخلل في ربوبية الله ؟! الجواب بالطبع لا .

لماذا لم يولي النبي اهتماما كبيرا في دعوتهم للربوبية ؟! الجواب لأنهم كانوا في الظاهر مقرين ببعضها ولكنهم كانوا مخالفين ومنكرين وجاحدين جملة وتفصيلا لألوهية الله تعالي فلذلك أخذت حجما أكبر من غيرها .

هل ثبت أن النبي صلي الله عليه وسلم دعا الناس إلي ربوبية الله ؟ الجواب نعم ، وإليك تفصيل موقف من تلك المواقف .

لما كانت صفات الرُّبُوبِيَّة كل ما يختص بفعل الرب سُبْحَانَهُ وَتَعَالَي ، من الخلق والرزق والتدبير والإحياء والإماتة ، وسماع المخلوقين وعلم سرهم ونجواهم وغير ذلك من صفاته تَعَالَي ، كان الشك في شيء منها شك في ربوبية الله تبارك وتعالي، وقد ورد في القرآن حكاية عن المشركين قَوْله تَعَالَي : {وَمَا كُنْتُمْ تَسْتَتِرُونَ أَنْ يَشْهَدَ عَلَيْكُمْ سَمْعُكُمْ وَلا أَبْصَارُكُمْ وَلا جُلُودُكُمْ وَلَكِنْ ظَنَنْتُمْ أَنَّ اللَّهَ لَا يَعْلَمُ كَثِيرًا مِمَّا تَعْمَلُونَ وَذَلِكُمْ ظَنُّكُمُ الَّذِي ظَنَنْتُمْ بِرَبِّكُمْ أَرْدَاكُمْ } فحكي ظنهم في الله تعالي ! وأن هذا الظن الفاسد في الله تعالي هو سبب فسادهم ووقوعهم .

قَالَ الإِمَام أَحْمَدُ -رَحِمَهُ اللهُ- بسنده عَنْ عَبْدِ اللَّهِ قَالَ: كُنْتُ مُسْتَتِرًا بِأَسْتَارِ الْكَعْبَةِ فَجَاءَ ثَلَاثَةُ نَفَرٍ: قُرَشِيٌّ، وَخَتَنَاهُ ثَقَفِيَّانِ - أَوْ ثَقَفِيٌّ وَخَتَنَاهُ قُرَشِيَّانِ - كَثِيرٌ شَحْمُ بُطُونِهِمْ قَلِيلٌ فِقْهُ قُلُوبِهِمْ، فَتَكَلَّمُوا بِكَلَامٍ لَمْ أَسْمَعْهُ، فَقَالَ أَحَدُهُمْ: أَتَرَوْنَ أَنَّ اللَّهَ يَسْمَعُ كَلَامَنَا هَذَا ؟ فَقَالَ الْآخَرُ: إِنَّا إِذَا رَفَعْنَا أَصْوَاتَنَا سَمِعَهُ ، وَإِذَا لَمْ نَرْفَعْهُ لَمْ يَسْمَعْهُ، فَقَالَ الْآخَرُ: إِنْ سَمِعَ مِنْهُ شَيْئًا سَمِعَهُ كُلَّهُ. قَالَ: فَذَكَرْتُ ذَلِكَ لِلنَّبِيِّ صَلَّي اللهُ عَلَيهِ وَسَلَّمَ، فَأَنْزَلَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ: {وَمَا كُنْتُمْ تَسْتَتِرُونَ أَنْ يَشْهَدَ عَلَيْكُمْ سَمْعُكُمْ وَلا

أَبْصَارُكُمْ وَلا جُلُودُكُمْ} إِلَى قَوْلِهِ: {مِنَ الْخَاسِرِينَ} وَكَذَا رَوَاهُ التِّرْمِذِيُّ عَنْ هَنَّادٍ، عَنْ أَبِي مُعَاوِيَةَ، بِإِسْنَادِهِ نَحْوَهُ . وَأَخْرَجَهُ أَحْمَدُ وَمُسْلِمٌ وَالتِّرْمِذِيُّ أَيْضًا، عَنْ عَبْدِ اللَّهِ ابن مَسْعُودٍ، رَضِيَ اللَّهُ عَنهُ، بِنَحْوِهِ . وَرَوَاهُ الْبُخَارِيُّ وَمُسْلِمٌ أَيْضًا، عَنِ ابْنِ مَسْعُودٍ بِهِ .) انتهي بتصرف .

فتبين من النقل السابق أن مشركي العرب كانوا واقعين فى شرك الرُّبُوبِيَّة ، وإن كانوا مقرين بأجزاء منه ، لأن علم الغيب من الرُّبُوبِيَّة وسماع المخلوقين والقدرة عليهم من صفات الرُّبُوبِيَّة ، فلما أشركوا بالله واعتقدوا فيه ما يجوز في حقه تعالي ، أنكر الله تعالي عليهم ذلك ، وهذه دعوة الرسل ، فإن السرل قد بلغت أقوامها ذلك وناصحتهم ، فكانت الدعوة إلي إصلاح ما انخرم من توحيد الربوبية من دعوة المرسلينوبطل زعم من يزعم أن الأنبياء لم ترسلمن أجل توحيد الربوبية .

ثم نقول لمن يفرق بين توحيد الربوبية وتوحيد الألوهية ! إن النبي صلي الله عليه وسلم ما كتم أمته شيئا أمره الله تعالي بتبليغه إياهم ، وما بلغهم شيئالم يأمره الله تعالي بتبليغه ! فما ينطق عن الهوي وما هو إلا مبلغ عن ربه جل جلاله .

وإن - فرضنا جدلا أنه- كتم النبي صلي الله عليه وسلم شيئا مما هو بين أيدينا الآن لكان غير مبلغ لرسالة ربه علي وجه التمام والكمال ! فلما بلغها علمنا أنها من أصل دعوته ومن صلب رسالته .

وعليه فإنكار النبي صلي الله عليه وسلم علي صحابته المسلمين المؤمنين وتعليمه لهم هو من صلب الدين وإن لم يكن كذلك لما أنكر النبي عليهم ذلكوما أنكر عليهم النبي إلا لما رأي منهم مخالفة ولم يصحح لهم النبي ذلك إلا لأنه مأمور بتصحيح ما يجده من مخالفات في كل الدين وهي مقصد بعثته وغاية رسالته ، فقد روي في الصحيح عَنْ أَبِي مُوسَى الْأَشْعَرِيِّ - رضي الله عنه - قَالَ: (كُنَّا مَعَ رَسُولِ اللَّهِ - صلى الله عليه وسلم - , فَكُنَّا إِذَا أَشْرَفْنَا عَلَى وَادٍ) [1] (ارْتَفَعَتْ أَصْوَاتُنَا بِالتَّكْبِيرِ: اللَّهُ

1 البخاري 2830 , مسلم 2704

أَكْبَرُ اللَّهُ أَكْبَرُ , لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ) [1] (فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ - صلى الله عليه وسلم -: " يَا أَيُّهَا النَّاسُ ارْبَعُوا [2] عَلَى أَنْفُسِكُمْ , فَإِنَّكُمْ لَا تَدْعُونَ أَصَمَّ وَلَا غَائِبًا [3] إِنَّهُ مَعَكُمْ , إِنَّهُ سَمِيعٌ قَرِيبٌ [4]) [5] (هُوَ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَ رُءُوسِ رِحَالِكُمْ [6]) [7] (تَبَارَكَ اسْمُهُ وَتَعَالَى جَدُّهُ [8]) [9] " [10] فهنا تجد الخلل - وان لم يكن مقصودا وهو الظن بهم رضي الله عنهم أجمعين - الذي وقع من الصحابة قد وضحه وبينه النبي الكريم مباشرة ، مع أنه ليس في باب العبادة بل في باب الاعتقاد في صفات الله تعالي .

من الحديث السابق يتضح جليا خطأ ما ذهب إليه الشيخ وغيره ممن يزعمون بأن النبي لم يبعث إلا من أجل توحيد الألوهية فقط وليس من أجل توحيد الربوبية ، والصحيح أن النبي صلي الله عليه وسلم قد أرسل من أجل التوحيد كاملا ، بكل مشتملاته ودقائقه .

مبحث في ذكر الرد علي من تعصب لقوله وزعم أن المشركين كانوا مؤمنين بالرُّبُوبِيَّة بعدما تبين له كفرهم بالأدلة .

قَالَ قائل : (العرب كانوا يؤمنون بالرُّبُوبِيَّة وكان شركهم شرك وسائط وحملهم ذلك على ما يقدح في الرُّبُوبِيَّة لكن لم تفسد فطرتهم كلية لذلك صح إلزام القرءان لهم وقامت بذلك الحجة عليهم فكون

---

1 البخاري 3968 , مسلم 2704

2 (ارْبَعُوا) أَيْ: أَرْفُقُوا وَلَا تُجْهِدُوا أَنْفُسكُمْ. فتح الباري لابن حجر - (ج 9 / ص 189)

3 لَمَّا كَانَ الْغَائِب كَالْأَعْمَى فِي عَدَم الرُّؤْيَة نَفَى لَازِمَهُ لِيَكُونَ أَبْلَغَ وَأَشْمَل

4 زَادَ " قَرِيبًا "؛ لِأَنَّ الْبَعِيد وَإِنْ كَانَ مِمَّنْ يَسْمَع وَيُبْصِر لَكِنَّهُ لِبُعْدِهِ قَدْ لَا يَسْمَع وَلَا يُبْصِر، وَلَيْسَ الْمُرَاد قُرْب الْمَسَافَة؛ لِأَنَّهُ سُبْحَانَهُ مُنَزَّهٌ عَنْ الْحُلُول. فتح الباري لابن حجر - (ج 20 / ص 458)

5 البخاري 2830 , مسلم 2704

6 هذه عند الترمذي 3374 , قَالَ أَبُو عيسى: وَمَعْنَى قَوْلِهِ (هُوَ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَ رُءُوسِ رِحَالِكُمْ) إِنَّمَا يَعْنِي عِلْمَهُ وَقُدْرَتَهُ.

7 (ت) 3374 , مسلم 2704

8 قَالَ الطَّبَرِيُّ: فِيهِ كَرَاهِيَة رَفْع الصَّوْت بِالدُّعَاءِ وَالذِّكْر، وَبِهِ قَالَ عَامَّة السَّلَف مِنْ الصَّحَابَة وَالتَّابِعِينَ. فتح الباري لابن حجر - (ج 9 / ص 189)

9 البخاري 2830 , مسلم 2704

10 الجامع الصحيح للسنن والمسانيد للشيخ صهيب بن عبد الجبار (عيسي الميناوي النابلسي حفظه الله) (1444/1)

التقسيم اصطِلَاحِيٌ ، هَذَا في العبارات ، أما الأنواع فهي شرعية ، من خالفها فهو مبتدع إن لم يكن كافرا "ولئن سألتهم من خلق السماوات والأرض ليقولن الله" كيف نسمي هَذَا الإِيمَان ؟

ولماذا ذكره رب العزة؟ وهل الإِيمَان بالرُّبُوبِيَّة هو توحيد الرُّبُوبِيَّة؟

إن كنا وظفنا ما ذكره علماؤنا توظيفا خطأ هَذَا لا يعني خطأ العِلم الحق الذي جاء في الكِتَاب فيقَالَ تقسيم اصطِلَاحِيٌ !

ولفظة التَّوحِيد كأنها جرت على معنى ما يستحقه الله سُبْحَانَهُ . لا على أساس تحقيق ذلك من العرب ، فكون العرب أمة تؤمن بالله إيمان المشركين وتعبده عبادة المشركين وأنهم كانوا يحجون ويسعون ويطوفون ويكرمون الحجيج تقربا لله على ما زعموه ملة إبراهيم عليه السلام هَذَا لا ينكره إلا مكابر ..

وقصة ابتداء الشرك فيهم من عمرو ابن لحي الخزاعي دلالة واضحة وصريحة في إيمانهم بالرُّبُوبِيَّة بل وتوحيدهم به حيث قَالَوا" إلا شريكا هو لك تملكه وما ملك"

لكن أن يوصف كل العرب بأنهم وحدوا في الرُّبُوبِيَّة فهَذَا لم يقله فيما أحسب عالم من عُلَمَاء التَّوحِيد وإنما يصفونهم بذلك في القدر الذي يصدق معه إطلاق أنهم آمنوا بالرُّبُوبِيَّة أو وحدوا في الرُّبُوبِيَّة وذلك في إثبات إلهين متماثلين متكافئين في الصفات والأفعال، وهَذَا القدر هو الذي لأجله قيل أن العقلاء اتفقوا على توحيد الرُّبُوبِيَّة بما في ذلك العرب فليتامل هَذَا الموضع ولا يتسرع الإخوة في إثبات شيء أو إنكاره فيزيد الخرق على الراقع والله وحده النصير)[1] انتهي .

[1] ذكر ذلك الأخ الفاضل مُحّمَّد أمين المشرفي الوهراني حَفِظَهُ اللهُ في الرد علي موضوع في ملتقي أهل الحديث بعنوان : (هل شرك العرب كان في الرُّبُوبِيَّة أم في الأُلُوهِيَّة ؟!) . وقال قريبا من كلامه غيره . وقد رددنا بذات الرد فى الملتقي غير ألفاظ يسيرة لمناسبة الكِتَابه .

وقد ورد في شرح الشيخ خالد المصلح[1] **وفقه الله** لكشف الشبهات عنوانا نصه : - (إيمان كفار قريش بتوحيد الربوبية)[2] ثم قرر ما هو مشتهر بين علماء عصره من إقرار مشركي العرب بالربوبية من غير تقييد بمسائل دون مسائل . ولكن ليس هنا ثمة تعقب اللهم إلا في العنوان " إيمان كفار قريش " ! ولا أدري أهذا العنوان من تصرف بعض طلبته في تفريغ أشرطة المحاضرات أم من قول الشيخ ذاته ؟! وعلي كل وجب التنبيه علي أنه لا يجوز القول بأنهم كانوا مؤمنين بالربوبية مطلقا ! فهذا كذب علي الله ورسوله .

فقولك : (العرب كانوا يؤمنون بالرُّبُوبِيَّة وكان شركهم شرك وسائط وحملهم ذلك على ما يقدح في الرُّبُوبِيَّة لكن لم تفسد فطرتهم كلية لذلك صح إلزام القرءان لهم وقامت بذلك الحجة عليهم فكون التقسيم اصطِلَاحِيٌ هَذَا في العبارات أما الأنواع فهي شرعية من خالفها فهو مبتدع إن لم يكن كافرا "ولئن سألتهم من خلق السماوات والأرض ليقولن الله" كيف نسمي هَذَا الإِيمَان ؟ ولماذا ذكره رب العزة؟ وهل الإِيمَان بالرُّبُوبِيَّة هو توحيد الرُّبُوبِيَّة؟)

أقول : لا يصح أن تصف من اعترف بمَسَائِل من مَسَائِل الرُّبُوبِيَّة مؤمنا بالرُّبُوبِيَّة ! إذ الرُّبُوبِيَّة مَسَائِل كثيرة لابد للايمان بها الإِيمَان بكل جزئياتها .

وعليه فلم يكن العرب قبل الإِسلَام مؤمنين بالرُّبُوبِيَّة ! وإن اعترفوا بها باللسان جملة ! لأنهم واقعون في نواقضها من مَسَائِل الرُّبُوبِيَّة ذاتها فضلا عن غيرها . فالاعتراف شيء والإِيمَان شيء آخر !

[1] خالد بن عبد الله بن محمد المصلح حفظه الله .
[2] شرح كشف الشبهات للشيخ خالد المصلح (4/2) نسخة الشاملة .

لأن الإعتراف يكون باللسان ولا يلزم أن كل من اعترف بلسانه منقاد قلبه لذلك ، أما الإيمَان فيكون بالقلب واللسان والإنقياد بالجوارح ! وعليه فلا يصح أن تصفهم بالإيمَان فى الرُّبُوبِيَّة ! ولم يقل هَذَا ربنا جل وعلا ولا نبيه عَلَيهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَام ولا أحد من الصَّحَابَة !

أي نعم . لم يقل أحد منهم أن عرب الجاهلية كانوا مؤمنين بالرُّبُوبِيَّة مطلقا ،

بل حكوا اعترافهم ببعض مَسَائِل الرُّبُوبِيَّة كما ذكرت - حفظك الله - قول الله تعالى : (ولئن سألتهم من خلق السماوات والأرض ليقولن الله") وليس هَذَا الاعتراف إيمانا !!!

ولا أدري من أين فَهِمتَ - أنت - أن اعترافهم بشيء يكون إيمانا به ؟! هَذَا خطأ فى الفهم يا أخي .

ثم إن كنت تري أنهم مؤمنون بربوبية الله لمجرد اعترافهم ببعض مَسَائِل الرُّبُوبِيَّة ، فلماذا لم تعترف بإيمانهم بالوهيته أيضا لأنهم يدعونه كما ذكرت أنت فى الأثر الذى نقلته : (" لبيك اللهم لبيك ، لبيك لا شريك لك ، إلا شريكا هو لك تملكه وما ملك") ؟!!!

من خلال نقلك أنت الذي نقلته ، أليسوا يدعونه ؟! بلى يدعونه !

أليسوا يطوفون ببيته ؟! بلى يطوفون !

هل هَذَا اعتراف بالرُّبُوبِيَّة أم بالأُلُوهِيَّة ؟!

اعتراف بالأُلُوهِيَّة ! إذن ،

لماذا لم تقل أنهم مؤمنون بألوهيته ولكنهم كانوا مشركين به فى الأُلُوهِيَّة فقدح اعترافهم بها ؟! (قياسا على قولك السابق (وكان شركهم شرك وسائط وحملهم ذلك على ما يقدح في الرُّبُوبِيَّة)

(.......... اترك الجواب لك ....)

وخلاصة القول هنا ، أنهم كانوا معترفين ببعض مَسَائِل ربوبية الله تعالى ولم يكونوا مؤمنين بالرُّبُوبِيَّة .

فالإيمَان قول باللسان واعتقاد بالجنان وعمل بالجوارح والأركان ! ولا يطلق الإيمَان إلا علي من استكمل الثلاثة معا ، أو من فعل ما استطاعه مِنهَا ولم يشرك بالله شيئا ، ولم يكن الكفار فى مسألة الرُّبُوبِيَّة هكذا أبدا !! بل كانوا معترفين باللسان فقط ! ولا يعد هَذَا إيمانا .

وأما قولك : (كيف نسمي هَذَا الإيمَان ؟ ولماذا ذكره رب العزة؟)

فقلنا أنه اعتراف وليس بإيمان ، فلم يقل الله أنهم مؤمنون ولم يذكره ، بل ذكر اعترافهم وإقرارهم وليس هَذَا بإيمان ، فمن أين أتيت بأن الله قَالَ أنهم مؤمنون ؟ . والإيمَان كما أسلفت لك تعريفه غير خاف عليك .

وأما سؤالك : (وهل الإيمَان بالرُّبُوبِيَّة هو توحيد الرُّبُوبِيَّة؟) فجوابه نعم . الإيمَان هو التَّوحِيد ، فمن وحد الله بربوبيته كان كمن آمن بربوبيته ، فقف حيث الدليل تفلح .

وقولك : (إن كنا وظفنا ما ذكره علماؤنا توظيفا خطأ ، فهَذَا لا يعني خطأ العِلم الحق الذي جاء في الكِتَاب فيقَالَ تقسيم اصطِلَاحِيٌ) أقول : بل إن كنا وظفنا ما ذكره علماؤنا توظيفا خطأ فهَذَا يعنى أننا ملزمون بأن نعود إلى الحق ونوظف كلامه توظيفا صحيحا .

وغير صحيح ما تقوله بأن إطلاق لفظ تقسيم اصطِلَاحِيٌ على هَذَا التقسيم خطأ !!

لأنه بالفعل اجتهاد عُلَمَاء من استقراءهم للكتاب والسُّنَّة ! فلم يقل ربنا بأن التَّوحِيد ثلاثة أقسام أو اثنين أو أربعه ! ولم يقل نبينا صَلَّي اللهُ عَلَيهِ وَسَلَّمَ ذلك ! ولم يقل أحد الصَّحَابَة ذلك ! بل نقل عنهم بأن التَّوحِيد توحيد ! والإيمَان إيمان !

وإن كابرت فى تلك النقطة فيلزمك الدليل الصريح من الكِتَاب والسُّنَّة وأقوال الصَّحَابَة بأن التَّوحِيد ينقسم إلى ثلاثة أقسام هم توحيد الرُّبُوبِيَّة وتوحيد الأُلُوهِيَّة وتوحيد الأَسمَاء وَالصِّفَات !

وإن عجزتَ عن الإتيان بالدليل - وبالطبع لن تُحضِرَهُ لعدم وجوده - فقد رجَعتَ إلى قولنا بأن هَذَا التقسيم اصطِلَاحِيٌ ، ويحسن بك أن تتراجع عن تخطئتك لمن خطأته .

وقولك : (ولفظة التَّوحِيد كأنها جرت على معنى ما يستحقه الله سُبْحَانَهُ . لا على أساس تحقيق ذلك من العرب) فإن كنت تعترف بأن لفظة التَّوحِيد فى الرُّبُوبِيَّة التى يذكرها العُلَمَاء عن العرب كأنها جرت على معنى ما يستحقه الله سُبْحَانَهُ من التَّوحِيد فى الرُّبُوبِيَّة . لا على أساس تحقيق ذلك من العرب ! فلماذ تنسب إلى العرب ما لم يحققوه ؟! وهل ما أقروا به من مَسَائِل قليلة هو ما يستحقه الله تَعَالَي ؟! كلا . وهَذَا هو بيت القصيد.

لم يحقق العرب توحيد الرُّبُوبِيَّة ، فلماذا تذكر أنهم موحدون الله فى ربوبيته ؟ أو مؤمنون بالرُّبُوبِيَّة ؟! أليس هَذَا خطأ محض ؟ ! بلي .

وقولك : (فكون العرب أمة تؤمن بالله إيمان المشركين وتعبده عبادة المشركين وأنهم كانوا يحجون ويسعون ويطوفون ويكرمون الحجيج تقربا لله على ما زعموه ملة إبراهيم عليه السلام هَذَا لا ينكره إلا مكابر ..

وقصة ابتداء الشرك فيهم من عمرو ابن لحي الخزاعي دلالة واضحة وصريحة في إيمانهم بالرُّبُوبِيَّة بل وتوحيدهم به حيث قَالَوا" إلا شريكا هو لك تملكه وما ملك") .

فيا سبحان الله ، وهل هناك إيمان مسلمين وإيمان مشركين ؟! أتزعم أن العرب كانت تؤمن إيمان مشركين وتتعبد عبادة المشركين ثم تحتج بذلك علي كونهم مؤمنين ؟! أي إيمان تقصد يا أخي ؟!

الإِيمَان الذي أراده الله تَعَالَي من عباده واحد ، من فعله فهو مؤمن ومن خالف فيه فليس بمؤمن وسمه ما تشاء .

وهذه تناقضة أخري ! منك حيث زعمت بأن العرب ءامنوا بالرُّبُوبِيَّة ! واستفدت ذلك من قصة عمرو ابن لحي الخزاعي ! وعلى فرض صحة استنباطك لإيمانهم هَذَا ، أقول : ولماذا لم تزعم أنهم ءامنوا فى الأُلُوهِيَّة أيضا ، كما قلت أنهم ءامنوا إيمان المشركين وتعبدوا عبادة المشركين وأنهم كانوا يحجون ويسعون ويطوفون ويكرمون الحجيج تقربا لله على ما زعموه ملة إبراهيم عليه السلام ! ؟ لماذا لم تسم هَذَا إيمانا بألوهية الله تعالى ؟! أليس من التناسق أن تنسبهم إلى الإِيمَان بالأُلُوهِيَّة كما نسبتهم إلى الإِيمَان بالرُّبُوبِيَّة ، لأنهم اعترفوا ببعض مَسَائِل ربوبية الله تعالى ونقضوها وكذلك اعترفوا ببعض مَسَائِل ألوهية الله تعالى ونقضوها ؟! فالله المستعان

وقوله : (لكن أن يوصف كل العرب بأنهم وحدوا في الرُّبُوبِيَّة فهَذَا لم يقله فيما أحسب عالم من عُلَمَاء التَّوحِيد وإنما يصفونهم بذلك في القدر الذي يصدق معه إطلاق أنهم آمنوا بالرُّبُوبِيَّة أو وحدوا في الرُّبُوبِيَّة وذلك في إثبات إلهين متماثلين متكافئين في الصفات والأفعال ، وهَذَا القدر هو الذي لأجله قيل أن العقلاء اتفقوا على توحيد الرُّبُوبِيَّة بما في ذلك العرب فليتامل هَذَا الموضع ولا يتسرع الإخوة في إثبات شيء أو إنكاره فيزيد الخرق على الراقع والله وحده النصير) .

نعود إلى ذات المسألة ثانية ، اعلم أن كل كلمة فى الإِيمَان والكفر يا أخي تقاس بميزان أحس وأدق من ميزان الذهب ! فلا يصح أن تطلق قولا عاما وتقصد استثناءات لم تذكرها ! فهَذَا خطأ .

إذا أردت أن تثتثني فلتستثن ، لكن لا تتكلم بكلام مطلق وتريد أن تخرج منه أشياء لم تذكرها ، وأني لنا بما فى رأسك وخاطرك ؟!

ثم : قولك : (لكن أن يوصف كل العرب بأنهم وحدوا في الرُّبُوبِيَّة فهَذَا لم يقله فيما أحسب عالم من عُلَمَاء التَّوحِيد)

بل قَالَه - بعض - العُلَمَاء فى معرض العموم ، ولم يخصصوه ! ولم يستثنوا ،

ولا يصح أن تفرق بين قولهم (كل العرب) الذى تريده ، وبين قولهم (العرب) مع أن قولهم العرب فقط ، يفهم منه كل العرب ! أى كل من لم يدخل فى الإِسلَام جملة . خاصة إذا لم يستثنوا من كفر بتلك المَسَائِل ، وإن كان هناك أفراد اعترفوا بالرُّبُوبِيَّة كلها ولم يستقيموا لها ويؤمنوا فلا يكونوا مؤمنين ! ففرق - حفظك الله - بين الإِيمَان والإقرار فهو مدار حديثنا ومنشأ الخلاف .

لأنك أنت تعتبر الإعتراف والإقرار إيمانا !

وهذه ليست عقيدة أهل السُّنَّة ولا أظنك تقصد ما يقصده مخالفوا أهل السُّنَّة . فالاعتراف والإقرار ليس بإيمان ، وإلا -كما تعلم بارك الله فيك - لكان إبليس مؤمنا ، فهو يقر ويعترف بربوبية الله ، بل وبألوهيته ! ولكنه لم ينسق لها ولم يؤمن واستكبر ! فهل سنقول عنه أنه مؤمن بربوبية الله ؟! أم انه مقر ومعترف بربوبية الله ؟! بالطبع ، مقر ومعترف ، لكنه غير مؤمن لأن الإِيمَان معروف لك . لا تجهله .

وقولك : (وإنما يصفونهم بذلك في القدر الذي يصدق معه إطلاق أنهم آمنوا بالرُّبُوبِيَّة أو وحدوا في الرُّبُوبِيَّة) لا يصح أن يصفوهم بالتَّوحِيد بإطلاق بحال . فهم ليسوا موحدين . ولا يصح أن يصفوهم بالإِيمَان بإطلاق . فهم ليسوا مؤمنين . إلا أن يستثنوا ويبينوا كما بين ربنا حينما ذكر أنهم يزعمون الإِيمَان ولكنهم مشركون في إيمانهم هَذَا ، فقَالَ تعَالَي : (وَمَا يُؤْمِنُ أَكْثَرُهُمْ بِاللَّهِ إِلَّا وَهُمْ مُشْرِكُونَ) [1]

---

[1] سورة يوسف 106

هَذَا خلاصة القول ، مع حفظ مقامات العُلَمَاء بلا استثناء .

وأعجب وحُق لي العجب ،أن أناسا لم يوحدوا الله تعالى فى الرُّبُوبِيَّة ولم يؤمنوا بربوبيته ، كيف تصفهم بالتَّوحِيد فى الرُّبُوبِيَّة أو الإِيمَان بها ؟! هَذَا تَقَوُّلٌ على الله .

ويكفيك أن تقف حيث وقف رسول الله صَلَّي اللهُ عَلَيهِ وَسَلَّمَ وأصحابه رضى الله عنهم ، فهم أهدي منا سبيلا وأقوم قيلا ، فلم يقولوا ما قلت ولم يصفوهم بما وصفت ! بل ذكروا اعترافهم وإقرارهم فقط ، فسر على الخطي تسلم .

وليس قولنا هَذَا بقدح فى علم عالم أو جرح فيه ، فأني للثري أن يبلغ الثريا ، والرجوع للحق حميد ، والدليل يحج المسلمين ، ولا دليل على قولك حفظك الله .

وقوله : (وذلك في إثبات إلهين متماثلين متكافئين في الصفات والأفعال ، وهَذَا القدر هو الذي لأجله قيل أن العقلاء اتفقت على توحيد الرُّبُوبِيَّة بما في ذلك العرب)

عجيب كلامك ، تنقل الكلام ، وَهُوَ عليك ! سبحان ربى .

نقلك هَذَا يفيد بأن العرب تعترف بوجود إلهين متماثلين متكافئين فى الصفات والأفعال ! - طيب - أنت قلت إلهين ، ولم تقل ربَّين ! فهل تعنى أنهم كانوا مؤمنين بألوهية الله تعالى ؟!

أم أنهم كانوا مؤمنين بربوبيته ولم يؤمنوا بألوهيته ؟! مع أنك من قررت إيمانهم بالرُّبُوبِيَّة وقررت أيضا لشركهم فى الأُلُوهِيَّة ! مع أنه ثبت فى قصة عمرو ابن لحي الخزاعي أنهم كانوا يدعون بقولهم : (لبيك اللهم لبيك لبيك لا شريك لك إلا شريكا هو لك تملكه وما ملك) فهَذَا الدعاء فيه اعتراف بالأُلُوهِيَّة والرُّبُوبِيَّة وإشراك فى الأُلُوهِيَّة والرُّبُوبِيَّة ! فلماذا تصفهم بالإِيمَان فى الرُّبُوبِيَّة ولا تصفهم به فى الأُلُوهِيَّة ؟!

ثم بلفظك الذي قلته : (وذلك في إثبات إلهين متماثلين متكافئين في الصفات والأفعال) أزعم - بل أؤكد لك - أنك أثبت أنهم يثبتون أن هناك ربَّين ، لأنك لو قلت إثبات إلهين فقط لكان هَذَا إثبات لألوهية شريك مع الله - بغض النظر عن كونه يستحق أم لا - أما حينما قلت متماثلين في الصفات والأفعال فقد أشركوا مع الله في الرُّبُوبِيَّة شريكا مماثلا له وهَذَا شرك صريح في الرُّبُوبِيَّة يذهب بكل كلامك الذي ذكرته . والله اعلم .

مبحث في بيان معني قول الشيخ محمد بن عبد الوهاب في ذلك ورفع الالتباس عنه .

قال الشيخ محمد بن عبد الوهاب رحمه الله : - (وإلا فهؤلاء المشركون يشهدون أن الله هو الخالق وحده لا شريك له، وأنه لا يرزق إلا هو، ولا يحيي ولا يميت إلا هو ولا يدبر الأمر إلا هو، وأن جميع السماوات ومن فيهن، والأرضين السبع ومن فيهن كلهم عبيده وتحت تصرفه وقهره.) [1] قلت ولم يقروا بكل مسائل الربوبية بل ببعضها وهي المسائل المشهورة ، ولا يلزم من اقرارهم باللسان ببعض تلك المسائل أن يكونوا مؤمنين بالربوبية ، فالربوبية باب عظيم لا يؤمن به من يزعم بلسانه الاقرار بمسائل معدودة منها . ومعني قوله رحمه الله يشهدون أن الله هو الخالق وحده ليس علي إطلاقه بأنهم مؤمنين بالله ربا ! فالربوبية ليست الخلق والرزق والاحياء والاماتة فقط ! بل هذا منقوض بحوادث كثيرة بيناها وأظهرنا أنهم كانوا مشركين في مسائل باب الربوبية .

وقال الشيخ محمد بن عبد الوهاب في الفصل الثاني من كتاب كشف الشبهات : - (بيان الأدلة على أن المشركين الذين قاتلهم رسول الله صلى الله عليه وسلم مقرون بتوحيد الربوبية ولم يخرجهم ذلك من الشرك في العبادة) [2] ثم قال : - (فإذا تحققت أنهم مقرون بهذا) [3] وهذا كلام مستقيم

---

[1] كشف الشبهات ص4

[2] كشف الشبهات – الفصل الثاني

[3] كشف الشبهات – الفصل الثاني

إن كان يراد به الإقرار ببعض مسائل الربوبية ، وأما إن كان المقصود به الإقرار بباب الربوبية كله فهذا كلام غير مستقيم بل منقوض بكثير من الأدلة التي تبين أنهم كانوا مشركين فيها .

وقول الشيخ بأن إقرار المشركين بتوحيد الربوبية بحاجة إلي تدقيق ! كما أسلفنا ، فلم يكونوا مقريين بتوحيد الربوبية ! لأن التوحيد كله واحد لا يتجزأ ! وأما إقرارهم فكان في بعض مسائل الربوبية ، والاقرار ببعض المسائل لا يعد توحيدا ! ومن الخطأ الواضح أن يصدر للناس أن المسائل التي أقر بها المشركون تعد إيمانا بتوحيد الربوبية ! فالله حينما سماها إيمانا سماها بحسب ما يزعمون ويظنون وما لبث أن نقض كلامهم وفند شبهتم ورد إقرارهم وأثبت شركهم في كل ما يزعمون ، في الألوهية والربوبية والأسماء والصفات ، فالشرك قد طال توحيدهم بأكمله .

ولو أن المشركين كانوا أقروا لله تعالي بالألوهية كاملة لما قبلت منهم لأنهم كانوا واقعين في شرك الربوبية ! وكما أسلفنا ليست الربوبية هي الخلق والرزق والإحياء والإماتة ! بل كل ما هو من أفعال الرب تبارك وتعالي فهو توحيد الله تعالي في ربوبيته .

فصل في ذكر شرك القرشيين فى بعض مسائل من الرُّبُوبِيَّة :

الشرك في الرُّبُوبِيَّة أحد أقسام الشرك الأكبر، وَهُوَ شرك يتعلق بذات الله عز وجل. وَهُوَ صرف خصائص الرُّبُوبِيَّة كلها، أو بعضها لغير الله عز وجل، أو تعطيله عز وجل عن بعضها أو بالكلية ، أو الإلحاد فيها من جعل له شبيه أو شريك أو كفوء له فيها أو في بعضها . ومن أشرك في مسألة من مسائل الربوبية كمن أشرك في جميع مسائلها ، فليس موحدا بالربوبية ولا مؤمنا بها من نقض واحدة من مسائلها ، فافهم ذلك بارك الله فيك فإنه دقيق . ومثله تماما حال من كفر بنبي من الأنبياء وآمن بنبي آخر فهو مكذب للجميع كافر بهم ، وقد بينه ربنا عز وجل في مواضع من كتابه الكريم حيث قد : (وَلَقَدْ كَذَّبَ أَصْحَابُ الْحِجْرِ الْمُرْسَلِينَ) [1] ، وكذلك : (كَذَّبَتْ قَوْمُ نُوحٍ الْمُرْسَلِينَ) [2] ، وكذلك : (كَذَّبَتْ عَادٌ الْمُرْسَلِينَ) [3] ، وكذلك : (كَذَّبَتْ ثَمُودُ الْمُرْسَلِينَ) [4] ، وكذلك : (كَذَّبَتْ قَوْمُ لُوطٍ الْمُرْسَلِينَ) [5] ، وكذلك : (كَذَّبَ أَصْحَابُ الْأَيْكَةِ الْمُرْسَلِينَ) [6] فالله تعالي لم يرسل إليهم سوي رسولا واحدا فلما كذبوه كان تكذيبهم إياه كفر وتكذيب برسالة إخوانه المرسلين وهنا لطيفة بأن الأنبياء كلهم أصحاب رسالة واحدة ، وهذا مقرر في الشرع مثبوت ، قَالَ السعدي رحمه الله : (أصحاب الأيكة: أي: البساتين الملتفة أشجارها وهم أصحاب مدين، فكذبوا نبيهم شعيبا، الذي جاء بما جاء به المرسلون.) [7] .

---

[1] سورة الحجر 80 .
[2] سورة الشعراء 105 .
[3] سورة الشعراء 123 .
[4] سورة الشعراء 141 .
[5] سورة الشعراء 160 .
[6] سورة الشعراء 176 .
[7] تفسير السعدي لسورة الشعراء .

مبحث في ذكر نوع من الفهم القاصر لشرك الرُّبُوبِيَّة :

قد يفهم البعض أن الشرك في الرُّبُوبِيَّة أن يعتقد مثيلا له فى تلك الصفات أو شريكا يعاونه فيها ، وهَذَا قصور ظاهر في فهمه لهَذَا الشرك ، وإنما هي أعم وأشمل من ذلك ، فكل ما يسمي صفة من صفات الرُّبُوبِيَّة يدخلها الشرك والإِيمَان ، فمن أقر بها وانقاد للوازمها فهو مؤمن بها وإن أقر بها أو استيقنها أو اعترف بها ولكنه لم يُؤَد حقها من اعتقاد لوازمها فهو مقر معترف و كافر بها غير مؤمن ، وكذا من اعترف بها ثم سب صاحبها فهو كافر بها ، ويدخل فيها أيضا نسبة العجز إلي الله تَعَالَي في هَذَا النوع من الصفات ، وعليه فمن زعم أن الله تَعَالَي لا يسمع أو لا يري أو لا يعلم أو لا يحيي أو لا يميت أو لا يقدر علي شيء أو غير ذلك فقد كفر بربوبية الله تَعَالَي وإن قَالَ بلسانه غير ذلك فهو مقر غير موحد ، ففرق بين هَذَا وذاك يرَحِمَكَ اللهُ .

مبحث في ذكر أن شركهم في لازم من لوازم الربوبية يوجب شركهم في الربوبية .

ومن المقرر عند علماء الأصول بأن لازم القول ما لم يلتزمه صاحبه ليس بلازم ، وبضدها تتميز الأشياء ، وعليه صار من الواضح عند عامة العقلاء أن من اللتزم لازم قوله بفعله أو اعتقاده وإن لم يصرح باعتقاد ذلك اللازم فهو مؤاخذ به ملوم عليه ، ولذلك من يعتقد ربوبية الله تعالي يجب عليه أن يعتقد لوازمها ، فمن أقر بالربوبية ثم كفر بلوازمها عاد كفره إلي الأصل الذي أقره فنقضه ، ولا يعد إذ ذاك مؤمن بالربوبية ، ومن هذا القبيل ما قرره الشيخ سليمان بن عبد الله بن محمد بن عبد الوهاب [1] ، وهو يتحدث عن حال المشركين مع آلهتهم فقال :

("النوع الثاني: شرك من جعل معه إلهًا آخر ولم يعطل أسماءه وصفاته وربوبيته، كشرك النصارى الذين جعلوه ثالث ثلاثة، وشرك المجوس القائلين بإسناد حوادث الخير إلى النور وحوادث الشر

1 « تيسير العزيز الحميد » (ص 28 - 29) نقلا عن المختصر المفيد في عقائد أئمة التوحيد لأبي يوسف مدحت بن حسن آل فراج المصري (المتوفى: 1435هـ)

إلى الظلمة. ومن هذا شرك كثير ممن يشرك بالكواكب العلويات، يجعلها مدبرة لأمر هذا العالم، كما هو مذهب مشركي الصابئة وغيرهم." قلت: ويلتحق به من وجه شرك غلاة عبَّاد القبور الذين يزعمون أن أرواح الأولياء تتصرف بعد الموت، فيقضون الحاجات، ويفرِّجون الكربات، وينصرون من دعاهم، ويحفظون من التجأ إليهم ولاذ بحماهم، فإن هذه من خصائص الربوبية، كما ذكره بعضهم في هذا النوع) .أ.هـ [1]

قلت - القلموشي - فانظر إلي قوله رحمه الله : (ويلتحق به من وجه شرك غلاة عبَّاد القبور الذين يزعمون أن أرواح الأولياء تتصرف بعد الموت، فيقضون الحاجات، ويفرِّجون الكربات، وينصرون من دعاهم، ويحفظون من التجأ إليهم ولاذ بحماهم، فإن هذه من خصائص الربوبية) فكونهم يدعونهم فرع عن كونهم يعتقدون فيهم النفع والضر والإحياء والإماتة والتصرف في أحوال العالم العلوية أو السفلية ، ولذلك فشركهم في قسم الألوهية فرع عن شركهم في الربوبية ، وإن كانوا يزعمون بألسنتهم أنهم مؤمنون بالربوبية غير أن هذه دعوى باطلة لا يصدقون فيها ، وهو - أي الشرك في الربوبية - وإن لم يكن شهيرا كالشرك في الألوهية غير أنه موجود وثابت عن قسم كبير من مشركي الجاهلية ، وعليه بطل قول القائل من علمائنا بأن مشركي العرب قد آمنوا بالله تعالي في الربوبية وأشركوا به في الألوهية .

1 وتمام كلامه رحمه الله في ذلك الموضع «إذا تبين هذا فاعلم: أن الشرك ينقسم ثلاثة أقسام بالنسبة على أنواع التوحيد، وكل منها قد يكون أكبر وأصغر مطلقًا، وقد يكون أكبر بالنسبة إلى ما هو أصغر منه، ويكون أصغر بالنسبة إلى ما هو أكبر منه. القسم الأول: الشرك في الربوبية، وهو نوعان: أحدهما: شرك التعطيل، وهو أقبح أنواع الشرك، كشرك فرعون. إذا قال: وما رب العالمين؟ ومن هذا شرك الفلاسفة القائلين بقدم العالم وأبديته، وأنه لم يكن معدومًا أصلاً، بل لم يزل ولا يزال، والحوادث بأسرها مستندة عندهم إلى أسباب ووسائط اقتضت إيجادها، يسمُّونها: العقول، والنفوس ... النوع الثاني: شرك من جعل معه إلهًا آخر ولم يعطل أسماءه وصفاته وربوبيته، كشرك النصارى الذين جعلوه ثالث ثلاثة، وشرك المجوس القائلين بإسناد حوادث الخير إلى النور وحوادث الشر إلى الظلمة. ومن هذا شرك كثير ممن يشرك بالكواكب العلويات، يجعلها مدبرة لأمر هذا العالم، كما هو مذهب مشركي الصابئة وغيرهم. قلت: ويلتحق به من وجه شرك غلاة عبَّاد القبور الذين يزعمون أن أرواح الأولياء تتصرف بعد الموت، فيقضون الحاجات، ويفرِّجون الكربات، وينصرون من دعاهم، ويحفظون من التجأ إليهم ولاذ بحماهم، فإن هذه من خصائص الربوبية، كما ذكره بعضهم في هذا النوع.أ.هـ « تيسير العزيز الحميد » (ص 28 - 29)

مبحث في ذِكْر شَيءٍ مِن ظَنِّ مُشرِكِي العَرَبِ السَّيِّءِ بِاللهِ تَعَالَي .

اعلم - رَحِمَكَ اللهُ - أن صفات الرُّبُوبِيَّة هي كل ما يختص بفعل الرب سُبْحَانَهُ وَتَعَالَي ، من الخلق والرزق والتدبير والإحياء والإماتة ، وسماع المخلوقين وعلم سرهم ونجواهم وغير ذلك من صفاته تَعَالَي ، ذكر الإِمَام ابن كثير رَحِمَهُ اللهُ عند تفسير قَوْله تَعَالَي : {وَمَا كُنتُمْ تَسْتَتِرُونَ أَنْ يَشْهَدَ عَلَيْكُمْ سَمْعُكُمْ وَلا أَبْصَارُكُمْ وَلا جُلُودُكُمْ} [1] أَيْ: تَقُولُ لَهُمُ الْأَعْضَاءُ وَالْجُلُودُ حِينَ يَلُومُونَهَا عَلَى الشَّهَادَةِ عَلَيْهِمْ: مَا كُنْتُمْ تَتَكَتَّمُونَ مِنَّا الَّذِي كُنْتُمْ تَفْعَلُونَهُ بَلْ كُنْتُمْ تُجَاهِرُونَ اللَّهَ بِالْكُفْرِ وَالْمَعَاصِي، وَلَا تُبَالُونَ مِنْهُ فِي زَعْمِكُمْ؛ لِأَنَّكُمْ كُنْتُمْ لَا تَعْتَقِدُونَ أَنَّهُ يَعْلَمُ جَمِيعَ أَفْعَالِكُمْ؛ وَلِهَذَا قَالَ: {وَلَكِنْ ظَنَنْتُمْ أَنَّ اللَّهَ لَا يَعْلَمُ كَثِيرًا مِمَّا تَعْمَلُونَ وَذَلِكُمْ ظَنُّكُمُ الَّذِي ظَنَنْتُمْ بِرَبِّكُمْ أَرْدَاكُمْ} [2] أَيْ: هَذَا الظَّنُّ الْفَاسِدُ -وَهُوَ اعْتِقَادُكُمْ أَنَّ اللَّهَ لَا يَعْلَمُ كَثِيرًا مِمَّا تَعْمَلُونَ-هُوَ الَّذِي أَتْلَفَكُمْ وَأَرْدَاكُمْ عِنْدَ رَبِّكُمْ، {فَأَصْبَحْتُمْ مِنَ الْخَاسِرِينَ} أَيْ: فِي مَوَاقِفِ الْقِيَامَةِ خَسِرْتُمْ أَنْفُسَكُمْ وَأَهْلِيكُمْ.

وقَالَ الإمَام أَحْمَدُ -رَحِمَهُ اللهُ- بسنده عَنْ عَبْدِ اللَّهِ [3] قَالَ: كُنْتُ مُسْتَتِرًا بِأَسْتَارِ الْكَعْبَةِ فَجَاءَ ثَلَاثَةُ نَفَرٍ: قُرَشِيٌّ، وَخَتَنَاهُ ثَقَفِيَّانِ - أَوْ ثَقَفِيٌّ وَخَتَنَاهُ قُرَشِيَّانِ - كَثِيرٌ شَحْمُ بُطُونِهِمْ قَلِيلٌ فِقْهُ قُلُوبِهِمْ، فَتَكَلَّمُوا بِكَلَامٍ لَمْ أَسْمَعْهُ، فَقَالَ أَحَدُهُمْ: أَتَرَوْنَ أَنَّ اللَّهَ يَسْمَعُ كَلَامَنَا هَذَا ؟ فَقَالَ الْآخَرُ: إِنَّا إِذَا رَفَعْنَا أَصْوَاتَنَا سَمِعَهُ ، وَإِذَا لَمْ نَرْفَعْهُ لَمْ يَسْمَعْهُ، فَقَالَ الْآخَرُ: إِنْ سَمِعَ مِنْهُ شَيْئًا سَمِعَهُ كُلَّهُ. قَالَ: فَذَكَرْتُ ذَلِكَ لِلنَّبِيِّ صَلَّي اللهُ عَلَيهِ وَسَلَّمَ، فَأَنْزَلَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ: {وَمَا كُنتُمْ تَسْتَتِرُونَ أَنْ يَشْهَدَ عَلَيْكُمْ سَمْعُكُمْ وَلا أَبْصَارُكُمْ وَلا جُلُودُكُمْ} إِلَى قَوْلِهِ: {مِنَ الْخَاسِرِينَ} وَكَذَا رَوَاهُ التِّرْمِذِيُّ عَنْ هَنَّادٍ، عَنْ أَبِي مُعَاوِيَةَ،

---

[1] سورة فصلت 22

[2] سورة فصلت 22 - 23

[3] أي عبد الله بن مسعود .

بِإِسْنَادِهِ نَحْوَهُ . وَأَخْرَجَهُ أَحْمَدُ وَمُسْلِمٌ وَالتِّرْمِذِيُّ أَيْضًا، عَنْ عَبْدِ اللَّهِ ابن مَسْعُودٍ، رَضِيَ اللَّهُ عَنهُ، بِنَحْوِهِ . وَرَوَاهُ الْبُخَارِيُّ وَمُسْلِمٌ أَيْضًا، عَنِ ابْنِ مَسْعُودٍ بِهِ .) انتهي بتصرف [1] .

وفي أوضح التفاسير [2] قوله :{وَذَلِكُمْ ظَنُّكُمُ الَّذِي ظَنَنتُم بِرَبِّكُمْ} من أنه لا يراكم، وأنه {لاَ يَعْلَمُ كَثِيراً مِّمَّا تَعْمَلُونَ} {أَرْدَاكُمْ} أهلككم، وأوقعكم في النار {فَأَصْبَحْتُمْ مِّنَ الْخَاسِرِينَ} وقد كان في استطاعتكم أن تكونوا ضمن الفائزين . أ. هـ .

وفي الهداية إلى بلوغ النهاية [3] ، (قَالَ تعالى: {وَذَلِكُمْ ظَنُّكُمُ الذي ظَنَنتُم بِرَبِّكُمْ أَرْدَاكُمْ} أي: وذلك الذي جنيتم في الدنيا على أنفسكم من معاصي الله هو ظنكم الذي ظننتم أن الله لا يعلم ما تعملون، أهلككم ذلكم الظن فأصبح في الآخرة من الذين خسروا أنفسهم.) . أ. هـ .

فتبين من النقل السابق أن مشركي العرب كانوا واقعين فى شرك الرُّبُوبِيَّة ، وإن كانوا مقرين بأجزاء منه ، لأن علم الغيب من الرُّبُوبِيَّة وسماع المخلوقين والقدرة عليهم من صفات الرُّبُوبِيَّة .

مبحث في ذكر إنكارهم البعث والمعاد

ثبت عن بعض مشركي أنهم أنكروا البعث وبعضهم شك فيه ، وهذه العَقِيدَة كفر بربوبية الله تَعَالَي وقدرته علي إعادتة الخلق ، فليس بدء الخلق بأهون علي الله من إعادته .

قَالَ الإِمَام ابن كثير عند تفسيره لقول الله تَعَالَي : (وَقَالَوا مَا هِيَ إِلَّا حَيَاتُنَا الدُّنْيَا نَمُوتُ وَنَحْيَا وَمَا يُهْلِكُنَا إِلَّا الدَّهْرُ وَمَا لَهُمْ بِذَلِكَ مِنْ عِلْمٍ إِنْ هُمْ إِلَّا يَظُنُّونَ) [4] (يُخْبِرُ تَعَالَى عَنْ قَوْلِ الدَّهْرِيَّةِ مِنَ الْكُفَّارِ وَمَنْ وَافَقَهُمْ مِنْ مُشْرِكِي الْعَرَبِ فِي إِنْكَارِ الْمَعَادِ وَقَالَوا مَا هِيَ إِلَّا حَياتُنَا الدُّنْيا نَمُوتُ وَنَحْيا أَيْ

---

[1] تفسير بن كثير (7/ 170)

[2] للشيخ مُحَمَّد مُحَمَّد عبد اللطيف بن الخطيب (المتوفى: 1402هـ)

[3] (الهداية إلى بلوغ النهاية في علم معاني القرآن وتفسيره، وأحكامه، وجمل من فنون علومه) ، أبو مُحَمَّد مكي بن أبي طالب حَمّوش بن مُحَمَّد بن مختار القيسي القيرواني ثم الأندلسي القرطبي المالكي (المتوفى: 437هـ)

[4] سورة الجاثية 24

مَا ثَمَّ إِلَّا هَذِهِ الدَّارُ، يَمُوتُ قَوْمٌ وَيَعِيشُ آخَرُونَ، وَمَا ثَمَّ مَعَادٌ وَلَا قِيَامَةٌ، وَهَذَا يَقُولُهُ مُشْرِكُو الْعَرَبِ الْمُنْكِرُونَ للمعاد، وتقوله الْفَلَاسِفَةُ الْإِلَهِيُّونَ مِنْهُمْ، وَهُمْ يُنْكِرُونَ الْبُدَاءَةَ وَالرَّجْعَةَ، وتقوله الْفَلَاسِفَةُ الدَّهْرِيَّةُ الدَّوْرِيَّةُ الْمُنْكِرُونَ لِلصَّانِعِ، الْمُعْتَقِدُونَ أَنَّ فِي كُلِّ سِتَّةٍ وَثَلَاثِينَ أَلْفَ سَنَةٍ يَعُودُ كُلُّ شَيْءٍ إِلَى مَا كَانَ عَلَيْهِ، وَزَعَمُوا أَنَّ هَذَا قَدْ تَكَرَّرَ مَرَّاتٍ لَا تَتَنَاهَى، فَكَابَرُوا الْمَعْقُولَ وَكَذَّبُوا الْمَنْقُولَ وَلِهَذَا قَالَوا وَما يُهْلِكُنا إِلَّا الدَّهْرُ قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: وَما لَهُمْ بِذلِكَ مِنْ عِلْمٍ إِنْ هُمْ إِلَّا يَظُنُّونَ أَيْ يَتَوَهَّمُونَ وَيَتَخَيَّلُونَ.

فَأَمَّا الْحَدِيثُ الَّذِي أَخْرَجَهُ صَاحِبَا الصَّحِيحِ وَأَبُو دَاوُدَ وَالنَّسَائِيُّ مِنْ رِوَايَةِ سُفْيَانَ ابن عُيَيْنَةَ عَنِ الزُّهْرِيِّ عَنْ سَعِيدِ ابن الْمُسَيَّبِ عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللهُ عَنهُ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّي اللهُ عَلَيهِ وَسَلَّمَ: «يقول تَعَالَى يُؤْذِينِي ابْنُ آدَمَ، يَسُبُّ الدَّهْرَ وَأَنَا الدَّهْرُ، بِيَدِي الْأَمْرُ أُقَلِّبُ لَيْلَهُ وَنَهَارَهُ»[1] وَفِي رِوَايَةٍ «لَا تَسُبُّوا الدَّهْرَ فَإِنَّ اللَّهَ هُوَ الدَّهْرُ»[2] وَقَدْ أَوْرَدَهُ ابْنُ جَرِيرٍ[3] بِسِيَاقٍ غَرِيبٍ جدا فقَالَ: حدثنا أَبُو كُرَيْبٍ، حَدَّثَنَا سُفْيَانَ ابن عُيَيْنَةَ عَنِ الزُّهْرِيِّ عَنْ سَعِيدِ ابن الْمُسَيَّبِ عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللهُ عَنهُ عَنِ النَّبِيِّ صَلَّي اللهُ عَلَيهِ وَسَلَّمَ قَالَ: «كَانَ أَهْلُ الْجَاهِلِيَّةِ يَقُولُونَ إِنَّمَا يُهْلِكُنَا اللَّيْلُ وَالنَّهَارُ وَهُوَ الَّذِي يهلكنا يميتنا ويحيينا فقَالَ الله تعالى فِي كِتَابِهِ: وَقالُوا مَا هِيَ إِلَّا حَياتُنَا الدُّنْيا نَمُوتُ وَنَحْيا وَما يُهْلِكُنا إِلَّا الدَّهْرُ وَيَسُبُّونَ الدَّهْرَ فَقَالَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ: يُؤْذِينِي ابْنُ آدَمَ، يَسُبُّ الدَّهْرَ وَأَنَا الدَّهْرُ، بِيَدِي الْأَمْرُ أُقَلِّبُ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ، وَكَذَا رَوَاهُ ابْنُ أَبِي حَاتِمٍ عَنْ أَحْمَدَ ابن مَنْصُورٍ عَنْ شُرَيْحِ ابن النُّعْمَانِ عَنِ ابْنِ عُيَيْنَةَ مِثْلَهُ.

ثُمَّ رُوِيَ عَنْ يُونُسَ عَنِ ابْنِ وَهْبٍ عَنِ الزُّهْرِيِّ عَنْ أَبِي سَلَمَةَ عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللهُ عَنهُ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّي اللهُ عَلَيهِ وَسَلَّمَ «قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: يَسُبُّ ابْنُ آدَمَ الدَّهْرَ وَأَنَا الدَّهْرُ بِيَدِي اللَّيْلُ

---

[1] أخرجه البخاري في تفسير سورة 45، باب 1، والتَّوحِيد باب 35، ومسلم في الألفاظ حديث 2، 3، وأبو داود في الأدب باب 169، وأحمد في المسند 2/ 238، 272.

[2] أخرجه أحمد في المسند 5/ 299، 311.

[3] تفسير الطبري 11/ 264.

وَالنَّهَارُ» وَأَخْرَجَهُ صَاحِبَا الصَّحِيحِ وَالنَّسَائِيُّ من حديث يونس ابن يزيد بِهِ. وَقَالَ مُحَمَّد ابن إِسْحَاق عَنِ الْعَلَاءِ ابن عَبْدِ الرَّحْمَنِ عَنْ أَبِيهِ عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللهُ عَنهُ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّي اللهُ عَلَيهِ وَسَلَّمَ: قَالَ «يَقُولُ اللَّهُ تعالى: اسْتَقْرَضْتُ عَبْدِي فَلَمْ يُعْطِنِي وَسَبَّنِي عَبْدِي، يَقُولُ وا دهراه وَأَنَا الدَّهْرُ» قَالَ الشَّافِعِيُّ وَأَبُو عُبَيْدَةَ وَغَيْرُهُمَا مِنَ الْأَئِمَّةِ فِي تَفْسِيرِ قَوْلِهِ عَلَيهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَام «لَا تَسُبُّوا الدَّهْرَ فَإِنَّ اللَّهَ هُوَ الدَّهْرُ» كَانَتِ الْعَرَبُ فِي جَاهِلِيَّتِهَا إِذَا أَصَابَهُمْ شِدَّةٌ أَوْ بَلَاءٌ أَوْ نَكْبَةٌ قَالَوا يَا خيبة الدهر، فينسبون تِلْكَ الْأَفْعَالَ إِلَى الدَّهْرِ وَيَسُبُّونَهُ، وَإِنَّمَا فَاعِلُهَا هو الله تعالى فَكَأَنَّهُمْ إِنَّمَا سَبُّوا اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ، لِأَنَّهُ فَاعِلُ ذَلِكَ فِي الْحَقِيقَةِ، فَلِهَذَا نُهِيَ عَنْ سب الدهر بِهَذَا الاعتبار، لأن الله تعالى هُوَ الدَّهْرُ الَّذِي يَعْنُونَهُ وَيُسْنِدُونَ إِلَيْهِ تِلْكَ الْأَفْعَالَ، هَذَا أَحْسَنُ مَا قِيلَ فِي تَفْسِيرِهِ وَهُوَ الْمُرَادُ، وَاللَّهُ أَعْلَمُ، وَقَدْ غَلِطَ ابْنُ حَزْمٍ وَمَنْ نَحَا نَحْوَهُ مِنَ الظَّاهِرِيَّةِ فِي عَدِّهِمُ الدَّهْرَ مِنَ الْأَسْمَاءِ الْحُسْنَى أَخْذًا مِنْ هَذَا الْحَدِيثِ.) [1] ففي هَذَا القول تصريح بأن كان في مشركي العرب من كان يكفر ببعض مَسَائِل الرُّبُوبِيَّة فى قوله : (يُخْبِرُ تَعَالَى عَنْ قَوْلِ الدَّهْرِيَّةِ مِنَ الْكُفَّارِ وَمَنْ وَافَقَهُمْ مِنْ مُشْرِكِي الْعَرَبِ فِي إِنْكَارِ الْمَعَادِ وَقَالَوا مَا هِيَ إِلَّا حَيَاتُنَا الدُّنْيا نَمُوتُ وَنَحْيا أَيْ مَا ثَمَّ إِلَّا هَذِهِ الدَّارُ، يَمُوتُ قَوْمٌ وَيَعِيشُ آخَرُونَ، وَمَا ثَمَّ مَعَادٌ وَلَا قِيَامَةٌ، وَهَذَا يَقُولُهُ مُشْرِكُو الْعَرَبِ الْمُنْكِرُونَ للمعاد) .

وقَالَ الطبري [2] **رَحِمَهُ اللهُ** عند تفسيره لهذه الآية : (وقَالَ هؤلاء المشركون الذين تقدّم خبره عنهم: ما حياة إلا حياتنا الدنيا التي نحن فيها لا حياة سواها تكذيبا منهم بالبعث بعد الممات.
كما حدثنا بشر، قَالَ: ثنا يزيد، قَالَ: ثنا سعيد، عن قتادة (وَقَالَوا مَا هِيَ إلا حَيَاتُنَا الدُّنْيَا) : أي لعمري هَذَا قول مشركي العرب.) [3]

---

1 بن كثير 7 / 247
2 مُحَمَّد بن جرير بن يزيد بن كثير بن غالب الآملي، أبو جعفر الطبري (المتوفى: 310هـ)
3 تفسير الطبري المسمي (جامع البيان في تأويل القرآن) 22 / 77

وقَالَ ابن أبي حاتم [1] **رَحِمَهُ اللهُ** عند تفسير هذه الآية : (18539 - عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنهُ قَالَ: كَانَ أَهْلُ الْجَاهِلِيَّةِ يَقُولُونَ: إِنَّمَا يُهْلِكُنَا اللَّيْلُ وَالنَّهَارُ فَقَالَ اللَّهُ فِي كِتَابِهِ: وَقَالُوا مَا هِيَ إِلا حَيَاتُنَا الدُّنْيَا نَمُوتُ وَنَحْيَا وَمَا يُهْلِكُنَا إِلا الدَّهْرُ وَقَالَ اللَّهُ: «يُؤْذِينِي ابْنُ آدَمَ يَسِبُّ الدَّهْرَ وَأَنَا الدَّهْرُ بِيَدِيَ الْأَمْرُ أُقَلِّبُ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ» [2]) [3] .

وقَالَ البغوي رَحِمَهُ اللهُ عند تفسيره لقول الله تَعَالَى {وَلَئِنْ سَأَلْتَهُمْ مَنْ خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضَ لَيَقُولُنَّ خَلَقَهُنَّ الْعَزِيزُ الْعَلِيمُ} [4] : (وَأَقَرُّوا بِعِزِّهِ وَعِلْمِهِ ثُمَّ عَبَدُوا غَيْرَهُ وَأَنْكَرُوا قُدْرَتَهُ عَلَى الْبَعْثِ لِفَرْطِ جَهْلِهِمْ.) [5]

وقَالَ القشيري [6] **رَحِمَهُ اللهُ** عند تفسيره لآية الزخرف : (كانوا يقرّون بأنّ الله خالقهم، وأنّه خلق السماوات والأرض، وإنما جحدوا حديث الأنبياء، وحديث البعث وجوازه .) [7]

وقَالَ تَعَالَى مخبرا عن كفار قريش كفرهم بالبعث بعد الموت : (زَعَمَ الَّذِينَ كَفَرُوا أَنْ لَنْ يُبْعَثُوا قُلْ بَلَى وَرَبِّي لَتُبْعَثُنَّ ثُمَّ لَتُنَبَّؤُنَّ بِمَا عَمِلْتُمْ وَذَلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرٌ) [8]

قَالَ ابن كثير رَحِمَهُ اللهُ مفسرا لهذه الآية : (يَقُولُ تَعَالَى مُخْبِرًا عَنِ الكفار والمشركين وَالْمُلْحِدِينَ أَنَّهُمْ يَزْعُمُونَ أَنَّهُمْ لَا يُبْعَثُونَ قُلْ بَلى وَرَبِّي لَتُبْعَثُنَّ ثُمَّ لَتُنَبَّؤُنَّ بِما عَمِلْتُمْ أَيْ لَتُخْبَرُنَّ بِجَمِيعِ أَعْمَالِكُمْ جَلِيلِهَا

---

1 أبو مُحّمَّد عبد الرحمن بن مُحَمَّد بن إدريس بن المنذر التميمي، الحنظلي، الرازي ابن أبي حاتم (المتوفى: 327هـ)

2 الدر 7/ 429.

3 تفسير القرآن العظيم لابن أبي حاتم 10 / 3292

4 [سورة الزخرف:9]

5 تفسير البغوي المسمي " معالم التنزيل في تفسير القرآن " (7 / 207) ، بتحقيق مُحَمَّد عبد الله النمر - عثمان جمعة ضميرية - سليمان مسلم الحرش

6 عبد الكريم بن هوازن بن عبد الملك القشيري (المتوفى: 465هـ)

7 تفسير القشيري المسمي " لطائف الإشارات " (3 / 362) بتحقيق إبراهيم البسيوني.

8 سورة التغابن 7 .

وَحَقِيرِهَا، صَغِيرِهَا وَكَبِيرِهَا وَذلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرٌ أَيْ بَعْثُكُمْ وَمُجَازَاتُكُمْ، وَهَذِهِ هِيَ الْآيَةُ الثَّالِثَةُ الَّتِي أَمَرَ اللَّهُ رَسُولَهُ صَلَّي اللَّهُ عَلَيهِ وَسَلَّمَ أَنْ يُقْسِمَ بِرَبِّهِ عَزَّ وَجَلَّ عَلَى وُقُوعِ الْمَعَادِ وَوُجُودِهِ) [1]

وقَالَ الرازي [2] **رَحِمَهُ اللهُ** : (وَقَوْلُهُ تَعَالَى: زَعَمَ الَّذِينَ كَفَرُوا قَالَ فِي «الْكَشَّافِ» : الزَّعْمُ ادِّعَاءُ العِلمِ، وَمِنْهُ قَوْلُهُ صَلَّي اللَّهُ عَلَيهِ وَسَلَّمَ: «زَعَمُوا مَطِيَّةَ الْكَذِبِ»

وَعَنْ شُرَيْحٍ لِكُلِّ شَيْءٍ كُنْيَةٌ وَكُنْيَةُ الْكَذِبِ زَعَمُوا، وَيَتَعَدَّى إِلَى مَفْعُولَيْنِ، تَعَدِّي، العِلمِ، قَالَ الشَّاعِرُ: وَلَمْ أَزْعُمْكَ عَنْ ذَلِكَ مَعْزُولَا ، وَالَّذِينَ كَفَرُوا هُمْ أَهْلُ مَكَّةَ بَلى إِثْبَاتٌ لِمَا بَعْدَ أَنْ وَهُوَ الْبَعْثُ وَقِيلَ: قَوْلُهُ تَعَالَى: قُلْ بَلى وَرَبِّي يُحْتَمَلُ أَنْ يَكُونَ تَعْلِيمًا لِلرَّسُولِ صَلَّي اللَّهُ عَلَيهِ وَسَلَّمَ، أَيْ يُعَلِّمُهُ الْقَسَمَ تَأْكِيدًا لَمَّا كَانَ يُخْبِرُ عَنِ الْبَعْثِ وَكَذَلِكَ جَمِيعُ الْقَسَمِ فِي الْقُرْآنِ وَقَوْلُهُ تَعَالَى: وَذلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرٌ أَيْ لَا يَصْرِفُهُ صَارِفٌ، وَقِيلَ: إِنَّ أَمْرَ الْبَعْثِ عَلَى اللَّه يَسِيرٌ، لِأَنَّهُمْ أَنْكَرُوا الْبَعْثَ بَعْدَ أَنْ صَارُوا تُرَابًا، فَأَخْبَرَ أَنَّ إِعَادَتَهُمْ أَهْوَنُ فِي الْعُقُولِ مِنْ إِنْشَائِهِمْ) [3]

وقَالَ أبو حيان الأندلسي [4] **رَحِمَهُ اللهُ** : (تَقَدَّمَ تَفْسِيرُهُ، وَالَّذِينَ كفروا: أهل مكة، وبلى: إِثْبَاتٌ لِمَا بَعْدَ حَرْفِ النَّفْيِ، وَذلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرٌ: أَيْ لَا يَصْرِفُهُ عنه صارف.) [5]

وقَالَ ابن جزي الكلبي [6] **رَحِمَهُ اللهُ** : (أَلَمْ يَأْتِكُمْ خطاب لقريش وسائر الكفار) [7]

وقَالَ النسفي [8] **رَحِمَهُ اللهُ** : ({زَعَمَ الذين كَفَرُواْ} أي أهل مكة والزعم ادعاء العِلم ويتعدى تعدي العِلم {أَن لَّن يُبْعَثُواْ} أن مع ما في حيزه قائم مقام المفعولين وتقديره أنهم لن يبعثوا {قُلْ بلى} هو إثبات لما

---

1 تفسير بن كثير (8 / 136) بتحقيق سامي بن مُحَمَّد سلامة ، وكذا الطبعه العِلمية بتحقيق مُحَمَّد حسين شمس الدين .

2 أبو عبد الله مُحَمَّد بن عمر بن الحسن بن الحسين التيمي الرازي الملقب بفخر الدين الرازي خطيب الري (المتوفى: 606هـ)

3 مفاتيح الغيب المسمي بالتفسير الكبير (30 / 553) .

4 أبو حيان مُحَمَّد بن يوسف بن علي بن يوسف بن حيان أثير الدين الأندلسي (المتوفى: 745هـ).

5 البحر المحيط في التفسير (10 / 189) بتحقيق صدقي مُحَمَّد جميل .

6 أبو القاسم، مُحَمَّد بن أحمد بن مُحَمَّد بن عبد الله، ابن جزي الكلبي الغرناطي (المتوفى: 741هـ).

7 التسهيل لعلوم التنزيل (2 / 380) بتحقيق الدكتور عبد الله الخالدي.

8 أبو البركات عبد الله بن أحمد بن محمود حافظ الدين النسفي (المتوفى: 710هـ).

بعد لن وَهُوَ البعث {وَرَبِّي لَتُبْعَثُنَّ} أكد الإخبار باليمين فإن قلت ما معنى اليمين على شيء أنكروه قلت هو جائز لأن التهدد به أعظ وقعا في اقلب فكانه قيل لهم ما تنكرونه كائن لا محالة {ثُمَّ لَتُنَبَّؤُنَّ بِمَا عَمِلْتُمْ وَذَلِكَ} البعث {عَلَى الله يسير} هين) [1]

وقَالَ ابن عطية [2] **رَحِمَهُ اللهُ** : (وقوله تعالى: زَعَمَ الَّذِينَ كَفَرُوا - يريد قريشا ثم هي بعد تعم كل كافر بالبعث) [3]

وقَالَ الطبري رَحِمَهُ اللهُ : (زعم الذين كفروا بالله أن لن يبعثهم الله إليه من قبورهم بعد مماتهم - ثم قَالَ - فصدّقوا بالله ورسوله أيها المشركون المكذّبون بالبعث، وبإخباره إياكم أنكم مبعوثون من بعد مماتكم، وأنكم من بعد بلائكم تنشرون من قبوركم) [4]

وقَالَ السمرقندي [5] **رَحِمَهُ اللهُ** : (زَعَمَ الَّذِينَ كَفَرُوا أَنْ لَنْ يُبْعَثُوا يعني: مشركي العرب، زعموا أن لن يبعثوا بعد الموت. قُلْ يا مُحَمَّد بَلى وَرَبِّي لَتُبْعَثُنَّ. فهَذَا قسم أقسم أنهم يبعثون بعد الموت. ثُمَّ لَتُنَبَّؤُنَّ بِما عَمِلْتُمْ يعني: تخبرون بما عملتم في دار الدنيا، ويجزون على ذلك. ثم قَالَ: وَذلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرٌ يعني: البعث والجزاء على الله هين.) [6]

وقَالَ السعدي رَحِمَهُ اللهُ : (يخبر تعالى عن عناد الكافرين، وزعمهم الباطل، وتكذيبهم بالبعث بغير علم ولا هدى ولا كتاب منير، فأمر أشرف خلقه، أن يقسم بربه على بعثهم، وجزائهم بأعمالهم الخبيثة، وتكذيبهم بالحق) [7] فكما رأيت اجماع العُلَمَاء علي ذكر كفار قريش بأنهم منكرين للبعث ،

---

1 تفسير النسفي (مدارك التنزيل وحقائق التأويل) (3 / 492) بتحقيق يوسف علي بديوي.

2 أبو مُحَمَّد عبد الحق بن غالب بن عبد الرحمن بن تمام بن عطية الأندلسي المحاربي (المتوفى: 542هـ).

3 المحرر الوجيز في تفسير الكِتاب العزيز (5 / 319) بتحقيق عبد السلام عبد الشافي مُحَمَّد.

4 جامع البيان في تأويل القرآن (23 / 418-419) بتحقيق أحمد مُحَمَّد شاكر بتصرف .

5 أبو الليث نصر بن مُحَمَّد بن أحمد بن إبراهيم السمرقندي (المتوفى: 373هـ).

6 بحر العلوم (3 / 455 – 456) للسمرقندي ..

7 تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان 866 بتحقيق عبد الرحمن بن معلا اللويحق .

وهَذَا كفر صريح بمسألة من مَسَائِل الرُّبُوبِيَّة ، وعليه فيخطىء من يزعم انهم مؤمنون بالرُّبُوبِيَّة من غير أن يفصل قوله بأنهم يعترفون بمَسَائِل دون مَسَائِل .

مبحث في الكلام علي قوله تَعَالَي : (وَضَرَبَ لَنَا مَثَلًا وَنَسِيَ خَلْقَهُ)

وكذلك قول الله تَعَالَي : (أَوَلَمْ يَرَ الْإِنْسَانُ أَنَّا خَلَقْنَاهُ مِنْ نُطْفَةٍ فَإِذَا هُوَ خَصِيمٌ مُبِينٌ ، وَضَرَبَ لَنَا مَثَلًا وَنَسِيَ خَلْقَهُ قَالَ مَنْ يُحْيِ الْعِظَامَ وَهِيَ رَمِيمٌ ، قُلْ يُحْيِيهَا الَّذِي أَنْشَأَهَا أَوَّلَ مَرَّةٍ وَهُوَ بِكُلِّ خَلْقٍ عَلِيمٌ ، الَّذِي جَعَلَ لَكُمْ مِنَ الشَّجَرِ الْأَخْضَرِ نَارًا فَإِذَا أَنْتُمْ مِنْهُ تُوقِدُونَ ، أَوَلَيْسَ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ بِقَادِرٍ عَلَى أَنْ يَخْلُقَ مِثْلَهُمْ بَلَى وَهُوَ الْخَلَّاقُ الْعَلِيمُ ، إِنَّمَا أَمْرُهُ إِذَا أَرَادَ شَيْئًا أَنْ يَقُولَ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ ، فَسُبْحَانَ الَّذِي بِيَدِهِ مَلَكُوتُ كُلِّ شَيْءٍ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ) .[1]

فيه ما يدل علي أن هناك من العرب من كانوا يشُكُّونَ فيه أو ينكرون البعث بعد الممات ،

قَالَ مجاهد[2] **رحمه الله** : ({وَضَرَبَ لَنَا مَثَلًا} قَالَ: «هُوَ أُبَيُّ ابن خَلَفٍ) [3]

قَالَ ابن كثير رَحِمَهُ اللهُ : (قَالَ مجاهد وعكرمة: جَاءَ (أُبَيُّ ابن خَلَفٍ) لَعَنَهُ اللَّهُ، إِلَى رَسُولِ اللَّهِ صَلَّي اللهُ عَلَيهِ وَسَلَّمَ وفي يده عظم رميم، وَهُوَ يفته ويذروه فِي الْهَوَاءِ، وَهُوَ يَقُولُ: يَا مُحَمَّد أَتَزْعُمُ أن الله يبعث هَذَا ؟ قَالَ صَلَّي اللهُ عَلَيهِ وَسَلَّمَ: «نعم، يميتك اللَّهُ تَعَالَى ثُمَّ يَبْعَثُكَ ثُمَّ يَحْشُرُكَ إِلَى النَّارِ»، وَنَزَلَتْ هَذِهِ الْآيَاتُ مِنْ آخِرِ يس: {أَوَلَمْ يَرَ الْإِنْسَانُ أَنَّا خَلَقْنَاهُ مِن نُّطْفَةٍ} إلى آخرهن، وقَالَ ابْنُ أَبِي حَاتِمٍ، عَنْ سَعِيدِ ابن جُبَيْرٍ عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللهُ عَنهُمَا قَالَ: أَنَّ الْعَاصَ ابن وَائِلٍ أَخَذَ عَظْمًا مِنَ الْبَطْحَاءِ فَفَتَّهُ بِيَدِهِ ثُمَّ قَالَ لِرَسُولِ اللَّهِ صَلَّي اللهُ عَلَيهِ وَسَلَّمَ: أَيُحْيِي اللَّهُ هَذَا بَعْدَ مَا أَرَى ؟ فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّي اللهُ عَلَيهِ وَسَلَّمَ: «نَعَمْ، يُمِيتُكَ اللَّهُ ثُمَّ يُحْيِيكَ ثُمَّ يُدْخِلُكَ جَهَنَّمَ»، قَالَ: وَنَزَلَتِ

---

1 سورة يس 77 - 83

2 أبو الحجاج مجاهد بن جبر التابعي المكي القرشي المخزومي (المتوفى: 104هـ)

3 تفسير مجاهد ، بتحقيق الدكتور مُحَمَّد عبد السلام أبو النيل

الْآيَاتُ من آخر يس، وَعَلَى كُلِّ تَقْدِيرٍ سَوَاءً كَانَتْ هَذِهِ الْآيَاتُ قَدْ نَزَلَتْ فِي (أُبِي ابن خَلَفٍ) أَوْ (الْعَاصِ ابن وَائِلٍ) أَوْ فِيهِمَا، فَهِيَ عَامَّةٌ فِي كُلِّ مَنْ أَنْكَرَ الْبَعْثَ، وَالْأَلِفُ وَاللَّامُ فِي قوله تعالى: {أَوَلَمْ يَرَ الْإِنْسَانُ} لِلْجِنْسِ يَعُمُّ كُلَّ مُنْكِرٍ لِلْبَعْثِ، {أَنَّا خَلَقْنَاهُ مِن نُّطْفَةٍ فَإِذَا هُوَ خَصِيمٌ مُّبِينٌ} أي أولم يَسْتَدِلَّ مَنْ أَنْكَرَ الْبَعْثَ بِالْبَدْءِ عَلَى الْإِعَادَةِ، فَإِنَّ اللَّهَ ابْتَدَأَ خَلْقَ الْإِنْسَانِ مِن سُلَالَةٍ مِنْ مَاءٍ مَهِينٍ، فَخَلَقَهُ مِنْ شَيْءٍ حَقِيرٍ ضعيف مهين، كما قَالَ عزَّ وجلَّ: {أَلَمْ نَخْلُقكُّم مِّن ماء مهين}، وقَالَ تعالى: {إِنَّا خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ مِن نُّطْفَةٍ أَمْشَاجٍ} أَيْ مَنْ نُطْفَةٍ مِنْ أَخْلَاطٍ مُتَفَرِّقَةٍ، فَالَّذِي خَلَقَهُ مِنْ هَذِهِ النُّطْفَةِ الضَّعِيفَةِ أَلَيْسَ بِقَادِرٍ عَلَى إِعَادَتِهِ بَعْدَ مَوْتِهِ؟ كَمَا قَالَ الإِمَام أحمد في مسنده عن بشر ابن جحاش قَالَ: إِنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّي اللهُ عَلَيهِ وَسَلَّمَ بَصَقَ يَوْمًا فِي كَفِّهِ فَوَضَعَ عَلَيْهَا إصبعه، ثُمَّ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّي اللهُ عَلَيهِ وَسَلَّمَ: "قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: ابْنَ آدَمَ أَنَّى تُعْجِزُنِي وَقَدْ خَلَقْتُكَ مِنْ مِثْلِ هَذِهِ، حَتَّى إِذَا سَوَّيْتُكَ وَعَدَلْتُكَ مَشَيْتَ بَيْنَ بُرْدَيْكَ وَلِلْأَرْضِ مِنْكَ وَئِيدٌ، فَجَمَعْتَ وَمَنَعْتَ، حَتَّى إِذَا بَلَغَتِ التَّرَاقِي قُلْتَ: أَتَصَدَّقُ وأَنَّى أَوَانُ الصَّدَقَةِ؟ "[1] ولهَذَا قَالَ تَعَالَى: {وَضَرَبَ لَنَا مَثَلاً وَنَسِيَ خَلْقَهُ قَالَ مَن يُحيِي الْعِظَامَ وَهِيَ رَمِيمٌ}؟ أَيِ اسْتَبْعَدَ إعادة الله تعالى ذي القدرة العظيمة، لِلْأَجْسَادِ وَالْعِظَامِ الرَّمِيمَةِ، وَنَسِيَ نَفْسَهُ وَأَنَّ اللَّهَ تعالى خلقه من العدم إلى الوجود، فَعَلِمَ مِنْ نَفْسِهِ مَا هُوَ أَعْظَمُ مِمَّا استبعده وأنكره وجحده، ولهَذَا قَالَ عزَّ وجلَّ: {قُلْ يُحْيِيهَا الَّذِي أَنشَأَهَآ أَوَّلَ مَرَّةٍ وَهُوَ بِكُلِّ خَلْقٍ} أي يعلم العظام فِي سَائِرِ أَقْطَارِ الْأَرْضِ وَأَرْجَائِهَا، أَيْنَ ذَهَبَتْ وأين تفرقت وتمزقت.

قَالَ الإِمَام أحمد، قَالَ عقبة ابن عمرو لحذيفة رَضِيَ اللهُ عَنهُمَا: أَلَا تُحَدِّثُنَا مَا سَمِعْتُ مِنْ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّي اللهُ عَلَيهِ وَسَلَّمَ؟ فقَالَ: سمعته صَلَّي اللهُ عَلَيهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ: "إِنْ رَجُلًا حَضَرَهُ الْمَوْتُ فَلَمَّا أَيِسَ مِنَ الْحَيَاةِ أَوْصَى أَهْلَهُ إِذَا أَنَا مُتُّ فَاجْمَعُوا لِي حَطَبًا كَثِيرًا جَزْلًا، ثُمَّ أَوْقِدُوا فِيهِ نَارًا، حَتَّى إِذَا أَكَلَتْ لَحْمِي وَخَلَصَتْ إلى عظمي، فامتحشت (فامتحشت أي: فاحترقت) فَخُذُوهَا فَدُقُّوهَا فَذَرُّوهَا فِي

---

[1] أخرجه الإمَام أحمد ورواه ابن ماجة في سننه ، قال الألباني في السلسلة الصحيحة : 1099 و 1143 حسن صحيح.

الْيَمِّ، فَفَعَلُوا، فَجَمَعَهُ الله تعالى إليه، ثُمَّ قَالَ لَهُ: لم فعلت ذلك؟ قَالَ: من خَشْيَتِكَ، فغفر الله عزَّ وجلَّ له"، وفي الصحيحين بأنه أَمَرَ بَنِيهِ أَنْ يَحْرُقُوهُ، ثُمَّ يَسْحَقُوهُ، ثُمَّ يَذَرُّوا نِصْفَهُ فِي الْبَرِّ وَنِصْفَهُ فِي الْبَحْرِ فِي يَوْمٍ رَائِحٍ، أَيْ كَثِيرِ الْهَوَاءِ، فَفَعَلُوا ذلك، فأمر الله تعالى الْبَحْرَ فَجَمَعَ مَا فِيهِ وَأَمَرَ الْبَرَّ فَجَمَعَ مَا فِيهِ، ثُمَّ قَالَ لَهُ: كُنْ فَإِذَا هُوَ رَجُلٌ قَائِمٌ، فَقَالَ لَهُ: مَا حَمَلَكَ عَلَى مَا صَنَعْتَ؟ قَالَ: مَخَافَتُكَ وَأَنْتَ أَعْلَمُ، فَمَا تَلَافَاهُ أَنْ غَفَرَ له. وقوله تعالى: {الَّذِي جَعَلَ لَكُمْ مِنَ الشَّجَرِ الْأَخْضَرِ نَاراً فَإِذَآ أَنتُم مِّنْه تُوقِدُونَ} أَيِ الَّذِي بَدَأَ خَلْقَ هَذَا الشَّجَرِ مِنْ مَاءٍ، حَتَّى صَارَ خَضِرًا نَضِرًا ذَا ثَمَرٍ وَيَنْعٍ، ثُمَّ أَعَادَهُ إِلَى أَنْ صَارَ حَطَبًا يَابِسًا تُوقَدُ بِهِ النار، كذلك هو فعال لما يشاء قادر عَلَى مَا يُرِيدُ لَا يَمْنَعُهُ شَيْءٌ، قَالَ قتادة: يقول: هَذَا الَّذِي أَخْرَجَ هَذِهِ النَّارَ مِنْ هَذَا الشَّجَرِ قَادِرٌ عَلَى أَنْ يَبْعَثَهُ، وَقِيلَ: الْمُرَادُ بِذَلِكَ شجر المرخ والغفار يَنْبُتُ فِي أَرْضِ الْحِجَازِ فَيَأْتِي مَنْ أَرَادَ قَدْحَ نَارٍ وَلَيْسَ مَعَهُ زِنَادٌ، فَيَأْخُذُ مِنْهُ عُودَيْنِ أَخْضَرَيْنِ، وَيَقْدَحُ أَحَدَهُمَا بِالْآخَرِ، فَتَتَوَلَّدُ النَّارُ بينهما كالزناد سواء، وَفِي الْمَثَلِ: لِكُلِّ شَجَرٍ نَارٌ وَاسْتَمْجَدَ الْمَرْخُ والغفار، وَقَالَ الْحُكَمَاءُ: فِي كُلِّ شَجَرٍ نَارٌ إِلَّا العنَّاب.)[1]

قَالَ السعدي رَحِمَهُ اللهُ : (هذه الآيات الكريمات، فيها [ذكر] شبهة منكري البعث، والجواب عنها بأتم جواب وأحسنه وأوضحه، فقَالَ تعالى: { أَوَلَمْ يَرَ الإنْسَانُ } المنكر للبعث و الشاك فيه، أمرا يفيده اليقين التام بوقوعه، وَهُوَ ابتداء خلقه { مِنْ نُطْفَةٍ } ثم تنقله في الأطوار شيئا فشيئا، حتى كبر وشب، وتم عقله واستتب، { فَإِذَا هُوَ خَصِيمٌ مُبِينٌ } بعد أن كان ابتداء خلقه من نطفة، فلينظر التفاوت بين هاتين الحالتين، وليعلم أن الذي أنشأه من العدم، قادر على أن يعيده بعد ما تفرق وتمزق، من باب أولى.

{ وَضَرَبَ لَنَا مَثَلا } لا ينبغي لأحد أن يضربه، وَهُوَ قياس قدرة الخَالِق بقدرة المخلوق، وأن الأمر المستبعد على قدرة المخلوق مستبعد على قدرة الخَالِق. فسر هَذَا المثل [بقوله]: { قَالَ } ذلك

---

[1] مختصر تفسير ابن كثير (6 / 593) ، اختصار وتحقيق مُحَمَّد علي الصابوني.

الإنسان { مَنْ يُحْيِي الْعِظَامَ وَهِيَ رَمِيمٌ } أي: هل أحد يحييها؟ استفهام إنكار، أي: لا أحد يحييها بعد ما بليت وتلاشت.

هَذَا وجه الشبهة والمثل، وَهُوَ أن هَذَا أمر في غاية البعد على ما يعهد من قدرة البشر، وهَذَا القول الذي صدر من هَذَا الإنسان غفلة منه، ونسيان لابتداء خلقه، فلو فطن لخلقه بعد أن لم يكن شيئا مذكورا فوجد عيانا، لم يضرب هَذَا المثل.

فأجاب تعالى عن هَذَا الاستبعاد بجواب شاف كاف، فقَالَ: { قُلْ يُحْيِيهَا الَّذِي أَنْشَأَهَا أَوَّلَ مَرَّةٍ } وهَذَا بمجرد تصوره، يعلم به علما يقينا لا شبهة فيه، أن الذي أنشأها أول مرة قادر على الإعادة ثاني مرة، وَهُوَ أهون على القدرة إذا تصوره المتصور، { وَهُوَ بِكُلِّ خَلْقٍ عَلِيمٌ }

هَذَا أيضا دليل ثان من صفات الله تعالى، وَهُوَ أن علمه تعالى محيط بجميع مخلوقاته في جميع أحوالها، في جميع الأوقات، ويعلم ما تنقص الأرض من أجساد الأموات وما يبقى، ويعلم الغيب والشهادة، فإذا أقر العبد بهَذَا العِلمِ العظيم، علم أنه أعظم وأجل من إحياء الله الموتى من قبورهم.

ثم ذكر دليلا ثالثا { الَّذِي جَعَلَ لَكُمْ مِنَ الشَّجَرِ الأخْضَرِ نَارًا فَإِذَا أَنْتُمْ مِنْهُ تُوقِدُونَ } فإذا أخرج [النار] اليابسة من الشجر الأخضر، الذي هو في غاية الرطوبة، مع تضادهما وشدة تخالفهما، فإخراجه الموتى من قبورهم مثل ذلك.

ثم ذكر دليلا رابعا فقَالَ: { أَوَلَيْسَ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالأرْضَ } على سعتهما وعظمهما { بِقَادِرٍ عَلَى أَنْ يَخْلُقَ مِثْلَهُمْ } أي: [أن] يعيدهم [بأعيانهم]. { بَلَى } قادر على ذلك، فإن خلق السماوات والأرض أكبر من خلق الناس. { وَهُوَ الْخَلاقُ الْعَلِيمُ } وهَذَا دليل خامس، فإنه تعالى الخلاق، الذي جميع المخلوقات، متقدمها ومتأخرها، صغيرها وكبيرها، كلها أثر من آثار خلقه وقدرته، وأنه لا يستعصي عليه مخلوق أراد خلقه.

فإعادته للأموات، فرد من أفراد [آثار] خلقه، ولهَذَا قَالَ: { إِنَّمَا أَمْرُهُ إِذَا أَرَادَ شَيْئًا } نكرة في سياق الشرط، فتعم كل شيء. { أَنْ يَقُولَ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ } أي: في الحال من غير تمانع.

{ فَسُبْحَانَ الَّذِي بِيَدِهِ مَلَكُوتُ كُلِّ شَيْءٍ } وهَذَا دليل سادس، فإنه تعالى هو الملك المالك لكل شيء، الذي جميع ما سكن في العالم العلوي والسفلي ملك له، وعبيد مسخرون ومدبرون، يتصرف فيهم بأقداره الحكمية، وأحكامه الشرعية، وأحكامه الجزائية.

فإعادته إياهم بعد موتهم، لينفذ فيهم حكم الجزاء، من تمام ملكه، ولهَذَا قَالَ: { وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ } من غير امتراء ولا شك، لتواتر البراهين القاطعة والأدلة الساطعة على ذلك. فتبارك الذي جعل في كلامه الهدى والشفاء والنور.) [1]

قَالَ الشَّيخ سعيد بن مسفر حفظه الله : (الصنف الثاني: قوم يعترفون بوجود الله تعالى، ولكنهم يكذبون بالبعث بعد الموت، ومن هؤلاء العرب الذين بعث النبي صَلَّي اللهُ عَلَيهِ وَسَلَّمَ فيهم، فإنهم كانوا يقرون بوجود الله، يقول تعالى: { وَلَئِنْ سَأَلْتَهُمْ مَنْ خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ لَيَقُولُنَّ اللَّهُ } [2] فهم معترفون بأنه الخَالِق لهذه السماوات والأرض، ولكنهم يقولون: { أَإِذَا كُنَّا تُرَاباً وَآبَاؤُنَا أَإِنَّا لَمُخْرَجُونَ * لَقَدْ وُعِدْنَا هَذَا نَحْنُ وَآبَاؤُنَا مِنْ قَبْلُ إِنْ هَذَا إِلَّا أَسَاطِيرُ الْأَوَّلِينَ } [3] هَذَا هو الصنف الذي يؤمن بوجود الله لكنه يكذب بوجود البعث؛ يدعون أنهم يؤمنون بالله ولكنهم يدعون أن قدرة الله عاجزة عن إعادتهم وإحيائهم بعد إماتتهم، وهؤلاء هم الذين ضرب الله لهم الأمثلة والبراهين والحجج بأنه قادرٌ على البعث والنشور؛ لأنه لا يعجزه شيء في الأرض ولا في السماء.) [4]

فيتبين مما سبق أن مشركي العرب كانوا واقعين فى شرك الرُّبُوبِيَّة وَهُوَ إنكارهم البعث والمعاد ، وهَذَا لم يكن من عمومهم غير أن هناك طائفة منهم كانوا منكرين للبعث والمعاد وهَذَا كفر صريح

---

[1] تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان 1/ 699

[2] [سورة لقمان:25]

[3] [سورة النمل:67-68]

[4] دروس للشيخ سعيد بن مسفر (97 / 4) بترقيم الشاملة .

بالرُّبُوبِيَّة ، لأن الرب الذي يخلق يعيد ! ومن شك فى الإعادة فقد كفر بالبدء وإن زعم جدلا الاقرار به .

مبحث في ذكر الاستسقاء بالأنواء وبيان مناقضته للربوبية .

كما أسلفنا أن توحيد الرُّبُوبِيَّة هو توحيد الله تَعَالَي بأفعاله ، فكل ما كان من أفعال الله تَعَالَي يَجِبُ أن يفرد به جل شأنه ولا يشرك معه أحد ، ومن ذلك تحريك الرياح وإنزال الأمطار ، وعليه فمن أشرك مع الله تَعَالَي شيئا زاعما أن لها تأثيرا في إنزال الأمطار فقد أشرك فى ربوبية الله تَعَالَي ، وقد ثبت فى القرآن والسُّنَّة وعموم مَنهج سلف الأمة ما يدل علي شرك عرب الجاهلية في هذه المسألة .

قَالَ ابن كثير رَحِمَهُ اللهُ عند تفسيره لقول الله تَعَالَي : {وَتَجْعَلُونَ رِزْقَكُمْ أَنَّكُمْ تُكَذِّبُونَ} (قَالَ بَعْضُهُمْ: يَعْنِي: وَتَجْعَلُونَ رِزْقَكُمْ بِمَعْنَى شُكْرِكُمْ أَنَّكُمْ تُكَذِّبُونَ، أَيْ: تُكَذِّبُونَ بَدَلَ الشُّكْرِ. [1]

وَقَدْ رُوِيَ عَنْ عَلِيٍّ، وَابْنِ عَبَّاسٍ أَنَّهُمَا قَرَآهَا: "وَتَجْعَلُونَ شُكْرَكُمْ أَنَّكُمْ تُكَذِّبُونَ" كَمَا سَيَأْتِي.

وَقَالَ ابْنُ جَرِيرٍ: وَقَدْ ذُكِرَ عَنِ الْهَيْثَمِ ابن عَدِيٍّ: أَنَّ مِنْ لُغَةِ أَزْدِ شَنوءةَ: مَا رُزِقَ فُلَانٌ بِمَعْنَى: مَا شَكَرَ فُلَانٌ.

وَقَالَ الإِمَام أَحْمَدُ: حَدَّثَنَا حُسَيْنُ ابن مُحَمَّد، حَدَّثَنَا إِسْرَائِيلُ، عَنْ عَبْدِ الأعلى، عن أبي عَبْدِ الرَّحْمَنِ، عَنْ عَلِيٍّ، رَضِيَ اللهُ عَنهُ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّي اللهُ عَلَيهِ وَسَلَّمَ: {وَتَجْعَلُونَ رِزْقَكُمْ} ، يَقُولُ: "شُكْرَكُمْ {أَنَّكُمْ تُكَذِّبُونَ} ، تَقُولُونَ: مُطِرْنَا بِنَوءِ كَذَا وَكَذَا، بِنَجْمِ كَذَا وَكَذَا" [2] .

وَهَكَذَا رَوَاهُ ابْنُ أَبِي حَاتِمٍ، عَنْ أَبِيهِ، عَنْ مُخَوَّل ابن إِبْرَاهِيمَ النَّهْدِيِّ -وَابْنُ جَرِيرٍ، عَنْ مُحَمَّد ابن الْمُثَنَّى، عَنْ عُبَيْدِ اللَّهِ ابن مُوسَى، وَعَنْ يَعْقُوبَ ابن إِبْرَاهِيمَ، عَنْ يَحْيَى ابن أَبِي بُكَيْر، ثَلَاثَتُهُمْ عَنْ

---

[1] قال أبو القاسم المدني وَفَّقَهُ اللهُ : - (علي هَذَا المعني فالرزق بمعني العطاء الصادر من العباد أي وتجعلون عطاءكم وبذلكم مقابل نعمتي تكذيبكم بي وبرسلي وهَذَا هو كفر وجحود لصاحب النعم جل وعلا)

[2] المسند (108/1) .

إِسْرَائِيلَ، بِهِ مَرْفُوعًا [1] . وَكَذَا رَوَاهُ التِّرْمِذِيُّ، عَنْ أَحْمَدَ ابن مَنِيعٍ، عَنْ حُسَيْنِ ابن مُحَمَّد -وَهُوَ الْمَرْوَزِيُّ-بِهِ. وَقَالَ: "حَسَنٌ غَرِيبٌ". وَقَدْ رَوَاهُ سُفْيَانُ، عَنْ عَبْدِ الْأَعْلَى، وَلَمْ يَرْفَعْهُ [2] .

وَقَالَ ابْنُ جَرِيرٍ: حَدَّثَنَا مُحَمَّد ابن بَشَّارٍ، حَدَّثَنَا مُحَمَّد ابن جَعْفَرٍ، حَدَّثَنَا شُعْبَةُ، عَنْ أَبِي بِشْرٍ، عَنْ سَعِيدِ ابن جُبَيْرٍ، عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ قَالَ: مَا مُطِرَ قَوْمٌ قَطُّ إِلَّا أَصْبَحَ بَعْضُهُمْ كَافِرًا يَقُولُونَ: مُطِرْنَا بِنَوْءِ كَذَا وَكَذَا. وَقَرَأَ ابْنُ عَبَّاسٍ: "وَتَجْعَلُونَ شُكْرَكُمْ أَنَّكُمْ تُكَذِّبُونَ". وَهَذَا إِسْنَادٌ صَحِيحٌ إِلَى ابْنِ عَبَّاسٍ.

وَقَالَ مَالِكٌ فِي الْمُوَطَّأِ، عَنْ صَالِحِ ابن كَيْسَان، عَنْ عُبَيْدِ اللَّهِ ابن عَبْدِ اللَّهِ ابن عُتْبَةَ ابن مَسْعُودٍ، عَنْ زَيْدِ ابن خَالِدٍ الجُهَنِّي أَنَّهُ قَالَ: صَلَّى بِنَا رَسُولُ اللَّهِ صَلَّي اللهُ عَلَيهِ وَسَلَّمَ صلاة الصُّبحِ بِالْحُدَيْبِيَةِ فِي أَثَرِ سَمَاءٍ كَانَتْ مِنَ اللَّيْلِ، فَلَمَّا انْصَرَفَ أَقْبَلَ عَلَى النَّاسِ فَقَالَ: "هَلْ تَدْرُونَ مَاذَا قَالَ رَبُّكُمْ؟ " قَالَوا: اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَعْلَمُ. "قَالَ: أَصْبَحَ مِنْ عِبَادِي مُؤْمِنٌ بِي وَكَافِرٌ، فَأَمَّا مَنْ قَالَ: مُطِرْنَا بِفَضلِ اللَّهِ وَرَحْمَتِهِ، فَذَلِكَ مُؤْمِنٌ بِي كَافِرٌ بِالْكَوَاكِبِ. وَأَمَّا مَنْ قَالَ: مُطِرْنَا بِنَوْءِ كَذَا وَكَذَا. فَذَلِكَ كَافِرٌ بِي مُؤْمِنٌ بِالْكَوَاكِبِ". أَخْرَجَاهُ فِي الصَّحِيحَيْنِ، وَأَبُو دَاوُدَ، وَالنَّسَائِيُّ، كُلُّهُمْ مِنْ حَدِيثِ مَالِكٍ، بِهِ [3] .

وَقَالَ مُسْلِمٌ: حَدَّثَنَا مُحَمَّد ابن سَلَمَةَ الْمُرَادِيُّ، وعَمْرو ابن سَوّاد، حَدَّثَنَا عَبْدِ اللَّهِ ابن وَهْبٍ، عَنْ عَمْرُو ابن الْحَارِثِ؛ أَنَّ أَبَا يُونُس حَدَّثه، عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ، عَنْ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّي اللهُ عَلَيهِ وَسَلَّمَ أَنَّهُ قَالَ: "مَا أَنْزَلَ اللَّهُ مِنَ السَّمَاءِ مِنْ بَرَكَةٍ إِلَّا أَصْبَحَ فَرِيقٌ مِنَ النَّاسِ بِهَا كَافِرِينَ، يَنْزِلُ الْغَيْثُ، فَيَقُولُونَ: بِكَوْكَبِ كَذَا وَكَذَا". تَفَرَّد بِهِ مُسْلِمٌ مِنْ هَذَا الْوَجْهِ [4] .

[1] تفسير الطبري (119/27) .
[2] سنن الترمذي برقم (3295) .
[3] الموطأ (192/1) وصحيح البخاري برقم (846) وصحيح مسلم برقم (71) وسنن أبي داود برقم (3906) وسنن النسائي (164/3) .
[4] صحيح مسلم برقم (72) .

وَقَالَ ابْنُ جَرِيرٍ: حَدَّثَنِي يُونُس، أَخْبَرَنَا سُفْيَانُ، عَنْ مُحَمَّد ابن إِسْحَاق، عَنْ مُحَمَّد ابن إِبْرَاهِيمَ ابن الْحَارِثِ التَّيْمِيِّ، عَنْ أَبِي سَلَمَةَ، عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّي اللهُ عَلَيهِ وَسَلَّمَ قَالَ: "إِنَّ اللَّهَ لَيُصْبِحُ القومَ بِالنِّعْمَةِ أَوْ يُمسيهم بِهَا فَيُصْبِحُ بِهَا قَوْمٌ كَافِرِينَ يَقُولُونَ: مُطِرنا بِنَوْءِ كَذَا وَكَذَا".) [1]

ونقل عن ابن عباس [2] **رَضِيَ اللهُ عَنهُمَا** : ({وَتَجْعَلُونَ رِزْقَكُمْ} تَقولُونَ للمطر الَّذِي سقيتم {أَنَّكُمْ تُكَذِّبُونَ} تَقولُونَ سقينا بالنوء الْفُلَانِيّ) [3]

وقَالَ السعدي [4] **رَحِمَهُ اللهُ** عند تعرضه لهذه الآية : (وقوله: { وَتَجْعَلُونَ رِزْقَكُمْ أَنَّكُمْ تُكَذِّبُونَ } أي: تجعلون مقابلة منة الله عليكم بالرزق التكذيب والكفر لنعمة الله، فتقولون: مطرنا بنوء كذا وكذا، وتضيفون النعمة لغير مسديها وموليها، فهلا شكرتم الله تعالى على إحسانه، إذ أنزله الله إليكم ليزيدكم من فضله، فإن التكذيب والكفر داع لرفع النعم وحلول النقم.) [5]

عَنْ زَيْدِ ابن خَالِدٍ الْجُهَنِيّ قَالَ : صَلَّى لَنَا رَسُولُ اللَّهِ -صَلَّي اللهُ عَلَيهِ وَسَلَّمَ- صَلاَةَ الصُّبْحِ بِالْحُدَيْبِيَةِ فِى إِثْرِ سَمَاءٍ كَانَتْ مِنَ اللَّيْلِ ، فَلَمَّا انْصَرَفَ أَقْبَلَ عَلَى النَّاسِ بِوَجْهِهِ فَقَالَ :« هَلْ تَدْرُونَ مَاذَا قَالَ رَبُّكُمْ؟ ». قَالُوا : اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَعْلَمُ. قَالَ :« قَالَ : أَصْبَحَ مِنْ عِبَادِى مُؤْمِنٌ بِى وَكَافِرٌ ، فَأَمَّا مَنْ قَالَ مُطِرْنَا بِفَضْلِ اللَّهِ وَرَحْمَتِهِ فَذَلِكَ مُؤْمِنٌ بِى وَكَافِرٌ بِالْكَوْكَبِ ، وَأَمَّا مَنْ قَالَ مُطِرْنَا بِنَوْءِ كَذَا وَكَذَا فَذَلِكَ كَافِرٌ بِى وَمُؤْمِنٌ بِالْكَوْكَبِ » [6].

---

[1] تفسير القرآن العظيم (7 / 545) لأبي الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي البصري ثم الدمشقي (المتوفى: 774هـ) بتحقيق: سامي بن مُحَمَّد سلامة .

[2] الصحابي الجليل عبد الله بن عباس - رَضِيَ اللهُ عَنهُمَا - (المتوفى: 68هـ)

[3] تنوير المقباس من تفسير ابن عباس لمجد الدين أبو طاهر مُحَمَّد بن يعقوب الفيروزآبادى (المتوفى: 817هـ)

[4] عبد الرحمن بن ناصر بن السعدي

[5] تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان (1 / 836) للسعدي ، بتحقيق عبد الرحمن بن معلا اللويحق .

[6] متفق عليه . أخرجه : البخاري 214/1 (846) ، ومسلم 59/1 (71) (125) .

وقَالَ النووي [1] **رَحِمَهُ اللهُ** : (وأما معنى الحديث فاختلف العُلَمَاء فى كفر من قَالَ مطرنا بنوء كذا على قولين أحدهما هو كفر بالله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَي سالب لأصل الإِيمَان مخرج من ملة الإِسلَام قَالَوا وهَذَا فيمن قَالَ ذلك معتقدا أن الكوكب فاعل مدبر منشىء للمطر كما كان بعض أهل الجاهلية يزعم ومن أعتقد هَذَا فلا شك فى كفره وهَذَا القول هو الذى ذهب إليه جماهير العُلَمَاء والشافعى منهم وَهُوَ ظاهر الحديث) [2]

قَالَ الشيخ عبد الرحمن بن حسن[3] **رحمه الله** فى فتح المجيد : (ودل هَذَا الحديث على أنه لا يَجُوزُ لأحد أن يضيف أفعال الله إلى غيره ولو على سبيل المجاز) [4] وقَالَ : (فالفضل والرحمة صفتان لله، ومذهب أهل السُّنَّة والجماعة: أن ما وصف الله به نفسه ووصفه به رسوله من صفات الذات: كالحياة والعِلم، وصفات الأفعال; كالرحمة التي يرحم بها عباده، كلها صفات لله قائمة بذاته ليست قائمة بغيره، فتفطن لهَذَا فقد غلط فيه طوائف.

وفي هَذَا الحديث: إن نعم الله لا يَجُوزُ أن تضاف إلا إليه وحده، وَهُوَ الذي يحمد عليها، وهذه حال أهل التَّوحِيد.) [5]

وقَالَ أيضا : (قَالَ القرطبي في شرح حديث زيد ابن خالد: " وكانت العرب إذا طلع نجم من الشرق، وسقط آخر من المغرب فحدث عند ذلك مطر أو ريح، فمنهم من ينسبه إلى الطالع، ومنهم من ينسبه إلى الغارب نسبة إيجاد واختراع، ويطلقون ذلك القول المذكور في الحديث. فنهى الشارع عن إطلاق ذلك؛ لئلا يعتقد أحد اعتقادهم ولا يتشبه بهم في نطقهم". انتهى.

---

[1] أبو زكريا محيي الدين يحيى بن شرف بن مرا بن حسن، أبو زكريا الحزامي النووي، المتوفي سنة 676 هـ

[2] المِنهَاج شرح صحيح مسلم بن الحجاج (2 / 60).

[3] عبد الرحمن بن حسن بن مُحَمَّد بن عبد الوهاب بن سليمان التميمي (المتوفى: 1285هـ)

[4] فتح المجيد شرح كتاب التَّوحِيد (1 / 326) بتحقيق مُحَمَّد حامد الفقي .

[5] المصدر السابق .

قوله: " فمنهم من ينسبه نسبة إيجاد" يدل على أن بعضهم كان لا يعتقد ذلك، كما قَالَ تعالى: {وَلَئِنْ سَأَلْتَهُمْ مَنْ نَزَّلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَحْيَا بِهِ الأَرْضَ مِنْ بَعْدِ مَوْتِهَا لَيَقُولُنَّ اللَّهُ قُلِ الْحَمْدُ لِلَّهِ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لا يَعْقِلُونَ} . فدل على أن منهم من يعرف ويقر بأن الله هو الذي أوجد المطر، وقد يعتقد هؤلاء أن للنوء فيه شيئا من التأثير، والقرطبي في شرحه لم يصرح أن العرب كلهم يعتقدون ذلك المعتقد الذي ذكره. فلا اعتراض عليه بالآية للاحتمال المذكور.)[1]

وروي : (يصبح الناس مجدبين فيأتيهم الله برزق من عنده فيصبحون مشركين ويقولون مطرنا بنوء كذا وكذا)[2]

وفي جامع الأصول[3] عن علي ابن أبي طالب - رَضِيَ اللهُ عَنهُ - : قَالَ : قَالَ رسول الله صَلَّي اللهُ عَلَيهِ وَسَلَّمَ : «{وتَجْعلونَ رِزْقَكُمْ أَنَّكم تكَذِّبُونَ } قَالَ : شُكرَكُم ، تقُولُونَ : مُطِرْنا بِنَوْءِ كذَا وكذا ، وبِنَجْمِ كذا وكذا ؟».[4]

وعن معاوية الليثي قَالَ قَالَ رسول الله صلى الله عليه و سلم : (يكون الناس مجدبين فينزل الله تبارك وتعالى عليهم رزقا من رزقه فيصبحون مشركين فقيل له وكيف ذاك يا رسول الله قَالَ يقولون مطرنا بنوء كذا وكذا)[5]

وقَالَ بن الأثير[6] رحمه الله فى جامع الأصول عند شرحه لحديث 5809 : (وإنما غلظ النبي -صَلَّي اللهُ عَلَيهِ وَسَلَّمَ- في أمر الأنواء ، لأن العرب كانت تنسب المطر إليها فأما من جعل المطر من فعل

---

[1] المصدر السابق . فراجعه ففيه شفاء لما في الصدور .

[2] أخرجه الطبرانى (430/19 ، رقم 1043) . وأخرجه أيضًا : الطيالسى (ص 178 ، رقم 1262) ، وابن أبى عاصم فى الآحاد والمثانى (195/2 ، رقم 940) ، والطبرانى فى الأوسط (73/3 ، رقم 2528) . من جامع الجوامع للسيوطي .

[3] جامع الأصول في أحاديث الرسول لمجد الدين أبو السعادات المبارك بن مُحَمَّد الجزري ابن الأثير (المتوفى : 606هـ) بتحقيق : عبد القادر الأرنؤوط

[4] أخرجه أحمد (89/1) (677) وفي (1 /108) (849) .و(الترمذي) (3295) . و(عبد الله بن أحمد) (131/1) (1087) وأخرجه أحمد (108/1) (850) . تخريج أيمن صالح شعبان .

[5] مسند أحمد 3 / 429 (15576) وقال شعيب الأرنؤوط : إسناده حسن من أجل عمران القطان : وَهُوَ ابن داور وبقية رجاله ثقات رجال الصحيح

[6] أي : مجد الدين أبو السعادات المبارك بن مُحَمَّد الجزري ابن الأثير.

الله عز وجل وأراد بقوله : مطرنا بنوء كذا ، أي : في وقت كذا ، وَهُوَ هَذَا النوء الفلاني ، فإن ذلك جائز)[1]

(**قَالَ الْحَافِظُ الْمُنْذِرِيُّ** : وَمَعْنَى الْحَدِيثِ أَنَّ الْعَرَبَ كَانَتْ إِذَا نَزَلَتْ بِأَحَدِهِمْ نَازِلَةٌ ، أَوْ أَصَابَتْهُ مُصِيبَةٌ ، أَوْ مَكْرُوهٌ يَسُبُّ الدَّهْرَ اعْتِقَادًا مِنْهُمْ أَنَّ الَّذِي أَصَابَهُ فِعْلُ الدَّهْرِ كَمَا كَانَتِ الْعَرَبُ تَسْتَمْطِرُ بِالأَنْوَاءِ ، وَتَقُولُ : مُطِرْنَا بِنُوءِ كَذَا اعْتِقَادًا أَنَّ ذَلِكَ فِعْلُ الأَنْوَاءِ فَكَانَ هَذَا لِلْفَاعِلِ ، وَلاَ فَاعِلَ لِكُلِّ شَيْءٍ إِلاَّ اللَّهُ , تَعَالَى , خَالِقُ كُلَّ شَيْءٍ وَفَاعِلُهُ فَنَهَاهُمُ النَّبِيُّ صَلَّي اللهُ عَلَيهِ وَسَلَّمَ عَنْ ذَلِكَ)[2].

مبحث في ذكر نسبتهم إلي الله تَعَالَي الولد .

وقَالَ ابن عطية[3] **رَحِمَهُ اللهُ** عند تفسير قول الله تَعَالَي : (وَقَالَوا اتَّخَذَ الرَّحْمنُ وَلَداً)[4] : (الضمير في قَالَوا للكفار من العرب في قولهم للملائكة بنات الله وللنصارى ولكل من كفر بهَذَا النوع من الكفر،)[5]

وقَالَ السعدي رَحِمَهُ اللهُ : (وهَذَا تقبيح وتشنيع لقول المعاندين الجاحدين، الذين زعموا أن الرحمن اتخذ ولدا، كقول النصارى: المسيح ابن الله، واليهود: عزير ابن الله، والمشركين: الملائكة بنات الله، تعالى الله عن قولهم علوا كبيرا.)[6]

وقَالَ فى المدخل "فهؤلاء كانوا يعلنون أن الله خالقهم وخالق السموات والأرض، ولكنهم لم يكونوا يسيرون مع منطق الفطرة في إفراد الخَالِق بالعبادة، وفي إخلاص الدين كله لله بلا شريك، وإنما كانوا يبتدعون أسطورة بنوة الملائكة لله سُبْحَانَهُ , ثم يصوغون للملائكة تماثيل يعبدونها، ثم يزعمون أن عبادتهم لتماثيل الملائكة - وهي التي دعوها آلهة أمثال اللات والعزى ومناة - ليست

---

[1] جامع الأصول 7 / 634

[2] إتحاف الخيرة المهرة بزوائد المسانيد العشرة لأحمد بن أبي بكر بن إسماعيل البوصيري المصري المتوفي 840 هـ

[3] أبو مُحَمَّد عبد الحق بن غالب بن عبد الرحمن بن تمام بن عطية الأندلسي المحاربي (المتوفى: 542هـ)

[4] سورة مريم 88

[5] المحرر الوجيز في تفسير الكِتَاب العزيز

[6] تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان (1 / 501)

عبادة لها في ذاتها، وإنما هي زلفى وقربى لله؛ كي تشفع لهم عنده في نصرهم ورزقهم وما ينوبهم من أمور الدنيا. وَهُوَ انحراف عن الفطرة واستقامتها إلى هَذَا التعقيد والتخريف, فلا الملائكة بنات الله، ولا الأصنام تماثيل الملائكة، ولا الله -سُبْحَانَهُ وَتَعَالَي- يرضى بهَذَا الانحراف، ولا هم يقبل فيهم شفاعة، ولا هو يقربهم إليه عن هَذَا الطريق. [1]

قَالَ الطبري رَحِمَهُ اللهُ : (عن عكرمة : هو قول الله (وَلَئِن سَأَلْتَهُم مَّنْ خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ لَيَقُولُنَّ اللَّهُ) فإذا سئلوا عن الله وعن صفته ، وصفوه بغير صفته وجعلوا له ولدا وأشركوا به) [2]

مبحث في ذكر قولهم أن الملائكة بنات الله وإنكار الله تَعَالَي عليهم ذلك .

وقَالَ الله تَعَالَي منكرا علي من نسب إليه اتخاذته من الملائكة بناتا : { أَفَأَصْفَاكُمْ رَبُّكُمْ بِالْبَنِينَ وَاتَّخَذَ مِنَ الْمَلائِكَةِ إِنَاثًا إِنَّكُمْ لَتَقُولُونَ قَوْلا عَظِيمًا } [3]. وهَذَا شرك فى الرُّبُوبِيَّة وفى الأَسْمَاء وَالصِّفَات ، فالرب تَعَالَي هو الصمد الذي لا يلد ولم يولد .

قَالَ الطبري رَحِمَهُ اللهُ : (يقول تعالى ذكره للذين قَالَوا من مشركي العرب: الملائكة بنات الله(أفأصْفاكُمْ) أيها الناس(رَبُّكُمْ بالبَنِينَ) يقول: أفخصكم ربكم بالذكور من الأولاد(وَاتَّخَذَ مِنَ الْمَلائِكَةِ إِنَاثًا) وأنتم لا ترضونهن لأنفسكم، بل تئدونهن، وتقتلونهن، فجعلتم لله ما لا ترضونه لأنفسكم(إِنَّكُمْ لَتَقُولُونَ قَوْلا عَظِيمًا) يقول تعالى ذكره لهؤلاء المشركين الذين قَالَوا من الفرية على الله ما ذكرنا: إنكم أيها الناس لتقولون بقيلكم: الملائكة بنات الله، قولا عظيما، وتفترون على الله فرية منكم.

وكان قتادة يقول في ذلك ما حدثنا مُحّمَّد، قَالَ: ثنا مُحّمَّد ابن ثور، عن معمر، عن قتادة(وَاتَّخَذَ مِنَ الْمَلائِكَةِ إِنَاثًا) قَالَ: قَالَت اليهود: الملائكة بنات الله.) [4]

---

[1] مدخل لدراسة العَقِيدَة الإسلَامية (1 / 319)

[2] جامع البيان في تأويل القرآن للطبري (16 / 287) بترقيم الشاملة ، بتحقيق أحمد مُحَمَّد شاكر .

[3] سورة الاسراء 40

[4] جامع البيان في تأويل القرآن (17 / 452) بتحقيق أحمد مُحّمَّد شاكر .

قَالَ البغوي [1] **رحمه الله** : (قَوْلُهُ عَزَّ وَجَلَّ: {أَفَأَصْفَاكُمْ رَبُّكُمْ} أَيِ: اخْتَارَكُمْ فَجَعَلَ لَكُمُ الصَّفْوَةَ وَلِنَفْسِهِ مَا لَيْسَ بِصَفْوَةٍ يَعْنِي: اخْتَارَكُمْ {بِالْبَنِينَ وَاتَّخَذَ مِنَ الْمَلَائِكَةِ إِنَاثًا} لِأَنَّهُمْ كَانُوا يَقُولُونَ الْمَلَائِكَةُ بَنَاتُ اللَّهِ {إِنَّكُمْ لَتَقُولُونَ قَوْلًا عَظِيمًا} يُخَاطِبُ مُشْرِكِي مَكَّةَ.) [2]

وقَالَ ابن الجوزي [3] **رَحِمَهُ اللهُ** : (قوله تعالى: (أَفَأَصْفاكُمْ رَبُّكُمْ بِالْبَنِينَ) قَالَ مقاتل: نزلت في مشركي العرب الذين قَالَوا:

الملائكة بنات الرحمن. وقَالَ أبو عبيدة: ومعنى أَفَأَصْفاكُمْ: اختصكم. وقَالَ المفضل: أخلصكم.

وقَالَ الزجاج: اختار لكم صفوة الشيء، وهَذَا توبيخ للكفار، والمعنى: اختار لكم البنين دونه، وجعل البنات مشتركة بينكم وبينه، فاختصكم بالأعلى وجعل لنفسه الأدون؟!) [4]

قَالَ ابن كثير رَحِمَهُ اللهُ : (يقول تعالى رادًا على المشركين الكاذبين الزاعمين - عليهم لعائن الله -أن الملائكة بناتُ الله، فجعلوا الملائكة الذين هم عباد الرحمن إناثًا، ثم ادّعوا أنهم بنات الله، ثم عبدوهم فأخطئوا في كل من المقامات الثلاث خطأ عظيمًا، قَالَ تعالى منكرًا عليهم: { أَفَأَصْفَاكُمْ رَبُّكُمْ بِالْبَنِينَ } أي: خصصكم بالذكور { وَاتَّخَذَ مِنَ الْمَلائِكَةِ إِنَاثًا } أي: اختار لنفسه على زعمكم البنات؟ ثم شدد الإنكار عليهم فقَالَ: { إِنَّكُمْ لَتَقُولُونَ قَوْلا عَظِيمًا } أي: في زعمكم لله ولدًا، ثم جعْلكم ولده الإناث التي تأنفون أن يَكُنّ لكم، وربما قتلتموهُن بالوأد، فتلك إذا قسْمة ضِيزَى.) [5]

---

[1] محيي السُّنَّة، أبو مُحَمَّد الحسين بن مسعود البغوي (المتوفى: 510هـ)
حققه وخرج أحاديثه مُحَمَّد عبد الله النمر - عثمان جمعة ضميرية - سليمان مسلم الحرش

[2] تفسير البغوي المسمي معالم التنزيل في تفسير القرآن (5 / 95) بتحقيق مُحَمَّد عبد الله النمر - عثمان جمعة ضميرية - سليمان مسلم الحرش

[3] جمال الدين أبو الفرج عبد الرحمن بن علي بن مُحَمَّد الجوزي (المتوفى: 597هـ)

[4] زاد المسير في علم التفسير (3 / 26) بتحقيق عبد الرزاق المهدي

[5] تفسير القرآن العظيم (5 / 77) بتحقيق سامي بن مُحَمَّد سلامة

قَالَ السعدي رَحِمَهُ اللهُ : (وهَذَا إنكار شديد على من زعم أن الله اتخذ من خلقه بنات فقَالَ: { أَفَأَصْفَاكُمْ رَبُّكُمْ بِالْبَنِينَ } أي: اختار لكم الصفوة والقسم الكامل واتخذ لنفسه من الملائكة إناثا حيث زعموا أن الملائكة بنات الله.) [1]

وقَالَ تَعَالَي منكرا علي المشركين شركهم في الرُّبُوبِيَّة والصفات : (فَاسْتَفْتِهِمْ أَلِرَبِّكَ الْبَنَاتُ وَلَهُمُ الْبَنُونَ ، أَمْ خَلَقْنَا الْمَلَائِكَةَ إِنَاثًا وَهُمْ شَاهِدُونَ) [2].

قَالَ الآلوسي [3] **رَحِمَهُ اللهُ** عند تفسيره لهذه الآية : (ثم أمره صَلَّي اللهُ عَلَيهِ وَسَلَّمَ ههنا بتبكيتهم بطريق الاستفتاء عن وجه ما تنكره العقول بالكلية وهي القسمة الباطلة اللازمة لما كانوا عليه من الاعتقاد الزائغ حيث كانوا يقولون كبعض أجناس العرب جهينة . وسليم . وخزاعة . وبني مليح : الملائكة بنات الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَي عما يقولون علواً كبيراً ، ثم بتبكيتهم بما يتضمنه كفرهم المذكور من الاستهانة بالملائكة عَلَيهِمُ السَّلَام بجعلهم إناثاً ، ثم أبطل سُبْحَانَهُ أصل كفرهم المنطوي على هذين الكفرين وَهُوَ نسبة الولد إليه سُبْحَانَهُ وَتَعَالَي عن ذلك علواً كبيراً ، ولم ينظمه سُبْحَانَهُ في سلك التبكيت لمشاركتهم اليهود القائلين عزيز ابن الله والنصارى المعتقدين عيسى ابن الله تعالى الله عن ذلك ،) [4]

وقَالَ السعدي رَحِمَهُ اللهُ : (يقول تعالى لنبيه مُحَمَّد صَلَّي اللهُ عَلَيهِ وَسَلَّمَ: { فَاسْتَفْتِهِمْ } أي: اسأل المشركين بالله غيره، الذين عبدوا الملائكة، وزعموا أنها بنات الله، فجمعوا بين الشرك بالله، ووصفه بما لا يليق بجلاله، { أَلِرَبِّكَ الْبَنَاتُ وَلَهُمُ الْبَنُونَ } أي: هذه قسمة ضيزى، وقول جائر، من جهة جعلهم الولد لله تعالى، ومن جهة جعلهم أردأ القسمين وأخسهما له وَهُوَ البنات التي لا يرضونهن

---

[1] تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان (1 / 458)

[2] سورة الصافات 149 – 150

[3] شهاب الدين محمود ابن عبدالله الحسيني الألوسي .

[4] روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني (17 / 247) .

لأنفسهم، كما قَالَ في الآية الأخرى { وَيَجْعَلُونَ لِلَّهِ الْبَنَاتِ سُبْحَانَهُ وَلَهُمْ مَا يَشْتَهُونَ } ومن جهة جعلهم الملائكة بنات الله، وحكمهم بذلك.) [1]

وقَالَ تَعَالَي أيضا منكرا علي المشركين نسبتهم إلي الله تَعَالَي الولد واصطفاء البنات من الملائكة : (إِنَّ الَّذِينَ لا يُؤْمِنُونَ بِالآخِرَةِ لَيُسَمُّونَ الْمَلائِكَةَ تَسْمِيَةَ الأُنْثَى) . وفيها شرك في الرُّبُوبِيَّة والأَسْمَاء وَالصِّفَات .

قَالَ ابن كثير رَحِمَهُ اللهُ : (يَقُولُ تَعَالَى مُنْكِرًا عَلَى الْمُشْرِكِينَ فِي تَسْمِيَتِهِمُ الْمَلَائِكَةَ تَسْمِيَةَ الْأُنْثَى، وَجَعْلِهِمْ لَهَا أَنَّهَا بَنَاتُ اللَّهِ، كَمَا قَالَ: {وَجَعَلُوا الْمَلائِكَةَ الَّذِينَ هُمْ عِبَادُ الرَّحْمَنِ إِنَاثًا أَشَهِدُوا خَلْقَهُمْ سَتُكْتَبُ شَهَادَتُهُمْ وَيُسْأَلُونَ} [2]) [3]

قَالَ الآلوسي رَحِمَهُ اللهُ : ({ إِنَّ الذين لاَ يُؤْمِنُونَ بالاخرة } وبما فيها من العقاب على ما يتعاطونه من الكفر والمعاصي { لَيُسَمُّونَ الملائكة } المنزهين عن سمات النقصان على الإطلاق { تَسْمِيَةَ الانثى } فإنهم كانوا يقولون الملائكة بنات الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَي عما يقولون) [4]

قَالَ السعدي رَحِمَهُ اللهُ : (يعني أن المشركين بالله المكذبين لرسله، الذين لا يؤمنون بالآخرة، وبسبب عدم إيمانهم بالآخرة تجرأوا على ما تجرأوا عليه، من الأقوال، والأفعال المحادة لله ولرسوله، من قولهم: " الملائكة بنات الله " فلم ينزهوا ربهم عن الولادة، ولم يكرموا الملائكة ويجلوهم عن تسميتهم إياهم إناثا، والحال أنه ليس لهم بذلك علم، لا عن الله، ولا عن رسوله، ولا دلت على ذلك الفطر والعقول، بل العِلم كله دال على نقيض قولهم، وأن الله منزه عن الأولاد والصاحبة، لأنه الواحد الأحد، الفرد الصمد، الذي لم يلد ولم يولد، ولم يكن له كفوا أحد، وأن الملائكة كرام مقربون إلى الله، قائمون بخدمته { لا يَعْصُونَ اللَّهَ مَا أَمَرَهُمْ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ } والمشركون إنما يتبعون في

---

[1] تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان (1 / 708)

[2] [سورة الزُّخْرُفِ: 19]

[3] تفسير بن كثير (7 / 459)

[4] تفسير الآلوسي المسمي روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني (20 / 4)

ذلك القول القبيح، وَهُوَ الظن الذي لا يغني من الحق شيئا، فإن الحق لا بد فيه من اليقين المستفاد من الأدلة القاطعة والبراهين الساطعة.) [1]

وقَالَ تَعَالَي : (أَلَكُمُ الذَّكَرُ وَلَهُ الْأُنْثَى) [2]

قَالَ البغوي رَحِمَهُ اللهُ : (أَفَرَأَيْتُمْ : أَخْبِرُونَا أَيُّهَا الزَّاعِمُونَ أَنَّ اللَّاتَ وَالْعُزَّى ومناة بنات الله تعالى عما يقول الظالمون علوّا كبيرا.

وقَالَ الْكَلْبِيُّ: كَانَ الْمُشْرِكُونَ بِمَكَّةَ يَقُولُونَ الْأَصْنَامُ وَالْمَلَائِكَةُ بَنَاتُ اللَّهِ، وَكَانَ الرَّجُلُ مِنْهُمْ إِذَا بُشِّرَ بِالْأُنْثَى كره ذلك.) [3]

مبحث في ذكر نسبتهم العجز عن سماع المخلوقات في آن واحد للرب جل وعلا :

يقول الطبري رَحِمَهُ اللهُ : (وقوله تَعَالَي : " أَجَعَلَ الْآلِهَةَ إِلَهًا وَاحِدًا " [4] "وقَالَ هؤلاء الكافرون الذين قَالَوا: مُحَمَّد ساحر كذّاب: أجعل المعبودات كلها واحدة، يسمع دعاءنا جميعنا، ويعلم عبادة كل عابد عبده منا: [إِنَّ هَذَا لَشَيْءٌ عُجَابٌ] [5] " انتهي .

فأين قوله بأن شرك العرب كان فى الأُلُوهِيَّة فقط ؟! وإن لم يكن قولا صريحا ، فأين هو التلميح فى كلامه رَحِمَهُ اللهُ ، أو من أين يفهم أن شركهم كان فى الأُلُوهِيَّة فقط ؟!

أقول : بل كلام الطبري دليل لمن يقول بقولنا ، وَهُوَ أن كفار قريش كانوا كافرين بربوبية الله تَعَالَي ! وإن اعترفوا بها فى بعض المواضع !

[1] تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان (1 / 820)
[2] سورة النجم 21 .
3 تفسير البغوي (4 / 309) بتحقيق عبد الرزاق المهدي .
[4] سورة ص 5
[5] سورة ص 5

لأن كون الكفار لم يعترفوا لله بربوبيته وهي كونه يسمع جميع المسموعات التي خلقها ، ويبصر جميع المبصرات التي خلقها ، ويعامل كل عامل بما يريد مع أنه خالقهم جميعا !! وهَذَا نقض لاعترافهم بأن الله رب هَذَا الكون !!

فقد اعترفوا بأن الله خالقهم : (وَلَئِنْ سَأَلْتَهُمْ مَنْ خَلَقَهُمْ لَيَقُولُنَّ اللَّهُ) [1] ومع ذلك لم يعتقدوا أن خالقهم هَذَا قادر على سماعهم فى آن واحد لعجزه ، فبطل اعترافهم بأنه قادر على خلقهم !

وقَالَ الرازي [2] **رَحِمَهُ اللهُ** : (الْقَوْمَ مَا كَانُوا مِنْ أَصْحَابِ النَّظَرِ وَالِاسْتِدْلَالِ بَلْ كَانَتْ أَوْهَامُهُمْ تَابِعَةً لِلْمَحْسُوسَاتِ فَلَمَّا وَجَدُوا فِي الشَّاهِدِ أَنَّ الْفَاعِلَ الْوَاحِدَ لَا تفي قدرته وعمله بِحِفْظِ الْخَلْقِ الْعَظِيمِ قَاسُوا الْغَائِبَ عَلَى الشَّاهِدِ، فَقَالَوا لَا بُدَّ فِي حِفْظِ هَذَا الْعَالَمِ الْكَثِيرِ مِنْ آلِهَةٍ كَثِيرَةٍ يَتَكَفَّلُ كُلُّ وَاحِدٍ مِنْهُمْ بِحِفْظِ نَوْعٍ آخَرَ) [3] فهَذَا تصريح من الإِمَام الرازي رَحِمَهُ اللهُ بأنهم نقضوا اعترافهم بربوبية الله تعالى في مواضع أخري معلومة مشهورة بهَذَا التعجب الدافع إلي الكفر ، ووقعوا فى الشرك فى الرُّبُوبِيَّة . ولا شك أن تعجبهم ذلك شرك صريح في الرُّبُوبِيَّة والأَسمَاء وَالصِّفَات جرَّهم إلي الشرك في الأُلُوهِيَّة والعياذ بالله .

مبحث في ذكر شرك الجاهلية في الحكم وبيان أنه شرك في الرُّبُوبِيَّة والأُلُوهِيَّة والصفات .

ومن أصول دين المسلمين أن الحكم لله تَعَالَي وحده ، فهو رب هَذَا الكون ، خالقه والمتصرف فيه ، ولا يستحق العبادة إلا هو ، لما له من صفات الجلال والجمال والكمال ، وَهُوَ الذي يحكم في خلقه بما يريد . والأدلة المتكاثرة علي أن الحكم لا يكون إلا لله تَعَالَي .

---

[1] سورة الزخرف 87

[2] أبو عبد الله مُحَمَّد بن عمر بن الحسن بن الحسين التيمي الرازي الملقب بفخر الدين الرازي خطيب الري (المتوفى: 606هـ)

[3] مفاتيح الغيب أو التفسير الكبير (28 / 368) للرازي .

وكثيرا ما يبين ربنا تبارك وتَعَالَي في كتابه أنه الخَالِق ليستدل به علي استحقاقه العبادة فيقول تَعَالَي : **(أَلَا لَهُ الْخَلْقُ وَالْأَمْرُ)** [1] . فبين أن له الأمر بكل شيء.

قَالَ أهل العِلم :

بل الحق أن الحكم لله وحده... له الخلق والأمر الذي في الشريعة

ثم بين الله تَعَالَي أن له العبادة : **(إِنِ الْحُكْمُ إِلَّا لِلَّهِ أَمَرَ أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا إِيَّاهُ ذَلِكَ الدِّينُ الْقَيِّمُ)** [2] فالحكم لله لأنه الخَالِق ، ومن لوازم الخَالِق أن يحكم ما خلقه بما أراد ، ثم عقب وألزمهم عبادته وحده كلازم من لوازم الخلق والحكم .

ثم أمر الله تَعَالَي كل أنبياءه أن يحكموا بين الناس بحكم الله تَعَالَي وأن لا يلقي لأحكامهم بالا ، فقَالَ تَعَالَي : **(فَاحْكُمْ بَيْنَهُمْ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَاءَهُمْ عَمَّا جَاءَكَ مِنَ الْحَقِّ)**[3]

ثم قرعهم الله بسؤال تعجبي استنكاري ، مبينا أن لا حكم أحسن من حكمه ولا فصل أقوم من فصله ، فقَالَ تَعَالَي : **(أَفَحُكْمَ الْجَاهِلِيَّةِ يَبْغُونَ وَمَنْ أَحْسَنُ مِنَ اللَّهِ حُكْمًا لِقَوْمٍ يُوقِنُونَ)** [4]

ثم بين ربنا أن الخَالِق يفعل ما يريد بخلقه ويحكم فيهم بما يشاء ، فقَالَ تَعَالَي : **(إِنَّ اللَّهَ يَحْكُمُ مَا يُرِيدُ)** [5]

ولما يتم حكمه لا يعقب مخلوق علي خالقه ، كما أنه لا يعقب مولي علي سيده ، فقَالَ تَعَالَي : **(وَاللَّهُ يَحْكُمُ لَا مُعَقِّبَ لِحُكْمِهِ)** [1] فمن تعقب حكم الله برأي أو استدرك عليه بقول أو رده ولم يقبله فهو

---

[1] سورة الأعراف: 54
[2] شورة يوسف 40
[3] سورة المائدة 48
[4] سورة المائدة 50
[5] سورة المائدة 1

كافر به غير بمؤمن مناوء له غير مُسَلِّم ، فقَالَ تَعَالَي : (**وَمَنْ لَمْ يَحْكُمْ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ فَأُولَئِكَ هُمُ الْكَافِرُونَ**)[2]

ثم بين سُبْحَانَهُ أن الحكم في الدنيا والآخره له، لأنه خالق الكون من العدم علي غير مثال سابق ومن دون معونة من أحد - وهَذَا شأن الخَالِق - وَهُوَ المعيد كما بدأ الحاكم كما خلق ، فقَالَ تَعَالَي : (**اللَّهُ يَحْكُمُ بَيْنَكُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فِيمَا كُنْتُمْ فِيهِ تَخْتَلِفُونَ**)[3]

وأكثر من ذلك - أيها البصير - في آي القرآن الكريم تجده يكفر تكفيرا صريحا من دخل في دين الله تَعَالَي ولم ينسق لحكمه أو يرض به ويصير بذلك خارجا عن الإِسلَام حلال الدم والمال ، فكيف بمن لم يدخل في دينه ولم يقبل بحكمه ابتداءا ؟!.

مبحث في ذكر حكاية الله تعالي لنوع من شركهم في الربوبية .

قال الله تعالي يحكي عن حال المشركين : (وَقَالَ اللَّهُ لَا تَتَّخِذُوا إِلَهَيْنِ اثْنَيْنِ إِنَّمَا هُوَ إِلَهٌ وَاحِدٌ فَإِيَّايَ فَارْهَبُونِ ، وَلَهُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَلَهُ الدِّينُ وَاصِبًا أَفَغَيْرَ اللَّهِ تَتَّقُونَ ، وَمَا بِكُمْ مِنْ نِعْمَةٍ فَمِنَ اللَّهِ ثُمَّ إِذَا مَسَّكُمُ الضُّرُّ فَإِلَيْهِ تَجْأَرُونَ , ثُمَّ إِذَا كَشَفَ الضُّرَّ عَنْكُمْ إِذَا فَرِيقٌ مِنْكُمْ بِرَبِّهِمْ يُشْرِكُونَ)[4]

وقال تعالي : (فَأَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفًا فِطْرَتَ اللَّهِ الَّتِي فَطَرَ النَّاسَ عَلَيْهَا لَا تَبْدِيلَ لِخَلْقِ اللَّهِ ذَلِكَ الدِّينُ الْقَيِّمُ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ، مُنِيبِينَ إِلَيْهِ وَاتَّقُوهُ وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَلَا تَكُونُوا مِنَ الْمُشْرِكِينَ ، مِنَ الَّذِينَ فَرَّقُوا دِينَهُمْ وَكَانُوا شِيَعًا كُلُّ حِزْبٍ بِمَا لَدَيْهِمْ فَرِحُونَ ، وَإِذَا مَسَّ النَّاسَ ضُرٌّ دَعَوْا رَبَّهُمْ مُنِيبِينَ إِلَيْهِ ثُمَّ إِذَا أَذَاقَهُمْ مِنْهُ رَحْمَةً إِذَا فَرِيقٌ مِنْهُمْ بِرَبِّهِمْ يُشْرِكُونَ , لِيَكْفُرُوا بِمَا آتَيْنَاهُمْ فَتَمَتَّعُوا فَسَوْفَ

[1] سورة الرعد 41
[2] شورة المائدة 44
[3] سورة الحج 69
4 سورة النحل 51-54

تَعْلَمُونَ , أَمْ أَنْزَلْنَا عَلَيْهِمْ سُلْطَانًا فَهُوَ يَتَكَلَّمُ بِمَا كَانُوا بِهِ يُشْرِكُونَ) [1] وفي تلك الحكاية ملمح خفي وهو أن حكاية شركهم هذه تحوي شركهم في الربوبية والألوهية معا ، لأنهما متلازمان لا ينفك واحد منهما عن الآخر ، وإن أقر بشر بواحد منهما وترك الآخر فقد نقضه - اي الاخر - من حيث لا يدري . وهنا قد صرح الله تعالي بشركهم بلفظ الرب وليس بلفظ الإله ، ومعلوم بأن اللفظين إذا اجتمعا -أي في اللفظ- افترقا -أي في المعني - وإذا افترقا اجتمعا [2] ، فهنا قد جمع الله تعالي الألوهية في أول الآيات ثم ذكر الربوبية أيضا وفيه دلالة علي أن الشرك في الاثنين معا وليس في الألوهية فقط كما يزعم البعض .

قال الإمام الخازن [3]عند تفسيره لقول الله تعالي :- (وَقَالَ اللَّهُ لَا تَتَّخِذُوا إِلَهَيْنِ اثْنَيْنِ إِنَّمَا هُوَ إِلَهٌ وَاحِدٌ فَإِيَّايَ فَارْهَبُونِ ، وَلَهُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَلَهُ الدِّينُ وَاصِبًا أَفَغَيْرَ اللَّهِ تَتَّقُونَ ، وَمَا بِكُمْ مِنْ نِعْمَةٍ فَمِنَ اللَّهِ ثُمَّ إِذَا مَسَّكُمُ الضُّرُّ فَإِلَيْهِ تَجْأَرُونَ , ثُمَّ إِذَا كَشَفَ الضُّرَّ عَنْكُمْ إِذَا فَرِيقٌ مِنْكُمْ بِرَبِّهِمْ يُشْرِكُونَ) [4] (ولما بين في الآية المتقدمة أنه يجب على جميع العباد أن لا يخافوا إلا الله تعالى بين في هذه الآية أن جميع النعم منه لا يشكر عليها إلا إياه، لأنه هو المتفضل بها على عباده فيجب عليهم شكره عليها ثُمَّ إذا مَسَّكُمُ الضُّرُّ أي الشدة والأمراض والأسقام فَإِلَيْهِ تَجْئَرُونَ يعني إليه تستغيثون، وتصيحون وتضجون بالدعاء ليكشف عنكم ما نزل بكم من الضرر والشدة وأصل الجؤار هو رفع الصوت الشديد، ومنه جؤار البقر. والمعنى أن النعم لما كانت كلها ابتداء منه فإن حصل شدة، وضر في بعض الأوقات فلا يلجأ إلا إليه ولا يدعي إلا إياه ليكشفها، فإنه هو القادر على كشفها وهو قوله تعالى ثُمَّ إذا كَشَفَ الضُّرَّ عَنْكُمْ يعني ثم إذا أزال الشدة، والبلاء عنكم إذا فَرِيقٌ مِنْكُمْ يعني

1 سورة الروم 30-35

2 أي إذا اجتمع لفظ الاسلام والايمان في ءاية أو حديث فإنما يقصد بكل لفظ منهما معني خاص ، وإذا وجدت لفظة الاسلام أو الايمان في ءاية أو حديث وحدها فإنما يقصدبها عموم الدين ، وهذا معني إذا اجتمعا في اللفظ افترقا في المعني ، وإذا افترقا في اللفظ اجتمعا في المعني .

3 هو علاء الدين علي بن محمد بن إبراهيم بن عمر الشيحي أبو الحسن، المعروف بالخازن (المتوفى: 741هـ)

4 سورة النحل 51-54

طائفة وجماعة منكم بِرَبِّهِمْ يُشْرِكُونَ يعني أنهم يضيفون كشف الضر إلى العوائد، والأسباب ولا يضيفونه إلى الله عز وجل فهذا من جملة شركهم الذي كانوا عليه، وإنما قسمهم فريقين لأن فريق المؤمنين لا يرون كشف الضر إلا من الله تعالى)[1] فانظر إلي قوله رحمه الله (يعني أنهم يضيفون كشف الضر إلى العوائد، والأسباب ولا يضيفونه إلى الله عز وجل فهذا من جملة شركهم الذي كانوا عليه) وهذا شرك في الربوبية وليس في الألوهية ، لأنهم نسبوا فعلا من أفعال الله تعالي إلي غيره .

مبحث في ذكر تكفير الله تعالي لأكثر المشركين لإنكارهم نعمة الله بعد معرفتها.

ومن صريح الأدلة علي أن المشركين لم يكونوا - أو أكثرهم - مؤمنين بالله تعالي ربا قوله تعالي :- (يَعْرِفُونَ نِعْمَتَ اللَّهِ ثُمَّ يُنْكِرُونَهَا وَأَكْثَرُهُمُ الْكَافِرُونَ) [2] فقد ذكر الله تعالي أنهم علي معرفة بنعم الله تعالي التي أنعم بها وحده عليهم فكم قد أقروا واعترفوا في غير موطن بأن الله هو الخالق والرازق ؟ ولكنهم ينكرون ذلك بعدم انقيادهم للوازمها فكان إنكارا صريحا لإقرارهم - الزائف - فأدي بهم إلي الكفر. **قال السعدي رحمه الله** :- (فإنهم يرون الإحسان، ويعرفون نعمة الله، ولكنهم ينكرونها ويجحدونها، {وَأَكْثَرُهُمُ الْكَافِرُونَ} لا خير فيهم،) [3] .

وقال الطاهر بن عاشور [4] **رحمه الله** :- (هُمْ يَعْلَمُونَ نِعْمَةَ اللَّهِ الْمَعْدُودَةَ عَلَيْهِمْ فَإِنَّهُمْ مُنْتَفِعُونَ بِهَا، وَمَعَ تَحَقُّقِهِمْ أَنَّهَا نِعْمَةٌ مِنَ اللَّهِ يُنْكِرُونَهَا، أَيْ يَنْكَرُونَ شُكْرَهَا فَإِنَّ النِّعْمَةَ تَقْتَضِي أَنْ يَشْكُرَ الْمُنْعَمُ عَلَيْهِ بِهَا مَنْ أَنْعَمَ عَلَيْهِ فَلَمَّا عَبَدُوا مَا لَا يُنْعِمُ عَلَيْهِمْ فَكَأَنَّهُمْ أَنْكَرُوهَا، فَقَدْ أُطْلِقَ فِعْلُ «يُنْكِرُونَ» بِمَعْنَى إِنْكَارِ حَقِّ النِّعْمَةِ، فَإِسْنَادُ إِنْكَارِ النِّعْمَةِ إِلَيْهِمْ مَجَازٌ لُغَوِيٌّ، أَوْ هُوَ مَجَازٌ عَقْلِيٌّ، أَيْ يُنْكِرُونَ مُلَابِسَهَا وَهُوَ الشُّكْرُ... - ثم قال - ... وَإِنْكَارُ النِّعْمَةِ يَسْتَوِي فِيهِ جَمِيع الْمُشْركين أيِّمتهم وَدَهْمَاؤُهُمْ،

---

[1] لباب التأويل في معاني التنزيل (81/3) للخازن ,

[2] سورة النحل 83 .

[3] تفسير السعدي 445/1 .

[4] محمد الطاهر بن محمد بن محمد الطاهر بن عاشور التونسي (المتوفى : 1393هـ).

فَفَرِيقٌ مِنَ الْمُشْرِكِين وهم أيّمة الْكُفْرِ شَأْنُهُمُ التَّعَقُّلُ وَالتَّأَمُّلُ فَإِنَّهُمْ عَرَفُوا النِّعْمَةَ بِإِقْرَارِهِمْ بِالْمُنْعِمِ وَبِمَا سَمِعُوا مِنْ دَلَائِلِ الْقُرْآنِ حَتَّى تَرَدَّدُوا وَشَكُّوا فِي دِينِ الشِّرْكِ ثمّ ركبوا رؤوسهم وَصَمَّمُوا عَلَى الشِّرْكِ. وَلِهَذَا عَبَّرَ عَنْ ذَلِكَ بِالْإِنْكَارِ الْمُقَابِلِ لِلْإِقْرَارِ.) [1]

وقال الشنقيطي رحمه الله :- (ذَكَرَ - جَلَّ وَعَلَا - فِي هَذِهِ الْآيَةِ الْكَرِيمَةِ: أَنَّ الْكُفَّارَ يَعْرِفُونَ نِعْمَةَ اللَّهِ ; لِأَنَّهُمْ يَعْلَمُونَ أَنَّهُ هُوَ الَّذِي يَرْزُقُهُمْ وَيُعَافِيهِمْ، وَيُدَبِّرُ شُؤُونَهُمْ، ثُمَّ يُنْكِرُونَ هَذِهِ النِّعْمَةَ ; فَيَعْبُدُونَ مَعَهُ غَيْرَهُ، وَيُسَوُّونَهُ بِمَا لَا يَنْفَعُ وَلَا يَضُرُّ، وَلَا يُغْنِي شَيْئًا. وَقَدْ أَوْضَحَ - جَلَّ وَعَلَا - هَذَا الْمَعْنَى فِي آيَاتٍ كَثِيرَةٍ) [2]

وقال الشيخ علوان [3] **رحمه الله** :- (وكيف لا يحاسبون ولا يعاقبون أولئك المشركون المكابرون إذ هم يَعْرِفُونَ نِعْمَتَ اللَّهِ التي قد عددها وهيأها لهم ثُمَّ يُنْكِرُونَهَا من خبث بواطنهم بحيث أسندوها الى شركائهم وشفعائهم وَبالجملة أَكْثَرُهُمُ اى عرفاؤهم وعقلاؤهم الذين يعرفون النعمة والمنعم ثم ينكرون انعامه ويسندونها الى شركائهم وكذا اتباعهم وضعفاؤهم في العقل والتمييز كلهم أصلا وفرعا تابعا ومتبوعا هم الْكافِرُونَ الجاحدون المنكرون الله وانعامه المقصورون على الكفر والشقاق يجازون على مقتضى جحودهم وانكارهم) [4]

وقال بن قتيبة [5] :- (يَعْرِفُونَ نِعْمَتَ اللَّهِ أي يعلمون أن هذا كله من عنده، ثم ينكرون ذلك، بأن يقولون: هو شفاعة آلهتنا.)

وقال الشوكاني[1] **رحمه الله** :- (وَجُمْلَةُ يَعْرِفُونَ نِعْمَتَ اللَّهِ ثُمَّ يُنْكِرُونَهَا اسْتِئْنَافٌ لِبَيَانِ تَوَلِّيهِمْ، أَيْ: هُمْ يَعْرِفُونَ نِعْمَةَ اللَّهِ الَّتِي عَدَّدَهَا، وَيَعْتَرِفُونَ بِأَنَّهَا مِنْ عِنْدِ اللَّهِ سُبْحَانَهُ، ثُمَّ يُنْكِرُونَهَا بِمَا يَقَعُ مِنَ

---

[1] التحرير والتنوير «تحرير المعنى السديد وتنوير العقل الجديد من تفسير الكتاب المجيد»242/14 .

[2] أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن 420/2 .

[3] نعمة الله بن محمود النخجواني، ويعرف بالشيخ علوان (المتوفى: 920هـ) .

[4] الفواتح الإلهية والمفاتح الغيبية الموضحة للكلم القرآنية والحكم الفرقانية 434/1 .

[5] أبو محمد عبد الله بن مسلم بن قتيبة الدينوري (المتوفى: 276هـ) .

أَفْعَالِهِمُ الْقَبِيحَةِ مِنْ عِبَادَةِ غَيْرِ اللَّهِ وَبِأَقْوَالِهِمُ الْبَاطِلَةِ، حَيْثُ يَقُولُونَ هِيَ مِنَ اللَّهِ وَلَكِنَّهَا بِشَفَاعَةِ الْأَصْنَامِ، وَحَيْثُ يَقُولُونَ: إِنَّهُمْ وَرِثُوا تِلْكَ النِّعَمَ مِنْ آبَائِهِمْ، وَأَيْضًا كَوْنِهِمْ لَا يَسْتَعْمِلُونَ هَذِهِ النِّعَمَ فِي مَرْضَاةِ الرَّبِّ سُبْحَانَهُ، وَفِي وُجُوهِ الْخَيْرِ الَّتِي أَمَرَهُمُ اللَّهُ بِصَرْفِهَا فِيهَا وَقِيلَ: نِعْمَةُ اللَّهِ نُبُوَّةُ مُحَمَّدٍ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كَانُوا يَعْرِفُونَهُ ثُمَّ يُنْكِرُونَ نُبُوَّتَهُ وَأَكْثَرُهُمُ الْكافِرُونَ أَيِ: الْجَاحِدُونَ لِنِعَمِ اللَّهِ أَوِ الْكَافِرُونَ بِاللَّهِ، وَعَبَّرَ هُنَا بِالْأَكْثَرِ عَنِ الْكُلِّ، أَوْ أَرَادَ بِالْأَكْثَرِ الْعُقَلَاءَ دُونَ الْأَطْفَالِ وَنَحْوِهِمْ، أَوْ أَرَادَ كُفْرَ الْجُحُودِ وَلَمْ يَكُنْ كُفْرُ كُلِّهِمْ كَذَلِكَ، بَلْ كَانَ كُفْرُ بَعْضِهِمْ كُفْرَ جَهْلٍ، وَكُفْرُ بَعْضِهِمْ بِسَبَبِ تكذيب رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مَعَ اعْتِرَافِهِمْ بِاللَّهِ وَعَدَمِ الْجَحْدِ لِرُبُوبِيَّتِهِ، وَمِثْلُ هَذِهِ الْآيَةِ قَوْلُهُ تَعَالَى: " وَجَحَدُوا بِها وَاسْتَيْقَنَتْها أَنْفُسُهُمْ ظُلْماً وَعُلُوًّا فَانْظُرْ كَيْفَ كانَ عاقِبَةُ الْمُفْسِدِينَ " [2]) [3]

فانظر إلي تقييد الامام الشوكاني أن بعض المشركين لم يكونوا معترفين بالربوبية .

وقال السيوطي [4] **رحمه الله** : - (وَأخرج ابْن أبي حَاتِم عَن مُجَاهِد رَضِي الله عَنهُ: أَن أَعْرَابِيًا أَتَى النَّبِي صلى الله عَلَيْهِ وَسلم فَسَأَلَهُ فَقَرَأَ عَلَيْهِ رَسُول الله صلى الله عَلَيْهِ وَسلم {وَالله جعل لكم من بُيُوتكُمْ سكناً} قَالَ الْأَعرَابِي: نعم قَالَ: {وَجعل لكم من جُلُود الْأَنْعَام بُيُوتًا تستخفونها} قَالَ الْأَعرَابِي: نعم ثمَّ قَرَأَ عَلَيْهِ كل ذَلِك يَقُول نعم حَتَّى بلغ {كَذَلِك يتم نعْمَته عَلَيْكُم لَعَلَّكُمْ تسلمون} فولى الْأَعرَابِي فَأنْزل الله {يعْرفُونَ نعْمَة الله ثمَّ يُنْكِرُونَهَا وَأَكْثَرهم الْكَافِرُونَ}

وَأخرج ابْن أبي شيبَة وَابْن جرير وَابْن الْمُنْذر وَابْن أبي حَاتِم عَن مُجَاهِد رَضِي الله عَنهُ فِي قَوْله: {يعْرفُونَ نعْمَة الله ثمَّ يُنْكِرُونَهَا} قَالَ: هِيَ المساكن والأنعام وَمَا ترزقون مِنْهَا وسرابيل من الْحَدِيد وَالثِّيَاب تعرف هَذَا كفار قُرَيْش ثمَّ تنكره بِأَن تَقول: هَذَا كَانَ لآبائنا فورثونا إِيَّاه

---

[1] محمد بن علي بن محمد بن عبد الله الشوكاني اليمني ثم الصنعاني (المتوفى: 1250هـ).

[2] سورة النمل 14 .

[3] فتح القدير 3 / 222.

[4] عبد الرحمن بن أبي بكر، جلال الدين السيوطي (المتوفى: 911هـ).

وَأخرج ابْن جرير عَن عبد الله بن كثير فِي الْآيَة قَالَ: يعلمُونَ أَن خلقهمْ وَأَعْطَاهُمْ بَعْدَمَا أَعْطَاهُم يكفرون فَهُوَ معرفهم نعْمَته ثمَّ إنكارهم إِيَّاهَا كفرهم بعد

وَأخرج سعيد بن مَنْصُور وَابْن جرير وَابْن الْمُنْذر وَابْن أبي حَاتِم عَن عون بن عبد الله فِي قَوْله: {يعْرفُونَ نعْمَة الله ثمَّ يُنْكِرُونَهَا} قَالَ: انكارهم إِيَّاهَا أَن يَقُول الرجل: لَوْلَا فلَان أصابني كَذَا وَكَذَا وَلَوْلَا فلَان لم أصب كَذَا وَكَذَا

وَأخرج ابْن أبي شيبَة وَابْن جرير وَابْن الْمُنْذر وَابْن أبي حَاتِم عَن السّديّ فِي قَوْله: {يعْرفُونَ نعْمَة الله ثمَّ يُنْكِرُونَهَا} قَالَ مُحَمَّد: وَلَفظ ابْن أبي حَاتِم قَالَ: هَذَا فِي حَدِيث أبي جهل والأخنس حِين سَأَلَ الْأَخْنَس أَبَا جهل عَن مُحَمَّد: فَقَالَ: هُوَ نَبِي) [1]

فمن مجل ما ذكرنا أن المشركين أشركوا الله تعالي في صفة من صفات ربوبية ، فلذلك لا يصح أن يقال عليهم أنهم ءامنوا بالربوبية ، وغاية ما يقال بأنهم أقروا ببعض مسائلها لا علي سبيل التسليم ولا علي تمام الإقرار بل هو إقرار باللسان عريٌّ عن التطبيق والانقياد ، ومثل ذلك لا يغني من الحق شيئا .

مبحث في بيان شرك الجاهلية في التشريع وأن الألوهية من ألزوم لوازم الربوبية ، وأن التشريع شرك في الربوبية.

وَانظر إلي صريح قول الله تعالي :- (اتَّخَذُوا أَحْبَارَهُمْ وَرُهْبَانَهُمْ أَرْبَابًا [2]مِنْ دُونِ اللَّهِ وَالْمَسِيحَ ابْنَ مَرْيَمَ وَمَا أُمِرُوا إِلَّا لِيَعْبُدُوا إِلَهًا وَاحِدًا لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ سُبْحَانَهُ عَمَّا يُشْرِكُونَ) [3] فتمعن في قوله " أربابا " ولاحظ أنه لم يقل "آلهة من دون الله " ! مع أن المراد هو الألوهية وليس الربوبية !. فهنا ذكر

---

[1] الدر المنثور في التفسير بالمأثور 5/155-156

[2] قال السعدي : - ({أَرْبَابًا مِنْ دُونِ اللَّهِ} يُحِلُّون لهم ما حرم الله فيحلونه، ويحرمون لهم ما أحل الله فيحرمونه، ويشرعون لهم من الشرائع والأقوال المنافية لدين الرسل فيتبعونهم عليها.) تيسير الكريم الرحمن (334/1).

[3] [التوبة/31]

لفظ الربوبية وليس المراد منه أنهم يفعلون أفعال الرب [1] بل ولا يزعمون لأنفسهم ذلك ، ولكن الله قصد الربوبية من قبيل أنهم شرعوا شرعا يضاهي شرع الله ، والتشريع حق لله تعالي وهو من أفعاله ، وهذا – انتحالهم صفة التشريع ونديتها لله - خاف عليهم ، أما الانقياد له فهو من مظاهر الألوهية التي لا يفرد بها إلا الله ، أي أنهم يتخذون أحبارهم آلهة من دون الله ، ولذلك فهم عدي بن حاتم من مجرد سماع لفظ " أربابا" أن المقصود آلهة ! وكان فهما صحيحا ، ولكنه لما لم يكن اتخاذهم لهم آلهة صراحة أُشكل ذلك في فهم عدي رضي الله عنه فاعترض وبين للنبي أنهم لم يكونوا يعبدونهم ، فبين له النبي أن للعبادة أشكالا وألوانا منها طاعتهم فيما يخالفون فيه الله تعالي .

فعَنْ عَدِيِّ بْنِ حَاتِمٍ - رضي الله عنه - قَالَ: أَتَيْتُ النَّبِيَّ - صلى الله عليه وسلم - وَفِي عُنُقِي صَلِيبٌ مِنْ ذَهَبٍ، فَقَالَ: " يَا عَدِيُّ اطْرَحْ عَنْكَ هَذَا الْوَثَنَ [2] "، فَطَرَحْتُهُ، وَسَمِعْتُهُ يَقْرَأُ فِي سُورَةِ بَرَاءَةٌ: {اتَّخَذُوا أَحْبَارَهُمْ [3] وَرُهْبَانَهُمْ [4] أَرْبَابًا مِنْ دُونِ اللَّهِ وَالْمَسِيحَ ابْنَ مَرْيَمَ، وَمَا أُمِرُوا إِلَّا لِيَعْبُدُوا إِلَهًا وَاحِدًا لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ سُبْحَانَهُ عَمَّا يُشْرِكُونَ} [5] فَقُلْتُ: إِنَّا لَسْنَا نَعْبُدُهُمْ , فَقَالَ: " أَلَيْسَ يُحَرِّمُونَ مَا أَحَلَّ اللَّهُ فَتُحَرِّمُونَهُ؟ , وَيُحِلُّونَ مَا حَرَّمَ اللَّهُ فَتَسْتَحِلُّونَهُ؟ " , قُلْتُ: بَلَى، قَالَ: " فَتِلْكَ عِبَادَتُهُمْ [6] " [1] .

---

[1] المشهورة من الخلق والرزق والتدبير والإحياء والإماته !

[2] (الْوَثَنَ): كُلُّ مَا لَهُ جُثَّةٌ مَعْمُولَةٌ مِنْ جَوَاهِرِ الْأَرْضِ أَوْ مِنْ الْخَشَبِ وَالْحِجَارَةِ، كَصُورَةِ الْآدَمِيِّ، وَالصَّنَمُ: الصُّورَةُ بِلَا جُثَّةٍ. تحفة الأحوذي - (ج 7 / ص 418)

[3] أَيْ: عُلَمَاءَ الْيَهُودِ. تحفة الأحوذي - (ج 7 / ص 418)

[4] أَيْ: عُبَّادَ النَّصَارَى. تحفة الأحوذي - (ج 7 / ص 418)

[5] [التوبة/31]

[6] قَالَ فِي فَتْحِ الْبَيَانِ: فِي هَذِهِ الْآيَةِ مَا يَزْجُرُ مَنْ كَانَ لَهُ قَلْبٌ أَوْ أَلْقَى السَّمْعَ وَهُوَ شَهِيدٌ عَنْ التَّقْلِيدِ فِي دِينِ اللَّهِ، وَإِيثَارُ مَا يَقُولُهُ الْأَسْلَافُ عَلَى مَا فِي الْكِتَابِ الْعَزِيزِ وَالسُّنَّةِ الْمُطَهَّرَةِ، فَإِنَّ طَاعَةَ الْمُتَمَذْهِبِ لِمَنْ يَقْتَدِي بِقَوْلِهِ وَيَسْتَنُّ بِسُنَّتِهِ مِنْ عُلَمَاءِ هَذِهِ الْأُمَّةِ مَعَ مُخَالَفَته لِمَا جَاءَتْ بِهِ النُّصُوصُ وَقَامَتْ بِهِ حِجَجُ اللَّهِ وَبَرَاهِينُهُ هُوَ كَاتِّخَاذِ الْيَهُودِ وَالنَّصَارَى لِلْأَحْبَارِ وَالرُّهْبَانِ أَرْبَابًا مِنْ دُونِ اللَّهِ , لِلْقَطْعِ بِأَنَّهُمْ لَمْ يَعْبُدُوهُمْ , بَلْ أَطَاعُوهُمْ وَحَرَّمُوا مَا حَرَّمُوا وَحَلَّلُوا مَا حَلَّلُوا، وَهَذَا هُوَ صَنِيعُ الْمُقَلِّدِينَ مِنْ هَذِهِ الْأُمَّةِ، وَهُوَ أَشْبَهُ بِهِ مِنْ شَبَهِ الْبَيْضَةِ بِالْبَيْضَةِ، وَالتَّمْرَةِ بِالتَّمْرَةِ، وَالْمَاءِ بِالْمَاءِ , فَيَا عِبَادَ اللَّهِ مَا بَالُكُمْ تَرَكْتُمْ الْكِتَابَ وَالسُّنَّةَ جَانِبًا وَعَمَدْتُمْ إِلَى رِجَالٍ هُمْ مِثْلُكُمْ فِي تَعَبُّدِ اللَّهِ لَهُمْ بِهِمَا، وَطَلَبِهِ لِلْعَمَلِ مِنْهُمْ بِمَا دَلَّا عَلَيْهِ وَأَفَادَاهُ , فَعَمِلْتُمْ بِمَا جَاءُوا بِهِ مِنْ الْآرَاءِ الَّتِي لَمْ تُعْمَدْ بِعِمَادِ الْحَقِّ، وَلَمْ تُعْضَدْ بِعَضُدِ الدِّينِ وَنُصُوصِ الْكِتَابِ وَالسُّنَّةِ، تُنَادِي بِأَبْلَغِ نِدَاءٍ، وَتُصَوِّتُ بِأَعْلَى صَوْتٍ بِمَا يُخَالِفُ ذَلِكَ وَيُبَايِنُهُ، فَأَعَرْتُمُوهَا آذَانًا صُمًّا، وَقُلُوبًا غُلْفًا، وَأَذْهَانًا كَلِيلَةً، وَخَوَاطِرَ عَلِيلَةً، وَأَنْشَدْتُمْ بِلِسَانِ الْحَالِ: وَمَا أَنَا إِلَّا مِنْ غَزِيَّةَ إِنْ غَوَتْ غَوَيْت وَإِنْ تَرْشُدْ غَزِيَّةُ أَرْشُدُ اِنْتَهَى , وَقَالَ الرَّازِيُّ فِي تَفْسِيرِهِ: قَالَ شَيْخُنَا وَمَوْلَانَا خَاتِمَةُ الْمُحَقِّقِينَ وَالْمُجْتَهِدِينَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: قَدْ شَاهَدْت جَمَاعَةً مِنْ مُقَلِّدَةِ الْفُقَهَاءِ قُرِئَتْ عَلَيْهِمْ آيَاتٌ كَثِيرَةٌ مِنْ كِتَابِ اللَّهِ تَعَالَى فِي بَعْضِ الْمَسَائِلِ فَكَانَتْ مَذَاهِبُهُمْ بِخِلَافِ تِلْكَ الْآيَاتِ، فَلَمْ يَقْبَلُوا تِلْكَ الْآيَاتِ وَلَمْ يَلْتَفِتُوا إِلَيْهَا وَبَقُوا يَنْظُرُونَ إِلَيَّ كَالْمُتَعَجِّبِ، يَعْنِي

قال بن كثير :- (رَوَى الْإِمَامُ أَحْمَدُ، وَالتِّرْمِذِيُّ، وَابْنُ جَرِيرٍ مِنْ طُرُقٍ، عَنْ عَدِيِّ بْنِ حَاتِمٍ، رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، أَنَّهُ لَمَّا بَلَغَتْهُ دَعْوَةُ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَرَّ إِلَى الشَّامِ، وَكَانَ قَدْ تَنَصَّرَ فِي الْجَاهِلِيَّةِ، فَأُسِرَتْ أُخْتُهُ وَجَمَاعَةٌ مِنْ قَوْمِهِ، ثُمَّ منَّ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عَلَى أُخْتِهِ وَأَعْطَاهَا، فَرَجَعَتْ إِلَى أَخِيهَا، ورغَّبته فِي الْإِسْلَامِ وَفِي الْقُدُومِ عَلَى رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فَقَدِمَ عَدِيّ الْمَدِينَةَ، وَكَانَ رَئِيسًا فِي قَوْمِهِ طَيِّئٍ، وَأَبُوهُ حَاتِمٌ الطَّائِيُّ الْمَشْهُورُ بِالْكَرَمِ، فتحدَّث النَّاسُ بِقُدُومِهِ، فَدَخَلَ عَلَى رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَفِي عُنُقِ عَدِيّ صَلِيبٌ مِنْ فِضَّةٍ، فَقَرَأَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ هَذِهِ الْآيَةَ: {اتَّخَذُوا أَحْبَارَهُمْ وَرُهْبَانَهُمْ أَرْبَابًا مِنْ دُونِ اللَّهِ} قَالَ: فَقُلْتُ: إِنَّهُمْ لَمْ يَعْبُدُوهُمْ. فَقَالَ: "بَلَى، إِنَّهُمْ حَرَّمُوا عَلَيْهِمُ الْحَلَالَ، وَأَحَلُّوا لَهُمُ الْحَرَامَ، فَاتَّبَعُوهُمْ، فَذَلِكَ عِبَادَتُهُمْ إِيَّاهُمْ". وَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: "يَا عَدِيُّ، مَا تَقُولُ؟ أيُفِرّك [2] أَنْ يُقَالَ: اللَّهُ أَكْبَرُ؟ فَهَلْ تَعْلَمُ شَيْئًا أَكْبَرَ مِنَ اللَّهِ؟ مَا يُفرك؟ أَيُفِرُّكَ أَنْ يُقَالَ [3] لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ؟ فَهَلْ تَعْلَمُ مِنْ إِلَهٍ إِلَّا اللَّهُ"؟ ثُمَّ دَعَاهُ إِلَى الْإِسْلَامِ فَأَسْلَمَ، وَشَهِدَ شَهَادَةَ الْحَقِّ، قَالَ: فَلَقَدْ رأيتُ وَجْهَهُ اسْتَبْشَرَ ثُمَّ قَالَ: "إِنَّ الْيَهُودَ مَغْضُوبٌ عَلَيْهِمْ، وَالنَّصَارَى ضَالُّونَ" [4])[5] والشاهد في هذا هو استعمال لفظة الربوبية بنفس معني الألوهية ، فالألوهية من ألزم لوازم الربوبية وأخص خصائصها وليست منفكة عنها ، ولذلك " قَالَ حُذَيْفَةُ بْنُ الْيَمَانِ، وَعَبْدُ اللَّهِ بْنُ عَبَّاسٍ، وَغَيْرُهُمَا فِي تَفْسِيرِ: {اتَّخَذُوا أَحْبَارَهُمْ وَرُهْبَانَهُمْ أَرْبَابًا مِنْ دُونِ اللَّهِ} إِنَّهُمُ اتَّبَعُوهُمْ فِيمَا حَلَّلُوا وَحَرَّمُوا "[6] .

كَيْفَ يُمْكِنُ الْعَمَلُ بِظَوَاهِرِ هَذِهِ الْآيَاتِ مَعَ أَنَّ الرِّوَايَةَ عَنْ سَلَفِنَا وَرَدَتْ إِلَى خِلَافِهَا، وَلَوْ تَأَمَّلْتَ حَقَّ التَّأَمُّلِ , وَجَدْت هَذَا الدَّاءَ سَارِيًا فِي عُرُوقِ الْأَكْثَرِينَ مِنْ أَهْلِ الدُّنْيَا اِنْتَهَى. تحفة الأحوذي - (ج 7 / ص 418)

[1] حسنه الألباني في صحيح الترمذي 3095، وحسنه في غاية المرام: 6.

[2] أيسرك

[3] ما نقول أيسرك

[4] سنن الترمذي برقم (3095) وتفسير الطبري (14/ 209 - 211) من طريق عبد السلام بن حرب عن غطيف بن أعين عن مصعب بن سعد عَنْ عَدِيِّ بْنِ حَاتِمٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، وقال التِّرْمِذِيُّ: "هَذَا حَدِيثٌ غَرِيبٌ، لَا نَعْرِفُهُ إِلَّا مِنْ حديث عبد السلام بن حرب وغطيف بن أعين ليس بمعروف في الحديث".

[5] تفسير القرآن العظيم (135/4) بتحقيق سامي بن محمد سلامة .

[6] تفسير القرآن العظيم (135/4) بتحقيق سامي بن محمد سلامة .

وملخص ذلك أن أهل الجاهلية كانوا مشركين في الربوبية وليسوا مقريين بها ولا مؤمنين . ومعلوم أن القوم محل دعوة النبي صلي الله عليه وسلم ولذلك كان من دعوته لهم أن يفرد الله تعالي بالحكم والتشريع الذي هو من الربوبية .

ذكر كفر من لم ينسق لحكم الله تَعَالَي وحكم رسوله صَلَّي اللهُ عَلَيهِ وَسَلَّمَ .

وبيت القصد أن من لم ينسق لحكم الله تَعَالَي فهو كافر بربوبيته تَعَالَي لأن الحكم من مَسَائِل الرُّبُوبِيَّة من جهة كونه صادرا من الرب وَهُوَ حقه لأنه الخَالِق البارىء المتصرف في خليقته ، فمتى لم تنسق لحكمه فقد كفرت بأنه الخَالِق وإن تشهدت و نطقت بها بلسانك .

قَالَ الشنقيطي رَحِمَهُ اللهُ : (لما كان التشريع و جميع الأحكام ؛ شرعية كانت أو كونية قدرية ، من خصائص الرُّبُوبِيَّة ، كما دلت عليه الآيات المذكورة ، كان كل من اتبع تشريعاً غير تشريع الله قد اتخذ ذلك المشرِّع رباً ، و أشركه مع الله) [1].

وكذلك من رد حكم الله تَعَالَي فقد كفر بألوهية الله تَعَالَي لأن التحاكم لا يكون إلا لله تَعَالَي الخَالِق لهَذَا الكون والذي لا يَجُوزُ أن يصرف نوع من أنواع العبادة لغيره سُبْحَانَهُ ، والحكم من أهم وأعظم مَسَائِل الأُلُوهِيَّة .

قَالَ الشنقيطي رَحِمَهُ اللهُ: (الإشراك بالله في حكمه و الإشراك به في عبادته كلها بمعنى واحد لا فرق بينهما ألبتة ، فالذي يتبع نظاماً غير نظام الله ، و تشريعاً غير تشريع الله ، و من كان يعبد الصنم ، و يسجد للوثن لا فرق بينهم ألبتة ؛ فهما واحد ، و كلاهما مشرك بالله) [2] .

[1] [أضواء البيان : 7 / 169]

[2] [أضواء البيان : 7 / 162]

لذلك يتبين أنهم بردهم حكم الله تَعَالَي وإعراضهم عنه كفار في بابين عظيمين ، في باب الرُّبُوبِيَّة لأن الحكم من مَسَائِل الرُّبُوبِيَّة وكفار في الأُلُوهِيَّة لأن الحكم من مَسَائِل الأُلُوهِيَّة ولا يبعد أن يكونوا كفارا في باب الصفات لأن الحكم من صفات الله تَعَالَي .

قَالَ الشَّيخ مُحَمَّد بن إبراهيم[1] **رَحِمَهُ اللهُ** : (أما الذي جعل قوانين بترتيب و تخضيع فهَذَا كفر و إن قَالَوا أخطأنا و حكم الشرع أعدل ؛ فهَذَا كفر ناقل عن الملة) .

فإليك أيها البصير تلك الأحكام التي تكفر من زعم الإسلَام - أي ادعي الإسلَام بلسانه - وسار علي أغلب مَسَائِله لكنه رد حكم الله تَعَالَي مناوءة له أو لهوي في نفسه ! ، فكيف بمن رده لأنه لم يدخل في الإسلَام ؟! لا شك أنه كافر في الأُلُوهِيَّة والرُّبُوبِيَّة والصفات من خلال هذه المسألة علي وجه التحديد .

ذكر بعض الأدلة علي كفر من رد حكم الله ورسوله وبيان أن مشركي العرب كفرة من هَذَا الجانب .

والأدلة علي أنهم بردهم حكم الله كفروا بالرُّبُوبِيَّة والأُلُوهِيَّة كثيرة :

قَالَ السمرقندي رَحِمَهُ اللهُ عند تفسير قول الله تَعَالَي : (وَأَنِ احْكُمْ بَيْنَهُمْ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَاءَهُمْ وَاحْذَرْهُمْ أَنْ يَفْتِنُوكَ عَنْ بَعْضِ مَا أَنْزَلَ اللَّهُ إِلَيْكَ فَإِنْ تَوَلَّوْا فَاعْلَمْ أَنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ أَنْ يُصِيبَهُمْ بِبَعْضِ ذُنُوبِهِمْ)[2] ما نصه - بتصرف - : (وذلك أن يهود بني النضير قَالَوا فيما بينهم: اذهبوا بنا إلى مُحَمَّد صَلَّي اللهُ عَلَيهِ وَسَلَّمَ لعلنا نفتنه عن دينه. وإنما هو بشر فأتَوْه. فقَالَوا: يا مُحَمَّد إنك قد عرفت أنّا أحبار اليهود، وأشرافهم، وسادتهم، وأنّا إن اتبعناك اتبعك اليهود، ولن يخالفونا.

[1] هو العلامة الجليل الشيخ محمد بن الشيخ إبراهيم بن الشيخ عبداللطيف بن الشيخ عبدالرحمن بن الشيخ حسن بن إمام الدعوة محي السنة مميت البدعة الشيخ (محمد بن عبدالوهاب). مفتي المملكة ورَئيس القضاة والشؤون الإسلامية المتوفي عام 1389هـ .

[2] سورة المائدة 49

وإنّ بيننا وبين قومنا خصومة، فنحاكمهم إليك، فتقضي لنا عليهم، فنؤمن بك، فأبى النبي صَلَّي اللهُ عَلَيهِ وَسَلَّمَ ذلك. فنزلت هذه الآية وَأَنِ احْكُمْ بَيْنَهُمْ بِما أَنْزَلَ اللَّهُ يعني: اقضِ بينهم بما في القرآن، وَلا تَتَّبِعْ أَهْواءَهُمْ في الحكم، وَاحْذَرْهُمْ أَنْ يَفْتِنُوكَ يعني: يصرفوك، عَنْ بَعْضِ مآ أَنْزَلَ اللَّهُ إِلَيْكَ.

وقَالَ الضحاك: تزوج مجوسي ابنته، فجاءت إلى النبيّ صَلَّي اللهُ عَلَيهِ وَسَلَّمَ وطلبت نفقتها، فأمر الله تعالى رسوله أن يفرق بينهما بقوله: وَأَنِ احْكُمْ بَيْنَهُمْ بِما أَنْزَلَ اللَّهُ.

وقَالَ الكلبي: طلبوا منه بأن يحكم بينهم في الدماء على ما كانوا عليه في الجاهلية فنزل وَأَنِ احْكُمْ بَيْنَهُمْ بِما أَنْزَلَ اللَّهُ وَلا تَتَّبِعْ أَهْواءَهُمْ وَاحْذَرْهُمْ أَنْ يَفْتِنُوكَ.

ثم قَالَ: فَإِنْ تَوَلَّوْا يعني: أبَوْا أن يرضوا بحكمك، فَاعْلَمْ أَنَّما يُرِيدُ اللَّهُ أَنْ يُصِيبَهُمْ بِبَعْضِ ذُنُوبِهِمْ يعني: يعذبهم في الدنيا. قَالَ الكلبي: يعني: بالجلاء إلى الشام، والإخراج من دورهم. وقَالَ الضحاك: يعني: يريد الله أن يأمر بهم إلى النار بذنوبهم.) [1]

ومن ذلك نعلم أن اليهود لم ينساقوا لحكم الله تَعَالَي علي لسان رسوله صَلَّي اللهُ عَلَيهِ وَسَلَّمَ ، وهم بذلك كافرون في الرُّبُوبِيَّة والأُلُوهِيَّة والصفات . وحال أهل مكة كحالهم .

قَالَ الطبري رَحِمَهُ اللهُ عند تفسيره قول الله تَعَالَي: (أَفَحُكْمَ الْجَاهِلِيَّةِ يَبْغُونَ وَمَنْ أَحْسَنُ مِنَ اللَّهِ حُكْمًا لِقَوْمٍ يُوقِنُونَ) [2] ما ملخصه : (أيبغي هؤلاء اليهود الذين احتكموا إليك، فلم يرضوا بحكمك، إذ حكمت فيهم بالقسط "حكم الجاهلية"، يعني: أحكام عبَدة الأوثان مِن أَهلِ الشرك، وعندهم كتاب الله فيه بيان حقيقة الحكم الذي حكمت به فيهم، وأنه الحق الذي لا يَجُوزُ خلافه.

ثم قَالَ تعالى ذكره - موبِّخًا لهؤلاء الذين أبوا قَبُول حكم رسول الله صَلَّي اللهُ عَلَيهِ وَسَلَّمَ عليهم ولهم من اليهود، ومستجهلا فعلَهم ذلك منهم - : ومَنْ هَذَا الذي هو أحسن حكمًا، أيها اليهود، من الله تعالى ذكره عند من كان يوقن بوحدانية الله، ويقرُّ بربوبيته؟ يقول تعالى ذكره: أيّ حكم أحسن من

[1] بحر العلوم للسمرقندي (1 / 396) بترقيم الشاملة .

[2] سورة المائدة 50

حكم الله، إن كنتم موقنين أن لكم ربًّا، وكنتم أهل توحيدٍ وإقرار به؟ وبنحو الذي قلنا في ذلك قَالَ مجاهد.) [1] يستنكر الله تَعَالَي علي من يزعم الإيمَان بالله تَعَالَي ربا أو إلها أن يرد حكمه الذي أنزله مع رسله ويخترع حكما بشريا يضاهي به حكم الله تَعَالَي ، ويبين أنهم كافرون حين ردِّهم ذلك عليه .

قَالَ الآلوسي [2] **رَحِمَهُ اللهُ** عند تفسير قول الله تَعَالَي : (أَفَحُكْمَ الجاهلية يَبْغُونَ) [3] ما ملخصه : (إنكار وتعجيب من حالهم وتوبيخ لهم ، أي أيتولون عن قبول حكمك بما أنزل الله تعالى إليك فيبغون حكم الجاهلية ؟ ...- ثم قَالَ رَحِمَهُ اللهُ - لأن التولي عن حكم رسول الله صَلَّي اللهُ عَلَيهِ وَسَلَّمَ وطلب حكم آخر منكر عجيب ، وطلب حكم الجاهلية أقبح وأعجب ، وَالمُرَاد بالجاهلية الملة الجاهلية التي هي متابعة الهوى الموجبة للميل والمداهنة في الأحكام ، أو الأمة الجاهلية ، وحكمهم : ما كانوا عليه من التفاضل فيما بين القتلى ... - ثم قَالَ رَحِمَهُ اللهُ -، فقد روي أن بني النضير لما تحاكموا إلى رسول الله صَلَّي اللهُ عَلَيهِ وَسَلَّمَ في خصومة قتيل وقعت بينهم وبين بني قريظة طلب بعضهم من رسول الله صَلَّي اللهُ عَلَيهِ وَسَلَّمَ أن يحكم بينهم بما كان عليه أهل الجاهلية من التفاضل ، فقَالَ عَلَيهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَام : " القتلى بواء فقَالَ بنو النضير : نحن لا نرضى بذلك " فنزلت) [4]

وقَالَ السعدي رَحِمَهُ اللهُ : (أفيطلبون بتوليهم وإعراضهم عنك حكم الجاهلية، وَهُوَ كل حكم خالف ما أنزل الله على رسوله. فلا ثم إلا حكم الله ورسوله أو حكم الجاهلية. فمن أعرض عن الأول ابتلي بالثاني المبني على الجهل والظلم والغي، ولهَذَا أضافه الله للجاهلية، وأما حكم الله تعالى فمبني على العِلم، والعدل والقسط، والنور والهدى.) [5]

---

[1] تفسير الطبري (1 / 394 – 395) بتحقيق أحمد مُحَمَّد شاكر .

[2] شهاب الدين محمود ابن عبدالله الحسيني الألوسي

[3] سورة المائدة 50

[4] روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني (5 / 14).

[5] تفسير السعدي (1 / 234)

فلما نفي الله تَعَالَي الإيمَان عمن لم ينسق لحكمه تَعَالَي ولم يرض به من المسلمين ، كان من لم ينسق له من الكافرين كافر في تلك النقطة علي سبيل التفصيل عند من يفصلون التَّوحِيد لمَسَائِل ، لأن الحكم من جهة كونه حقا لله تَعَالَي فمنكره كافر بربوبية الله تَعَالَي في تلك النقطة ، قَالَ الله تَعَالَي : (فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّى يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لَا يَجِدُوا فِي أَنْفُسِهِمْ حَرَجًا مِمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُوا تَسْلِيمًا)

قَالَ الطبري رَحِمَهُ اللهُ مؤكدا كفرهم بالله تَعَالَي - ما ملخصه - : (يعني جل ثناؤه بقوله:"فلا" فليس الأمر كما يزعمون: أنهم يؤمنون بما أنزل إليك، وهم يتحاكمون إلى الطاغوت، ويصدّون عنك إذا دعوا إليك يا مُحّمَّد - واستأنف القسم جل ذكره فقَالَ:"وربك"، يا مُحّمَّد - "لا يؤمنون"، أي: لا يصدقون بي وبك وبما أنزل إليك - "حتى يحكموك فيما شجر بينهم"، يقول: حتى يجعلوك حكمًا بينهم فيما اختلط بينهم من أمورهم، فالتبس عليهم حكمه. - "ثم لا يجدوا في أنفسهم حرجًا مما قضيت"، يقول: لا يجدوا في أنفسهم ضيقًا مما قضيت. وإنما معناه: ثم لا تحرَج أنفسهم مما قضيت = أي: لا تأثم بإنكارها ما قضيتَ، وشكّها في طاعتك، وأن الذي قضيت به بينهم حقٌّ لا يَجُوزُ لهم خلافه) [1]

فصل في ذكر شرك أهل الجاهلية في الألُوهِيَّة .

ومن أظهر مَسَائِل الشرك التي وقع فيها المشركون هو شركهم فى ألوهية الله تبارك وتَعَالَي ، وذلك لأن هَذَا النوع متعلق بالأوامرِ والنواهي من الواجبِ ، والمحرمِ ، والمكروهِ والتي لم يستجيبوا لها وكانت هي المحك العَمَلي لهم ، بخلاف الرُّبُوبِيَّة فمتعلق بالأمورِ الكونيةِ كالخلقِ ، والإحياءِ ،

[1] تفسير الطبري (8 / 518) بتحقيق أحمد مُحّمَّد شاكر .

والإماتةِ والرزق والتدبير ، ونحوها من أفعال الله جل ثناؤه وقد أقر ببعضها طوائف من مشركي الجاهلية .

وهَذَا النوع هو الذي بعث لإثباته النبي صَلَّي اللهُ عَلَيهِ وَسَلَّمَ رأسا ، وَهُوَ نهاية مطاف كل مدع للإيمان ، فإن حققه فهو المؤمن وإلا فليس بمؤمن وإن زعم أنه مؤمن ، كما كان حال القرشيين ! فقد اعترفوا لله بالأُلُوهِيَّة ولم يحققوا اعترافهم وأشركوا معه غيره فعادوا إلي الكفر من حيث بدءوا . وهَذَا ما يراد من قول الله تَعَالَي : (وَمَا يُؤْمِنُ أَكْثَرُهُمْ بِاللَّهِ إِلَّا وَهُمْ مُشْرِكُونَ)[1]

قَالَ الله تَعَالَي آمرا نبيه ليفعل ويأمر أمته بالحذر مما وقع فيه المشركون : (قُلْ يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنْ كُنْتُمْ فِي شَكٍّ مِنْ دِينِي فَلَا أَعْبُدُ الَّذِينَ تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ وَلَكِنْ أَعْبُدُ اللَّهَ الَّذِي يَتَوَفَّاكُمْ وَأُمِرْتُ أَنْ أَكُونَ مِنَ الْمُؤْمِنِين ، وَأَنْ أَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفًا وَلَا تَكُونَنَّ مِنَ الْمُشْرِكِينَ ، وَلَا تَدْعُ مِنْ دُونِ اللَّهِ مَا لَا يَنْفَعُكَ وَلَا يَضُرُّكَ فَإِنْ فَعَلْتَ فَإِنَّكَ إِذًا مِنَ الظَّالِمِينَ)[2]

---

[1] سورة يوسف 106

[2] سورة يونس 104 - 106

مبحث في ذكر أول من جلب الأصنام إلي الجزيرة العربية ودعا العرب إلى عبادتها

هو عمرو ابن لحي، وبيان ذَلِكَ مَا ذَكَرَهُ الْكَلْبِيُّ حَيْثُ قَالَ: وَكَانَ عمرو ابن لُحَيّ كَاهِنًا وَلَهُ رَئِيٌّ مِنَ الْجِنِّ فَقَالَ له: عجل السير والظعن مِنْ تِهَامَةَ، بِالسَّعْدِ وَالسَّلَامَةِ، إِئْتِ جُدَّةَ، تَجِدْ فِيهَا أَصْنَامًا مُعَدَّةً، فَأَوْرِدْهَا تِهَامَةَ وَلَا تَهَبْ، ثُمَّ ادْعُ الْعَرَبَ إِلَى عِبَادَتِهَا تُجَب. فَأَتَى نهر جدة فاستشارها ثُمَّ حَمَلَهَا حَتَّى وَرَدَ تِهَامَةَ وَحَضَرَ الْحَجَّ فَدَعَا الْعَرَبَ إِلَى عِبَادَتِهَا قَاطِبَةً فَأَجَابَهُ عَوْفُ ابن عَدْنِ ابن زَيْدِ اللَّاتِ فَدَفَعَ إِلَيْهِ وداً فحمله. وَفِي صَحِيحِ الْبُخَارِيِّ عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللّٰهُ عَنهُ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ - صَلَّي اللّٰهُ عَلَيهِ وَسَلَّمَ -: (رأيت عمرو ابن لحي الخزاعي يجر قصبه [1] في النار وكان من أَوَّلَ مَنْ سَيَّبَ السَّوَائِبَ) [2] وَفِي لَفْظٍ: (وَغَيَّرَ دين إبراهيم) [3] .

ومن وقتها انتشرت عبادة الأصنام بين العرب. قَالَ ابْنُ إِسْحَاقَ: وَاتَّخَذَ أَهْلُ كُلِّ دَارٍ فِي دَارِهِمْ صَنَمًا يَعْبُدُونَهُ فَإِذَا أَرَادَ رَجُلٌ مِنْهُمْ سَفَرًا تَمَسَّحَ بِهِ فَيَكُونُ آخِرَ عَهْدِهِ وَأَوَّلَ عَهْدِهِ، فَلَمَّا بَعَثَ اللَّهُ مُحَمَّدا - صَلَّي اللّٰهُ عَلَيهِ وَسَلَّمَ - بِالتَّوحِيد قَالَتْ قُرَيْشٌ: {أَجَعَلَ الْآلِهَةَ إِلَهًا وَاحِدًا إِنَّ هَذَا لَشَيْءٌ عُجَابٌ}[4] وَكَانَتِ الْعَرَبُ قَدِ اتَّخَذَتْ مَعَ الْكَعْبَةِ طَوَاغِيتَ، وَهِيَ بُيُوتٌ تُعَظِّمُهَا كَتَعْظِيمِ الْكَعْبَةِ، لَهَا سَدَنَةٌ وَحُجَّابٌ وَيُهْدَى لَهَا كَمَا يُهْدَى لِلْكَعْبَةِ وَيُطَافُ بِهَا كَمَا يُطَافُ بِالْكَعْبَةِ وَيُنْحَرُ عِنْدَهَا كَمَا يُنْحَرُ عِنْدَ الْكَعْبَةِ، وَكَانَ الرَّجُلُ إِذَا سَافَرَ فَنَزَلَ مَنْزِلًا أَخَذَ أَرْبَعَةَ أَحْجَارٍ فَنَظَرَ إِلَى أَحْسَنِهَا فَاتَّخَذَهُ رَبًّا وَجَعَلَ الثَّلَاثَةَ أَثَافِيَّ لِقِدْرِهِ فَإِذَا ارْتَحَلَ تَرَكَهُ فَإِذَا نَزَلَ مَنْزِلًا آخَرَ فعل مثل ذلك [5] أ.هـ [6].

[1] القُصب بالضم المِعَى وجمعه أقصاب، وقيل القصب اسم للأمعاء كلها، وقيل هو ما كان أسفل البطن من الأمعاء، النهاية لابن الأثير.

[2] كان الرجل إذا نذر لقدوم من سفر أو برء من مرض أو غير ذلك قال: ناقتي سائبة، فلا تمنع من ماء ولا مرعى ولا تحلب ولا تركب ... وأصله من تسييب الدواب وَهُوَ إرسالها تذهب وتجيء كيف شاءت، النهاية.

[3] ليس هَذَا اللفظ في الصحيحين ولا أحدهما وقال عمر بن محمود مخرج أحاديث المعارج (دار ابن القيم ط1410هـ) ومعناه عند أحمد في المسند 353/3 من رواية جابر رَضِيَ اللّٰهُ عَنهُ أ. هـ.

[4] سورة ص: 5 .

[5] وروى البخاري في المغازي، باب وفد بني حنيفة: عن أبي رجاء العطاردي: كنا نعبد الحجر، فإذا وجدنا حجراً هو أخير منه ألقيناه وأخذنا الآخر، فإذا لم نجد حجراً جمعنا جُثوة من تراب، ثم جئنا بالشاة نحلبها عليه، ثم طفنا به. انظر الفتح ج7 ص: 692.

[6] مختصر معارج القبول لأبي عاصم هشام بن عبد القادر بن مُحَمَّد آل عقدة (1 / 130-131) .

ومن هَذَا العرض يتبين أن أطهر مكان علي وجه الأرض الذي أمر الله تَعَالَي ببنائه ليكون منبع التَّوحِيد والإِيمَان في العالم الأرض كان علي خلاف ما أمر الله تَعَالَي ، فأصبح أكبر مجتمع للأصنام التي تعبد من دون الله ، فصار أكبر وأقدس تجمع للأصنام في جزيرة العرب حيث كان عدد الأصنام - التي كسرها رسول الله (يوم فتح مكة في جوف الكعبة وحولها - ثلاثمائة وستين صنماً [1] ،كما كان في جوف الكعبة أشهر أصنام قريش على الإطلاق (هبل) [2] ، ولم تبق قبيلة من قبائل العرب إلا ولها صنمها الذي يعرف بها وتعرف به وتعبّد له أبناءها ، بل تجاوز الأمر إلى أن أصبح لكل بيت صنمه الخاص به، وحتى المسافر لا يقيم أثناء سفره في بقعة إلا تخيّر من أحجارها ما يعجبه فينصبه إلهاً له ، وكل هَذَا قدح صريح ذهب بكل ما يقر به من إثبات لبعض الصفات .

---

[1] البخاري كتاب التفسير سورة الإسراء باب (وقل جاء الحق وزهق الباطل إن الباطل كان زهوقا) (8 / 400) من حديث ابن مسعود .

[2] الأصنام لابن الكلبي ص (27) .

فصل في ذكر بعض أنواع شرك الأُلُوهِيَّة عند العرب .

وقد عرف العُلَمَاء من خلال استقرائهم لآيات القرآن وصحيح السُّنَّة مخالفات المشركين فى هَذَا الباب وقسموها إلي أقسام اصطِلَاحِيّة ، تعود في مجملها إلي الشرك فى عبادة الله تَعَالَي ، فتوحيد الأُلُوهِيَّة مفرق الطرق بين المُؤمِنِين والمشركين ولهَذَا كانت كلمة الإسلَام "لا إله إلا الله" و هو المطلوب من العباد، .

ورأيت من المناسب اقتباس جزء من مدخل لدراسة العَقِيدَة الإسلَامية **للدكتور عثمان جمعة ضميرية وَفَّقَهُ اللهُ** بتصرف واختصار ، قَالَ المصنف : (وفيما يلي إيجاز لبعض أنواع الشرك الأكبر:

مبحث في ذكر شركهم في الدعاء :

ومعنى الدعاء: سؤال العبد ربه تبارك وتعالى العناية، واستمداده إياه المعونة. وحقيقته: إظهار الافتقار إليه، والتبرؤ من الحول والقوة. وَهُوَ سمة العبودية واستشعار الذلة البشرية، وفيه معنى الثناء على الله -عز وجل- وإضافة الجود والكرم إليه؛ ولذلك قَالَ صَلَّي اللهُ عَلَيهِ وَسَلَّمَ: "الدعاء هو العبادة" [1]
.

ومعناه: أنه معظم العبادة، أو أفضل العبادة، بل هو العبادة الحقيقية التي تستأهل أن تسمى عبادة؛ لدلالته على الإقبال على الله -عز وجل- والإعراض عما سواه [2] .

والدعاء يشمل دعاء العبادة والثناء، ودعاء المسألة والطلب؛ ويراد بهما في القرآن الكريم هَذَا تارة، وهَذَا تارة، ويراد بهما مجموعهما، وهما متلازمان.

فدعاء المسألة: هو طلب ما ينفع الداعي من جلب نفع أو دفع ضر، إذ الذي يدعى لا بد أن يكون مالكا للنفع والضر.

---

[1] أخرجه أبو داود: 2/ 141، والترمذي: 9/ 311، 312، وقال: "هَذَا حديث حسن صحيح"، والنسائي في "كتاب التفسير": 2/ 253، وابن ماجه: 2/ 1258، والطيالسي ص108, وصححه الحاكم: 1/ 490، ووَافقَه الذهبي، وابن حبان برقم "2396" "من موارد الظمآن"، والإمَام أحمد: 4/ 267، وابن أبي شيبة: 10/ 200, وانظر: "فتح الباري": 11/ 94، "الفتوحات الربانية" لابن علان: 7/ 191.

[2] انظر: "شأن الدعاء" للخطابي ص4, 5، "الفتوحات الربانية": 7/ 192.

ودعاء العبادة والثناء: هو ما يقصد به العبد ثناء على الله تعالى بما هو أهله, تذللا له، وانكسارا بين يديه, سُبْحَانَهُ وَتَعَالَي.

ودعاء العبادة مستلزم لدعاء المسألة، ودعاء المسألة متضمّن لدعاء العبادة، وهما متلازمان لا بد من اجتماعهما، ولا يكفي أحدهما عن الآخر [1] .

فإذا توجه الإنسان بواحد من هذين النوعين لأحد غير الله تعالى، كأن يدعو ميتا أو غائبا، أو أن يقول للميت أو الغائب: ادع الله لي ... فهَذَا كله لون من ألوان الشرك، حتى ولو كان ينطق بالشهادتين ويصلي ويصوم، إذ شرط الإسلَام - مع التلفظ بالشهادتين- أن لا يعبد إلا الله، فمن أتى بالشهادتين وعبد غير الله، فما أتى بهما حقيقة، فمجرد التلفظ لا يكفي في الإسلَام بدون العَمَل بمعناهما [2].

ولهَذَا تواردت الآيات القرآنية الكريمة في النهي عن دعاء غير الله تعالى، كقوله: {وَلا تَدْعُ مِنْ دُونِ اللَّهِ مَا لا يَنْفَعُكَ وَلا يَضُرُّكَ فَإِنْ فَعَلْتَ فَإِنَّكَ إِذًا مِنَ الظَّالِمِينَ، وَإِنْ يَمْسَسْكَ اللَّهُ بِضُرٍّ فَلا كَاشِفَ لَهُ إِلَّا هُوَ}[3].

{وَمَنْ أَضَلُّ مِمَّنْ يَدْعُو مِنْ دُونِ اللَّهِ مَنْ لا يَسْتَجِيبُ لَهُ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ وَهُمْ عَنْ دُعَائِهِمْ غَافِلُونَ، وَإِذَا حُشِرَ النَّاسُ كَانُوا لَهُمْ أَعْدَاءً وَكَانُوا بِعِبَادَتِهِمْ كَافِرِينَ}[4] .

أما الله تعالى وحده فهو الذي يستجيب الدعاء؛ ولذا فهو وحده الذي يستحق الدعاء والثناء: {وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌ أُجِيبُ دَعْوَةَ الدَّاعِ إِذَا دَعَانِ فَلْيَسْتَجِيبُوا لِي وَلْيُؤْمِنُوا بِي لَعَلَّهُمْ يَرْشُدُونَ}[1].

---

[1] "فتاوى شيخ الإسلَام": 1/ 243، 244، 8/ 109، "بدائع الفوائد" لابن القيم: 3/ 2-5.

[2] انظر: "مجموع الفتاوى": 1/ 313، 350-358، 27/ 72-87، "تيسير العزيز الحميد" ص219-233, وفيه نقول عن عُلَمَاء المذاهب الأربعة في تحريم الدعاء لغير الله تعالى، "ضوابط التكفير" تأليف عبد الله القرني، ص114-123.

[3] [سورة يونس: 106، 107]

[4] [سورة الأحقاف: 5، 6]

{وَقَالَ رَبُّكُمُ ادْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ إِنَّ الَّذِينَ يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِي سَيَدْخُلُونَ جَهَنَّمَ دَاخِرِينَ} [2] .
والإنسان بفطرته، حتى ولو كان من أكثر الناس كفرا وإلحادا، لا يملك في وقت الشدة والاضطرار إلا أن يرفع يديه للسماء ويدعو: يا رب: {حَتَّى إِذَا كُنْتُمْ فِي الْفُلْكِ وَجَرَيْنَ بِهِمْ بِرِيحٍ طَيِّبَةٍ وَفَرِحُوا بِهَا جَاءَتْهَا رِيحٌ عَاصِفٌ وَجَاءَهُمُ الْمَوْجُ مِنْ كُلِّ مَكَانٍ وَظَنُّوا أَنَّهُمْ أُحِيطَ بِهِمْ دَعَوُا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ لَئِنْ أَنْجَيْتَنَا مِنْ هَذِهِ لَنَكُونَنَّ مِنَ الشَّاكِرِينَ}[3] .

مبحث في ذكر شرك العبادة والتقرب:

والصورة الواضحة الجلية لهَذَا النوع من الشرك هي ما كان معروفا من عبادة الأصنام والأوثان وإعطائها بعض خصائص الأُلُوهِيَّة؛ ولذلك كانوا يطوفون حولها ويتمسَّحون بها، ويذبحون لها وينذرون، كي تقربهم إلى الله تعالى مكانة ومنزلة، وكأنهم يعتقدون أن الله تعالى بحاجة إلى هذه الواسطة، يستمدون بها من الله رزقا أو عطاء أو شفاعة أو قضاء حاجة من الحاجات:
{وَالَّذِينَ اتَّخَذُوا مِنْ دُونِهِ أَوْلِيَاءَ مَا نَعْبُدُهُمْ إِلَّا لِيُقَرِّبُونَا إِلَى اللَّهِ زُلْفَى إِنَّ اللَّهَ يَحْكُمُ بَيْنَهُمْ فِي مَا هُمْ فِيهِ يَخْتَلِفُونَ إِنَّ اللَّهَ لا يَهْدِي مَنْ هُوَ كَاذِبٌ كَفَّارٌ}[4] .

مبحث في شرك الشفاعة:

وهَذَا اللون من الشرك نتيجة لازمة لشرك التقرب، فالذي يعبد الأصنام والأولياء إنما يفعل هَذَا -كذلك- كي تشفع له عند الله تعالى في التجاوز عن الذنوب والجرائم [5] ، وفي تحقيق الآمال والوصول إلى الرغبات؛ ظنا منه أن الأصنام أو الأولياء أو غيرهم يملك هذه الشفاعة, ويستحق أن تستجاب شفاعته وطلبه من الله تعالى!

---

[1] [سورة البقرة: 186]
[2] [سورة غافر: 60]
[3] [سورة يونس: 22]
[4] [سورة الزمر: 3]
[5] "النهاية في غريب الحديث والأثر"، لابن الأثير: 2/ 485، وانظر: "مجموع الفتاوى": 1/ 124.

ومن يفعل ذلك فما قدر الله حق قدره؛ لأنه -سُبْحَانَهُ وَتَعَالَي- غنيّ عن كل ما سواه، وكل ما سواه فقير إليه ومحتاج لا يملك نفعا ولا ضرا. ولذلك كان هَذَا العَمَل شركا, تعالى الله عنه:

{وَيَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ مَا لا يَضُرُّهُمْ وَلا يَنْفَعُهُمْ وَيَقُولُونَ هَؤُلاءِ شُفَعَاؤُنَا عِنْدَ اللَّهِ قُلْ أَتُنَبِّئُونَ اللَّهَ بِمَا لا يَعْلَمُ فِي السَّمَاوَاتِ وَلا فِي الْأَرْضِ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَي عَمَّا يُشْرِكُونَ} [1] .

{أَمِ اتَّخَذُوا مِنْ دُونِ اللَّهِ شُفَعَاءَ قُلْ أَوَلَوْ كَانُوا لا يَمْلِكُونَ شَيْئًا وَلا يَعْقِلُونَ} [2] .

ولهَذَا نفى الله تعالى نفيا قاطعا أن يكون ذلك طريقا صحيحا للتقرب إليه، وبيّن أن هَذَا اللون من الشفاعة منفيّ غير مقبول عنده سُبْحَانَهُ :

قَالَ تَعَالَي : {وَاتَّقُوا يَوْمًا لا تَجْزِي نَفْسٌ عَنْ نَفْسٍ شَيْئًا وَلا يُقْبَلُ مِنهَا شَفَاعَةٌ}[3].

وقَالَ سُبْحَانَهُ : {وأَنْذِرْ بِهِ الَّذِينَ يَخَافُونَ أَنْ يُحْشَرُوا إِلَى رَبِّهِمْ لَيْسَ لَهُمْ مِنْ دُونِهِ وَلِيٌّ وَلا شَفِيعٌ} [4] .

وقَالَ :{مَا لِلظَّالِمِينَ مِنْ حَمِيمٍ وَلا شَفِيعٍ يُطَاعُ} [5] .

مبحث في شرك الطاعة والاتباع:

تقدم فيما سبق أن توحيد الأُلُوهِيَّة مترتب على توحيد الرُّبُوبِيَّة، فإن الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَي هو وحده خالق الكون ومالكه، وَهُوَ الذي يسيّره ويصرف شئونه، فينبغي كذلك أن يكون متفردا بالحكم، أمرا ونهيا، تحليلا وتحريما، وينبغي على البشر أن يتحاكموا إلى ما أنزل الله، ويحكموا به، وأن يطيعوه سُبْحَانَهُ في كل ما حكم به، فإن ذلك مقتضى العبادة وأصلها ومعناها وحقيقتها.

ولذلك اتفق العُلَمَاء على أن الحاكم هو الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَي، وأنه لا أحد يستحق أن ينفذ حكمه على الخلق إلا من كان له الخلق والأمر -سُبْحَانَهُ وَتَعَالَي- "فإنما النافذ حكم المالك على مملوكه، ولا

---

[1] [سورة يونس: 18]
[2] [سورة الزمر: 43]
[3] [سورة البقرة: 48]
[4] [سورة الأنعام: 51]
[5] [سورة غافر: 18]

مالك إلا الله الخَالِق, فلا حكم ولا أمر إلا له. أما النبي -صَلَّي اللهُ عَلَيهِ وَسَلَّمَ- والسلطان والسيد والأب والزوج، فإذا أمروا وأوجبوا، لم يَجِبُ شيء بإيجابهم، بل بإيجاب الله تعالى طاعتهم، ولولا ذلك لكان كل مخلوق أوجب على غيره شيئا كان للموجَب عليه أن يقلب عليه الإيجاب؛ إذ ليس أحدهما أولى من الآخر، فإذن: الواجب طاعة الله تعالى, وطاعة من أوجب الله تعالى طاعته" [1].

وقد أوسع هَذَا المعنى **شرحا العز ابن عبد السلام -رَحِمَهُ اللهُ-** في "قواعد الأحكام" حيث قَالَ في "قاعدة: فيمن تجب طاعته, ومن تجوز طاعته، ومن لا تجوز طاعته": "لا طاعة لأحد من المخلوقين إلا لمن أذن الله في طاعته كالرسل والعُلَمَاء، والأئمة والقضاة، والولاة، والآباء والأمهات والسادات والأزواج، والمستأجرين في الإجارات على الأعمال والصناعات. ولا طاعة لأحد في معصية الله عز وجل؛ لما فيها من المفسدة الموبقة في الدارين أو في إحداهما، فمن أمر بمعصية فلا سمع ولا طاعة له، إلا أن يكره إنسانا على أمر يبيحه الإكراه، فلا إثم على مطيعه. وقد تجب طاعته لا لكونه آمرا، بل دفعا لمفسدة ما يهدده به من قتل أو قطع أو جناية على بُضع، ولو أمر الإمَام أو الحاكم إنسانا بما يعتقد الآمر حله والمأمور تحريمه، فهل له فعله، نظرا إلى رأي الآمر، أو يمتنع نظرا إلى رأي المأمور؟ فيه خلاف, وهَذَا مختص فيما لا ينقض حكم الآمر به. فإذا كان مما ينقض حكمه به فلا سمع ولا طاعة. وكذلك لا طاعة لجَهَلَة الملوك والأمراء إلا فيما يعلم المأمور أنه مأذون في الشرع".

"وتفرد الإله بالطاعة لاختصاصه بنعم الإنشاء والإبقاء والتغذية والإصلاح الديني والدنيوي، فما من خير إلا هو جالبه وما من ضير إلا هو سالبه، وليس بعض العباد بأن يكون مطاعا بأولى من البعض؛ إذ ليس لأحد منهم إنعام بشيء مما ذكرته في حق الإله. وكذلك لا حكم إلا له.. {إِنِ الْحُكْمُ إِلَّا لِلَّهِ أَمَرَ أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا إِيَّاهُ} " [2].

---

[1] "المستصفى" للغزالي: 1/ 83. وهَذَا موضع اتفاق كما سبق، ويبحثه عُلَمَاء الأصول تحت عنوان: الحاكم. انظر: "الإحكام" للآمدي: 1/ 76، "مسلَّم الثبوت مع شرحه فواتح الرحموت": 1/ 25، "شرح الكوكب المنير": 1/ 484، "مباحث الحكم عند الأصوليين"، ص162، 163, "المشروعية الإسلَامية العليا" "28-37".

[2] "قواعد الأحكام": 1/ 157، 158 .

وقد تواردت النصوص القرآنية الكريمة مؤيدة لهَذَا المنطق السليم، فهي تلزم البشر باتباع ما جاء من عند الله تعالى، وتحرم عليهم تحريما قاطعا اتباع ما يخالفه:

{اتَّبِعْ مَا أُوحِيَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ لا إِلَهَ إِلَّا هُوَ وَأَعْرِضْ عَنِ الْمُشْرِكِينَ} [1].

{اتَّبِعُوا مَا أُنْزِلَ إِلَيْكُمْ مِنْ رَبِّكُمْ وَلا تَتَّبِعُوا مِنْ دُونِهِ أَوْلِيَاءَ} [2] .

{فَإِنْ لَمْ يَسْتَجِيبُوا لَكَ فَاعْلَمْ أَنَّمَا يَتَّبِعُونَ أَهْوَاءَهُمْ وَمَنْ أَضَلُّ مِمَّنِ اتَّبَعَ هَوَاهُ بِغَيْرِ هُدًى مِنَ اللَّهِ} [3] .

ولذلك كان كل من أطاع مخلوقا في تحريم الحلال أو تحليل الحرام مشركا شرك الطاعة والانقياد أو الاتباع، وقد حكم الله تعالى على اليهود والنصارى بالشرك؛ لاتباعهم الأحبار والرهبان واتخاذهم أربابا من دون الله، فقَالَ: {اتَّخَذُوا أَحْبَارَهُمْ وَرُهْبَانَهُمْ أَرْبَابًا مِنْ دُونِ اللَّهِ وَالْمَسِيحَ ابْنَ مَرْيَمَ وَمَا أُمِرُوا إِلَّا لِيَعْبُدُوا إِلَهًا وَاحِدًا لا إِلَهَ إِلَّا هُوَ سُبْحَانَهُ عَمَّا يُشْرِكُونَ} [4] . وقد بين النبي -صَلَّي اللهُ عَلَيهِ وَسَلَّمَ- بيانا واضحا ماهية العبادة التي وقع فيها هؤلاء الذين اتخذوا أحبارهم ورهبانهم أربابا من دون الله، وفسّرها بأنهم أطاعوهم في معصية الله، واستحلوا ما أحلوه لهم من الحرام، وحرموا ما حرموه عليهم من الحلال، واستنصحوا الرجال, ونبذوا كتاب الله وراء ظهورهم :

عن عدي ابن حاتم قَالَ: أتيت رسول الله -صَلَّي اللهُ عَلَيهِ وَسَلَّمَ- وفي عنقي صليب من ذهب، فقَالَ: "يا عدي، اطرح هَذَا الوثن من عنقك! " قَالَ: فطرحته، وانتهيت إليه وَهُوَ يقرأ في "سورة براءة" فقرأ هذه الآية: {اتَّخَذُوا أَحْبَارَهُمْ وَرُهْبَانَهُمْ أَرْبَابًا مِنْ دُونِ اللَّهِ} ، قَالَ: فقلت: يا رسول الله،

[1] [سورة الأنعام: 106]

2 [سورة الأعراف: 3]

3 [سورة القصص: 50]

4 [سورة التوبة: 31]

إنا لسنا نعبدهم! فقَالَ: "أليس يحرِّمون ما أحل الله فتحرمونه، ويحلون ما حرم الله فتحلونه؟ " قَالَ: قلت: بلى. قَالَ: "فتلك عبادتهم" [1].

فقد كان عدي -رَضِيَ اللهُ عَنهُ- يظن أن العبادة هي التقرب إلى الأحبار والرهبان بالركوع والسجود والذبح والنذر ونحو ذلك، فقَالَ: إنا لسنا نعبدهم. فصحح له النبي -صَلَّي اللهُ عَلَيهِ وَسَلَّمَ- مفهوم العبادة بأنها طاعة الأحبار والرهبان في التحليل والتحريم من تلقاء أنفسهم، وبذلك جعلوا أنفسهم أربابا من دون الله، ومن أطاعهم في ذلك كان عابدا لهم من دون الله [2].

مبحث في شرك المحبة والنصرة أو الولاء:

إن من مقتضيات التَّوحِيد وأصول العبادة أن نفرد الله تعالى بالمحبة الخاصة التي لا تصلح إلا له، وهي "حب طاعته، والانقياد لأمره" [3]، وهي محبة العبودية التي تستلزم الذل والخضوع والتعظيم وكمال الطاعة لله تعالى وإيثاره على غيره.

فإذا توجه الإنسان بهذه المحبة لغير الله تعالى كان مشركا شرك المحبة. ومن هنا جاء التقريع للمشركين الذين جعلوا لله تعالى أندادا ونظراء يحبونهم كحبه, ويعبدونهم معه:

{وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يَتَّخِذُ مِنْ دُونِ اللَّهِ أَنْدَادًا يُحِبُّونَهُمْ كَحُبِّ اللَّهِ وَالَّذِينَ آمَنُوا أَشَدُّ حُبًّا لِلَّهِ} [4] .) [5]

انتهي بتصرف .

وبين الله تَعَالَي في أكثر من موضع شرك العبادة الذي وقع فيه مشركوا العرب .

قَالَ الله تعالى: (وَاتَّخَذُوا مِن دُونِهِ آلِهَةً لا يَخْلُقُونَ شَيْئًا وَهُمْ يُخْلَقُونَ وَلا يَمْلِكُونَ لأنفُسِهِمْ ضَرًّا وَلا نَفْعًا وَلا يَمْلِكُونَ مَوْتًا وَلا حَيَاةً وَلا نُشُورًا) [1].

---

[1] أخرجه الطبري من طرق: 14/ 210، 211، واختصره الترمذي: 8/ 492-494. وقال: هَذَا حديث غريب، وأخرجه البغوي في "التفسير": 4/ 39، والبيهقي في "السنن": 10/ 116، وابن عبد البر في "جامع بيان العِلم" ص437، وانظر: "الدر المنثور" للسيوطي: 4/ 174، "الكافي الشاف" لابن حجر ص75.

[2] انظر: "تيسير العزيز الحميد" ص551، "مفاهيم ينبغي أن تصحح"، ص110، 111"، واقرأ الفصل بكامله عن مفهوم "لا إله إلا الله".

[3] "الوسيط في تفسير القرآن"، للواحدي: 1/ 136.

4 [سورة البقرة: 165]

[5] مدخل لدراسة العَقِيدَة الإسلَامية (1 / 316) . للدكتور عثمان جمعة ضميرية .

وقَالَ تعالى: (قُلِ ادْعُوا الَّذِينَ زَعَمْتُم مِّن دُونِ اللَّهِ لا يَمْلِكُونَ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ فِي السَّمَوَاتِ وَلا فِي الأَرْضِ وَمَا لَهُمْ فِيهِمَا مِن شِرْكٍ وَمَا لَهُ مِنْهُم مِّن ظَهِيرٍ ، وَلا تَنفَعُ الشَّفَاعَةُ عِندَهُ إِلا لِمَنْ أَذِنَ لَهُ) [2]

وقَالَ تعالى: (أَيُشْرِكُونَ مَا لاَ يَخْلُقُ شَيْئًا وَهُمْ يُخْلَقُونَ ، وَلاَ يَسْتَطِيعُونَ لَهُمْ نَصْرًا وَلاَ أَنفُسَهُمْ يَنصُرُونَ) [3].

وروي عَنْ عِمْرَانَ ابن حُصَيْنٍ قَالَ: قَالَ النَّبِيُّ صَلَّي اللهُ عَلَيهِ وَسَلَّمَ لِأَبِي حُصَيْنٍ: (كَمْ إِلَهًا تَعْبُدُ الْيَوْمَ؟ قَالَ: سَبْعَةً، سِتَّةٌ فِي الْأَرْضِ، وَوَاحِدٌ فِي السَّمَاءِ قَالَ: فَأَيُّهُمْ تَعُدُّهُ لِرَغْبَتِكَ وَرَهْبَتِكَ؟ قَالَ: الَّذِي فِي السَّمَاءِ قَالَ: أَمَا إِنَّكَ إِنْ أَسْلَمْتَ عَلَّمْتُكَ كَلِمَتَيْنِ يَنْفَعَانِكَ قَالَ: فَلَمَّا أَسْلَمَ تَقَاضَاهُمَا النَّبِيَّ صَلَّي اللهُ عَلَيهِ وَسَلَّمَ، فَقَالَ لَهُ النَّبِيُّ صَلَّي اللهُ عَلَيهِ وَسَلَّمَ: قُلِ اللَّهُمَّ أَرْشِدْنِي، وَاهْدِنِي، وَأَعِذْنِي مِنْ شَرِّ نَفْسِي) [4]

فصل في ذكر فِرَق مِنَ المسلمين تَعُدُّ الإقرار إيمانا .

وقد كان من فرق الأمة التي ضلت الطريق السني في مَسَائِل الإِيمَان من يعتقدون أن الإِيمَان هو بالمعرفة المجردة وغير ذلك مما هو مخالف لصريح الشرع ،

ذكر [5] في مختصر معارج القبول : أقوال المخالفين لأهل السُّنَّة في الإِيمَان :

1- قَالَ ابن الراوندي ومن وَافَقَه من المعتزلة وغيرهم : إن الإِيمَان هو مجرد التصديق فقط، وعلى هَذَا الْقَوْلِ يَكُونُ الْيَهُودُ الَّذِينَ أَقَرُّوا بِرِسَالَةِ مُحَمَّد - صَلَّي اللهُ عَلَيهِ وَسَلَّمَ - واستقينوها وَلَمْ يَتَّبِعُوهُ مُؤْمِنِينَ بِذَلِكَ، وَقَدْ نَفَى اللَّهُ الإِيمَان عَنْهُمْ.

---

[1] [سورة الفرقان: 3]

[2] [سورة سبأ: 22، 23]

[3] [سورة الأعراف: 191، 192]

[4] الترمذي (3483)، وقال: هَذَا حديث غريب، وقال الألباني: ضعيف. انظر "ضعيف سنن الترمذي" (690).

[5] أبو عاصم هشام بن عبد القادر بن مُحَمَّد آل عقدة .

2-وَقَالَ جَهْمُ ابن صَفْوَانَ وَأَتْبَاعُهُ [1] : هُوَ الْمَعْرِفَةُ بِاللَّهِ فَقَطْ، وَعَلَى هَذَا الْقَوْلِ لَيْسَ عَلَى وَجْهِ الْأَرْضِ كَافِرٌ بِالْكُلِّيَّةِ إِذْ لا يجهل الخَالِق سُبْحَانَهُ أحد.

3-وَقَالَتِ الْمُرْجِئَةُ [2] وَالْكَرَّامِيَّةُ: الإيمَان هُوَ الْإِقْرَارُ بِاللِّسَانِ دُونَ عَقْدِ الْقَلْبِ فَيَكُونُ الْمُنَافِقُونَ عَلَى هَذَا مؤمنين، وقد قَالَ الله فِيهِمْ {وَلَا تُصَلِّ عَلَى أَحَدٍ مِنْهُمْ مَاتَ أَبَدًا وَلَا تَقُمْ عَلَى قَبْرِهِ إِنَّهُمْ كَفَرُوا بِاللَّهِ ورسوله - إلى قوله - وتزهق أنفسهم وهم كافرون} [3] .

4-وَقَالَ آخَرُونَ [4] : التَّصْدِيقُ بِالْجَنَانِ وَالْإِقْرَارُ بِاللِّسَانِ، وَهَذَا الْقَوْلُ مُخْرِجٌ لِأَرْكَانِ الإِسْلَام الظَّاهِرَةِ الْمَذْكُورَةِ فِي حديث جبريل عليه السلام وَهُوَ ظَاهِرُ الْبُطْلَانِ.

5-وَذَهَبَ الْخَوَارِجُ وَالْعَلَّافُ وَمَنْ وَافَقَهُمْ إِلَى أَنَّهُ الطَّاعَةُ بِأَسْرِهَا فَرْضًا كَانَتْ أَوْ نَفْلًا [5] ، وَهَذَا الْقَوْلُ مُصَادِمٌ لِتَعْلِيمِ النَّبِيِّ - صَلَّي اللَّهُ عَلَيهِ وَسَلَّمَ - لِوُفُودِ الْعَرَبِ السَّائِلِينَ عن الإِسلَام والإِيمَان، كلما يَقُولُ لَهُ السَّائِلُ فِي فَرِيضَةٍ: هَلْ عَلَيَّ غَيْرُهَا، قَالَ: (لَا إِلَّا أَنْ تَطَوَّعَ شَيْئًا) - [6] .

6-وَذَهَبَ الْجُبَّائِيُّ وَأَكْثَرُ الْمُعْتَزِلَةِ الْبَصْرِيَّةِ إِلَى أَنَّهُ الطَّاعَاتُ الْمَفْرُوضَةُ مِنَ الْأَفْعَالِ وَالتُّرُوكِ [7] دُونَ النَّوَافِلِ [8] ، وهَذَا أيضاً يُدخل المنافقين في الإيمَان وقد نفاه الله عنهم.

7- وقَالَ الباقون من المعتزلة: العَمَل وَالنُّطْقُ وَالِاعْتِقَادُ. وَالْفَرْقُ بَيْنَ هَذَا وَبَيْنَ قول السَّلَف أَنَّ السَّلَف لَمْ يَجْعَلُوا كُلَّ الْأَعْمَالِ شَرْطًا فِي الصِّحَّةِ بَلْ جَعَلُوا كَثِيرًا مِنهَا شَرْطًا فِي الْكَمَالِ. كَمَا قَالَ عُمَرُ

[1] هؤلاء معروفون بمرجئة الجهمية (أصول الدين عند الإمَام أبي حنيفة) لمُحَمَّد بن عبد الرحمن الخميس .

[2] صنف منهم وليس كلهم ولا أكثرهم، انظر الفتاوى ج7 ص 195.

[3] سورة التوبة: 84، 85.

[4] أي من المرجئة، وَهُوَ قول فقهائهم، قال ابن تيمية رَحِمَهُ اللهُ، المرجئة ثلاثة أصناف: الذين يقولون: الإيمَان ما في القلب، ثم من هؤلاء من يدخل فيه أعمال القلوب وهم أكثر فرق المرجئة ... ومنهم من لا يدخلها.. كجهم ومن اتبعه.. و (القول الثاني) من يقول: هو مجرد قول اللسان، وهَذَا لا يعرف لأحد قبل الكرامية، و (الثالث) تصديق القلب وقول اللسان وهَذَا هو المشهور عند أهل الفقه والعبادة منهم. مجموع الفتاوى ج7 ص195.

[5] لا شك أن الإيمَان المطلق الكامل يشمل ذلك كله ولكن كلام هذه الطوائف هنا في مطلق الإيمَان الذي إذا قصر العبد في شيء منه صار كافراً.

[6] رواه البخاري في الإيمَان، باب الزكاة من الإسلَام، ومسلم في الإيمَان، باب بيان الصلوات. انظر الفتح ج1 ص130، ومسلم بشرح النووي ج1 ص166.

[7] لاشك أن الإيمَان المطلق يشمل جميع الطاعات كما قلنا وإنما الكلام هنا في مطلق الإيمَان الذي لا يصح إلا به، فهؤلاء يخرجون من الإيمَان من ترك طاعة من الطاعات المفروضة أما أهل السُّنَّة فلم يعتبروا كل الطاعات المفروضة شرطاً في الصحة ولم يخرجوا من قصر فيها من الإيمَان بالكلية وإنما ينتقص من إيمانه بقدر معصيته أو يخرج من دائرة الإيمَان المطلق إلى مطلق الإيمَان، والله أعلم.

8 ودون عمل القلب واعتقاده.

ابن عَبْدِ العزيز فيها: من استكملها فقد اسْتَكْمَلَ الإِيمَان، وَمَنْ لَمْ يَسْتَكْمِلْهَا لَمْ يَسْتَكْمِلِ الإِيمَان. وَالْمُعْتَزِلَةُ جَعَلُوهَا كُلَّهَا شَرْطًا فِي الصِّحَّةِ. والله أعلم [1].

وقد ذكر أبو الحسن الأشعري آراء جهم ابن صفوان التي تفرد بها فقَالَ: (الذي تفرد به جهم القول بأن الجنة والنار تبيدان وتفنيان، وأن الإيمَان هو المعرفة بالله فقط، والكفر هو الجهل بالله فقط) [2]

وقَالَ الشيخ الفوازن [3] **حفظه الله** في التعليق علي الطحاوية : **(** فالإيمَان قول باللسان واعتقاد بالقلب وعمل بالأركان يزيد بالطاعة وينقص بالعصيان، هَذَا تعريفه الصحيح المأخوذ من الكِتَاب والسُّنَّة.

فليس كما تقوله الحنفية: قول باللسان واعتقاد بالجنان فقط.

وليس كما تقوله الكرامية [4] : قول باللسان فقط.

وليس كما تقوله الأشاعرة [5] : اعتقاد القلب فقط.

وليس كما تقوله الجهمية [6] : هو المعرفة بالقلب فقط.

---

1 انتهي من مختصر معارج القبول (1 / 181) بتصرف .

2 المقالات 1 /238.

3 د . صالح بن فوزان بن عبد الله الفوزان .

4 أبي عبد الله مُحَمَّد بن كرام السجستاني (توفي سنة 255) ، (بلغ عددهم إلى اثنتي عشرة فرقة، وأصولها ست العابدية، والتونية، والزرينية، والإسحاقية، والواحدية. وأقربهم الهيصمية، ولكل واحدة منهم رأي) كما في الملل والنحل للشهرستاني .

5 أبو الحسن علي بن إسماعيل بن إسحاق بن سالم بن إسماعيل بن عبد الله بن موسى بن أبي بردة بن أبي موسى الأشعري (المتوفى: 324هـ)، قال محب الدين الخطيب رَحِمَهُ اللهُ بهامشه معارج القبول: المعروف من حياة أبي الحسن الأشعري أنه مرت به ثلاث أدوار: الأول: أنه كان مع المعتزلة في البصرة. الثاني: يقظته لفساد مذهبهم، لكنه دخل معهم في جدل طويل بأساليبهم وأقيستهم، وقد استمر على ذلك نحو عشرين سنة ألف فيها أكثر كتبه، ومن هَذَا الجدل مع المعتزلة ومن هذه الكتب نشأ المذهب المنسوب إليه، وَهُوَ الذي اضطر شيخ الإسلَام وتلميذه ابن القيم إلى إدحاضه والتنبيه على ما يخالف منه مذهب السَّلَف. أما الدور الثالث من حياة الأشعري: فهو الذي ختم الله به حياته بالحسنى بعد انتقاله من البصرة إلى بغداد واتصاله بأهل الحديث وأتباع الإمَام أحمد، وفي هذه الحقبة ألف (مقالات الإسلَاميين) و (الإبانة) . ولا شك أن (الإبانة) من آخر مصنفاته إن لم تكن آخرها كما نص عليه مترجموه، ففي هذين الكِتَابين مذهبه الذي أراد أن يلقى الله عليه. والذي كان عليه في البصرة هو الذي اشتهر عنه وبقي منسوباً إليه وَهُوَ بريء من كبراءته من الاعتزال الذي كان من رجاله في صدر حياته.

6 الْجَهْمُ بْنُ صَفْوَانَ، أَبُو مُحْرِزٍ الرَّاسِبِيُّ مَوْلاهُمُ السَّمَرْقَنْدِيُّ. (128 هـ) الْمُتَكَلِّمُ الضَّالُّ رَأْسُ الْجَهْمِيَّةِ وَأَسَاسُ الْبِدْعَةِ. .

فالمرجئة أربع طوائف، أبعدها الجهمية، وعلى قولهم يكون فرعون مؤمناً؛ لأنه عارف، وإبليس يكون مؤمناً؛ لأنه عارف بقلبه.

وعلى قول الأشاعرة: إنه التصديق بالقلب، يكون أبو لهب وأبو طالب وأبو جهل وسائر المشركين مؤمنين؛ لأنهم موقنون بقلوبهم ومصدقون، يصدقون النبي صَلَّي اللهُ عَلَيهِ وَسَلَّمَ في قلوبهم، ولكن منعهم الكبر والحسد من اتباعه صَلَّي اللهُ عَلَيهِ وَسَلَّمَ. واليهود يعترفون أنه رسول الله صَلَّي اللهُ عَلَيهِ وَسَلَّمَ في قلوبهم، ولكن الحسد والكبر: (الذين آتيناهم الكِتَاب يعرفونه كما يعرفون أبناءهم) [1] ، وقَالَ في المشركين: (قد نعلم إنه ليحزنك الذي يقولون فإنهم لا يكذبونك ولكن الظالمين بآيات الله يجحدون) [2] ، فمعنى (لا يكذبونك) أي أنهم يصدقونك.

وأبو طالب يقول:

ولقد علمت أن دين مُحّمَّد *** من خير أديان البرية دينا

لولا الملامة أو حذار مسبةٍ *** لرأيتني سمحاً بذاك مبينا . انتهي [3]

ومن الأولي بعُلَمَاء أهل السُّنَّة أن لا ينسبوا إيمانا إلي المشركين في قسم من أقسام التَّوحِيد إلا مقيدا بالمسألة التي أقروا بها واعترفوا ، ومن فعل ذلك فقد زعم أن في قلوبهم إيمان - وإن لم يكن إيمان كاملا - غير أنهم لم يتموه ، وهَذَا غير صحيح البته .

[1] [سورة البقرة: 146]

[2] [سورة الأنعام: 33]

[3] التعليقات المختصرة على متن العَقِيدَة الطحاوية

فصل في ذكر طرف من شرك أهل الجاهلية في الأَسمَاء وَالصِّفَات :

ومن العقائد المضادة والمخالفة للعقيدة الإسلَامية في باب الأَسمَاء وَالصِّفَات عقائد أهل البدع وخاصة الجهمية ومن سلك سبيلهم في نفي صفات الله عز وجل، وتعطيله سُبْحَانَهُ من صفات الكمال ، ووصفه عز وجل بصفة المعدومات والجمادات والمستحيلات سيرا علي خطي أسلافهم المشركين ، تعالى الله عن قولهم علوا كبيرا .

والشرك في الأَسمَاء وَالصِّفَات هو التسوية أو التشبيه بين الله والخلق في شيء مِنهَا؛ بأن يجعل لله عز وجل نِدّاً في أسمائه أوصفاته؛ فيسميه بأسماء الله، أو يصفه بصفاته .

تفسير العزي

والشرك في الأَسمَاء وَالصِّفَات (نوعان؛ شرك تشبيه، وشرك اشتقاق.

1- شرك التشبيه:

تعريفه: هو أن يثبت لله تعالى في أسمائه وصفاته من الخصائص، مثل ما يثبت للمخلوق من ذلك أو العكس من إثبات ما هو من صفات الخَالِق للمخلوق .

ومن الأمثلة عليه: قول القائل: إن يدي الله مثل أيدي المخلوقين، واستواءه على عرشه كاستوائهم، ونحو ذلك أو أن المخلوق سميع بصير مِثلَ الله تَعَالَي عالم بالغيب أو حاضر بعلمه ونحو ذلك .

2- شرك الاشتقاق:

و هو أن يشتق من أسماء الله عز وجل المختصة به اسما، ويسمى به غيره. وهَذَا من الإلحاد في أسمائه سُبْحَانَهُ وَتَعَالَي .

ومن الأمثل عليه: ما فعله المشركون من اشتقاق أسماء لآلهتهم الباطلة من أسماء الإله الحق سُبْحَانَهُ وَتَعَالَي: {وَلِلَّهِ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَى فَادْعُوهُ بِهَا وَذَرُوا الَّذِينَ يُلْحِدُونَ فِي أَسْمَائِهِ سَيُجْزَوْنَ مَا كَانُوا

يَعْمَلُونَ} [1] ، فـ "يلحدون": أي يشركون ، قَالَ ابن عباس -رَضِيَ اللهُ عَنهُمَا-: "اشتقوا العزى من العزيز، واشتقوا اللات من الله" .) [2]

مبحث في ذكر إلحاد المشركين فى الصفات واشتقاقهم لآلهتهم أسماء مضاهاةً لله :

قَالَ تَعَالَي : (أَفَرَأَيْتُمُ اللَّاتَ وَالْعُزَّى ، وَمَنَاةَ الثَّالِثَةَ الْأُخْرَى) [3]

قَالَ الطبري رَحِمَهُ اللهُ : (سمى المشركون أوثانهم بأسماء الله تعالى ذكره، وتقدّست أسماؤه ، فقَالَوا من الله اللات، ومن العزيز العُزَّى; وزعموا أنهن بنات الله، تعالى الله عما يقولون وافتروا) [4]

قَالَ السمرقندي [5] **رَحِمَهُ اللهُ** : (إن المشركين أرادوا أن يجعلوا من آلهتهم من أسماء الحسنى، فأرادوا أن يسموا الواحد مِنهَا الله، فجرى على لسانهم اللَّاتَ وأرادوا أن يسموا الواحد مِنهَا العزيز، فجرى على لسانهم العزى، وأرادوا أن يسموا الواحد مِنهَا المنان فجرى على لسانهم مناة.) [6]

قَالَ السعدي عند تفسيره لهذه الآية : (لما ذكر تعالى ما جاء به مُحّمَّد صَلَّي اللهُ عَلَيهِ وَسَلَّمَ من الهدى ودين الحق، والأمر بعبادة الله وتوحيده، ذكر بطلان ما عليه المشركون من عبادة من ليس له من أوصاف الكمال شيء، ولا تنفع ولا تضر، وإنما هي أسماء فارغة عن المعنى، سماها المشركون هم وآباؤهم الجهال الضلال، ابتدعوا لها من الأسماء الباطلة التي لا تستحقها، فخدعوا بها أنفسهم وغيرهم من الضلال، فالآلهة التي بهذه الحال، لا تستحق مثقَالَ ذرة من العبادة، وهذه الأنداد التي سموها بهذه الأسماء، زعموا أنها مشتقة من أوصاف هي متصفة بها، فسموا "اللات" من "الإله" المستحق للعبادة، و"العزى" من "العزيز" و "مناة" من "المنان" إلحادا في أسماء الله وتجريا على

---

[1] [سورة الأعراف: 180]
[2] المفيد في مهات التّوحِيد 1 / 113-114 ، للدكتور عبد القادر بن مُحّمَّد عطا صوفي ، بتصرف .
[3] سورة النجم 19 - 20
[4] تفسير الطبري (22 / 522) بتحقيق أحمد مُحّمَّد شاكر .
[5] أبو الليث نصر بن مُحّمَّد بن أحمد بن إبراهيم السمرقندي (المتوفى: 373هـ)
[6] بحر العلوم (3 / 361) للسمرقندي .

الشرك به، وهذه أسماء متجردة عن المعاني، فكل من له أدنى مسكة من عقل، يعلم بطلان هذه الأوصاف فيها.) [1]

مبحث في ذكر إنكارهم اسم الله الرحمن وكفرهم به :

قَالَ الله تَعَالَي مخبرا عن حال الكفار من مشركي العرب بأنهم أنكروا تسمية الله تَعَالَي بالرحمن واستنكروا وجود أكثر من اسم له فتوهموا - جاهلين - بأن تعدد الأسماء تدل على تعدد المسميات [2] ، فبنوا علي ذلك بعقولهم السقيمة أن مُحّمَّد صَلَّي اللهُ عَلَيهِ وَسَلَّمَ يعبد أكثر من إله ، فبين الله تَعَالَي أن تعدد الاسماء لذات واحدة ، ثم هم وقعوا فى التناقض حينما زعموا ذلك ! ، أليسوا هم من سموا الله تَعَالَي بالعزيز العليم ؟! إذن لماذا لم يسيروا علي قاعدتهم التي قعدوها بأن تعدد الأسماء يعني تعدد المسميات ؟! لا جواب إلا التناقض . قَالَ تَعَالَي : (وَهُمْ يَكْفُرُونَ بِالرَّحْمَنِ) [3]

قَالَ الطبري رَحِمَهُ اللهُ عند تعرضه لهذه الآية: (عن قتادة قوله: (وَهُمْ يَكْفُرُونَ بِالرَّحْمَنِ) . ذكر لنا أن نبيَّ الله صَلَّي اللهُ عَلَيهِ وَسَلَّمَ زَمَنَ الحديبية حين صالح قريشًا كتب:"هَذَا ما صالح عليه مُحّمَّد رسول الله. فقَالَ مشركو قريش: لئن كنت رسولَ الله صَلَّي اللهُ عَلَيهِ وَسَلَّمَ ثم قاتلناك لقد ظلمناك! ولكن اكتب: هَذَا ما صالح عليه مُحّمَّد ابن عبد الله. فقَالَ أصحاب رسول الله صَلَّي اللهُ عَلَيهِ وَسَلَّمَ: دعنا يا رسول الله نقاتلهم! فقَالَ: لا ولكن اكتبوا كما يريدون إنّي مُحّمَّد ابن عبد الله. فلما كتب الكاتب:"بسم الله الرحمن الرحيم"، قَالَت قريش: أما"الرحمن" فلا نعرفه ; وكان أهل الجاهلية يكتبون:"باسمك اللهم"، فقَالَ أصحابه : يا رسول الله، دعنا نقاتلهم! قَالَ: لا ولكن اكتبوا كما يريدون".

---

[1] تيسير الكريم الرحمن فى تفسير كلام المنان (1 / 819)

[2] قال أبو القاسم المدني : ((لو صحت الأخبار في هَذَا فهناك تعميم لذا ينبغي أن يقال فتوهم فلان أو بعضهم كذا ثم إنه ليس هناك تناقض في كلاهم فمن حقهم أن يتعلموا ويسئلوا فالأصل أن تعدد الأسماء يدل علي تعدد المسميات وليس بالضرورة ولكنهم لم يسئلوا بل كانوا يتربصون به ويتهمونه حتي ينفض عنه الناس ويحملون كلامه علي أسوإ المحامل حقدا وحسدا فبرأه الله منهم وهَذَا حال المبطلين غالبا))

[3] سورة الرعد 30 .

وعن مجاهد قَالَ قوله: (كَذَلِكَ أَرْسَلْنَاكَ فِي أُمَّةٍ قَدْ خَلَتْ) الآية [1] ، قَالَ: هَذَا لمّا كاتب رسول الله صَلَّي اللهُ عَلَيهِ وَسَلَّمَ قريشًا في الحديبية، كتب:"بسم الله الرحمن الرحيم"، قَالَوا: لا تكتب"الرحمن"، وما ندري ما"الرحمن"، ولا تكتب إلا"باسمك اللهم".قَالَ الله: (وَهُمْ يَكْفُرُونَ بِالرَّحْمَنِ قُلْ هُوَ رَبِّي لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ) [2] الآية .) [3]

قَالَ ابن كثير رَحِمَهُ اللهُ : (وَقَوْلُهُ: {وَهُمْ يَكْفُرُونَ بِالرَّحْمَنِ} أَيْ: هَذِهِ الْأُمَّةِ الَّتِي بَعَثْنَاكَ فِيهِمْ يَكْفُرُونَ بِالرَّحْمَنِ، لَا يُقِرُّونَ بِهِ؛ لِأَنَّهُمْ كَانُوا يَأْنَفُونَ مِنْ وَصْفِ اللَّهِ بِالرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ؛ وَلِهَذَا أَنِفُوا يَوْمَ الْحُدَيْبِيَةِ أَنْ يَكْتُبُوا "بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ" وَقَالَوا: مَا نَدْرِي مَا الرَّحْمَنُ الرَّحِيمُ. قَالَهُ قَتَادَةُ، وَالْحَدِيثُ فِي صَحِيحِ الْبُخَارِيِّ [4] وَقَدْ قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: {قُلِ ادْعُوا اللَّهَ أَوِ ادْعُوا الرَّحْمَنَ أَيًّا مَا تَدْعُوا فَلَهُ الأَسْمَاءُ الْحُسْنَى} [5] وَفِي صَحِيحِ مُسْلِمٍ عَنْ عَبْدِ اللَّهِ ابن عُمَرَ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّي اللهُ عَلَيهِ وَسَلَّمَ: "إِنَّ أَحَبَّ الْأَسْمَاءِ إِلَى اللَّهِ عَبْدُ اللَّهِ وَعَبْدُ الرَّحْمَنِ [6]) [7].

وقَالَ تَعَالَي : (قُلِ ادْعُوا اللَّهَ أَوِ ادْعُوا الرَّحْمَنَ أَيًّا مَا تَدْعُوا فَلَهُ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَى) [8]

قَالَ الطبري رَحِمَهُ اللهُ : (بأيّ أسمائه جلّ جلاله تدعون ربكم، فإنما تدعون واحدا، وله الأسماء الحُسنى، وإنما قيل ذلك له صَلَّي اللهُ عَلَيهِ وَسَلَّمَ، لأن المشركين فيما ذكر سمعوا النبيّ صَلَّي اللهُ عَلَيهِ وَسَلَّمَ يدعو ربه: يا ربنا الله، ويا ربنا الرحمن، فظنوا أنه يدعو إلهين، فأنزل الله على نبيّه عَلَيهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَام هذه الآية احتجاجا لنبيّه عليهم.

---

[1] سورة الرعد 30 .
[2] سورة الرعد 30 .
[3] تفسير الطبري بتصرف (/ 446 - 446) بتحقيق أحمد مُحَمَّد شاكر .
[4] صحيح البخاري برقم (2731 ، 2732) عن مروان بن الحكم والمسور بن مخرمة في قصة غزوة الحديبية.
[5] [سورة الإسراء: 110]
[6] صحيح مسلم برقم (2132).
[7] تفسير بن كثير (4 / 460) بتحقيق سامي بن مُحَمَّد سلامة .
[8] (الْإِسْرَاءُ -110)

وعن ابن عباس. قَالَ: كان النبيّ صَلَّي اللهُ عَلَيهِ وَسَلَّمَ ساجدا يدعو: يا رَحْمَنُ يا رَحيمُ، فقَالَ المشركون: هَذَا يزعم أنه يدعو واحدا، وَهُوَ يدعو مثنى مثنى، فأنزل الله تعالى (قُلِ ادْعُوا اللَّهَ أَوِ ادْعُوا الرَّحْمَنَ أَيًّا مَا تَدْعُوا فَلَهُ الأَسْمَاءُ الْحُسْنَى) .... الآية.

وعن مكحول، أن النبيّ صَلَّي اللهُ عَلَيهِ وَسَلَّمَ "كان يتهجَّد بمكة ذات ليلة، يقول في سجوده: يا رَحْمَنُ يا رَحيمُ، فسمعه رجل من المشركين، فلما أصبح قَالَ لأصحابه: انظروا ما قَالَ ابن أبي كبشة، يدعو الليلة الرحمن الذي باليمامة، وكان باليمامة رجل يقَالَ له الرحمن: فنزلت (قُلِ ادْعُوا اللَّهَ أَوِ ادْعُوا الرَّحْمَنَ أَيًّا مَا تَدْعُوا فَلَهُ الأَسْمَاءُ الْحُسْنَى) ."

وعن مجاهد، قوله (أَيًّا مَا تَدْعُوا) بشيء من أسمائه.) [1] انتهي بتصرف .

قَالَ السمعاني [2] **رَحِمَهُ اللهُ** : (فِيهِ قَولَانِ: أَحدهمَا: قَالَ ابْن جريج: الْآيَة مَدَنِيَّة فِي قصَّة الْحُدَيْبِيَة فَإِن سُهَيْل ابن عَمْرو لما جَاءَ وَاتَّفَقُوا على أَن يكتبوا كتاب الصُّلْح، كتب عَليّ رَضِيَ اللهُ عَنهُ بِسم الله الرَّحْمَن الرَّحِيم، فَقَالَوا: لَا نَعْرِف الرَّحْمَن، اكْتُبْ كَمَا نكتب نَحن: بِاسْمِك اللَّهُمَّ ... الْقِصَّة، فَهَذَا معنى قَوْله: {وهم يكفرون بالرحمن} . وَالْقَوْل الثَّانِي - وَهُوَ الْمَعْرُوف - أَن الْآيَة مَكِّيَّة، وَسبب نُزُولهَا أَن أَبَا جهل سمع النَّبِي وَهُوَ فِي الْحجر يَدْعُو وَيَقُول: " يَا الله، يَا رَحْمَن ". فَرجع إِلَى الْمُشْركين، وَقَالَ: إِن مُحَمَّدًا يَدْعُو إِلَهَيْنِ يَدْعُو الله، وَيَدْعُو آخر يُسمى الرَّحْمَن وَلَا نَعْرِف الرَّحْمَن إِلَّا رَحْمَن الْيَمَامَة؛ فَأنْزل الله تَعَالَى هَذِه الْآيَة، وَأنزل أَيْضا قَوْله تَعَالَى: {قل ادعوا الله أَو ادعوا الرَّحْمَن} .) [3]

قَالَ ابن كثير رَحِمَهُ اللهُ : (يَقُولُ تَعَالَى: قُلْ يَا مُحَمَّد، لِهَؤُلَاءِ الْمُشْرِكِينَ الْمُنْكِرِينَ صِفَةَ الرَّحْمَةِ لِلَّهِ، عَزَّ وَجَلَّ، الْمَانِعِينَ مِنْ تَسْمِيَتِهِ بِالرَّحْمَنِ: {ادْعُوا اللَّهَ أَوِ ادْعُوا الرَّحْمَنَ أَيًّا مَا تَدْعُوا فَلَهُ الأَسْمَاءُ

[1] بتصرف من تفسير الطبري (17 / 580 _ 581) بتحقيق أحمد مُحَمَّد شاكر .
[2] أبو المظفر، منصور بن مُحَمَّد بن عبد الجبار ابن أحمد المروزى السمعاني التميمي الحنفي ثم الشافعي (المتوفى: 489هـ)
[3] تفسير القرآن (3 / 93) بتحقيق ياسر بن إبراهيم وغنيم بن عباس بن غنيم

الْحُسْنَى} أَيْ: لَا فَرْق بَيْنَ دُعَائِكُمْ لَهُ بِاسْمِ "اللَّهِ" أَوْ بِاسْمِ " الرَّحْمَنِ "، فَإِنَّهُ ذُو الْأَسْمَاءِ الْحُسْنَى، كَمَا قَالَ تَعَالَى: {هُوَ اللَّهُ الَّذِي لَا إِلَهَ إِلا هُوَ عَالِمُ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ هُوَ الرَّحْمَنُ الرَّحِيمُ} إِلَى أَنْ قَالَ: {لَهُ الأَسْمَاءُ الْحُسْنَى يُسَبِّحُ لَهُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ} [1] .

وَقَدْ رَوَى مَكْحُولٌ [2] أَنَّ رَجُلًا مِنَ الْمُشْرِكِينَ سَمِعَ النَّبِيَّ صَلَّى اللهُ عَلَيهِ وَسَلَّمَ وَهُوَ يَقُولُ فِي سُجُودِهِ: "يَا رَحْمَنُ يَا رَحِيمُ"، فَقَالَ: إِنَّهُ يَزْعُمُ أَنَّهُ يَدْعُو وَاحِدًا، وَهُوَ يَدْعُو اثْنَيْنِ. فَأَنْزَلَ اللَّهُ هَذِهِ الْآيَةَ. وَكَذَا رُوِيَ عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ، رَوَاهُمَا ابْنُ جَرِيرٍ.) [3]

فصل ذكر مسألة " فِعلُ الكفر بِصرفِ العبادة للمخلوق مع عدم اعتقاد صفات الرب لذلك الند المعبود " .

قَالَ قائل : (وقد سألت أحدهم قائلًا: "لو أن رجلًا سجد لصنم وَهُوَ لا يعتقد فيه خصائص الرُّبُوبِيَّة، فما حكمه؟، هل يُعد مُشركًا كافرًا؟ فأجاب قائلًا: كافر وليس بمشرك، هو مثل قول الكفر لا يعد كفرًا) انتهي .

ومثله قول القائل : (العَمَل لا يكون (عبادة) أصلا , ولا يُسمى (عبادة) توجب أن يكون العامل بها قد ألّـهَ من صرفها إليه ؛ إلا إذا صرفها إليه على معنى أنه يملك شيئا من خصائص الرُّبُوبِيَّة.) [4]

والرد علي مثل هَذَا السكران المبطل ميسور ، إذ لا يقول ذلك عاقل .

---

[1] [سورة الْحَشْر: 22 -24]

[2] تفسير الطبري (121/15) وكأن الحافظ بن كثير اختصره هنا.

[3] تفسير القرآن العظيم (5 / 128) ، بتحقيق سامي بن مُحَمَّد سلامة .

[4] قال ذلك الشَّيخ حاتم العوني .

فنقول من سجد لصنم أو حجر أو شجر أو غير ذلك فقد صرف لهَذَا المخلوق ما لا يصرف إلا لله تَعَالَي ، وعليه فقد وقع في أصرح أنواع الشرك واعظم أبوابه وهي عبادة غير الله تَعَالَي ، ولذلك فهو كافر بالله تاعلي مشرك به غيره .

ولا يشفع له كونه لا يعتقد فيه خصائص الرُّبُوبِيَّة فقد وقع في الكفر الصريح من مدخل آخر ، وكما قررنا بأن التَّوحِيد شيء واحد ، ينقضه كله ما ينقض جزئية من جزئياته . ولا يقبل إلا التَّوحِيد الكامل الخالي من الشرك ، كما في الحديث القدسي المشهور [1] .

وأما الرد - الفلسفي - المذكور من كونه كافرا وليس بمشرك ! فنقول وما الفرق بين الكفر والشرك ؟!

كلاهما واحد وبينهما تلازم وإن اختلفا - جدلا - فى التعريف والمعني اللفظي. فكلاهما منهي عنه ، وكلاهما مخرج من الملة ومردود على صاحبه عمله ومخلد فى النار !!! [2]

ثم : على فرض صحة جوابه ، يكون بعض كفار قريش ليسوا بمشركين ! لأن بعضهم لم يكونوا يعتقدون في المخلوقات صفات الرب ! وهَذَا غلط صريح .

وأسوأ مما سبق ما استشهد به لنفسه من قوله : (هو مثل قول الكفر لا يعد كفرًا) فظن أن ناقل الكفر لسبب شرعي كتحذير منه أو شهادة أو غير ذلك كمن يفعل الكفر الذي نهي الله تَعَالَي عنه !! ومن يُسَوِّي هَذَا الكفر البواح بناقل الكفر على سبيل التحذير منه أو الشهادة ، أو من قَالَه مضطرا لذلك ؟! لا يفعل ذلك إلا جاهل أو مخالط. وعليه ، فمن يفعل الكفر من السجود للصنم أو

---

[1] قال صلي الله عليه وسلم : (قَالَ اللهُ عَزَّوَجَلَّ: أَنَا أَغْنَى الشُّرَكَاءِ عَنِ الشِّرْكِ فَمَنْ عَمِلَ لِيْ عملا أَشْرَكَ فِيْهِ غَيْرِيْ فأَنَا مِنْهُ بَرِيْءٌ وَهُوَ لِلَّذِيْ أَشْرَكَ.) الْأَرْبَعُوْنَ الصُّغْرَى للبيهقي بتحقيق أَبِي إِسْحَاق الْحُوَيْنِيُّ الْأَثَرِيُّ . وفي رواية : (أنا أغنى الشركاء عن الشرك من عمل عملا أشرك فيه معى غيرى تركته وشركه) أخرجه مسلم (2289/4 ، رقم 2985) ، وابن ماجه (1405/2 ، رقم 4202) .

[2] قال أبوالقاسم المدني وَفَّقَهُ اللهُ : (فكل شرك يسمي كفرا لأنه جحود وتغطية ورد لشيئ من الحق وكل كفر مآله إلي الشرك لأنه لابد من طاعة لغير الله عز وجل)

الطواف بالقبر أو دعاء الحجر أو الخوف من الميت الغائب فقد وقع في الشرك الصريح والكفر البواح ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم .

وأصرح الأدلة علي تحريم الفعل الكفري حتي لو لم تكن تعتقد فيه صفة الرُّبُوبِيَّة ، ما روي عن ثَابِتُ ابن الضَّحَّاكِ ، قَالَ: نَذَرَ رَجُلٌ عَلَى عَهْدِ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّي اللهُ عَلَيهِ وَسَلَّمَ أَنْ يَنْحَرَ إِبِلًا بِبُوَانَةَ فَأَتَى النَّبِيَّ صَلَّي اللهُ عَلَيهِ وَسَلَّمَ، فَقَالَ: إِنِّي نَذَرْتُ أَنْ أَنْحَرَ إِبِلًا بِبُوَانَةَ، فَقَالَ النَّبِيُّ صَلَّي اللهُ عَلَيهِ وَسَلَّمَ: «هَلْ كَانَ فِيهَا وَثَنٌ مِنْ أَوْثَانِ الْجَاهِلِيَّةِ يُعْبَدُ؟» قَالُوا: لَا، قَالَ: «هَلْ كَانَ فِيهَا عِيدٌ مِنْ أَعْيَادِهِمْ؟»، قَالُوا: لَا، قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّي اللهُ عَلَيهِ وَسَلَّمَ: «أَوْفِ بِنَذْرِكَ، فَإِنَّهُ لَا وَفَاءَ لِنَذْرٍ فِي مَعْصِيَةِ اللَّهِ، وَلَا فِيمَا لَا يَمْلِكُ ابْنُ آدَمَ» [1]

فانظر يا رعاك الله كيف منع النبي صَلَّي اللهُ عَلَيهِ وَسَلَّمَ الفعل المحرم وإن كنت لا تعتقده ، فكيف إذا كنت تعتقده ؟! لا شك أنه ظلمات بعضها فوق بعض .

ولازم كلام القائل - وإن لم يقل به أو أنكره - أنه يحكم بالإسلَام لكل من سجد لصنم أو عبد حجرا أو دعا ميتا أو حكم بغير الشرع كمن حكم بالياسق أو بحكم القبائل أو غير ذلك من الشركيات الناقلة عن الملة ولكن الإيمَان قول وعمل [2] وكما ينقض بالاعتقاد ينقض بالقول وبالعَمَل .

---

[1] أبو داود (3313). السنن الكبري للبيهقي (20139) وقال الألباني في صحيح أبي داود (2834): صحيح.

[2] قال أبو القاسم المدني : (المقصود أن كل الأعمال من الإيمان ولكنها ليست علي درجة واحدة فمنها الركن ومنها الواجب ومنا النفل وهكذا فليست كلها ناقضة وكثير منها مكملة وهذا خلاف قول الخوارج الذين جعلوا ترك كل واجب ناقضا وفعل كل كبيرة ناقضا وعلي العكس طوائف كثيرة).

فصل في الرد علي دعوي أن : (الشيخ ابن عبد الوهاب [1] بنى دعوته على أن رسول الله صَلَّي اللهُ عَلَيهِ وَسَلَّمَ إنما قاتل عرب الجاهلية لشركهم في الأُلُوهِيَّة، ولم يقع لهم شرك في الرُّبُوبِيَّة)

قَالَ قائل عن الشَّيخ مُحمَّد ابن عبد الوهاب رَحِمَهُ اللهُ أنه : (بنى دعوته على أن رسول الله صَلَّي اللهُ عَلَيهِ وَسَلَّمَ إنما قاتل عرب الجاهلية لشركهم في الأُلُوهِيَّة، ولم يقع لهم شرك في الرُّبُوبِيَّة، وهَذَا أكبر حجة له على أن خصومه مشركون، ولو افترضنا أن تصوره لمفهوم العبادة صحيح، فأقل ما يُقَالَ أنه أخطأ في دعواه أنه أقام الحجة على خصمه، إذ هذه حجة مختلة).

فقوله عن رسول الله صَلَّي اللهُ عَلَيهِ وَسَلَّمَ أنه : (إنما قاتل عرب الجاهلية لشركهم في الأُلُوهِيَّة، ولم يقع لهم شرك في الرُّبُوبِيَّة) لخطأ محض ، لا دليل عليه من كتاب ولا سنة ، وقد تقول قائله علي الرسول ما لم يقله أو يفعله ، و بالفعل قد قاتل النبى صَلَّي اللهُ عَلَيهِ وَسَلَّمَ عرب الجاهلية والأحمر والأبيض لشركهم فى الأُلُوهِيَّة أولا !! ولا يعني هَذَا أنهم كانوا مؤمنين بالله أو موحدين الله تعالى توحيد الرُّبُوبِيَّة وإن اعترفوا ببعض مسائلها !!

بل كانوا يعترفون لله بالرُّبُوبِيَّة فى بعض المواضع وينكرونها فى كثير مِنهَا ! ومن اعترف فى موضع بالرُّبُوبِيَّة نقض ذلك الاعتراف فعلَه وواقع حياته فعاد إلى الشرك فيها. وعليه فلا يصح أن يقَالَ أن النبي صَلَّي اللهُ عَلَيهِ وَسَلَّمَ قاتل من أجل توحيد الأُلُوهِيَّة وليس من أجل توحيد الرُّبُوبِيَّة أو الأَسمَاء وَالصِّفَات ، بل قاتل النبي من خالفه في التَّوحِيد ، وكلهم في شركهم سواء من حيث خروجهم عن الإِسلَام واستحقاقهم المنابذة بالسيف والسنان .

وقوله : (وهَذَا أكبر حجة له على أن خصومه مشركون) فليس بصحيح على أن هذه أكبر حجة له على خصومه بأنهم مشركون ! لأنهم قد وقعوا في الشرك بكل أنواعه وليس في نوع دون نوع ، وإن كان شركهم في الأُلُوهِيَّة أظهر لأنه المحك العَمَلي الظاهر ، وعلى فرض صحة قوله هَذَا فهذه الحجة

---

[1] يقصد به الشَّيخ مُحمَّد بن عبد الوهاب النجدي رَحِمَهُ اللهُ .

وحدها كافية لذلك إذا انفردت - على حد زعمه - !! بل أقل مِنهَا بكثير يوجب قتالهم ، ألا ترى الصديق رَضِيَ اللهُ عَنهُ قاتل مانعي الزكاة مع اعترافهم لله تعالى بالأُلُوهِيَّة والرُّبُوبِيَّة والأَسمَاء وَالصِّفَات غير أنهم جحدوا فريضة الزكاة ؟! - مع العِلم بأن قتالهم كان قتال مرتدين لإنكارهم وجحودهم - ؟!

وقوله : (ولو افترضنا أن تصوره لمفهوم العبادة صحيح) وما الذي يمنع صحة مفهومه للعبادة ، بالفعل هو مفهوم صحيح موَافَقَ لِمنهَاج النُّبُوَّة لا مخالفة فيه للسنة مطلقا . من كون كفار قريش كانوا مشركين فى الرُّبُوبِيَّة والأُلُوهِيَّة وقد كان الشَّيخ رَحِمَهُ اللهُ يعتقد ذلك ولكنه كان يعبر عن إقرار الكفار ببعض مَسَائِل الرُّبُوبِيَّة ولم يزعم أنهم استكملوا توحيد الرُّبُوبِيَّة . .

وقوله : (فأقل ما يُقَالَ أنه أخطأ في دعواه أنه أقام الحجة على خصمه) فغير صحيح ، لأن الحجة صحيحة وطريقة إقامتها صحيح وما ترتب عليها صحيح . لا مخالفة فيه للسنة.

وقوله : (إذ هذه حجة مختلة) كلام غير صحيح بل مخالف لصريح القرآن وصحيح السُّنَّة لأن الحجة مكتملة ، وهى على درب النُّبُوَّة صراحة . والخلل فى العقول وفيمن يحاول إلتماس عذر لمرتد أو كافر بغير حجة ولا برهان.

فَصْلٌ فِي ذِكرِ طرف من أقوال بعض العُلَمَاء في شرك الجاهلية وذكر المؤاخذة عليه .[1]

تواترت جمل عن المتقدمين مِن أَهلِ العِلمِ التي بينوا فيها ما قرره القرآن الكريم والسُّنَّة النبوية فى هذه المسألة ، ولم يزيدوا علي ما قصده الشرع لفظا ولا معني .

فكانت تقريراتهم تدور حول "إقرار" العرب فى الجاهلية بمَسَائِل الرُّبُوبِيَّة إجمالا وإن كان بعضهم لا يصرح بقوله " ببعض " مَسَائِل الربوبية وذلك راجع لكونه يتكلم علي العموم ، وهَذَا يفهم من قوله (أقروا) .

ولكثرة تلك الأقاويل يصير من الصعوبة إيراد كلامهم في الباب من مظانه حتي لا يطول بنا المقام ويخرج البحث عن مقصوده . ولكن لا يمنع هَذَا أن نذكر بعضا من أقوالهم ليتبين لطالب العِلمِ كيف كانوا يقفون حيث السُّنَّة لا يتعدونها ، ولا يطلقون كلمات لها تبعات ولوزام لم يقصدها الشرع ولم يتطرق إليها كقول البعض أن مشركى العرب ءامنوا بتوحيد الربوبية قاصدا باللفظ حقيقة الإيمان وهو ليس كذلك .

مبحث في ذكر اعتراض البعض وإنكارهم أن بعض أهل العِلمِ يزعم إيمان أو توحيد مشركي العرب فى الرُّبُوبِيَّة .

اشتهرت هذه المسألة بين طلبة العِلمِ في هذه الأيام حتي صارت من القواعد الأساسية التي لابد أن يتلقنها كل طالب علم في بداية طلبه للعلم أو في مقتبل هدايته .

وهي أن شرك مشركي العرب كان في الأُلُوهِيَّة فقط وأنهم كانوا مؤمنين بتوحيد الربوبية ، وذلك علي اختلاف قريب في الألفاظ فبعضهم يقول " يقرون بالرُّبُوبِيَّة " وبعضهم يقول " يعترفون"

---

[1] (فيه ذكر لنقولات المتقدمين بأنهم قَالَوا "أقروا" و "اعترفوا" ولم يقولوا "وحدوا" ولا "ءامنوا" ،، ثم ذكر النقولات عن المتأخرين التي يقول فيها أصحابها بأن مشركي العرب ءامنوا أو وحدوا الله فى الرُّبُوبِيَّة ، وبيننا أن المقصود هو الإنكار علي لفظة ءامنوا ووحدوا وليس أقروا واعترفوا) .

وبعضهم يقول " يؤمنون بالرُّبُوبِيَّة" وبعضهم يقول " يوحدون الله بربوبيته " ، والمأخذ هنا ليس علي من يقول أقروا أو اعترفوا إن كان يقصدمجرد الإقرار اللفظي ، ولكن المأخذ علي من قَالَ يؤمنون أو يوحدون .

ولذلك كانت هذه الرسالة لتقرير هذه المسألة . ولكن بعض الإخوة ينكر و يعترض علي نسبة هَذَا القول لبعض العُلَمَاء ، زاعمين أن كل العُلَمَاء يقولون بأنهم كانوا مقرين وليسوا مؤمنين أو موحدين ! وهَذَا خلاف الواقع الذي عليه كثير مِن أَهلِ العِلمِ . وسنفرد أقوال من قَالَ بهَذَا من العُلَمَاء لتكون أمام من ينكر ذلك .

وإليك - علي سبيل المثال - كلام بعضهم ، قَالَ أحد الإخوة [1] : (فما ذكره الأخ السمرقندي [2] سدده الله لا يمكن تحصيله ، ونسبته لأحد (أيا كان) فضلا أن يكون أمراً ذائعاً مشهورا ، والأمر كما بينه الأخ بن أبي حاتم [3] أنه ليس ثم مِن أَهلِ العِلمِ ، سواء من أئمة الدعوة وغيرهم ، وأقول : بل ولا من عامة طلبة العِلمِ .!!) فأنكر الأخ أن يكون هناك أحدا مِن أَهلِ العِلمِ - من غير تثبت - يقول بهَذَا القول . مع أن الأمر كما ذكر الأخ السمرقندي ذائع مشهور . ولعله إن رأي كثرة ما يردده بعض أهل العِلمِ من أن كفار العرب كانوا مؤمنين موحدين بتوحيد الرُّبُوبِيَّة لله تَعَالَي يتراجع عن قوله من غير تثبت .

مبحث في ذكر من اللتمس عذرا لمن أخطأ في التعبير عن إقرار المشركين بالإيمان والتَّوحِيد .

قَالَ أحد الإخوة حاملا كلام أهل العِلمِ علي وجه مقبول كي لا يرده ، وهَذَا من باب حسن الظن بأهل العِلمِ فجزاه الله خيرا : (أن أهل السُّنَّة والجماعة لما قَالَوا إن كفار قريش والأُمم السابقة قبلهم

[1] أخ مكني بابن أبي حاتم ، من أعضاء ملتقي أهل الحديث .
[2] يقصد به الأخ الفاضل أبي عمر السمرقندي صاحب موضوع (كان مشركوا العرب واقعين في الشرك في أنواع التَّوحِيد الثلاثة) .
[3] أخ مسمي (أخو من طاع الله) ، من أعضاء ملتقي أهل الحديث .

كانوا مقرين بربوبية الله تعالى، لا يعنون بذلك أنهم كانوا مستكملين لجوانبها عاملين بلوازمها محققين نتائجها التي تقتضيها، وإنما المعنى أن ذلك الإقرار واقع منهم بصريح أقوالهم، إلا أنهم واقعون في تناقض مع ذلك الإقرار) أ.هـ

فكلامه جزاه الله خيرا جيد حيث حمل كلام من وقع في هَذَا الخطأ علي العموم وَهُوَ حمل وجيه ليخرج قائل الكلمة من مخالفته إلا إذا كان القائل يعتقد مقولته .

وفي الحقيقة من اللتمس لهم العذر لم يخطئوا ، لأنه اعتذر عمن قَالَ (مقرين بتوحيد الرُّبُوبِيَّة) عن إجمال كلمة توحيد الرُّبُوبِيَّة وَهُوَ اعتذار وجيه ، ولا خطأ في قولهم (مقرين) لأنها قد ثبتت في القرآن ، ولكن من هم أولي بالاعتذار من قَالَوا (مؤمنين وموحدين) وكيف لهم أن يخرجوا من لوازم كلمة " ءامنوا"؟ .

ولعلي أقول إن كان العالم الذي يتكلم في مسائل في غاية الدقة بمثل هذا الورع البارد ولا يتحسس مواضع قدميه فيزعم أن مشركي العرب كانوا مؤمنين بالربوبية ! لهو بحاجة إلي مراجعة فضلا عن عدم التصدر لمثل تلك المسائل الهامة في الدين .

وأشنع منه وأفظع رمي بعض المشايخ المتصدرين لبعض الجماعات الإسلامية بأن إيمانهم مثل إيمان قريش وإيمان قريش لم يدخلهم الإسلام ! وهذا تكفير صريح وجهل مدقع من هؤلاء المشايخ ! حيث صرحوا بأن مشركي الجاهلية كانوا مؤمنين في الربوبية ومعلوم ماهية لفظ الإيمان حينما يطلقه عالم ! وكذلك تصريحهم بأن تلك الجماعات علي إيمان أبي جهل وأبي لهب وأبي بن خلف وغيرهم من صناديد الكفر ورواد جهنم ! فيالله !كيف يرمي المسلم كلمة تخرج ملايين من المسلمين من دائرة الإسلام بدم بارد ثم يأتي يعتذر عنه محب له محسن للظن به ؟! وهو الآخر قال كلمته الفاجرة إرضاءا لحاكم وتزلفا لأمير ! عفا الله عنا وعن جميع المسلمين .

مبحث في ذكر أقوال المتأخرين في شرك الجاهلية في الرُّبُوبِيَّة وبيان مخالفة المتقدمين فى التعبير عن الفهم المتفق عليه .

بعدما تبين لك ما يقوله الأقدمون من كون الكفار كانوا مقرين ببعض مَسَائِل الرُّبُوبِيَّة ، تعلم مخالفة من تبعهم وزعم أن كفار العرب كانوا مؤمنين أو موحدين فى الرُّبُوبِيَّة ،

ولابد من توضيح مسألة هنا في غاية الأهمية وهي أن من يقول إن مشركي العرب كانوا مؤمنين أو موحدين بتوحيد الرُّبُوبِيَّة لا يقصد أنهم استكملوا جوانب الإِيمَان في الرُّبُوبِيَّة مطلقا ، ولكنه يقصد أنهم أقروا ببعض مَسَائِله لأنه لا يخالف في هذه المسألة عند التفصيل الذي تذكره أبدا ، غير تعصبه لإطلاق لفظ الإِيمَان عليهم . وهَذَا مدخل لم يدخله سلفنا الصالح ولا دليل عليه من كتاب ولا سنة ، فاحكم بعدل وإنصاف يرَحِمَكَ اللهُ ، ولا يحملنك حب شيخ أن تناخ عن خطئه البيّن.

قَالَ الشَّيخ الألباني رَحِمَهُ اللهُ : (هؤلاء العُلَمَاء جعلوا التَّوحِيد ثلاثة أقسام:

1 - توحيد الرُّبُوبِيَّة وأذكر بأن توحيد الرُّبُوبِيَّة الذي هو التَّوحِيد الأول وَهُوَ الذي هو أساس ما سيأتي من التَّوحِيد الثاني والثالث، هَذَا التَّوحِيد كان المشركون الأولون يؤمنون به.

فهل نفعهم شيء من ذلك؟. الجواب: لا. لماذا؟

لأنهم كفروا بالتَّوحِيد الثاني وَهُوَ توحيد العبادة، وقد شرحت لكم آنفاً كيف كانوا يقولون: {مَا نَعْبُدُهُمْ إِلَّا لِيُقَرِّبُونَا إِلَى اللَّهِ زُلْفَى} [1] .

أما أنهم كانوا يؤمنون بتوحيد الرُّبُوبِيَّة فذلك مذكور في نصوص من الكِتَاب والسُّنَّة ونصوص كثيرة، وكثيرة جداً. قَالَ الله تعالى مثلاً في بعض تلك النصوص: {وَلَئِنْ سَأَلْتَهُمْ مَنْ خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضَ لَيَقُولُنَّ اللَّهُ}[2].

[1] (سورة الزمر: 3)
[2] (سورة لقمان: 25)

إذن هم يعرفون بأن خالق السموات والأرض إنما هو الرب واحد لا شريك له. والآيات في هَذَا المعنى كثيرة ومعروفة.

لكني أكرر لكم حديثاً: كيف كانوا يصرحون بعبادة غير الله عز وجل مع أنهم يوحدونه توحيد ربوبية، كان أحدهم إذا طاف حول الكعبة يلبي كما كان سيدنا إبراهيم وإسماعيل ومن سار على مسيرتهم يلبون، فيقولون: لبيك اللهم لبيك، لبيك لا شريك لك؛ إلى هنا هذه تلبية الموحدين، لكن ماذا كانوا يقولون هم من عند أنفسهم وشركهم وضلالهم؟) [1] فهنا قد رأيت ما قرره الشَّيخ رَحِمَهُ اللهُ غير مرة من تصريحه بأن كفار العرب كانوا يؤمنون ويوحدون وهذه كلمات عظيمة لا تقَالَ علي كفار ، بل غاية ما يقَالَ فيهم هو كما قَالَ القران بأنهم أقروا ، وليس "ءامنوا " أو " وحدوا " .

وقَالَ أيضا رَحِمَهُ اللهُ : (لذلك العُلَمَاء يقسمون التَّوحِيد إلى أقسام:

1 - توحيد الرُّبُوبِيَّة، وهَذَا ما كان المشركون يؤمنون به كما ذكرت.

2 - توحيد العبادة، وقد يسمى بتوحيد الأُلُوهِيَّة: أي لا إله: أي لا معبود بحق في الوجود إلا الله، كانوا يكفرون بهَذَا التَّوحِيد قد سمعتم ما فيه الكفاية آنفاً.

3 - التَّوحِيد الثالث: توحيد الأَسمَاء وَالصِّفَات: أي كما أن الله عز وجل واحد في ذاته فهو واحد في ألوهيته وعبوديته، لا يعبد معه سواه، كذلك هو واحد في أسمائه وصفاته، {لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ البَصِيرُ}[2].) [3] وهنا صرح كما في النقل السابق بأنهم كانوا يؤمنون بتوحيد الرُّبُوبِيَّة ، وليته سار علي قاعدته بأن اعترافهم إيمان ليقول بأنهم ءامنوا بالأُلُوهِيَّة ولكنه خالفها مع أنهم أقروا ببعض مَسَائِل الأُلُوهِيَّة كما أقروا ببعض مَسَائِل الرُّبُوبِيَّة تماما .

---

[1] موسوعة العلامة الإمَام مجدد العصر مُحَمَّد ناصر الدين الألباني « موسوعة تحتوي على أكثر من (50) عملاً ودراسة حول العلامة الألباني وتراثه الخالد » (2 / 46-47) بترقيم الشامله . صنعه / شادي بن مُحَمَّد بن سالم آل نعمان .

[2] (سورة الشورى: 11)

[3] موسوعة العلامة الإمَام مجدد العصر مُحَمَّد ناصر الدين الألباني « موسوعة تحتوي على أكثر من (50) عملاً ودراسة حول العلامة الألباني وتراثه الخالد » (2 / 48) بترقيم الشامله . صنعه / شادي بن مُحَمَّد بن سالم آل نعمان .

وقَالَ أيضا رَحِمَهُ اللهُ : (لذلك فاحفظوا هَذَا وتفقهوا فيه، التَّوحِيد ثلاثة أقسام:

توحيد الرُّبُوبِيَّة: وهَذَا لا بد منه، لكن المشركين لما آمنوا به ما أفادهم شيئاً، لا يتم التَّوحِيد إلا بالثاني والثالث.

الثاني: توحيد العبادة؛ ألا تعبدوا غير الله.

التَّوحِيد الثالث: هو أن توحِّدوا الله في أسمائه وفي صفاته فلا تصفون بشراً بصفة من صفات الله، مِنهَا: أن تظنوا بأن أحداً من المصطفين الأخيار يعلم الغيب، لا يعلم الغيب إلا الله.) [1] وفيه تصريح بإيمان المشركين بتوحيد الرُّبُوبِيَّة وَهُوَ ما لم يصرح به السَّلَف ولم يرد في الكِتَاب والسُّنَّة .

وقَالَ أيضا رَحِمَهُ اللهُ : (فتوحيد الرُّبُوبِيَّة أول شيء يَجِبُ أن يكون المسلم مؤمنا به وهَذَا سهل مفطور عليه الإنسان حتى الكفار في الجاهلية كما سمعتم كانوا يوحدون الله توحيد الرُّبُوبِيَّة) [2] وهنا أيضا تصريح بأن المشركين في الجاهلية كانوا مؤمنين موحدين بربوبية الله تَعَالَي .

وقَالَ أيضا رَحِمَهُ اللهُ : (اليهود والنصارى بيآمنوا بأنه هَذَا الكون له خالق، فهم مؤمنون بالتَّوحِيد الأول، شو إسمه هَذَا التَّوحِيد؟ توحيد الرُّبُوبِيَّة، يعني أنه لهَذَا الكون خالق.

السائل: دهري صاحب الكلام هَذَا ؟!

الشَّيخ: بيختلفوا هم بقى عن الدهريين، أو الطبيعيين، الذين يقولون .. ما فيه خالق ولا في مخلوق، اليهود والنصارى يقولون: الله هو اللي خلق الكون، فهم إذاً موحدون، لكن توحيد الرُّبُوبِيَّة، يعني توحيد الخَالِقية، لكن بيجي توحيد الأُلُوهِيَّة توحيد العبادة، اليهود عبدوا عُزيراً والنصارى عبدوا عيسى، هدول كفروا بتوحيد العبادة،) [3] وهنا أيضا تصريح منه رَحِمَهُ اللهُ بأن اليهود والنصاري كانوا موحدين توحيد الرُّبُوبِيَّة مؤمنين به ، مع أنهم نسبوا لله الولد ونسبوا له العجز وغل اليدين

---

[1] موسوعة العلامة الإمَام مجدد العصر مُحَمَّد ناصر الدين الألباني (2 / 49 – 50) بترقيم الشامله . صنعه / شادي بن مُحَمَّد بن سالم آل نعمان .

[2] موسوعة العلامة الإمَام مجدد العصر مُحَمَّد ناصر الدين الألباني (2 / 57) بترقيم الشامله . صنعه / شادي بن مُحَمَّد بن سالم آل نعمان .

[3] موسوعة العلامة الإمَام مجدد العصر مُحَمَّد ناصر الدين الألباني (2 / 61 - 62) بترقيم الشامله . صنعه / شادي بن مُحَمَّد بن سالم آل نعمان .

وكل منهما قدح في الرُّبُوبِيَّة وليس الأُلُوهِيَّة ، فكيف يجعل الشَّيخ رَحِمَهُ اللهُ إقرارهم بمسالة من مَسَائِلِ الرُّبُوبِيَّة دليلا علي إيمان بكل مَسَائِلِ ا لربوبية كما يفهم من ظاهر كلامه ولم يفصل هو غير ذلك .

وقَالَ أيضا رَحِمَهُ اللهُ: (إذاً: فالمشركون كفروا بتوحيد الأُلُوهِيَّة، بتوحيد العبادة وليس بتوحيد الرُّبُوبِيَّة [1] (

وقَالَ أيضا رَحِمَهُ اللهُ: (فالمشركون كانوا يؤمنون بوحدانية الله في الرُّبُوبِيَّة، ولكنهم كانوا يكفرون بوحدانية الله في العبادة والأُلُوهِيَّة) [2]

وقَالَ أيضا رَحِمَهُ اللهُ : (ذلك لأن المشركين الذين بعث إليهم رسول الله - صلى الله عليه وآله وسلم -كانوا يعتقدون هَذَا المعنى الخاطئ لهذه الشهادة, ولكنهم كانوا يقتصرون على ذلك؛ فلا يؤمنون بأن لا معبود بحق في الوجود إلا الله تعالى.

فهم موحدون من ناحية, مشركون من ناحية أخرى؛ موحدون في توحيد الرُّبُوبِيَّة, كافرون بتوحيد الأُلُوهِيَّة. هَذَا هو الذي دل عليه القرآن الكريم بنصوصه الصريحة.

أما إيمانهم بتوحيد الرُّبُوبِيَّة وأنه: المتفرد بالخلق والرزق؛ فقَالَ تعالى: {وَلَئِن سَأَلْتَهُم مَّنْ خَلَقَهُمْ لَيَقُولُنَّ اللَّهُ} وقَالَ: {وَلَئِن سَأَلْتَهُم مَّنْ خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ لَيَقُولُنَّ خَلَقَهُنَّ الْعَزِيزُ الْعَلِيمُ} وقَالَ تعالى: {قُل لِّمَنِ الْأَرْضُ وَمَن فِيهَا إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ ، سَيَقُولُونَ لِلَّهِ قُلْ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ ، قُلْ مَن رَّبُّ السَّمَاوَاتِ السَّبْعِ وَرَبُّ الْعَرْشِ الْعَظِيمِ ، سَيَقُولُونَ لِلَّهِ قُلْ أَفَلَا تَتَّقُونَ ، قُلْ مَن بِيَدِهِ مَلَكُوتُ كُلِّ شَيْءٍ وَهُوَ يُجِيرُ وَلَا يُجَارُ عَلَيْهِ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ ، سَيَقُولُونَ لِلَّهِ قُلْ فَأَنَّى تُسْحَرُونَ} [3] وقَالَ تعالى:

---

[1] موسوعة العلامة الإمَام مجدد العصر مُحَمَّد ناصر الدين الألباني (2 / 72) بترقيم الشامله . صنعه / شادي بن مُحَمَّد بن سالم آل نعمان .

[2] موسوعة العلامة الإمَام مجدد العصر مُحَمَّد ناصر الدين الألباني (2 / 74) بترقيم الشامله . صنعه / شادي بن مُحَمَّد بن سالم آل نعمان .

[3] (سورة المؤمنون:84 - 89)

{قُلْ مَن يَرْزُقُكُم مِّنَ السَّمَاء وَالأَرْضِ أَمَّن يَمْلِكُ السَّمْعَ والأَبْصَارَ وَمَن يُخْرِجُ الْحَيَّ مِنَ الْمَيِّتِ وَيُخْرِجُ الْمَيَّتَ مِنَ الْحَيِّ وَمَن يُدَبِّرُ الأَمْرَ فَسَيَقُولُونَ اللّهُ فَقُلْ أَفَلاَ تَتَّقُونَ}.

وأما كفرهم بتوحيد الأُلُوهِيَّة - الذي هو المراد من هذه الشهادة - ؛ فأقرأ قوله تعالى: {إِنَّهُمْ كَانُوا إِذَا قِيلَ لَهُمْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ يَسْتَكْبِرُونَ} وكانوا إذا دعاهم - صلى الله عليه وآله وسلم - إلى الإيمَان بهذه الشهادة؛ يقولون: {أَجَعَلَ الْآلِهَةَ إِلَهًا وَاحِدًا إِنَّ هَذَا لَشَيْءٌ عُجَابٌ}[1].) [2]

وقَالَ الشَّيخ الألباني رَحِمَهُ الله : (وهَذَا هو أكبر وأوضح أنواع الشرك في الدنيا، فإذا آمن الإنسان بأن الله عز وجل لا ندّ له ولا شريك له في ذاته، فهَذَا لا يكفيه؛ لأن المشركين قد كانوا موحدين توحيد الرُّبُوبِيَّة كما ذكرنا في الدرس الماضي، فلا بد أن يضم إليه توحيداً من النوع الثاني، ألا وَهُوَ توحيد العبودية أو الأُلُوهِيَّة، ومعنى ذلك: أنك -أيها الإنسان- بعد أن آمنت بأن الله عز وجل واحد في ذاته لا خالق معه؛ يَجِبُ أن تعتقد وأن تحقق في نفسك أنه أيضاً لا شريك له في عبادته، فيَجِبُ ألا تعبد مع الله إلهاً أو آلهة أخرى، فإن أنت -لا سمح الله- فعلت شيئاً من ذلك؛ فقد نقضت توحيد العبودية أو الأُلُوهِيَّة، ووقعت في الشرك من النوع الثاني: ألا وَهُوَ شرك العبودية أو الأُلُوهِيَّة.)

وقَالَ الألباني رَحِمَهُ الله : (كذا قَالَ فُضَّ فوه! فإنه يعلم أن الجاهليين كانوا يؤمنون- مع شركهم - بتوحيد الرُّبُوبِيَّة بدليل قوله تعالى: (ولئن سألتهم من خلق السماوات والأرض ليقولن الله) ونحوه من الآيات، وكانوا يُلبُّون به وهم يطوفون حول البيت، فيقولون: لبيك لا شريك لك إلا شريكاً هو لك، تملكه وما ملك ! [3].

[1] (سورة ص:5)

[2] موسوعة العلامة الإمَام مجدد العصر مُحَمَّد ناصر الدين الألباني (2 / 119 - 120) بترقيم الشامله . صنعه / شادي بن مُحَمَّد بن سالم آل نعمان .

[3] رواه مسلم (8/4)

فإذا كان توحيدهم هَذَا حقاً، وإذا كان اعتقادهم أن الله في السماء حقاً كذلك، لمطابقته لنص القرآن، وبه أجابت الجارية التي شهد لها النبي - صَلَّي اللهُ عَلَيهِ وَسَلَّمَ - بالإيمَان، أفيُعقل أن يقول مؤمن بالله ورسوله حقاً : لا نؤمن بأن الله في السماء لأن المشركين كانوا يعتقدون ذلك ؟! إذن؛ يلزمه أن لا يؤمن بتوحيد الرُّبُوبِيَّة؛ لأن المشركين يؤمنون به !! ذلك هو الضلال البعيد.) [1] أقول : وغير ذلك من النقولات عن الشَّيخ الألباني رَحِمَهُ اللهُ يثبت فيها ويكرر ويعيد ويزيد من تقريراته بأن كفار العرب كانوا مؤمنين موحدين الله تَعَالَي بالرُّبُوبِيَّة وأنهم مشركون في الأُلُوهِيَّة .

قَالَ الشَّيخ الحويني حَفِظَهُ اللهُ : (لأن المشركين جميعاً يقرون بتوحيد الرُّبُوبِيَّة، ولا يجحدون أن الله عز وجل هو الذي خلق ورزق وأحيا ويميت، لا يخالفون في ذلك كله، ما علمنا من المشركين من يقول: إن آلهةً شاركت الله في خلق السموات والأرض، بل كانوا يقرون بذلك) [2] أقول : قوله يقرون صحيح فهم بالفعل كانوا يقرون ولا يؤمنون ، ولكن إطلاق توحيد الرُّبُوبِيَّة غير صحيح ، بل يقَالَ ببعض مَسَائِل الرُّبُوبِيَّة حتي يكون الكلام دقيقا .

وقَالَ الشَّيخ مُحّمَّد ابن الحسن ولد الددو [3] وفقه الله : (ولهَذَا فإن المشركين الذين كانوا في زمان رسول الله صَلَّي اللهُ عَلَيهِ وَسَلَّمَ كان كثير منهم يؤمن بتوحيد الرُّبُوبِيَّة، فكانوا يقولون في تلبيتهم: لبيك اللهم لبيك، لبيك لا شريك لك، إلا شريكاً هو لك.... أنت تملكه وما ملك.

وكذلك فإن الله تعالى أثبت عليهم هَذَا التَّوحِيد في القرآن في كثير من الآيات، كما في قوله تعالى: { وَلَئِنْ سَأَلْتَهُمْ مَنْ خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضَ لَيَقُولُنَّ اللَّهُ } [4] ، { وَلَئِنْ سَأَلْتَهُمْ مَنْ خَلَقَهُمْ لَيَقُولُنَّ اللَّهُ } [5]

---

[1] السلسلة الصحيحة (24 / 13) في الرد على الكوثري حديث 3161 . .

[2] دروس صوتية للشيخ أبو إسحاق الحويني قام بتفريغها موقع الشبكة الإسلَامية (104 / 6) و (43 / 6) بترقيم الشاملة .

[3] مُحّمَّد الحسن ولد مُحّمَّد الملقب بـ"الددو" الشنقيطي ، نزيل المملكة العربية السعودية .

[4] [سورة لقمان:25]

[5] [سورة الزخرف:87]

، { وَلَئِنْ سَأَلْتَهُمْ مَنْ نَزَّلَ مِنْ السَّمَاءِ مَاءً فَأَحْيَا بِهِ الأَرْضَ مِنْ بَعْدِ مَوْتِهَا لَيَقُولُنَّ اللَّهُ } [1] , فلم يكونوا يخالفون في هَذَا التَّوحِيد إلا نادراً.) [2] أقول : وهَذَا إطلاق من الشَّيخ غير صحيح بأن المشركين علي عهد النبي صَلَّي اللهُ عَلَيهِ وَسَلَّمَ لم يكونوا مشركين بالرُّبُوبِيَّة بل كانوا يؤمنون بها ، وهَذَا ما ننقمه علي من يقول هذه الكلمة . ومع ذلك فقوله (فلم يكونوا يخالفون في هَذَا التَّوحِيد إلا نادراً) يخالف تقريره سابقا بأن (المشركين الذين كانوا في زمان رسول الله صَلَّي اللهُ عَلَيهِ وَسَلَّمَ كان كثير منهم يؤمن بتوحيد الرُّبُوبِيَّة) لأن من يخالف في القليل من الرُّبُوبِيَّة يرجع إلي نقض الرُّبُوبِيَّة كلها . كمن أنكر معلوما من الدين بالضرورة وقامت عليه الحجة فيكون كافرا بالدين كله وإن استكمله إلا ما أنكره .

وقَالَ الشَّيخ علوي ابن عبد القادر السقاف حَفِظَهُ اللهُ فى الموسوعه العقدية : (وهَذَا النوع من التَّوحِيد لم يخالف فيه كفار قريش ، وأكثر أصحاب الملل والديانات) [3] أقول : بل خالفوا فيه أي في بعض مَسَائِله ، ولكنهم لم يخالفوا في الخلق والرزق والتدبير ، وليس ذلك - فقط - بالرُّبُوبِيَّة إلا إذا لم ينقضوا مَسَائِل أخري هي من الرُّبُوبِيَّة أيضا .

وقَالَ الشَّيخ سعيد ابن مسفر [4] **حَفِظَهُ اللهُ** : (هذه المساءلة تأتي لبيان وتقرير، ثم لمفاصلة، ومن ثَمَّ يبدأ التوجيه للنبي صَلَّي اللهُ عَلَيهِ وَسَلَّمَ في هذه المواجهة، مواجهة المشركين الذين يعرفون أن الله هو الخَالِق، وما كان مشركو العرب ينكرون هذه الحقيقة: { وَلَئِنْ سَأَلْتَهُمْ مَنْ خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ لَيَقُولُنَّ اللَّهُ } [5] فما كانوا يشركون في الرُّبُوبِيَّة، فقد كانوا يعرفون أن الخَالِق هو الله؛ لكنهم

---

[1] [سورة العنكبوت:63]

[2] دروس صوتية للشيخ مُحَمَّد بن الحسن ولد الددو قام بتفريغها موقع الشبكة الإسلَامية (30 / 8) وكذا (24 / 8) بترقيم الشاملة .

[3] الموسوعة العقدية 1 – 161

[4] سعيد بن مسفر بن مفرح القحطاني .

[5] سورة لقمان : 25 .

لا يتبعون هذه الحقيقة -حقيقة الرُّبُوبِيَّة- بالحقيقة الملازمة لها، وهي حقيقة الأُلُوهِيَّة، فما دام أنه الرب فإنه المعبود لوحده، لكنهم كانوا يفصلون بينهما، ويعبدون آلهة مع الله.) [1] أقول : فليس معرفتهم بأن الله هو الخَالِق دليلا علي إيمانهم بالرُّبُوبِيَّة أو عدم إشراكهم فيها ، بل مَسَائِل الرُّبُوبِيَّة كلها تجتمع معا لنستخرج حكما واحدا منبن علي مجموع مَسَائِل الرُّبُوبِيَّة ، فلا يقَالَ مؤمن بالرُّبُوبِيَّة علي من ينكر مسالة واحدة مِنهَا .

وقَالَ الدُّكتُور سعد البريك وفقه الله : (وهَذَا الإِيمَان أيتها الأخوات الذي اسمه: الإِيمَان بتوحيد الرُّبُوبِيَّة، هل تظنن أن أبا لهب وأبا جهل وعبد المطلب، وكفار قريش كانوا ينكرونه؟ لا. كانوا يؤمنون به، قَالَ الله جل وعلا: {وَلَئِنْ سَأَلْتَهُمْ مَنْ خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ لَيَقُولُنَّ اللَّهُ} [2] فكفار قريش يؤمنون بتوحيد الرُّبُوبِيَّة.

إذاً: فهل هَذَا هو التَّوحِيد المطلوب منا ؟ لا.

مطلوبٌ منا مع توحيد الرُّبُوبِيَّة توحيدٌ أسمائه وصفاته وتوحيد الأُلُوهِيَّة، وهَذَا التَّوحِيد يعني: أن نصرف جميع العبادة لله، لا نحلف إلا بالله، فلا نحلف: بالنبي والأمانة والكعبة والشرف، ولا نذبح إلا لله، لا يمكن أن نذبح للساحر أو الكاهن أو الشجرة أو الأثلة الفلانية، لا نتوكل إلا على الله، لا نستعين إلا بالله، لا نصلي إلا لله، لا ننحر إلا لله، فكل عبادةٍ صغيرة كانت أو كبيرة لا يَجُوزُ صرفها إلا لوجه الله جل وعلا.) [3]

أقول : فتصريح الدُّكتُور بأن كفار قريش كانوا يؤمنون بتوحيد الرُّبُوبِيَّة - المظلة الكبيرة التي تحوي مَسَائِل عظيمة وكثيرة - لمجرد أنهم أقروا ببعض مَسَائِلها من الخلق والرزق والتدبير تعميم فى غير محله وخطأٌ ظاهرٌ ونسبةُ إيمانٍ لهم وليسوا كذلك .

---

[1] دروس صوتية للشيخ سعيد بن مسفر القحطاني قام بتفريغها موقع الشبكة الإسلَامية (21 / 3) بترقيم الشاملة .

[2] [سورة لقمان:25].

[3] دروس صوتية لرلشيخ سعد البريك قام بتفريغها موقع الشبكة الإسلَامية (80 / 6) .

قال الشيخ الحازمي [1] وفقه الله : (الأشاعرة ومن سار على من نهجهم يقولون : التوحيد هو اعتقاد أن الله واحدٌ في أفعاله لا شريك له . وبعضهم ينتقد هذه العبارة ونقدها لا بد من التفصيل فيه ، لأنها ليست باطلة من حيث هي العبارة ، لو قيل : اعتقاد أن الله واحدٌ لا شريك له في أفعاله هذا حق ، لكن يفصل في النقد فيقال : إن جُعِلَ هذا اللفظ هذا المعنى هو توحيد الإلوهية ، قلنا : هذا لا بد من نقده ، لا بد من نقده باعتبار زيادة ما يوضح المعنى يعني : لا نغلطها ، نقول : هذه غلط ، لا ، هذا حق وهو نوعٌ من أنواع التوحيد ، وإنما نقول : لا بد من تصحيح العبارة ، فإن جعل هذا اللفظ هو المعنى المراد من لا إله إلا الله بأن الله واحدٌ في خلقه ورزقه ، نقول : هذا توحيد أبي جهل . وأما إن أريد بأنه واحدٌ في أفعاله جل وعلا وكونه معبودًا مألوهًا نزيد عليها هذه العبارة من أجل تصحيحها نقول : هذا حق . فاعتقاد أن الله واحدٌ ، تعتقد أن الله واحدٌ في ذاته وأفعاله ،) [2]

فقد ذكر الشيخ غلطا يقع فيه - في ظنه - الأشاعرة في اعتقاد حقيقة معني لا إله إلا الله ، ومحل شاهدنا من كلامه هو قوله عفا الله عنه " هذا توحيد أبي جهل " والسؤال هو هل التوحيد يتجزأ ؟! من حيث القبول والرد ! وهب أنه تجزأ نظريا هل ستضبط تلك المسألة عمليا بأن تفند الأعمال فتصنف من يعمل بعض الأعمال مؤمنا وبعضها الآخر مؤمنا ؟! هذا عجب عجاب .

فمثل هؤلاء جعلوا إقرار المشركين غير الكامل وغير المقتضي للوازمه ببعض مسائل الربوبية إيمانا ؟! وهو غلط فادح ، والحق أن يقال بإقرارهم ببعض المسائل وليس إيمانا وتوحيدا كما قال الشيخ .

---

[1] هو أبو عبد الله، أحمد بن عمر بن مساعد الحازمي.

[2] شرح كشف الشبهات للحازمي ، الشريط الثاني صفحة 6 بترقيم الشاملة .، دروس صوتية قام بتفريغها موقع الشيخ الحازمي .

فصل في الرد علي من شبه بدع بعض المسلمين بشرك الأولين .

ومن المؤسف والمحزن أن يصل الحال ببعض أهل العلم في زماننا إلي تشبيه بعض القصور في توحيد الألوهية – كجهل بعض الجهلة بالدين ما يؤول بهم إلى تقليد فى مسائل خلافية كالتوسل وزيارة النبى وما إلى ذلك مما اختلفت فيها الأمة من قديم - عند بعض المسلمين بحال الكفار الأقدمين ، وتشدق البعض منهم بأن هذا إيمان مثل إيمان قريش وهو لا يدخل في دين الله تعالي ، وهذا تكفير صريح لفئام من المسلمين بالشبهة ، وعدم التثبت والدراية ، فكم رمي أمثال هؤلاء بالجهل آلاف المسلمين بالكفر ؟ وكم حكموا علي طوائف من المسلمين بأنهم في توحيدهم مثل توحيد كفار قريش ولم يدخلوا في دين الله بهذا القدر من التوحيد ؟

ومن عجب ! هل كان في قلب أبي جهل توحيد وإيمان ؟! وهل يجتمع فى قلب إنسان نقيضان ؟! والله إنه لأمر عجيب ! .

وإن رحت تتتبع فتاوي وكتابات فصيل من المعاصرين التي تُسَطَّرُ لإرضاء أناس تارة أو تكتب بجهل تارة أخري لا شك أنك ستصاب بالهلع من هول ما تقرأ ومن جرأة الكتاب ، نسأل الله تعالي السلامة .

وعلي كل حال فبدع المسلمين في توحيد الألوهية لا تصل بحال إلي شرك الأولين البته فشرك مشركى الجاهلية كان كفرا بالله وبألوهيته واعتراض على الاستسلام له والانقياد لأمره ورد كامل لحكمه وشرعه وحرب ضروس لنبيه ولأتباع دينه وبغض شديد لرسالته وعبادة صريحة للأصنام وسجود وركوع ودعاء واعتقاد – فى وقت الرخاء – للأوثان ومقارفة لكل الموبقات والكبائر عن

اعتقاد حلها !! هل يستوى شرك هؤلاء مع المسلمين – حتى وإن وقعوا فى بعض الأخطاء - ؟! ، اللهم إلا الغلاة منهم فهؤلاء لا يدافع عنهم ولا ينافح ، فافهم الحق ترشد.

الخاتمة :

وبعد هَذَا البيان السابق ذكره يحسن بنا أن نلخص للقارىء ما قدمناه في نقاط حتي لا يتكاثر الكلام علي القارىء أو يلتبس عليه مراد الكاتب ، وربما يكون علي بعض الإخوة - ممن لا دراية لهم بدقائق العقيدة - فتنة ، فيظن البعض أن الخلاف شديدٌ والهوة واسعة فيترتب عليه ظن سيىء في أهل العِلم قديما وحديثا ، والأمر علي خلاف ذلك البتة ، إذ المسألة محكمة منذ عهد النُّبُوَّة ثابتة الأركان والمبادىء والتفريعات ، لم يستجد فيها حكم باستنباط لم يكن علي العهود الفاضلة ، وبذلك يتبين للإخوة القراء أن الخلاف في الرسالة خلاف لفظي أو اصطِلَاحِيٌ محض لا علاقة له بالمضمون ، ومن زعم أننا مختلفون في المضمون فقد جرَّ الحوار - متعمدا – إلى خارج سياقه وجعله خلاف تضاد لا يقبل فيه اختلاف ، إذ مضمون المسألة محكم ولا خلاف فيه بين أهل السُّنَّة والحديث والأثر ومن خالف فيه فهو خارج عن السُّنَّة إن سلم من الخروج عن الإسلَام علي حسب مخالفته .

واعلم أننا – نعلم - لن نسلم من تهم من فصيل عريض من المسلمين ، فسيرمينا البعض بالبدعة والمنافحة عنها ، والبعض سيتهمنا بالجهل ، وهناك من سيتهمنا بالقبورية ومخالفة أهل السنة ، وقد تخرج الأُكتوبات لترد على رسالتنا هذه ، وسوف أبين اعتقادى فى ذلك فى نقاط حتى لا يتيه القارىء وسط الصفحات وليكون تصريحى بعقيدتى هنا راد – مفحم – لكل من سيرد على قولى أو يرمينى بأى تهمة والله حسبنا ونعم الوكيل . فأقول مختصرا ما في هَذَا البحث وبالله التوفيق :

1. إعلم رَحِمَكَ اللهُ أننا - طه بن إبراهيم القلموشي - نشهد أن لا إله إلا الله وأن مُحَمَّدا رسول الله ونعتقد أنه لا معبود بحق إلا الله تَعَالَي ، ولا متبوع بحق إلا رسول الله صَلَّي اللهُ عَلَيهِ وَسَلَّمَ ، ونعتقد اعتقاد صالح السَّلَف وعلي رأسهم سيد الخلق وخاتم الأنبياء والمرسلين صَلَّي

اللَّهُ عَلَيهِ وَسَلَّمَ وأصحابه رضوان الله عليهم أجمعين ومن تبعهم بإحسان إلي يوم الدين كما اعتقدوا من غير تحريف ولا تأويل ولا زيادة ولا نقصان . وكل ما ثبت في كتاب الله تَعَالَي وسنة نبيه صَلَّي اللَّهُ عَلَيهِ وَسَلَّمَ نؤمن به علي ما ثبت به فهم سلف الأمة .

2. وإعلم - علمك اللَّهُ - أن الله تَعَالَي هو خالق هَذَا الكون وما فيه وبارئه والمتصرف فيه وحده لا شريك له ولا عديل له ولا كفؤ ولا نصير .
3. ولأنه الرب الجليل الأكبر ، اتصف بصفات لا يماثله فيها أحد ولا يشاركه في شيء مِنهَا مخلوق ، فله صفات الجمال والجلال والكمال ، فلا يتصف مخلوق بصفته ولا يتسمي باسمه ، ولا يتأول شيئا من علم الغيب وفق هواه بل ما ثبت عن طريق الشرع في هَذَا الباب يؤمن به علي وجه التسليم والاستسلام .
4. وَهُوَ الإله المستحق للعبادة وحدة دون ما سواه فليس له شريك في ملكه وليس له شريك في عبادته .
5. وكما أنه سبحانه الخَالِق للكون بما فيه ، فهو الحاكم فيه بما أراد وفق ما يشاء ، لا يملك مخلوق في حكمه شيئا ولا يصح لمخلوق علي حكمه استدراكا ولا قولا .
6. ولا يقبل من عبد في أمة مُحّمَّد صَلَّي اللَّهُ عَلَيهِ وَسَلَّمَ التَّوحِيد إلا إذا آمن بنبوة مُحّمَّد صَلَّي اللَّهُ عَلَيهِ وَسَلَّمَ ، فالإيمَان بمُحّمَّد شرط لقبول الإيمَان بالله تَعَالَي ، وبغير الثاني لا يكون الأول . وهَذَا هو تمام التَّوحِيد في شهادة التَّوحِيد (لا إله إلا الله مُحّمَّد رسول الله) .
7. وكل ما سبق من المَسَائِل أصول من أصول دعوة التَّوحِيد ومكملات لبعضها ، فلا يقبل أصل دون أصل ومن رد واحدا مِنهَا فقد رد الشرع كله. وكلها ثبت بها الشرع ووردت بها الأدلة ، وكل أصل من هذه الأصول باب عظيم من أبواب التَّوحِيد يندرج تحته مَسَائِل كثيرة يَجِبُ الإيمَان بها ليكمل التَّوحِيد .

8. فالتَّوحِيد هو أساس دعوة الرسل جميعاً ، وما بُعثوا إلا ليقرروا هَذَا الأمر العظيم الذي ضلَّت عنه الأمم الكثيرة .

9. ومن آمن بشيء مما بُعث به وكفر بشيء فهو فى الحكم كمن كفر الرسالة بأكملها وجحد الإسلَام كله .

10. ويَجُوزُ الاجتهاد في فهم النصوص - لأهل العِلم المتأهلين لذلك المحصلين ملكته - واستخراج ما فيها من معاني قد تخفي علي عوام المسلمين ، ولا يَجُوزُ الاجتهاد في تأويل نص شرعي ورد فهمه المحكم عن السَّلَف الصالح بخلاف ما ورد عنهم . ويسمي في الشرع " لا اجتهاد مع نص " . وأي اجتهاد احدث مفهوما جديدا أو ابتدع مسألة شرعية اتخذها الناس دينا ساروا عليه أو خالف سنة ثابتة فهو اجتهاد باطل مردود لا يحل اتباعه .

11. كل ما ثبت في الشرع بألفاظه ومعانيه يَجِبُ علي كل مسلم إثباته واعتقاده ، وإن كان يحل له أن يجتهد في فهم النصوص وتقريبها إلي الناس فلا يحل له أن يجعل فهمه للنصوص شرعا متبعا ودينا منتشرا .

12. لا يَجُوزُ لمسلم أن يرد مفهوما شرعيا ثبت في دين الله تَعَالَي ، ولا أن يرد لفظا شرعيا ثبت في كتاب أو سنة ، ولا ان يحدث مفهوما لم يرد في دين الله تَعَالَي ، ولا بأس بإحداث ألفاظ مرادفة للألفاظ الشرعية الثابتة مع عدم ترك الأصل أو التعصب للحادث واعتباره شرعا متبعا ودينا منزلا .

13. خير الهدي هدي مُحَمَّد صَلَّي اللهُ عَلَيهِ وَسَلَّمَ ، فكل ما كان فيه سنة عَنِ النَّبِيِّ صَلَّي اللهُ عَلَيهِ وَسَلَّمَ وأُحدث في عصرنا ما يشابهها ، فمع أن هَذَا الحادث يشمل خيرا كثيرا ونفعا عميما يناسب عصره ، غير أن الخير كل الخير فيما كان علي عهد النبي صَلَّي اللهُ عَلَيهِ وَسَلَّمَ ، فهو ما اختاره الله تَعَالَي لنبيه .

14. تعلم الإيمَان والتَّوحِيد يكون بالمحاكاة والعَمَل والأفعال والقدوة كما يكون بالكلام والنصيحة والشرح والتقويم والوجيه والتأليف ، بل الأول أولي من الثاني لفعله عَلَيهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَام ، وَهُوَ مقدم علي كل العلوم الشرعية فضلا عن غيرها من العلوم العصرية .

15. قَالَ ربنا تبارك وتَعَالَي : (الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الإِسلَام دِينًا) [1] فلا يزعم عاقل منتم للاسلام استخراج كلمة جديدة لم يقلها النبي صَلَّي اللَّهُ عَلَيهِ وَسَلَّمَ فيها زيادة فهم عن فهمه ولا شعيرة لم يسبق إليها ، ومن زعم ذلك فقد خالف عن أمره صَلَّي اللَّهُ عَلَيهِ وَسَلَّمَ وفي الفتنة وقع ويُخشي عليه العذاب الأليم إن مات علي ذلك ، وكل اجتهادات المجتهدين وأقوال العُلَمَاء العارفين هي فى فهم ما ثبت من أبواب ومَسَائِل الدين وتقريبه لِلنَّاسِ وليس لابتداءه أو زعم السبق إليه.

16. قسم العُلَمَاء التَّوحِيد إلي أقسام عدة ، من جهات مختلفة ، كل حسب ما يترائى له ، بمعطيات عصره وبيئته ، مستقرئين مجموع أدلة الكِتَاب والسُّنَّة استقراءا تاما ، فوصلوا إلي إحداث تقسيمات لم تكن معهودة علي أسلافهم ، وليسوا بذلك بدعا من القول لأنهم قصدوا تيسير العِلم لِلنَّاسِ ولم يخالفوا في اجتهادهم نص ولا سنة .

17. منشأ تلك التقسيمات ابتداءً على هَذَا النحو لم يرد به آية محكمة أو سنَّة متبعة ولم يتعارف عليها الصَّحَابَة والتابعون ، والعبرة كما يقولون بالمقاصد والمعاني، وليس بالألفاظ والمباني ، وهي تقسيمات اصطِلَاحِيَّة محضة ، إنما ظهر ذلك التقسيم متأخرا عن صدر هَذِهِ الأُمَّةِ ، وعليه فلا يقَالَ إنه شرعي ، بمعني انه يَجِبُ قبوله ويحرم رده ، وإن قصد بشرعي ان مستمده ومضمونه موافق للشرع فلا يخالف في ذلك أحد وليس هَذَا محل البحث .

[1] سورة المائدة 3

18. قسم العُلَمَاء التَّوحِيد إلي قسمين ومنهم من قسمه إلي ثلاثة أقسام وبعضهم قسمه إلي أربعة أقسام وبعضهم إلي قسمه إلي خمسة ، وكما قدمنا ، فكل هذه اجتهادات مقبولة ما لم تبتدع بدعة في الدين أو مفهوما لم يكن علي عهد السَّلَف أو تُنكر ثابتا من الدين . وقد يتطلب العصر تقسيما خماسيا أو سداسيا أو أكثر حسب ما يراه العالم المجتهد .

19. والخلاف الحاصل بين المستقيمين علي السُّنَّة السائرين علي درب النُّبُوَّة فى الاصطلاح المحدث الذي تكلم به العُلَمَاء بعد عهد النُّبُوَّة والصَّحَابَة وليس اختلافهم في المضمون مطلقا، أي في التقسيم ذاته لا في مضمونه ، أما من خالف في المضمون فقد خالف في أصل مَنهَج اهل التَّوحِيد والسُّنَّة ، ومن كان هَذَا حاله نقول :

فدع عنك نهبا صحيحا في حجراته .... وهات حديثا ما حديث الرواحل [1]

20. لا يَجُوزُ تضليل مجتهد في فهم نص ولا مستنبط لفهم ما لم يخالف بذلك فهم سلف الأمة الذي هو فهم مِنهَاج النُّبُوَّة .

21. لا يَجُوزُ تضليل أو تبديع من اجتهد وقسم التَّوحِيد للتيسير علي الناس ، وكذلك لا يَجُوزُ تضليل أو تبديع من لم يقسم التَّوحِيد تلك التقسيمات الحادثة وإن جري عليها دهورا وعصورا . والحق أن يكون المسلم منصفا للمحق ناصحا للمبطل وقافا عند حدود الله تَعَالَي.

22. لا يَجُوزُ أخذ اجتهادات العُلَمَاء علي وجه القبول الجازم الذي لا يَجُوزُ مخالفته ، ولا يَجُوزُ عقد الولاء والبراء علي اجتهاداتهم ، فهَذَا رفع لهم عن المكانة التى أنزلهم الله تَعَالَي إياها ، ومن فعل ذلك يخشي عليه أن يقع في الغلو المفرط الذي قد يصل بهم إلي حد يشبه عبادتهم أو قريبا مِنهَا .

---

[1] من كان هَذَا حاله نقول له أثبت الأصل ثم فرّع عنه ، لا يحسن بك أن تناقش في اصطلاح وأنت للأصل مضيع .

23. ولا تجوز الموالاة ولا المعاداة علي قول صحابي عدل اجتهد برأيه في مسألة ولم يجمع عليها الصَّحَابَة فضلا عن عالم مقدم أو فقيه مجتهد أو طالب علم علي طريق نجاة .

24. لا يَجُوزُ لمسلم فضلا عن طالب علم أن يقع في العُلَمَاء والمشايخ بالثلب ولا أن يتعرض لهم بالنقيصة ، فهم مصابيح الدجي وهداة الأنام وورثة الأنبياء ، ناهيك عن العُلَمَاء الذين يقعون في تلك المدحضة المزلة .

25. التَّوحِيد الذي يقبله الله تَعَالَي هو التَّوحِيد الكامل الخالي من الشرك ، فما من توحيد كان فيه ذرة شرك إلا رد علي صاحبه والله أغني الأغنياء عنه . وأما تقسيمات العُلَمَاء لذلك التَّوحِيد فمن حيث النظر العقلي الفكري لا من حيث القبول والرد .

26. لا يؤمن بالله تَعَالَي من يكفر بمسألة واحدة من مَسَائِل التَّوحِيد والإِيمَان ، وإن أقر بباقي المَسَائِل كلها وفعلها ، فضلا عمن يكفر بأكثر من ذلك ،كمن يكفر بنبوة نبي واحد يعد كافرا بنبوة كل الأنبياء وعمله مردود عليه .

27. والكفر بمَسَائِل التَّوحِيد قد يكون بتأويله علي وجه مضاد للتوحيد الخالص ، فقد يكون في ظاهره اجتهاد ولكنه يؤدي إلي خروج عن الجادة ووصول إلي الكفر في المسألة ، وهنا لا يقَالَ أن صاحبه مجتهد معذور ! لأنه لم يفرغ وسعه في اجتهاده ، وأول خطوة في إفراغ الوسع أن يتقفي الأثر ويتبع الدليل بالفهم الأول ثم يجتهد في فهم ما لم يكن علي عهدهم ليفهموه .

28. واعلم أن أقسام التَّوحِيد معروفة منذ القرون الأولي في الإِسلَام بعد عهد النُّبُوَّة ، ولكنها لم تكن بالتفصيل الذي هي عليه اليوم ، وبهَذَا لم يكن ابن تيمية رَحِمَهُ اللهُ أول من قسمها ، فضلا عن أن يقَالَ إن ابن عبد الوهاب رَحِمَهُ اللهُ هو أول من ابتدعها ! .

29. واعلم أن أقدار العُلَمَاء مِن أَهلِ السُّنَّة محفوظة ، لا يتطاول عليهم سنِّيٌّ ولا يقع في أعراضهم متَّبِع ، ومن تكلم فيهم بما ليس فيهم فقد ولج بابا عظيما من أبواب الفتن ولا يقع فيهم إلا أهل البدع والأهواء المخالفين لطريقهم.

30. واعلم أن كل بشر يؤخذ من قوله ويترك إلا النبي صَلَّي اللهُ عَلَيهِ وَسَلَّمَ ، وعليه فكل اجتهاد لعالم قد يرد باجتهاد عالم آخر والحجة في الدليل ، فأيهما كان دليله أقوي وحجته أقوم فاجتهاده مقدم علي غيره .

31. وليس كل القائلين بقول ، فهم علي نفس المَنهَج ، فقد يتفق علي مسألة صحيحة خصمان بينهما كما بين المشرق والمغرب ، وعليه فليس من وَافَقَ قولا لأهل السُّنَّة من المبتدعة فهو سني وليس السني بمبتدع لأن قوله الذي استفرغ فيه وسعه وبذل فيه طاقته وجهده قد وَافَقَه فيه مبتدع ، فالحق لا يعرف بالرجال .

32. ووجب قبول كل قول وَافَقَ الكِتَاب والسُّنَّة بفهم سلف الأمة ، ولا يحل رد الحق لأن قائله علي غير الجادة ، فقد وردت السُّنَّة بذلك ، وَهُوَ غاية الإنصاف .

33. واعلم أن الله تَعَالَي أرسل كل رسله بالتَّوحِيد الكامل ، أي بكل أقسامه ، ولم يبعث نبي بقسم دون قسم أو لتأصيل مسألة دون مسألة ، فلا يقال إن فلانا من الأنبياء أرسل بتوحيد الألوهية دون توحيد الربوبية أو أن فلانا أرسل لترسيخ توحيد الربوبية دون توحيد الألوهية .

34. وليس معني أن الأنبياء أُرسلوا لإفراد الله تَعَالَي بالعبادة أنهم لم يرسلوا لإفراد الله تَعَالَي بالخلق والرزق والتدبير والإحياء والإماتة والأَسمَاء وَالصِّفَات والأفعال ! بل أُرسلوا بكل ما كان من مَسَائِل التَّوحِيد ، ولكن بأولويات في نشر تلك المَسَائِل ، فبيئة آمنت بمسألة لا يحسن بك أن تكثر الكلام بما أقروا به وآمنوا وتهمل مسألة أخري قصروا فيها ! بل

الحكمة تقتضي أن تكلمهم عن المسألتين مع إطناب فيما غلطوا فيه . وهكذا كانت سنة المرسلين .

35. واعلم أن كل أمة من الأمم أُرسِل إليها نبيا أو رسولا كانت مخالفة فى جانب من جوانب الدين ، فكانت مهمة النبى أو الرسول إحياء ما اندثر من الدين – أى من رسالة من سبقه من رسل – ودعوته لإصلاح ما درس من الشريعة ، هذا بالإضافة لمهمته بإقامة الدين كاملا .

36. واعلم أن توحيد الرُّبُوبِيَّة هو إفراد الله تَعَالَي بأفعاله – ومن لوازمها تنزيهه عن النقائص فى الباب - ، وَهُوَ أشمل التعريفات للربوبية ، فكل ما كان من أفعال الله تَعَالَي وجب إفراد الله تَعَالَي به ، وعليه فلا يؤمن بالرُّبُوبِيَّة إلا من آمن بكل مَسَائِلها .

37. ومن مَسَائِل الرُّبُوبِيَّة علي سبيل المثال لا الحصر الخلق والرزق والتدبير والإحياء والإماتة والتصرف في الكون والقدرة علي إعادة الخلق وبعثهم مرة أخري وسماع المخلوقين بالسمع المحيط بكل المسموعات وإبصارهم إبصارا محيطا بكل المبصرات وعدم نسبته إلي العجز بحال وغير ذلك كثير .

38. ومن القصور في فهم الرُّبُوبِيَّة أن يظن بعض الإخوة أن الرُّبُوبِيَّة هي الخلق والرزق والتدبير والإحياء والإماتة . دون مراعاة باقي مَسَائِل الرُّبُوبِيَّة .

39. فقد أقر أكثر مشركي العرب ببعض مَسَائِل الرُّبُوبِيَّة مثل إقرارهم بالخلق والرزق والتدبير والإحياء والإماتة والقدرة ، وأشركوا بالله في بعض مَسَائِل الرُّبُوبِيَّة مثل : إنكارهم البعث والمعاد واستسقائهم بالأنواء ونسبتهم إلي الله تَعَالَي الولد وأن الملائكة بنات الله ونسبتهم لله العجز عن سماع المخلوقين وتحكيمهم غير حكم الله تَعَالَي وغير ذلك من مَسَائِل الرُّبُوبِيَّة . وعليه فقد أقروا ببعض مَسَائِلها وأشركوا ببعضها .

40. وعليه فلا يصح أن يقَالَ عن مشركي العرب أنهم آمنوا بالرُّبُوبِيَّة أو وحدوا الله تَعَالَي في ربوبيته بإطلاق من غير تفصيل كما فصلنا لأن هَذَا تقوُّلٌ علي الله تَعَالَي بل ولا يقال أقروا، وإنما يقَالَ أنهم أقروا ببعض مَسَائِلها وأشركوا ببعضها .

41. واعلم أن توحيد الأُلُوهِيَّة هو إفراد الله تَعَالَي بأفعال المخلوقين ، وَهُوَ أشمل تعريفاته ، فكل ما كان من أفعال العبد وجب إفراد الله تَعَالَي به ، وعليه فلا يؤمن بالأُلُوهِيَّة إلا من آمن بكل مَسَائِلها .

42. ومن مَسَائِل الأُلُوهِيَّة : الصلاة والدعاء والسجود والخوف والرجاء والإنابة والذبح والنذر والحكم بما أنزل الله والطواف وغير ذلك من العبادات .

43. ومن القصور في فهم شرك الجاهلية في الألوهية أن يظن بعض الإخوة أن مشركي العرب كانوا منكرين لألوهية الله تعالي جملة وتفصيلا.

44. فقد أقر مشركوا العرب ببعض مَسَائِل الأُلُوهِيَّة علي عوار فيها مثل : ألوهية الله تَعَالَي عموما وحجهم إلي بيت الله العتيق وطوافهم حوله وصلاتهم فيه ودعائهم الله تَعَالَي وقت الشدة وصيامهم واستيقانهم بصدق نبوة مُحَمَّد صَلَّي اللهُ عَلَيهِ وَسَلَّمَ ، وأشركوا بالله تَعَالَي في أكثرها مثل : شركهم في العبادة والتقرب والشفاعة والطاعة والاتباع والمحبة والنصرة والولاء والسجود وغير ذلك ، فلم تدخلهم تلك العبادات في الإسلَام ولا يقَالَ عنهم مؤمنين ولا موحدين ، لأن فعلهم هَذَا مشوب بالشرك في أكثر مواضعه .

45. وعليه فقد كفروا بالأُلُوهِيَّة قولا واحدا ، ولا يشفع لهم اقرارهم ببعض مَسَائِلها ، كما أنهم كفروا بالرُّبُوبِيَّة ولم يشفع لهم إقرارهم ببعض مَسَائِلها ، فهذه كتلك . ومن زعم أنهم وحدوا أو ءامنوا فى الرُّبُوبِيَّة بإقرارهم بعض مَسَائِلها لزمه القول بتوحيدهم في الأُلُوهِيَّة لإقرارهم ببعض مَسَائِلها . والحق أنهم كفرة في الرُّبُوبِيَّة والأُلُوهِيَّة معا غير مؤمنين .

46. وتوحيد الله تَعَالَي في أسمائه وصفاته هو الإيمَان بكل ما وصف الله تَعَالَي به نفسه في كتابه أو وصفه به رسوله صَلَّي اللهُ عَلَيهِ وَسَلَّمَ من غير تحريف ولا تعطيل ومن غير تكييف ولا تمثيل ، مع تنزيهه تَعَالَي عن جميع النقائص .

47. وقد كان أهل الجاهلية يعلمون الله تَعَالَي ببعض أسمائه وصفاته مثبتينها له تَعَالَي ويكفرون ببعض الأَسمَاء وَالصِّفَات الأخري . وهم بشركهم في بعض الأَسمَاء وَالصِّفَات كفروا في الباب كله ولا يشفع لهم إقرارهم ببعضها ، كما أن من يكفر بنبي واحد من الأنبياء يكفر بنبوة الأنبياء جميعا .

48. ومما سبق يتبين أن الكلام على عموم مشركي العرب أنهم كانوا كفار في أنواع التَّوحِيد الاصطلاحية الثلاثة مع إقرارهم ببعض مَسَائِله . فلا يقَّالَ عنهم مؤمنين ولا موحدين في قسم من الأقسام لأنهم لم يستكملوه لأن الإيمان لا يتجزأ إلا نظريا وهذا الإيمان النظرى لا ينبنى عليه حكم ولا يترتب عليه جزاء ، بل ولا يقال أيضا مقريين بقسم من أقسام التوحيد ! – أى لا يقول أنهم مقرين إقرارا كاملا بمسائل قسم كامل من أقسام التوحيد - إذ إنهم كانوا مقريين ببعض مسائل في كل قسم من أقسامه ومنكرين أو جاحدين لبعض مسائل وقد بينَّا ذلك فى أثناء البحث.

49. واعلم أن فعل الكفر بصرف العبادة لغير الله يُخرِج من الملة سواء اعتقد في ذلك المصروف له نوعا من العبادة صفات الرب أو لا . فالعبرة بوقوع الذنب ولو من جهة واحدة ولا يستلزم استكمال جهات الكفر كلها .

50. وختاما ، اعلم أن مسألة تقسيم التوحيد نظريا إلى أقسام مسألة اصطلاحية لا ينبني عليها عمل ولا يترتب عليها اعتقاد ، إنما هى مسألة علمية استقرائية من نصوص الكتاب والسنة ، وعليه فلا يصح أن تأخذ أكبر من حجمها ولا أن يبدِّع من قسم التوحيد من رد

الأقسام ، ولا أن يبدِّع من رد الأقسام من قسم التوحيد ، بل توضع المسألة فى نصابها ولنقبلها على أنها مسألة خلاف تنوع تتسع صدورنا له ، هذا لمن لا يخالف فى إنكار شعيرة من شعائر الدين أو مسألة من مسائله ، وأما من يخالف فى التقسيم أو يقسم ثم يلج من هذا الباب إلى إنكار مسألة أو شعيرة فهذا يرد عليه ويحذر من خطئه ولا تكون مخالفته فى باب خلاف التنوع أو الخلاف السائغ إنما مخالفته هنا تكون خلاف تضاد ، نعوذ بالله تعالى من مضلات الفتن ، ونسأله تبارك وتعالى السداد والرشاد .

تَمَّ بِحَمدِ اللهِ تَعَالَي وَمَنِّهِ وَكَرَمِهِ ، نَفَعَنَا اللهُ وَإِيَّاكُمْ بِالعِلمِ، وَعَصَمَنَا بِالتَّقْوَى مِنَ الزَّيغِ وَالضَّلَالَةِ بِمَنِّهِ وَرَحمَتِهِ وَالْحَمْدُ للهِ عَلَى الإِسلَام وَالسُّنَّة .

وَصَلَّى اللهُ وَسَلَّمَ عَلَى سَيِّدنَا مُحَمَّد وَآله وَصَحَابَتِهِ وَأَزوَاجِهِ وَذُرِّيَّتِهِ الطَّيِّبِينَ الطَّاهِرِينَ وَسَلَّمَ تَسْلِيمًا كَثِيرًا إِلَى يَوْمِ الدِّينِ وَنَسأَلُ اللهَ تَعَالَى كَمَا بَصَّرَنَا بِمَنهَج السَّلَف الصَّالِحِ؛ أَن يَجعَلَنَا مِنهُم، وَيَحشُرَنَا مَعَهُم تَحتَ لِوَاءِ سَيِّدِ الخَلقِ صَلَّى اللهُ عَلَيهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ وَأَن لَا يُزِيغَ قُلُوبنَا بَعدَ إِذ هَدَانَا، وَنَسأَلُهُ أَن يُجعَلَنَا مِن عِبَادِهِ المُوَحِّدِينَ الصَّالِحِينَ العَامِلِينَ فِي سَبِيلِهِ؛ إِنَّهُ عَلَى ذَلِكَ قَدِيرٌ، وَهُوَ سَمِيعٌ مُجِيبٌ.

أبو إلياس طه بن إبراهيم القلموشي المصري

بدين – المنصورة – الدقهلية - مصر

هاتف مصرى رقم (00201012387084)

Zamazm_net2010@yahoo.com

فهرس الفصول والمباحث